ضياء العالمين

في

بيان إمامة الأئمة المصطفين عليهم السلام

تأليف

العلامة الفتوني

الشيخ أبي الحسن بن محمد طاهر العاملي

المتوفى ١١٣٨ هـ

الجزء السابع

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

مؤسسة آل البيت لإحياء التراث

٣٧٥

ضياء العالمين

في

بيان إمامة الأئمة المصطفين عليهم السلام

تأليف

العلامة الفتوني

الشريف أبي الحسن بن محمد طاهر العاملي

المتوفى ١١٣٨ هـ

الجزء السابع

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

الشريف ، أبو الحسن بن محمّد طاهر ، ١٠٧٠ ـ ١١٣٨ هـ . ق .
ضياء العالمين في بيان إمامة الأئمّة المصطفين / تأليف : الفتوني الشريف أبو الحسن محمّد طاهر العاملي ، تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم ، ١٣٨٩.
١٠ ج.
الفهرسة طبق نظام فيپا.
المصادر بالهامش.
١ ـ الإمامة ٢ ـ حديث ٣ ـ آيات قرآنية ـ ألف : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث (قم) ب : العنوان.
٩ ض ٤٦ ش / BP ٢٢٣ — ٢٩٧ / ٤٥
رقم الإيداع في المكتبة الوطنية الإيرانية — ٢٠٧١٤٢٤

شابِك (ردمك) ٠ ـ ٣٣٠ ـ ٣١٩ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ / دورة ١٠ أجزاء احتمالاً

ISBN 978 - 964 - 319 - 330 - 0 / 10 VOLS.

شابِك (ردمك) ٣ ـ ٥٥٣ ـ ٣١٩ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ / ج ٧

ISBN 978 - 964 - 319 - 553 - 3 / VOL.7

الكتاب :	ضياء العالمين في بيان إمامة الأئمّة المصطفين / ج ٧
المؤلّف :	العلّامة الفتوني
تحقيق ونشر :	مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
الطبعة :	الأولىٰ ـ شوال المكرّم ـ ١٤٣٥ هـ
الفلم والألواح الحسّاسة (الزينك) :	تيز هوش ـ قم
المطبعة :	الوفاء ـ قم
الكمّية :	٣٠٠٠ نسخة
السعر :	١٠٠,٠٠٠ ريال

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة الفكر
alfeker.net

يا علي يا فاطمة

جميع الحقوق محفوظة ومسجّلة
لمؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
قم المقدّسة: شارع الشهيد فاطمي (دورشهر) زقاق ۹ رقم ۱ ـ ۳
ص. ب ۳۷۱۸۵/۹۹٦ هاتف: ۵ ـ ۳۷۷۳۰۰۰۱ فاكس: ۳۷۷۳۰۰۲۰

الفصل التاسع :

في بيان الآيات التي يستدلّ بها على إمامة هؤلاء الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام ، وإن كان سبب النزول في بعض منها شيء آخر ، أو في[1] بعضٍ منهم كعليٍّ عليه السلام ، بل ولو لم تكن نصّاً صريحاً ؛ لما مرّ في الفصل السابق .

اعلم أنّ الحقّ الحقيق ـ كما هو ظاهر على أهل التحقيق الذين أخذوا علومهم من تفاسير أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت ـ أنّ أكثر آيات المدح والإكرام ، بل كلّها نازلة في هؤلاء الأئمّة وأوليائهم ، وأنّ جُلّ فقرات التوبيخ والتهديد والتشنيع واردة في مخالفيهم وأعدائهم ، بل تمام القرآن إنّما أُرسل للإرشاد إليهم والإعلام بهم ، وبيان العلوم والأحكام لهم والأمر بإطاعتهم وترك مخالفتهم ، وإن كان دلالة بعضها بحسب البطن والتأويل لبعض المصالح المذكورة في محلّها ، وقد وفّقنا الله عزّ وجلّ لوضع كتاب جامع لتفسير تمام القرآن على هذا النهج سوى ما ألّفه غيرنا ، لكن نقتصر هاهنا على ذكر الآيات التي صدر الإقرار بأنّها لعليٍّ عليه السلام ، بل لذرّيّته الأئمّة عليهم السلام أيضاً من المخالفين ولو من بعضهم ، ولا نبالي بإنكار المعاند أو الجاهل الغشوم ؛ لكفاية إقرار بعض الخصوم ، حتّى أنّ جماعة منهم أقرّوا بذلك مجملاً ومفصّلاً :

أمّا مجملاً ، فكما روى عبدالعزيز الجلودي بإسناده ، عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى أنّه قال : لقد نزلت في عليٍّ عليه السلام ثمانون آية صفواً في كتاب الله ما شركه فيها أحدٌ من هذه الأُمّة[2] .

---

(١) كلمة «في» لم ترد في «ن» .

(٢) الخصال : ١/٥٩٢ . وفي شواهد التنزيل ١ : ٤٢ : ٥٥ بسندٍ آخر عن ابن أبي ليلى .

وبإسناده عن ليث، عن مجاهد أنّه قال: نزلت في عليّ عليه السلام سبعون آية ما شركه في فضلها أحد[١].

وكما روى ابن مردويه في كتابه عن مجاهد أنّه قال: نزلت في عليّ عليه السلام سبعون آية[٢]، الخبر.

وعن ابن عباس أنّه قال: ما نزل في أحد في كتاب الله مثل ما نزل في عليّ عليه السلام[٣].

حتّى أنّ ابن حجر قال في الصواعق: روي [عن] ابن عبّاس أنّه قال: نزلت في عليّ عليه السلام ثلاثمائة آية[٤].

وستأتي أخبار أُخر في محلّها أيضاً.

وأمّا مفصّلاً فكما سنذكر أخباراً منهم في ذلك، ولنذكرها في ضمن مطالب.

---

(١) الخصال: ٢/٥٨٠.

(٢) عنه الإربلي في كشف الغُمّة ١: ٣١٤، والحلّي في كشف اليقين: ٣٥٦، شواهد التنزيل ١: ٥٠/٤٠ و٥١، و٦٢/٤٥.

(٣) كشف الغمّة ١: ٣١٤، كشف اليقين: ٣٥٦ بتفاوت يسير.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٩٦.

المطلب الأوّل:

في بيان آية ﴿إنّما وليّكم الله﴾ ونزولها في عليٍّ عليه السلام. والآية هي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1].

اعلم أنّه لا كلام عند كافّة الخاصّة وعامّة العامّة في نزول هذه الآية في شأن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بل صرّح بعضهم: بأنّه لا خلاف بين المفسّرين في ذلك. وأخبار الفريقين وصلت إلى حدّ التواتر، فإنّها وإن اختلفت لفظاً إلّا أنّها متّفقة معنىً، كما سيظهر. وكثرة الرواة والناقلين لنزولها فيه بحيث لا يحتمل التواطؤ على الكذب مع كون كثير منهم من جملة المنحرفين عنه عليه السلام.

وها نحن نذكر أوّلاً أسامي النقلة والرواة، ثمّ نذكر نبذاً من الروايات.

قال السيّد ابن طاووس في كتاب سعد السعود: رأيت في تفسير محمّد ابن العبّاس بن عليّ بن مروان أنّه روى نزول هذه الآية في عليٍّ عليه السلام من تسعين طريقاً بأسانيد متّصلة عامّتها من رجال المخالفين لإمامة أهل البيت عليهم السلام.

فمنهم: من روىٰ عن عليٍّ عليه السلام، ومنهم: من روى عن عمر، ومنهم: عن عثمان، ومنهم: عن الزبير، ومنهم: عن عبدالرحمن بن عوف، ومنهم: عن سعد بن أبي وقّاص، ومنهم: عن طلحة، ومنهم: عن ابن عبّاس، ومنهم: عن أبي رافع، ومنهم: عن جابر الأنصاري، ومنهم: عن أبي ذرّ الغفاري، ومنهم: عن أنس، ومنهم: عن عمّار بن ياسر،

---

(١) سورة المائدة ٥: ٥٥.

ومنهم: عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، ومنهم: عن الباقر عليه السلام، ومنهم: عن الصادق عليه السلام.

ومن الرواة: عبدالله بن محمّد بن الحنفيّة، ومجاهد، ومحمّد بن سري[١] وعطاء بن السائب، ومحمّد بن السائب، وعبدالرزّاق، وغيرهم[٢].

ثمّ إنّه قد رواها ابن المغازلي الشافعي من خمس طرق منها: عن عبدالله بن عبّاس، ومنها: عن عليّ بن عابس، عن أبي مريم، عن عبدالله ابن عطاء، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام[٣].

ورواها رزين بن معاوية في كتاب الجمع بين الصحاح الستّة، من صحيح النسائي عن عبدالله بن سلام[٤].

ورواها أيضاً ابن الأثير في كتاب جامع الأُصول من الصحيح المذكور عن ابن سلام[٥]. وكذا رواها الحافظ أبو نعيم في كتاب ما نزل من القرآن في عليٍّ عليه السلام بإسناده عن عمّار بن ياسر، وبإسناده عن أبي رافع، وبإسناده عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، وبإسناده مرفوعاً عن جابر الأنصاري، وعن مجاهد، عن ابن عبّاس، وعن موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل[٦].

---

(١) كذا في النسخ: وفي المصدر: محمّد بن سيرين، والصحيح محمّد بن السريّ.

(٢) سعد السعود: ١٩٢، وانظر ١٤٣، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٧٣.

(٣) المناقب لابن المغازلي: ٣١١ ـ ٣٥٤/٣٣٤ ـ ٣٥٨.

(٤) المصدر غير متوفّر لدينا، وعنه ابن البطريق في خصائص الوحي المبين: ١٥/٨٠، وابن طاووس في الطرائف ١: ٤١/٦٧، وابن جبر في نهج الإيمان: ١٣٨.

(٥) جامع الأُصول ٨: ٦٥١٥/٦٦٤.

(٦) المصدر غير متوفّر لدينا، وعنه ابن البطريق في خصائص الوحي المبين: ٧١ ـ ١/٧٨ ـ ١٢.

وقد رواها ابن مردويه أيضاً بأسانيد منها: عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس[١].

ورواها الحسكاني أيضاً: عن أبي صالح، عن ابن عبّاس[٢].

ورواها الثعلبي في تفسيره بعدّة طرق منها بإسناده عن عَباية بن ربعيّ، عن ابن عبّاس[٣].

ورواها الحسكاني أيضاً بهذا السند بعينه[٤].

ورواها أيضاً أبو المؤيّد الخوارزمي في مناقبه مرفوعاً عن ابن عبّاس[٥].

ورواها الطبراني أيضاً عن أبي رافع، وعن عمّار بن ياسر[٦].

ورواها الخطيب أيضاً في المتّفق والمفترق عن ابن عبّاس[٧].

وكذا رواها عنه عبدالرزّاق، وعبدالحميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وغيرهم[٨].

وكذا رواها أبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر، عن عليّ بن

---

(١) عنه ابن طاووس في بناء المقالة الفاطمية: ٢٦٧، والسيوطي في الدرّ المنثور ٣: ١٠٥.

(٢) شواهد التنزيل ١: ١٨٠ و٢٣٦/١٨١ و٢٣٧.

(٣) انظر: الكشف والبيان ٤: ٨٠.

(٤) شواهد التنزيل ١: ٢٣٥/١٧٧.

(٥) المناقب للخوارزمي: ٢٤٦/٢٦٤.

(٦) المعجم الكبير للطبراني ١: ٣٢٠ ـ ٩٥٥/٣٢١ عن أبي رافع، المعجم الأوسط ٦: ٦٢٣٢/٢٩٤ عن عمّار بن ياسر.

(٧) المصدر غير متوفّر لدينا، وعنه السيوطي في الدرّ المنثور ٣: ١٠٤، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ١٣: ٣٦٣٥٤/١٠٨.

(٨) عنهم السيوطي في الدرّ المنثور ٣: ١٠٥.

أبي طالب[١].

وروى مثل ما رووه : ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن مجاهد ، وعن السدّي ، وعتبة بن حكيم ، نقل أكثر هذه الروايات عنهم السيوطي في الدرّ المنثور[٢].

ورواها الزمخشري والبيضاوي والرازي في تفاسيرهم مع شدّة تعصّبهم عن ابن عبّاس وأبي ذرّ وغيرهما[٣].

ورواها عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس محمّد بن جرير الطبري[٤].

وكذا رواها عنه وعن غيره الماوردي والقشيري والقزويني والنيسابوري والشعبي والبيهقي وأبو مسلم الاصفهاني والفلكي والسدّي والحسن البصري ، وغيرهم[٥].

وكذا رواها السمعاني في فضائل الصحابة ، والواحدي في أسباب نزول القرآن ، والنطنزي في الخصائص ، والإبانة ، ومحمّد الفتّال في التنوير

---

(١) نقله السيوطي عن أبي الشيخ وابن مردويه في الدرّ المنثور ٣ : ١٠٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٥٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٦ : ١٨٦ ، تفسير ابن أبي حاتم ٤ : ١١٦٢ ، الدرّ المنثور ٣ : ١٠٥ .

(٣) انظر : الكشّاف ٢ : ٢٥٨ ، أنوار التنزيل ١ : ٢٨١ ، التفسير الكبير ١٢ : ٢٦ .

(٤) لم نعثر عليه في دلائل الإمامة ، وعنه ابن طاووس في اليقين : ٢٢٣ ، بحار الأنوار ٣٥: ٦/١٨٦ نقلاً عن اليقين .

(٥) النكت والعيون للماوردي ٢ : ٤٩ ، شواهد التنزيل ١ : ١٦١ ، الوسيط للواحدي ٢ : ٢٠١ ، غرائب القرآن للنيسابوري ٢ : ٦٠٥ ، سعد السعود : ١٤٣ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٥ ، نهج الإيمان : ١٣٩ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٦٠ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٣١/١٨٩ .

وفي الروضة، وسليمان بن أحمد في معجمه الأوسط، وابن عيّاش، والثقفي عن جماعة، وابن البيع في كتاب معرفة أُصول الحديث عن عمر ابن عليّ بن أبي طالب[١].

ورواها أيضاً أبو بكر الرازي في كتاب أحكام القرآن على ما حكاه عنه المغربي والرماني والطبري[٢].

ورواها البغوي في تفسيره عن السدّي[٣].

وبالجملة، رواها جماعة كثيرة لا سيّما المفسّرين منهم[٤].

ولا بأس أن نذكر بعض تلك الأخبار أيضاً.

فمنها: ما رواه الحافظ أبو نعيم في كتاب المعرفة، وغيره، بإسناده عن عون بن عبيدالله[٥]، عن أبيه، عن جدّه أبي رافع قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وهو نائم وحيّة في جانب البيت، فكرهت أن أقتلها فأُوقظ النبيّ، فظننت أنّه يوحى إليه، فاضطجعت بينه وبين الحيّة، وقلت: إن كان منها سوء كان إلَيَّ دونه، فمكثت هنيئة فاستيقظ النبيّ صلى الله عليه وآله وهو

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٥ ـ ٦ نقله عمّن ذكره المؤلّف، وكذا في نهج الإيمان: ١٣٩، والصراط المستقيم ١: ٢٦٠، روضة الواعظين ١: ٢٢١، أسباب النزول للواحدي: ٢٠١، معرفة علوم الحديث: ١٠٢.

(٢) أحكام القرآن للجصّاص ٤: ١٠٢، وورد نصّه في مجمع البيان ٢: ٢١٠.

(٣) معالم التنزيل ٢: ٢٧٢.

(٤) انظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٤: ٦٥٤٧/١١٦٢ ـ ٦٥٥١، تفسير القرآن للسمعاني ٢: ٤٧، التفسير الكبير للرازي ١٢: ٢٦، زاد المسير ٢: ٣٨٣، المحرّر الوجيز ٥: ١٣٦.

(٥) هو عون بن عليّ بن عبيدالله بن أبي رافع، ويقال: عون بن عبيدالله بن أبي رافع، نسب إلى جدّه، سُئل يحيى بن معين عنه، فقال: مشهور.
انظر: الجرح والتعديل ٦: ٢١٤٣/٣٨٥.

يقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(١) حتّى أتى على آخر الآية، ثمّ قال: «الحمد لله الذي أتمّ لعليّ عليه السلام نعمته وهنيئاً له بفضل الله الذي آتاه»، ثمّ قال لي: «ما لك هاهنا؟» فأخبرته بخبر الحيّة، فقال لي: «أقتلها» ففعلت، ثمّ قال: «يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون عليّاً وهو على الحقّ وهم على الباطل، جهادهم حقّ لله عزّوجلّ، فمن لم يستطع فبقلبه»(٢).

وهذا هو المضمون الذي ذكره ابن مردويه، والطبراني أيضاً بأسانيدهما عن أبي رافع، لكن إلى قوله: «وهنيئاً لعليّ عليه السلام بفضل الله»(٣).

وفي رواية بعد قوله: «فبقلبه» قال: فقلت: يارسول الله، ادع الله لي إن أدركتهم أن يُقوّيني على قتالهم، فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ خرج إلى المسجد وقال: «إنّ لكلّ نبيٍّ أميناً وإنّ أميني أبو رافع»(٤) الخبر.

وفي رواية أُخرى: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال له بعد قتله الحيّة: «يا أبا رافع ليكوننّ علَيٌّ منك بمنزلتي غير أنّه لا نبيّ بعدي، إنّه سيقاتله قوم يكون حقّاً في الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فجاهدهم بلسانه، فإن لم يستطع بلسانه فجاهدهم بقلبه، ليس وراء ذلك شيء، وهو على الحقّ وهم على الباطل» قال: ثمّ خرج وقال: «أيّها الناس من كان يحبّ أن ينظر

---

(١) سورة المائدة ٥ : ٥٥ .

(٢) معرفة الصحابة ٢ : ٢٤٣ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١ : ٣٢٠ ـ ٩٥٥/٣٢١، وفيه بتفاوت، وعنهما السيوطي في الدرّ المنثور ٣ : ١٠٦، ونقله عن ابن مردويه أحمد بن طاووس في بناء المقالة الفاطميّة : ٢٦٥ .

(٤) الأمالي للطوسي : ٨٦/٥٩ .

إلى أميني فهذا أميني» يعني : أبا رافع[١] ، الخبر .

وقد نقل ما نقلناه عن هؤلاء الناقلين السيوطي أيضاً[٢] .

ومنها : ما رواه الأكثرون ، ومنهم : النسائي في صحيحه على ما نقله صاحب كتاب جامع الأُصول ، وصاحب كتاب الجمع بين الصحاح السنّة في كتابيهما المذكورين ، ومنهم : السيوطي في تفسيره ، ومنهم : أبو المؤيّد الخوارزمي في مناقبه ، ومنهم : الواحدي في أسباب نزول القرآن ، ومنهم : ابن مردويه ، ومنهم : محمّد بن جرير الطبري ، وغيرهم ، بعضهم عن عبدالله بن سلام ، وبعضهم عن عبدالله بن عبّاس ، وبعضهم عن جابر ، وبعضهم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، وعن غيرهم أيضاً ، بعبارات متقاربة لفظاً ومتّحدة معنىً ، قالوا ما خلاصة الجميع : إنّ رهطاً من اليهود الذين أسلموا منهم عبدالله بن سلام ، وابن يامين ، وابن صوريا جاؤوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في بيته ، فقالوا : إنّ قومنا لمّا رأونا آمنّا بالله ورسوله رفضونا ولا يكلّمونا ولا يجالسونا وأبغضونا ، فشقّ ذلك علينا ، وبيوتنا بعيدة عن أهل المسجد . وفي رواية : أنّهم قالوا له : إنّ موسى عليه السلام أوصى إلى يوشع ابن نون ، فمن وصيّك يارسول الله ، ومن وليّنا بعدك ؟ فنزلت هذه الآية ، فلمّا قرأها عليهم قالوا : قد رضينا بما رضي الله ورسوله صلى الله عليه وآله ورضينا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله والمؤمنين ، فأذّن بلال الظهر ـ وفي رواية : العصر ـ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لهم : «قوموا إلى المسجد» فقاموا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وأتوا المسجد والناس يصلّون ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد ، فإذا سائل خارج ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «ياسائل أما أعطاك أحد شيئاً ؟» قال : نعم ، هذا الخاتم ، قال :

---

(١) سعد السعود : ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) الدرّ المنثور ٣ : ١٠٦ .

«من أعطاك ؟» قال : ذلك الرجل الذي يصلّي ، وأومأ بيده إلى عليٍّ عليه السلام ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «على أيّ حال أعطاك ؟» قال : أعطاني وهو راكع ، فكبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وكبّر أهل المسجد(١) .

وفي رواية الخوارزمي وجمع : ثمّ قرأ النبيّ صلى الله عليه وآله : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَلِبُونَ﴾(٢)(٣) .

وفي رواية الباقر عليه السلام ، وغيره : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لهم بعد التكبير : «عليّ بن أبي طالب وليّكم بعدي» فقالوا : رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً ، وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً ، وبعليّ بن أبي طالب وليّاً ، فأنزل الله قوله : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ﴾ الآية(٤)(٥) .

وفي رواية عمّار بن ياسر كما نقلها السيوطي في تفسيره من كتابي الطبراني وابن مردويه : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعد ما نزلت الآية قال : «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه»(٦) .

وفي مناقب الخوارزمي : ثمّ أنشأ حسّان بن ثابت يقول :

---

(١) انظر : الأمالي للصدوق : ١٩٣/١٨٦ ، شرح الأخبار ٢ : ٣٤٨ ، كنز الفوائد ١ : ٣٣٦ ، بشارة المصطفى : ٤١٠/٤٠٩ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٧ ، الطرائف ١ : ٤١/٦٧ ، خصائص الوحي المبين : ١٥/٨٠ ، نهج الإيمان : ١٣٨ ، كشف الغمّة ١ : ٣١٥ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١٠/١٥٢ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٨٣ ، جامع الأصول ٨ : ٦٥١٥/٦٦٤ ، المناقب للخوارزمي : ٢٤٦/٢٦٤ ، أسباب النزول : ٢٠١ ، الدرّ المنثور ٣ : ١٠٥ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٥٦ .

(٣) المناقب للخوارزمي : ٢٤٦/٢٦٤ .

(٤) سورة المائدة ٥ : ٥٦ .

(٥) الأمالي للصدوق : ١٩٣/١٨٦ .

(٦) المعجم الأوسط ٦ : ٦٢٣٢/٢٩٤ ، الدرّ المنثور ٣ : ١٠٥ .

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
(أيذهب مدحي والمحبر ضائع)[١] وما المدح في جنب الإله بضايع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً فَدَتْكَ نفوس القوم يا خير راكع
فأنزل فيك الله خيرَ ولاية وبيّنها في محكمات الشرائع[٢]

وقيل: إنّها لخزيمة بن ثابت[٣].

ومنها: ما رواه الثعلبي في تفسيره، وكذا الأعمش والحسكاني، وغيرهما، عن عباية بن ربعي قال: بينا عبدالله بن عبّاس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أقبل رجل متعمّم بعمامة فجعل ابن عبّاس لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا قال الرجل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني [ومن لم يعرفني][٤] أنا جُندب بن جنادة البدريّ أبو ذرّ الغفاري، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلّا فصمّتا، ورأيته بهاتين وإلّا فعميتا يقول: «عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله».

أما إنّي صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيّام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء قال: اللّهمّ اشهد أنّي سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان

---

(١) في هامش «ن» و«س» بدله: أيذهب مدح من محبّك ضائعاً.

(٢) لم نعثر عليه من ديوان حسّان بن ثابت، وانظر: المناقب للخوارزمي: ٢٤٦/٢٦٤ وفيه: بدل «مدحي»: «مديحك» وبدل «جنب»: «حبّ».

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٠.

(٤) ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

عليٌّ عليه السلام في الصلاة راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان متختّماً(١) فيها، فأقبل السائل وأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يصلّي، فلمّا فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللّهمّ إنّ أخي موسى سألك، فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى * يَفْقَهُوا قَوْلِى * وَٱجْعَل لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِى * هَٰرُونَ أَخِى * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾(٢) فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾(٣).

اللّهمّ وأنا محمّد نبيّك وصفيّك، اللّهمّ فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به ظهري».

قال أبو ذرّ: فما استتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه، حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّوجلّ، وقال: يامحمّد إقرأ، قال: «وما أقرأ؟» قال: إقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٤)(٥).

أقول: هذه الرواية أضبط من غيرها وأوثق، وقد رواها الرازي في

(١) في «ن» يتختّم.

(٢) سورة طه ٢٠: ٢٥ ـ ٣٢.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٣٥.

(٤) سورة المائدة ٥: ٥٥.

(٥) الكشف والبيان ٤: ٨٠، شواهد التنزيل ١: ٢٣٥/١٧٧، مجمع البيان ٢: ٢١٠، الطرائف ١: ٤٠/٦٦، خصائص الوحي المبين: ١٣/٧٨، كشف اليقين: ٩٨، الصراط المستقيم ١: ٢٦٠، بحار الأنوار ٣٥: ١٥/١٩٤.

تفسيره[١] أيضاً مع كمال تعصّبه.

ويمكن التوجيه أيضاً باحتمال تعدّد نزول الآية، أو وقوع الجميع في وقت واحد، وتكون بعض الاختلافات من التغييرات المستندة إلى الرواة.

وبالجملة، نزولها في عليٍّ عليه السلام ثابت لا ريب فيه، حتّى أنّه نقل بعضهم عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: والله لقد تصدّقتُ وأنا راكع أربعاً وعشرين مرّة ـ وفي رواية: بأربعين خاتماً ـ لينزل فيَّ ما نزل في عليّ بن أبي طالب فما نزل.

وممّن روىٰ عنه هذا الحسن بن محمّد العلوي، عن جدّه يحيى، عن أحمد بن يزيد، عن عبدالوهّاب، عن مخلّد، عن المبارك، عن الحسن عنه[٢].

ومن الأسرار الحسنة أنّه قد حاسب بعض الناس الآية المذكورة، فقال: إنّ وزنها محمّد المصطفى رسول الله صلّى الله عليه وآله، وبعده المرتضى عليّ بن أبي طالب وعترته، وهو كذلك؛ فإنّ عدد حساب كلّ واحد منهما ثلاثة آلاف وخمسمائة وواحد وثمانون[٣].

ثمّ إنّ الاستدلال بالآية الكريمة على إمامته واضح بعد تبيين أُمور:

أحدها: إنّ الآية خاصّة وليست بعامّة شاملة لكلّ مؤمن؛ لأنّه عزّوجلّ خصّ الحكم بالولاية بمن آمن وأقام الصلاة وأعطى الزكاة في حال الركوع، وظاهرٌ عدم شمول تلك الأوصاف كلّها مجتمعة لجميع المؤمنين،

---

(١) التفسير الكبير ١٢: ٢٦.

(٢) الأمالي للصدوق: ١٩٣/١٨٦ في ذيل الحديث، شرح الأخبار ٢: ٦٩٧/٣٤٦، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٧، سعد السعود: ١٩٥ ـ ١٩٦، تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٠/١٥٢، بحار الأنوار ٣٥: ٢٠٣، نقلاً عن سعد السعود.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨، وعنه في بحار الأنوار ٣٥: ١٩٠.

كما ينادي به سياق الآية والأخبار التي وردت في سبب نزولها، وليس لأحد أن يقول: إنّ المراد بقوله: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1] أنّ هذه شيمتهم وعادتهم، فلا يكون حالاً عن إيتاء الزكاة؛ لأنّ قوله: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2] قد دخل فيه الركوع، فلو لم يحمل على الحاليّة لكان كالتكرار، بل مخالفاً أيضاً لصريح مضامين الأخبار، وكذا إن أُوّل الركوع بمعنى الخضوع، كما هو غير خفيٍّ على من أعطى الإنصاف حقّه.

وممّا يؤيّد ما ذكرناه أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾[3] خطاب عامّ لجميع المؤمنين؛ بحيث دخل فيه النبيّ ﷺ وغيره، فلمّا قال: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ خرج النبيّ ﷺ من جملتهم؛ لكونهم مضافين إلى ولايته، ثمّ لمّا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[4] إلى آخر الآية، تبيّن أنّ الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية، لئلّا يلزم اتّحاد المضاف والمضاف إليه، وكون كلّ واحد من المؤمنين وليّ نفسه، فافهم.

وثانيها: إنّ المراد بالوليّ هاهنا ـ بنحو ما مرّ في حكاية الغدير ـ إنّما هو الأولىٰ بالتصرّف والذي يلي تدبير الأمر، كما يقال: فلان وليّ المرأة ووليّ الطفل ووليّ الدم، والسلطان وليّ أمر الرعيّة، ويقال لمن يقيمه بعده: وليّ عهد المسلمين، قال الله عزّوجلّ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[6] وأمثالهما كثيرة، وقال سبحانه: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ

(١ ـ ٤) سورة المائدة ٥ : ٥٥ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٥٧ .

(٦) سورة الأعراف ٧ : ١٩٦ .

أَنْفُسِهِمْ﴾[١].

وقال المبرّد في كتاب العبارة عن صفات الله: أصل الوليّ الذي هو أولى، أي: أحقّ[٢].

وقال الجوهري: وكلّ من وليَ أمر واحد فهو وليّه[٣].

وقال ابن الأثير في نهايته: وفي أسماء الله تعالى: الوليّ هو الناصر. وقيل: المتولّي لأمور العالم والخلائق القائم بها، ثمّ قال: وكلّ من وليَ أمراً أو قام به فهو مولاه ووليّه، ثمّ ذكر ورود المولى بمعنى الربّ، والمالك، والسيّد، والمُنعِم، و[المعتِق و][٤] الناصر، والمحِبّ، والتّابع، والجار، وابن العمّ، والحلِيف، والعَقِيد، والصِّهر، والعَبْد، والمُعتَق، والمُنْعَم عليه، ثمّ قال: وأكثرها قد جاءت في الحديث، فيضاف كلّ واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه[٥].

ولا يخفى أنّ في هذا المقام لا يناسب ما سوى ما ذكرناه، بل بعد ملاحظة القرائن الداخلة والخارجة لاسيّما بعضها مع بعض لا يبقى مجال شكّ للمنصف الفهيم في عدم احتمال غير ذلك كالمحبّ والناصر مثلاً، كما هو واضح ومرّ مفصّلاً أيضاً في حكاية الغدير، فتذكّر.

فمن القرائن التي هي كالنصّ هاهنا: التخصيص المفهوم من إيراد

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٦.

(٢) المصدر غير متوفّر لدينا، وعنه السيّد المرتضى في الشافي في الإمامة ٢: ٢١٩، والطبرسي في مجمع البيان ٢: ٢٠٩، وابن شهرآشوب في مناقبه ٣: ٩، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٥: ٢٠٤.

(٣) الصحاح للجوهري ٦: ٢٥٢٩.

(٤) ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

(٥) النهاية لابن الأثير ٥: ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ولي ـ.

كلمة «إنّما» كما هو ظاهر على من تتبّع اللّغة وكلام الفصحاء وموارد الاستعمالات ؛ ضرورة أنّ سائر المعاني المحتملة في بادئ الرأي[١] لا يختصّ شيء منها ببعض المؤمنين دون بعض ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٢] .

ومنها : ما تضمّنته الروايات التي أوردناها في نزول الآية ، من حمد النبيّ صلى الله عليه وآله وشكره ، بل تكبيره ، وسروره عند[٣] نزولها فيه وفي عليّ عليه السلام ، ومن نزولها بعد طلبه الوزارة لعليّ عليه السلام ، كما في الرواية الأخيرة . وكذا سائر ما مرّ في ضمن كلّ روايةٍ ، حتّى تمنّي عمر ذلك واعترافه بالحرمان .

ومنها : ما مرّ ويأتي من الأخبار المشتملة على قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «عليّ وليّكم بعدي»[٤] فإنّ التقييد بالبعديّة قرينة إرادة المعنى الذي ذكرناه ، حتّى إنّا ذكرنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ذكر هذه العبارة بعد نزول هذه الآية أيضاً ، بل قال صلى الله عليه وآله حينئذٍ أيضاً : «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[٥] فلو كان المراد هو المحبّ أو الناصر وأشباههما لم يكن للتخصيص وجه ، بل لم يحتج إلى نزول الآية ، لا سيّما مع استعظام هذا الأمر وتوافر نقل نزولها فيه .

وممّا يؤيّد ما ذكرناه : أنّ الظاهر من الخطاب أن يكون عامّاً لجميع

---

(١) في «م» : «الأمر» بدل «الرأي» .

(٢) سورة التوبة ٩ : ٧١ .

(٣) في «م» و«ق» : «عن» بدل «عند» .

(٤) المناقب للكوفي ١ : ٣٣١/٤٢٤ و٣٣٧/٤٣٣ ، و٢ : ٨٦٣/٣٨٨ ، شرح الأخبار ١ : ١١/٩٣ ، و٢ : ٧٠٧/٣٥١ ، الأمالي للصدوق : ١٩٣/١٨٦ ، الأمالي للطوسي : ٤٤٣/٢٤٩ ، المسترشد : ٤١٤ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٤١ ، و٣ : ٧ و٦٣ ، الطرائف : ٦٧ ، مسند أحمد ٦ : ٢٢٥٠٣/٤٨٩ ، المناقب للخوارزمي : ٢٤٠/٢٠٠ ، تأريخ مدينة دمشق ٤٢ : ١٨٩ ، كنز العمّال ١١ : ٣٢٩٤٢/٦٠٨ .

(٥) المعجم الأوسط ٦ : ٦٢٣٢/٢٩٤ ، الدرّ المنثور ٣ : ١٠٥ .

المكلّفين من المؤمنين وغيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [١] وأمثاله، وحينئذٍ لا يناسب بل يستحيل أن يكون المراد باللفظة الموالاة في الدين، فلابدّ من حملها على ما يصحّ دخول الجميع فيه، وهو معنى الإمامة ووجوب الطاعة، فتأمّل.

وثالثها: ما بيّناه من نزول الآية في عليٍّ عليه السلام، وهذا ممّا لا يتطرّق إليه الإنكار.

وما ربّما يتشبّث به بعض أصحاب الشبه في مقابل الأُمور الواضحة: من كون الآية بعبارة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [٢] بلفظ الجمع، فكيف يصحّ أن تكون لعليٍّ عليه السلام مختصّاً بها من غير مشاركٍ، فمدفوع من وجوه عديدة:

منها: أنّ اطلاق الجمع على الواحد تعظيماً ممّا هو شائع ذائع في اللغة والعرف، ومواقع كلام العظماء والأكابر، وخطابات الملوك والرؤساء؛ حيث يقول كلٌّ منهم: قلنا كذا، وفصّلنا كذا، وأمَرنا بكذا، وأمثال ذلك شائع في عرف العرب والعجم؛ بحيث إذا أرادوا واحداً، ذكروا اللفظ في كلامهم في صيغة الجمع، وهكذا الحال في كثيرٍ من الآيات القرآنيّة، بل جلّها من هذا القبيل، كما صرّح به جمهور المفسّرين.

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ﴾ [٤].

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٨٣.

(٢) سورة المائدة ٥ : ٥٥.

(٣) سورة يوسف ١٢ : ٣.

(٤) سورة الذاريات ٥١ : ٤٧.

وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾[(١)].

وقد ذكر سبحانه في آية المباهلة بلفظ الجمع في قوله عزّوجلّ: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[(٢)] مع أنّ اتّفاق العامّة والخاصّة علىٰ أنّ المراد بأنفسنا عليٌّ عليه السلام، وبنسائنا فاطمة عليها السلام.

وقد ذكر الزمخشري، وجمعٌ غيره: أنّ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾[(٣)] نزل في نُعيم بن مسعود[(٤)] بالإجماع.

وكذا ذكروا أنّ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[(٥)] نزل في ابن أبي سلول[(٦)].

وأنّ آية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾[(٧)] نزلت في أوس بن الصامت[(٨)].

وأنّ المراد في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[(٩)]، وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾[(١٠)]، إنّما هو جبرئيل

---

(١) سورة الحجر ١٥: ٩.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٣) سورة آل عمران ٣: ١٧٣.

(٤) الكشّاف ١: ٦٥٩ ـ ٦٦٠، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٣٨٠، النكت والعيون ١: ٤٣٨، التفسير الكبير للرازي ٩: ٩٩، تفسير القرطبي ٤: ٢٧٩.

(٥) سورة المنافقون ٦٣: ٧.

(٦) التبيان ١٠: ١٥، تفسير القرآن للسمعاني ٥: ٤٤٤، تفسير القرطبي ١٨: ١٢٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ٣٩٥.

(٧) سورة المجادلة ٥٨: ٣.

(٨) تفسير القمّي ١: ١٤، و٢: ٣٥٣، المستدرك للحاكم ٢: ٤٨١، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٣٨٢ و٣٨٩، زاد المسير ٨: ١٨١.

(٩) سورة آل عمران ٣: ٣٩.

(١٠) سورة آل عمران ٣: ٤٢.

وحده[١]، وأشباه ما ذكرناه كثيرة.

هذا، مع أنّ السرّ في ذلك واضح، كما تدلّ عليه بعض روايات أهل البيت أيضاً، فإنّهم صرّحوا: بأنّ الوجه في إيراد هذه اللفظة كون المراد جميع الأئمّة المشاركين لعليّ عليه السلام في أمر الولاية والإمامة[٢]، حتّى ورد صريحاً أنّ كلّ واحد منهم صدر منه مثل فعل عليّ عليه السلام، وأدرك هذه الفضيلة[٣]، على أنّه كلّ من قال بأنّ المراد بالوليّ في هذه الآية ما يرجع إلى الإمامة قائلٌ بأنّ المقصود بها عليّ عليه السلام، ولا قائل بالفصل، فإذا ثبت الأوّل ثبت الثاني.

وقد ذكر أيضاً الزمخشري في توجيه إيراد هذه اللفظة مع كون المراد عليّاً عليه السلام: أنّ ذلك ليرغب الناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه، ويعلموا أنّ الواجب أن يكون سجيّة المؤمنين على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان؛ بحيث لم يؤخّروه إلى الفراغ من الصلاة بل الركوع[٤]، انتهى.

ثمّ إنّ التعبير عن صدقته بالزكاة لإظهار عظم شأن صدقته.

وأمّا ما توهّمه بعض: من أنّ الإعطاء في تلك الحال ينافي الخشوع الذي هو روح الصلاة[٥]، فجوابه سوى ما يظهر ممّا مرّ آنفاً: أنّ هذه الحالة من مثله عليه السلام عين الخشوع، فإنّه لمّا سمع السائل خشع قلبه لله تعالى خوفاً

---

(١) التبيان ٢: ٤٥٠، مجمع البيان ١: ٤٤٠، الكشّاف ١: ٥٥٥، التفسير الكبير للرازي ٨: ٣٦ و٤٥، معالم التنزيل ١: ٤٥٩ و٤٦٣، تفسير القرطبي ٤: ٧٤.

(٢) تفسير العيّاشي ١: ٣٢٧ و١٣٨/٣٢٨ و١٤٢، الكافي ١: ١١/١١٣ باب النوادر، و٧/١٤٣ باب فرض طاعة الأئمّة، الاختصاص: ٢٧٧.

(٣) الكافي ١: ٣/٢٢٨ باب نصّ الله عزّوجلّ ورسوله على الأئمّة عليهم السلام واحداً فواحداً.

(٤) الكشّاف ٢: ٢٥٩.

(٥) انظر: المغني للقاضي عبدالجبّار ٢٠ ـ ق ١ ـ: ١٣٥.

من ردّه، فكان هو حينئذٍ عين الاشتغال بالله لا الاشتغال عن الله، كما مرّ مثله في ذكر فضائله عليه السلام من حكاية صلاته بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله؛ بحيث لا يخطر بباله شيء غير ذكر الله تعالى من أوّلها إلى آخرها؛ حيث إنّه لمّا فرغ منها قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «خطر ببالك حين التشهّد أنّك إذا فرغت تأخذ جملاً وعدتك بإعطائه إن صلّيت هذه الصلاة»، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: إنّ الله يقول: سلّم الجمل لعليٍّ عليه السلام؛ لأنّه وإن خطر بباله أنّه يأخذه منك، ولكن مع الخطور بباله أنّه ينحره ويتصدّق في الله وهذا هو عين ذكر الله[1]، فافهم.

هذا خلاصة الكلام في هذا المقام، وقد فصّله جمع من أصحابنا بما لا مزيد عليه، وكفى ما ذكرناه لمن أراد التبصّر في تحقيق المرام.

المطلب الثاني:

في بيان آية التطهير ونزولها في أصحاب الكساء، والآية هي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

اعلم أنّ هذه الآية ممّا تدلّ، بل تنادي باختصاص عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ـ الذين هم مع النبيّ صلى الله عليه وآله من أصحاب الكساء كما سيظهر ـ بالشراكة مع النبيّ صلى الله عليه وآله في الطهارة عن مطلق الرجس، الذي من أفراده الكذب والعصيان، وسائر ما بيّنّا سابقاً عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله منه، كما

---

(١) لم نعثر عليه.
(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣.

اعترف به الفخر الرازي في تفسيره حيث قال : إنّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله يساوونه في خمسة أشياء ، منها : في الصلاة عليه في التشهّد ، ومنها : في الطهارة ، قال عزّوجلّ : ﴿طه﴾[1] أي يا طاهر ، وقال : ﴿يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2][3] ، إلى آخر كلامه .

فالآية دالّة على عصمتهم التي بيّنّا كونها معتبرة في المعلّم من الله الذي سبق أنّه النبيّ والإمام[4] ، ومنه يظهر أنّ الإمام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لابدّ أن يكون عليّاً ، ثمّ الحسن ، ثمّ الحسين عليهما السلام ، ثمّ من كان مثلهم في جامعيّة العلم والعصمة وادّعاء الإمامة دون سائر الأُمّة . وتمام توضيح دلالة الآية إنّما يكون بإثبات ورودها أوّلاً في هؤلاء الخمسة خاصّة ، ثمّ بيان كون المراد الطهارة من كلّ رجس ، فالكلام هاهنا في مقامين :

المقام الأوّل : في بيان من نزلت الآية فيه وذكر سائر ما يتعلّق بهذا المقام .

اعلم أنّ الشيعة اتّفقوا كافّة ، بحيث لا يشذّ منهم أحد على نزولها في هؤلاء الخمسة ـ أهل آية المباهلة ـ دون غيرهم من الأزواج وغيرها ، محتجّين بتصريح جميع أئمّتهم عليهم السلام بذلك في رواياتهم المتواترة عنهم

---

(١) سورة طه ٢٠ : ١ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(٣) لم نعثر عليه في تفسيره ، ونقله عنه بعينه ابن حجر في الصواعق المحرقة : ٢٢٩ ، وكذا نقله القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ١ : ١٣٠ ـ ١٣١ ، و٢ : ٤٣٥ ، والمجلسي في بحار الأنوار ٢٣ : ١٧٠ عن الصواعق .

(٤) تقدّم هذا المطلب في ج١ في فاتحة الكتاب .

عندهم ، الموافقة لما رواه عامّة مخالفيهم ، المطابقة لما اعترف به جمهور خصومهم(١) ، كما سيظهر .

وأمّا سائر الناس فهم بين أربعة أقوال :

أحدها : ما نقلوا عن عِكرمة ، أنّه كان يقول : إنّ المراد بأهل البيت فيها أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله ؛ استناداً إلى مناسبته لنظم القرآن ، بناءً على ذكر الآية في قرن حكايتهنّ والمخاطبة معهنّ(٢) .

وفساد هذا القول وبطلانه كالشمس في رابعة النهار .

أمّا أوّلاً : فلأنّ عِكرمة ممّن نقل الذهبي وغيره فيه عن ابن عمر ، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر : أنّه كان كذّاباً(٣) قليل العقل خفيفاً(٤) يدور على الأُمراء بالشام وغيره ، ويتملّق لهم طمعاً للجوائز(٥) . ونقل عن ابن عبّاس : أنّه كان يقول : إنّه خبيث(٦) . وعن عطاء : أنّه قال : إنّ عِكرمة كان أباضيّاً(٧) . وعن ابن لهيعة : أنّ عِكرمة يحدّث برأي نجدة الحروري من الخوارج(٨) ، حتّى أنّه أتاه فأقام عنده ستّة أشهر ، ولهذا كان يقول ابن عبّاس

---

(١) انظر : الطرائف ١ : ١٨٧/١٧٧ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٢٠٦ ، شواهد التنزيل ٢ : ١١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢ : ٧ ، تفسير القرطبي ١٤ : ١٨٢ ، الدرّ المنثور ٦ : ٦٠٣ ، أسباب نزول القرآن للواحدي : ٦٩٩/٣٧٠ .

(٣) تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٧٩ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٩٧ ، وفيهما عن ابن عمر .

(٤) تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٧ .

(٥) تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٧٨ و٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢١ و٣٠ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٩٦ ، وفي الجميع عن أحمد بن حنبل .

(٦) تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٠ .

(٧) تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٧٨ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢١ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٩٦ .

(٨) تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٠ .

فيه : إنّه خبيث[1] . فإذا كان حال الرجل ما ذكرناه لا يجوز الاعتناء بكلامه ، لا سيّما في مثل هذا خصوصاً مع سخافة مستنده ، كما سيظهر .

فأمّا ما رواه الواحدي عن ابن عبّاس أنّه قال : أُنزلت الآية في نساء النبيّ صلى الله عليه وآله[2] ، فمحض افتراء عليه ؛ لما سيأتي هاهنا في مواضع عديدة ، بل لما مرّ أيضاً من روايات عنه صريحة في خلاف ذلك ، موافقة لما رواه جماعة غيره ، مع أنّ في سند تلك الرواية عنه مجاهيل ، بل ضعفاء جدّاً ، فافهم .

وأمّا ثانياً : فلأنّ السند الذي ذكره محض شبهة واضحة البطلان من وجوه :

منها : صراحة الأخبار الآتية بخلاف ذلك .

ومنها : العدول عن خطابهنّ إلى صيغة الجمع المذكّر .

روى جماعة عن أبي الجارود أنّه قال : قال زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام : إنّ جهّالاً من الناس يزعمون أنّما أراد الله بهذه الآية أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقد كذبوا وأثموا ، وأيم الله لو عنى بها أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله لقال : ليذهب عنكنّ الرجس ويطهّركنّ تطهيراً ، ولكان الكلام مؤنّثاً كما قال : ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ ، ﴿وَقَرْنَ [فِى بُيُوتِكُنَّ] وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ، و﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَاءِ﴾[3][4] انتهى .

ومنها : كون نظم جميع آيات القرآن وسُوَره على وفق النزول غير

---

(١) انظر : تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٠ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي : ٦٩٨/٣٦٩ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٤ و٣٣ و٣٢ .

(٤) تفسير القمّي ٢ : ١٩٣ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ١/٢٠٦ .

مسلّم، بل الثابت خلافه، فإنّ الروايات المتظافرة من المخالف والمؤالف ـ كما بيّن في محلّه ـ صريحة في أنّ جمع القرآن الذي بيننا وترتيبه إنّما كان بعد النبيّ صلى الله عليه وآله[١]، ولم يكن من فعل المعصوم الذي لا يتطرّق إليه الغلط، بل ابتدأ في جمعه عمر بن الخطّاب مع زيد بن ثابت، ثمّ عثمان، بأن كانوا يجمعون الآيات والسُّوَر التي كانت متفرّقة عند الناس إذا شهد رجلان بأنّها منه، وكانوا يضعونها فيما تقتضي المصلحة أو المناسبة بزعمهم، فكيف يتصوّر مع هذا القطعُ بمعرفتهم خصوصيّات النزول وغيره، وعدم توهّمهم في شيء.

ولهذا اختلف المفسّرون في هذه الجزئيّات، وهذا أمر لا سترة فيه، علىٰ أنّ البخاري والترمذي وغيرهما نقلوا صريحاً عن زيد بن ثابت: أنّه كان يقول: فقدتُ آيةً في سورة الأحزاب حين نسختُ المصحف قد كنتُ أسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ بها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت فألحقناها في سورتها[٢].

وقد روي أمثال ذلك كثيراً، فلعلّ آية التطهير أيضاً وضعوها في موضعٍ زعموا أنّها تناسبه، أو أدخلوها في سياق مخاطبة الأزواج؛ لبعض مصالحهم الدنيويّة، كما يظهر من أخبار عديدة أنّهم أسقطوا كثيراً من الآيات وغيّروا كثيراً[٣].

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٩٢: ٤٠ وما بعدها، والإتقان للسيوطي ١: ٢٠٢ وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٢٢٦، سنن الترمذي ٥: ٣١٠٤/٢٨٤، مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢١١٣١/٢٤١، المعجم الكبير ٥: ٤٨٤١/١٢٩، الإتقان للسيوطي ١: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، كنز العمّال ٢: ٤٧٧٥/٥٨١.

(٣) راجع بشأن الإسقاط كنز العمّال ٢: ٥٦٧ ـ ٤٧٤١/٥٦٩ ـ ٤٧٤٧، و٥: ٤٢٨/ ١٣٥١٢ و١٣٥١٨/٤٣١.

وظاهرٌ أنّ محض قيام أحد هذه الاحتمالات ممّا يوجب سقوط الاستدلال ، بل يزيل الاعتماد على أمثال هذا الخيال لاسيّما في هذا المقام الذي آثار عدم ربطها بسابقها ولاحقها معلومة لفظاً ومعنىً .

أمّا لفظاً فلما ذكرنا .

وأمّا معنىً فلأنّ مخاطبة الزوجات مشوبة بالمعاتبة والتأنيب والتهديد بخلاف ما في الآية ، كما هو ظاهر على من أمعن النظر ، على أنّه لا مانع من إحتمال سقوط شيءٍ هاهنا أيضاً ، وعلى تقدير الإغماض ممّا ذكرنا لا مانع من تغيير الخطاب كما هاهنا ، بل قد وقع مثله حتّى في هذا الموضع ، ألا ترى أنّ الله سبحانه بعد أن خاطب الأزواج بآيات مصدّرة بقوله : ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَٰجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [١] الآية ، عدل إلى مخاطبة المؤمنين بما لا تعلّق له بالزوجات ، ثمّ عاد إلى مخاطبتهنّ وغيرهنّ بقوله تعالى : ﴿قُلْ لِأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [٢] الآية .

وستظهر أجوبة أُخرى مضعّفة لهذا القول أيضاً في ضمن بيان الأقوال الآتية ، فافهم .

الثاني من الأقوال : كون المراد الأزواج مع محمّد وعليٍّ وفاطمة والحسنين صلّى الله عليهم أجمعين .

قال الرازي في تفسيره الكبير : الأولى أن يقال : أهل البيت أولاده وأزواجه ، والحسن والحسين منهم ، وعليٌّ منهم ؛ لأنّه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وملازمته للنبيّ صلى الله عليه وآله [٣] .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٨ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥٩ .

(٣) التفسير الكبير ٢٥ : ٢٠٩ .

ومبنى هذا القول على الجمع بين القولين الماضي والآتي من جهة تذكير الضمير وموقع الآية وما يفهم من ظاهر لفظة «أهل البيت» وهذا ـ مع كونه محض احتمالٍ وتوجيه في مقابل المعارض القويّ الذي هو قول زيد ابن أرقم الآتي وغيره ـ يدفعه أكثر ما ذكرناه في دفع الأوّل، سيّما بعد ورود الأخبار الصحيحة الصريحة في عدم دخول الأزواج في هذه الآية، بل المنادية بخروجهنّ كما سنذكرها. هذا، مع أنّ في هذا القول اعترافاً بدخول الخمسة عليهم السلام مع دعوى زيادة دخول الأزواج التي دون إثباتها خرط القتاد، على أنّه سيأتي في تقرير مضمون الآية دلالتها على عصمة من تناولته، ولم يقل أحد من الأُمّة بعصمة الأزواج بالمعنى المتنازع فيه، فتأمّل حتّى تعلم أنّ هذا ممّا يدفع القول الأوّل والثالث أيضاً؛ إذ لم يقل أحد أيضاً بعصمة ما سوى المذكورين من سائر أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله بالمعنى المتنازع فيه.

الثالث: ما رواه جمع، منهم: ابن الأثير في جامع الأُصول عن زيد ابن أرقم: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال في غدير خمّ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي»، فقيل لزيد: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، أيمُ الله، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، فيطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، فأهل بيته أصله وعَصبتُه الذين حرّم الله[1] عليهم الصدقة بعده، الخبر[2].

(١) لم يرد لفظ الجلالة في «س» و«ل» و«ن»، وفي المصدر هكذا: لكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بعده.

(٢) جامع الأُصول ٩: ٦٧٠٨/١٥٨، صحيح مسلم ٤: ٢٤٠٨/١٨٧٣، المعجم الكبير للطبراني ٥: ١٨٢ و٥٠٢٦/١٨٣ و٥٠٢٨.

ولا يخفى قوّة قول زيد في الأزواج لا سيّما في ذلك الحديث ، فإنّ الحديث ذكره جماعة كثيرة بهذه العبارة : «وعترتي أهل بيتي»(١) ، ومعلوم عدم صدق العترة على الأزواج ، إلّا أنّ تعميمه بالنسبة إلى كلّ من حُرّم عليه الصدقة مع كونه كلاماً من عند نفسه مدفوع بما مرّ في الفصل السابع لاسيّما بالنسبة إلى هذه الآية ؛ لما سيأتي من الأخبار المتواترة التي تنادي باختصاصها بالخمسة ، وقد أشرنا آنفاً أيضاً إلى بعض ما ينفي احتمال العموم هاهنا ، فلا تغفل .

الرابع : ما ذهب إليه جمهور الجمهور قدماؤهم ومتأخّروهم من المفسّرين والمحدّثين من اختصاص الآية بالخمسة عليهم السلام فقط دون الأزواج ، ودون سائر القرابة ، بعين ما ذكرناه عن الشيعة ، حيث لا محيص لهم عن ذلك ؛ لصراحة جميع أخبارهم الكثيرة الصحيحة بذلك ، حتّى أنّ ابن مردويه ذكر في كتاب المناقب من مائة وثلاثين طريقاً : أنّ العترة وأهل البيت هم عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام(٢) .

ولنذكر نُبذاً من تلك الأخبار توضيحاً للحال :

فمنها : ما رواه مسلم في صحيحه في باب فضائل الحسن عليه السلام ، والحُميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الرابع والستّين من أفراد مسلم من طريقين ، وأبو داوُد في صحيحه في باب مناقب الحسنين عليهما السلام وفي موضع آخَر ، وابن الأثير في جامع الأُصول في حرف الفاء ، وصاحب

(١) كمال الدين : ٢٣٤ ـ ٤٤/٢٣٨ ـ ٥٦ عن زيد بن أرقم وغيره ، المسترشد : ١٥٨/٤٦٦ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٣٧٥ .

(٢) المصدر غير متوفّر لدينا ، وعنه الحلّي في كشف اليقين : ٤٠٥ ، والبياضي في الصراط المستقيم ٢ : ١٠٢ ، والشيرازي في أربعينه : ٣٧٥ .

المشكاة في باب فضائل أهل البيت عليهم السلام، والبغوي في المصابيح، وفي تفسيره معالم التنزيل، كلّهم عن عائشة قالت: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله ذات غداةٍ وعليه مِرْطٌ مرحّل[١] من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ عليهما السلام فأدخله، ثمّ جاء الحسين عليه السلام فأدخله، ثمّ جاءت فاطمة عليها السلام فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ عليه السلام فأدخله، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٢][٣].

وقد نقل جمع منهم: ابن البطريق في مستدركه مثله من صحيح البخاري، وصحيحي الترمذي والنسائي، وكتاب الجمع بين الصحاح الستّة لرزين العبدري وكتاب موطّأ مالك بن أنس، وكتاب السجستاني، وغيرها[٤].

ومنها: ما رواه الترمذي في صحيحه، وابن الأثير في جامع الأصول في حرف الفاء أيضاً، عن أُمّ سلمة، قالت: إنّ هذه الآية نزلت في بيتها، قالت: وأنا جالسة عند الباب، وفي البيت رسولُ الله وعليّ وفاطمة وحسنٌ وحسين صلوات الله عليهم أجمعين، فجلّلهم بكساء وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، فقلت: وأنا معهم يارسول الله؟ ـ وفي رواية: ألستُ من أهل البيت؟ ـ فقال: «إنّك على خير، إنّك من أزواج رسول الله»[٥].

---

(١) مِرْطٌ مُرحّل: إزارُ خزٍ فيه عَلَمٌ. انظر الصحاح للجوهري ٤ : ١٧٠٧ ـ رحل ـ.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣.

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٤٢٤/١٨٨٣، الجمع بين الصحيحين ٤ : ٣٤٣٥/٢٢٤، سنن أبي داوُد ٤ : ٤٠٣٢/٤٤، وفيه باختصار، جامع الأُصول ٩ : ٦٧٠٥/١٥٦، مشكاة المصابيح ٢: ٦١٣٦/٥١١، مصابيح السنّة ٤: ٤٧٩٦/١٨٣، معالم التنزيل ٤ : ٤٦٤.

(٤) مستدرك ابن البطريق غير متوفّر لدينا، وانظر العمدة له : ٣٤/٨٨.

(٥) سنن الترمذي ٥ : ٣٨٧١/٦٩٩، جامع الأُصول ٩ : ٦٧٠٢/١٥٥.

وقد روى الترمذي ، وابن الأثير أيضاً : عن عمر بن أبي سلمة نحوه ، حتّى سؤال أُمّ سلمة وجواب النبيّ صلى الله عليه وآله لها مصرّحاً بأنّها نزلت في بيت أُمّ سلمة[1] .

وكذا روى نحوه ونزول الآية في بيت أُمّ سلمة ابن عبدالبرّ في الاستيعاب[2] .

وكذا روى الحافظ أبو نعيم نحوه بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن أُمّ سلمة[3] .

ومنها : ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ، عن نمير[4] عن عبدالملك ، قال : حدّثني عطاء عمّن حدّثه عن أُمّ سلمة ، وقال عبدالملك : وحدّثني داوُد بن أبي عوف ، عن شهر بن حوشب ، عن أُمّ سلمة ، وقال عبدالملك : وحدّثتني أُمّ سلمة أيضاً ، قالت : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في بيتي فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها حريرة ، فقال : «أُدعي لي زوجك وابنيك» قالت : فجاء عليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة ، وهو على منامة له على دكّان[5] تحته كساء خيبري ، قالت : وأنا في الحجرة أُصلّي ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[6] قالت : فأخذ فاضل الكساء وكساهم به ، ثمّ أخرج يده وألوى بها إلى السماء وقال : «اللّهمّ هؤلاء أهل

---

(١) سنن الترمذي ٥ : ٣٢٠٥/٣٥١ ، جامع الأُصول ٩ : ٦٧٠٣/١٥٦ .
(٢) الاستيعاب ٣ : ١١٠٠ .
(٣) انظر : النور المشتعل : ١٨٠ ـ ٤٩/١٨٢ ـ ٥١ .
(٤) في المصدر : عبدالله بن نمير .
(٥) الدُّكّان : الدّكّة المبنية للجلوس عليها . انظر : لسان العرب ١٣ : ١٥٧ ـ مادّة دكن ـ .
(٦) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

بيتي وحامّتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» قالت: فأدخلت رأسي من البيت وقلت: وأنا معكم يارسول الله؟ قال: «إنّكِ إلى خير، إنّكِ إلى خير»[١].

ورواه الثعلبي في تفسيره عن عطاء عن أُمّ سلمة[٢].

وقد رواه أحمد أيضاً في مسنده عن عفّان، عن حمّاد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن شهر بن حوشب، عن أُمّ سلمة هكذا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: «ائتيني بزوجك وابنيك» فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فدكيّاً، ثمّ وضع يده عليهم، وقال: «اللّهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك علىٰ محمّد وآل محمّد إنّك حميد مجيد» فنزلت الآية، قالت أُمّ سلمة: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: «إنّكِ على خير»[٣].

وقد رواه أحمد أيضاً في مسنده عن عطيّة الطفاوي، عن أبيه، عن عن أُمّ سلمة هكذا: قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتي يوماً إذ قال الخادم: إنّ عليّاً وفاطمة في السدّة، فقال لي: «قومي، فتنحّي عن أهل بيتي» قالت: فقمت فتنحّيتُ في البيت، فدخل عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وهما صبيّان صغيران، قالت: فأخذ الصبيّين فوضعهما في حجره وقبّلهما، واعتنق عليّاً عليه السلام بإحدى يديه، وفاطمة عليها السلام باليد الأُخرى، وقبّل فاطمة وأغدف عليهم خميصة سوداء، ثمّ قال: «اللّهمّ إليك

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٧: ٢٥٩٦٩/٤١٥، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٩٩٤/٥٨٧.

(٢) الكشف والبيان ٨: ٤٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٧: ٢٦٢٠٦/٤٥٥، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١٠٢٩/٦٠٢.

لا إلى النار أنا وأهل بيتي» ، قالت : قلت : وأنا يارسول الله ؟ ، قال صلى الله عليه وآله : «أنتِ على خير»[١].

وقد روى أحمد أيضاً نحو هذه المضامين ولو بتفاوت يسير في التعبير عن جمع منهم : سهل ، ومنهم : عائشة ، عن أُمّ سلمة[٢].

وكذا جماعة غير أحمد ، عن أُمّ سلمة سوى ما مرّ سابقاً منهم : موفّق ابن أحمد الخوارزمي في مسنده ، والواحدي في أسباب نزول القرآن ، والحافظ أبو نُعيم بإسناده عن أبي هريرة عنها ، وعن أبي عبدالله الجدلي عن عائشة عنها ، ومحمّد بن العبّاس بن مروان في تفسيره بإسناده عن أبي ليلى الكِندي عن أُمّ سلمة ، ومنهم : جماعة عن الباقر ، وزين العابدين ، والحسن المجتبى عليهم السلام ، عن أُمّ سلمة .

وفي بعض روايات عليّ بن الحسين عن أُمّ سلمة أنّها قالت في حديثها : إنّ جبرئيل مدّ عليهم الكساء ، ثمّ قال : وأنا منكم يا محمّد ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «وأنت منّا يا جبرئيل»[٣].

ودلالة الجميع على الاختصاص ، وخروج الأزواج واضحة لاريب فيها ، فتأمّل .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٧ : ٢٦٠٠٠/٤٢١ ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٩٨٦/٥٨٣ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٧ : ٢٦٠١٠/٤٢٣ ، فضائل الصحابة ٢ : ١١٧٠/٦٨٥ و١٣٩٢/٧٨٢ ، الطرائف : ١٩٤/١٢٦ عن سهل .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٤٥٥/٣٣٤ ، الأمالي للطوسي : ٧٨٣/٣٦٨ ، سعد السعود : ٢٨/٢١٤ ، تفسير البرهان ٣ : ٢١/٣١٣ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٦/٢٠٨ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٧ و١٨ و١٩ و٦٩ و٦٤٩/٨٤ و٦٥٠ و٦٥١ و٦٥٢ و٧٣٤ و٧٦٠ ، المناقب للخوارزمي : ٣٠/٦١ ، أسباب النزول للواحدي : ٦٩٧/٣٦٨ .

ومنها: ما رواه الثعلبي في تفسيره بإسناده عن عبدالله بن جعفر الطيّار، قال: لمّا نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة من السماء قال: «من يدعو لي أهل بيتي؟» قالت زينب: أنا يا رسول الله، فقال: «أُدعي لي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين» قال: فجعل حسناً عن يمينه، وحسيناً عن شماله، وعليّاً وفاطمة تجاهه، ثمّ غشّاهم كساءً خيبريّاً، ثمّ قال: «اللّهمّ إنّ لكلّ نبيٍّ أهلاً، وهؤلاء أهل بيتي» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾[1] الآية، فقالت زينب: يا رسول الله أنا أدخل معكم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مكانكِ، إنّكِ على خير إن شاء الله تعالى»[2].

ولعلّ نسبة ذلك إلى زينب اشتباه من بعض الرواة، أو كانت هي حاضرة في بيت أُمّ سلمة وقالت أيضاً مثل (ما قالت)[3] أُمّ سلمة، كما أنّ الظاهر أنّ هذا هو توجيه الحديث الآتي، والله يعلم.

ومنها: ما رواه الثعلبي أيضاً: عن مجمع من بني الحارث بن تيم الله، قال: دخلت مع أُمّي على عائشة فسألَتْها أُمّي، قالت: أرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: كان قدراً من الله، فسألَتها عن عليٍّ عليه السلام، فقالت: سألتيني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد رأيت عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بثوب[4] عليهم، ثمّ قال: «اللّهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي وحامّتي فأذهب عنهم

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣.

(٢) الكشف والبيان ٨ : ٤٣، وأورده الحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ٦٧٣/٣٢ ـ ٦٧٥.

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «م» و«س» و«ن».

(٤) في هامش «ن» و«س» و«ل» نسخة بدل «يغدف» فالعبارة تكون «بثوب يغدف»، أي يرسل، وفي الحديث حين قيل له: هذا عليّ وفاطمة [عليهما السلام] قائمين بالسُدّة، ←

الرجس وطهّرهم تطهيراً» . وفي رواية : قالت : قلت : يا رسول الله أنا من أهلك ؟ قال : «تنحّي أنتِ إلى خير»[١] .

وفيما مرّ من رواية الجدلي ، قال : سألت عائشة عن هذه الآية ، قالت : ائت أمّ سلمة ، فأتيتها فأخبرتها بقول عائشة ، فقالت : صدقت ، في بيتي نزلت ، وذكَرتِ الحديثَ[٢] كما مرّ سابقاً .

ومنها : ما رواه الثعلبي أيضاً ، وكذا ابن حنبل ، وغيرهما ، بأسانيد عديدة ، منها : عن الأوزاعي ، عن شدّاد بن عمارة ، قال : دخلت على واثلة ابن الأسقع ، وعنده قوم فذكروا علياً عليه السلام ، فشتموه فشتمته معهم ، فلمّا قاموا قال لي : لِمَ شتمتَ هذا الرجل ؟ فقلت : رأيت القوم يشتمونه فشتمته معهم ، فقال : ألا أُخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قلت : بلى ، قال : أتيت فاطمة أسألها عن عليّ عليه السلام ، فقالت : توجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجلست أنتظر حتّى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس ومعه عليٌّ وحسن وحسين عليهم السلام ، آخذاً كلّ واحد منهما بيده حتّى دخل ، فدخلت معهما فأجلس علياً وفاطمة عليهما السلام بين يديه ، والحسن والحسين كلّ واحد منهما على فخذه ، ثمّ لفّ عليهم ثوبه ـ أو قال : كساء ـ وفي رواية أنّه قال صريحاً : كان ذلك في بيت أمّ سلمة ، ثمّ قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٣] . وفي رواية : ثمّ قال

↩ فأذن لهما فدخلا ، فأغدف عليهما خميصةً سوداء ؛ أي : أرسلها ، ويحتمل «بعدف» وهو الخرقة ، فتكون بدل الثوب ، والأوّل أنسب .

انظر : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٥ : ٤٦٩ ، مادّة ـ عدف ـ لسان العرب ٩ : ٢٦٢ مادّة ـ غدف ـ و٢٣٥ ، مادّة ـ عدف ـ .

(١) الكشف والبيان ٨ : ٤٢ ـ ٤٣، وأورده الحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ٦٨٤/٣٨.

(٢) بحار الأنوار ٣٥ : ٢٢٨ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

أيضاً: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي (وأهل بيتي)[١] أحقّ»[٢].

أقول: الظاهر أنّ ذلك وقع مكرّراً، أو كان هؤلاء كلّهم حضوراً.

ومنها: ما رواه أحمد أيضاً عن ابن عبّاس أنّه قال في حديثٍ له طويل: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقال: «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٣]»[٤].

ومنها: ما رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن جابر، أنّه قال: نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله، وليس في البيت إلّا فاطمة والحسن والحسين وعليّ عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ هؤلاء أهلي»[٥].

وسيأتي مثله عن جابر أيضاً أوضح من هذا في الفصل الحادي عشر.

ومنها: ما رواه الطبراني، والحافظ أبو نعيم، والثعلبي في تفسيره، عن جمع، منهم: الأعمش، عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في خمسةٍ[٦]: رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٧].

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في «م».

(٢) الكشف والبيان ٨: ٤٣، مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٦٥٤٠/٧٩، فضائل الصحابة ٢: ٩٧٨/٥٧٧، شواهد التنزيل ٢: ٦٨٩/٤١ بتفاوت فيها.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٠٥٢/٥٤٤.

(٥) شواهد التنزيل ٢: ٦٤٨/١٦، وفي «م» و«ن» و«س»: «أهل بيتي» بدل «أهلي».

(٦) في «م» زيادة: «نفر».

(٧) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٢٦٧٣/٥١، الكشف والبيان ٨: ٤٢، ولم نعثر عليه

وفي رواية : أنّ الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ الآية نزلت في خمسةٍ : فيّ وفي عليّ وفاطمة والحسنين»(١).

ومنها : ما رواه الترمذي ، وأبو داوُد في صحيحيهما ، وصاحب جامع الأُصول ، ومالك بن أنس في كتاب الموطّأ ، عن أنس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرّ بباب فاطمة عليها السلام إذا خرج إلى الصلاة حين نزلت هذه الآية ، قريباً من ستّة أشهر ، يقول : «الصلاة ، أهلَ البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(٢)»(٣).

وما رواه الثعلبي في تفسيره ، وابن عبدالبرّ في الاستيعاب ، وابن مردويه ، وغيرهم ، عن واثلة وغيره عن أبي الحمراء خادم النبيّ صلى الله عليه وآله ومولاه اسمه هلال ، قال : أقمت بالمدينة تسعة أشهرٍ كيوم واحد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء كلّ غداة فيقوم على باب عليٍّ وفاطمة فيقول : «الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»(٤).

وقد روى مثلَه ابنُ مردويه ، وابن عساكر ، وابن النجّار ، عن

↵ في كتب أبي نُعيم ، وعنه في النور المشتعل : ٤٩/١٨٠ ، وخصائص الوحي المبين : ٣٩/١٠٣ .

(١) شواهد التنزيل ٢ : ٦٦١/٢٥ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٣٢٠٦/٣٥٢ بتفاوت ، جامع الأُصول ٩ : ٦٧٠٤/١٥٦ ، ولم نعثر عليه في سنن أبي داوُد والموطّأ ، ونقله عنهما ابن بطريق في العمدة : ٣٦/٨٩ .

(٤) الكشف والبيان ٨ : ٤٤ ، الاستيعاب ٤ : ٢٩٢٠/١٦٣٣ بتفاوت ، جامع البيان للطبري ٢٢ : ٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٧ ، الدرّ المنثور ٦ : ٦٠٦ نقله عن ابن مردويه بتفاوت ، ولم يرد في المصادر التي بأيدينا عن واثلة .

أبي سعيد الخدري ، وفيه : لمّا نزلت : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[١] كان النبيّ ﷺ يجيء[٢] ، الخبر .

وستأتي أخبار في آية المباهلة وغيرها سوى ما مرّ سابقاً لاسيّما في الفصل السابع .

وبالجملة ، الأخبار الدالّة على هذا الاختصاص كثيرة لا يسع المقام ذكر الجميع ، والظاهر أنّ ذلك كان أمراً مسلّماً بين الصحابة أيضاً .

كما يشهد له ما رواه الخوارزمي وغيره من الحديث المشهور بينهم بحديث المناشدة ، عن عامر بن واثلة ، قال : كنت مع عليّ عليه السلام في البيت يوم الشورى وسمعته قال : «لأحتجنّ عليكم اليوم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم تغيير ذلك» ثمّ ذكر الاحتجاجات (والخواصّ التي كانت فيه عليه السلام)[٣] ، إلى أن قال : «أُنشدكم الله ، هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير غيري وغير أهل بيتي ؟» قالوا : اللّهمّ لا[٤] .

وقال ابن حجر في صواعقه : أكثر المفسّرين على أنّ الآية نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ؛ لتذكير ضمير «عنكم» .

ثم ذكر بعض الروايات[٥] .

فعلى هذا ، القول الموافق للأخبار المتظافرة ، بل المتواترة عند جميع

---

(١) سورة طه ٢٠ : ١٣٢ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ١٣٦ ، المناقب للخوارزمي : ٢٩/٦٠ ، الدرّ المنثور ٥ : ٦١٣ أخرجه عن ابن مردويه وابن عساكر وابن النجّار .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «ن» .

(٤) المناقب للخوارزمي : ٢٢٢ ـ ٢٢٤ ، إصدار مكتبة نينوا ـ طهران ، المناقب لابن المغازلي : ١٥٥/١١٢ .

(٥) الصواعق المحرقة : ٢٢٠ .

فِرَق الأمّة إنّما هو هذا القول .

بل لنا أن نقول : إذا ظهر من ملاحظة جميع ما ذُكر عدم اختصاص الآية بالأزواج ، بل ولا دخولها فيها اتّضح فساد القولين الأوّلين ، مع أنّ الثاني منهما كان كالتوجيه والمصالحة ، وحيث أن لا دلالة فيما ذُكر أيضاً على دخول سائر الأقارب فيها فضلاً عن الدلالة على الدخول ، بل إنّما عامّة الأخبار كانت صريحة في اختصاص الآية بالخمسة ، وعدم شمولها لغيرهم أصلاً سوى كلام زيد الذي كان محض رأي في مقابل النصوص تخيّلاً من نفسه ، مع أنّ قوله كان في موضع آخر ، لا يبقى حينئذٍ مجال شبهة في صحّة القول الأخير ، بل يبقى سالماً من المعارض ، مسلماً عن القوادح ، مقروناً بالأدلّة القاطعة ، مقبولاً عند سائر طوائف الأمّة ، وأيّ إجماعٍ أقوى من هذا ، فافهم ، والله الهادي .

المقام الثاني : في بيان ما هو المراد بالتطهير .

اعلم أوّلاً أنّ كلمة «إنّما» ـ كما نصّ عليه العلماء ، ويدلّ عليه ما يتبادر من كلام الفصحاء ـ مفيدة للتخصيص ، محقّقة لما أثبت بعدها نافية لما لم يثبت ، فإنّ قول القائل : إنّما لك عندي درهم ، وإنّما في الدار زيد ، يقتضي أنّه ليس عنده سوى الدرهم ، وليس في الدار سوى زيد ، وقد قرّر هذا في محلّه .

ثمّ اعلم ثانياً أنّ المقام يقتضي المدح والتشريف والتعظيم والامتنان[1] التامّ لمن نزلت الآية فيه ؛ حيث جلّلهم بالكساء ولم يدخل فيه

---

(١) في «ن» : «والاهتمام» .

غيرهم حتّى أُمّ سلمة مع جلالة حالها عند (جميع الأمّة)[١]، وخصّصهم بدعائه، فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي»[٢] إلى غير ذلك على ما سبق في الأخبار، وكذا التأكيد في الآية حيث أعاد التطهير بعد بيان[٣] إذهاب الرجس، والمصدر بعده منوّناً بنون التعظيم؛ ولأجل هذا قال الرازي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: أي: يزيل عنكم الذنوب، وعند قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٤]: أي: يلبسكم خلع الكرامة[٥].

ويؤيّد ذلك أنّ الآية على ما مرّ في بعض الروايات إنّما نزلت بعد دعوة النبيّ ﷺ لهم وأن يعطيه ما وعده فيهم. وأمثال هذه الشواهد كثيرة معلومة على من نظر في الأخبار بعين الاستبصار حتّى أنّ منها ما مرّ[٦] من إدخال جبرئيل نفسه فيهم.

ثمّ اعلم ثالثاً: أنّ الإرادة في الآية إمّا أن تكون هي الإرادة المحضة التي لا يتبعها الفعل حتّى يكون المعنى: أمركم الله باجتناب المعاصي يا أهل البيت، أو الإرادة المستتبعة للفعل، أعني: ذهاب الرجس حتّى يكون الكلام في قوّة أن يقال: إنّما أذهب الله عنكم الرجس.

ومن الواضحات أنّ الوجه الأوّل لا يصحّ عند تبيان ما بيّنّاه آنفاً من وجود مقتضيات التخصيص والتشريف؛ ضرورة اشتراك جميع المكلّفين

---

(١) بدل ما بين القوسين في «ن»: «الجميع».

(٢) تقدّم تخريجه قريباً.

(٣) كلمة «بيان» لم ترد في «م».

(٤) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٥) التفسير الكبير ٢٥: ٢٠٩.

(٦) في ص ٣٥.

حتّى الكفّار في تعلّق إرادة الله بهم بذلك المعنى،[1] قال عزّوجلّ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾[2] ولذا[3] لا مدح ولا تشريف في الإرادة المجرّدة وما دخل فيه الفسّاق والكفّار، على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد سأل في دعوته ـ كما أشرنا إليه ـ أن يُذهب الله عنهم الرجس ويطهّرهم، لا أن يريد ذلك منهم ويكلّفهم به، فلو كان المراد هذا النوع من الإرادة لكان نزول الآية في الحقيقة ردّاً لدعوته صلى الله عليه وآله لا إجابة لها، وبطلانه ظاهر.

هذا، مع أنّ الإرادة بالمعنى الذي يصحّ تخلّف المراد عنه إذا أُطلق عليه تعالى يكون بمعنى رضاه بما يفعله غيره، أو تكليفه إيّاه به، وهو مجاز لا يصار إليه إلّا بدليل، فعلى هذا لا يبقى غير الوجه الثاني.

وما تشبّث به بعض المعاندين من أنّ لفظة «يريد» من صيغ المضارع، فلا دلالة فيها على وقوع مدلولها، مدفوع: بأنّ استعمال المضارع فيما وقع غير عزيز في كلام الله المجيد وغيره، بل غالب ما استعملت الإرادة على صيغة المضارع في أمثاله في القرآن إنّما أُريد به ذلك، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾[4] وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللهِ﴾[6] وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ﴾[7] وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) في «م» زيادة : «وقد» .

(٢) سورة الذاريات ٥١ : ٥٦ .

(٣) في «ن» : «وكذا» .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٨٥ .

(٥) سورة النساء ٤ : ٢٨ .

(٦) سورة الفتح ٤٨ : ١٥ .

(٧) سورة المائدة ٥ : ٩١ .

أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾[١] وغير ذلك.

مع أنّ ظاهر سياق الآية النازلة على وجه التشريف والإكرام قرينة على أنّ الوقوع في الجملة حاصل، وهو كافٍ كما عرفت.

ثمّ اعلم أيضاً أن لا شكّ في أنّ المراد بالرجس ليس النجاسات والقذارات العينيّة، بل إنّما المراد الخبائث المعنويّة والقبائح الشرعيّة، ولهذا فسّره ابن عبّاس على ما صحّ النقل عنه: بأنّه عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا[٢].

وقد روي عنه أيضاً بإسناد معتبر أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[٣] فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الآفات والذنوب»[٤] الخبر.

وفي كتاب دلائل النبوّة للبيهقي، وكتاب معالم العترة للجنابذي: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال في حديثٍ له: «ثمّ جعل الله القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، وذلك قوله: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**، فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب»[٥].

ولأجل هذا ذكر الرازي أيضاً ما نقلناه عنه[٦].

وفي روايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام أيضاً ما يدلّ على هذا المعنى؛

---

(١) سورة النساء ٤ : ٦٠.

(٢) مجمع البيان ٤ : ٣٥٦.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣.

(٤) تفسير فرات الكوفي : ٤٦٥/٣٤٠.

(٥) دلائل النبوّة للبيهقي ١ : ١٧٠ ـ ١٧١، وعن معالم العترة في كشف الغمّة ١ : ١٣.

(٦) في ص ٤٢.

حيث قالوا عليهم السلام : «الرجس هو الشكّ ، والله ما نشكّ في ربّنا[١] أبداً»[٢].

فإنّ من المعلوم أنّ مناط تفسيرهم بالشكّ إنّما هو لكونه أدنى مراتب الزلل والعصيان ، وبدوّ ما يُوقع في الخلل والنقصان ، فأشاروا بذلك إلى تنزّه حالهم ، وبُعْد ساحة شأنهم عن تطرّق احتمال ارتكاب ما فوق ذلك ، على أنّ الحقّ أنّ أصل صدور المعصية والمخالفة إنّما يكون مرجعه إلى عدم الإيقان الواقعي ، والتوحيد الحقيقي ؛ ضرورة أنّ الإنسان عند مخالفة الله تعالى عابدٌ حقيقة الذي دعاه إلى ذلك من النفس والشيطان ، فحينئذٍ إن أغمضنا عن استلزام ذلك عدم كونه مصداقاً واقعاً فلا أقلّ من الشكّ ، فظهر أنّ انعدام الشكّ بالمرّة مستلزم لترك المخالفة رأساً ، فافهم .

وإذا عرفت ما ذكرناه كلّه فاعلم أيضاً أنّ المراد بإذهاب الرجس : إمّا أن يكون رفع جميع أفراده بأن تكون اللّام للاستغراق أو للجنس ؛ ضرورة أنّ رفع الجنس يفيد نفي جميع أفراده ؛ إذ لو وُجد فردٌ لصدق وجود الجنس في ضمنه ، وهو المراد واقعاً ، كما سيظهر .

وإمّا أن يكون رفع بعضها ، معلوماً كان ، بأن تكون اللّام للعهد ، أو غير معلومٍ كالفرد المنتشر .

وهو بقسميه غير محتمل :

أمّا الأخير منهما : فلظهور فساد احتمال الأخبار بإذهاب رجسٍ مّا غير معلومٍ ، لا سيّما في مثل ذلك المقام الذي تبيّن حاله .

---

(١) ورد في حاشية «ن» و«س» و«ل» : «ديننا» .

(٢) بصائر الدرجات : ١٣/٢٢٦ ، تفسير العيّاشي ١ : ١٦٩/٢٤٩ ، الكافي ١ : ١/٢٢ (باب ما نصّ الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمّة عليهم السلام واحداً فواحداً) ، معاني الأخبار : ١/١٣٨ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٢/٢١٢ .

وأمّا الأوّل منهما: فلعدم سبق شيءٍ معهود، ولا ذكر ما يوجب ذلك لا في الآية ولا في الأخبار، بل إنّها إنّما تدلّ على خلافه.

أمّا الآية: فلما يظهر من ترك ذكر متعلّق التطهير في قوله تعالى: ﴿ويطهِّركم﴾ حيث إنّ ذلك يشعر بالعموم لا سيّما مع إلحاق قوله: ﴿تطهيراً﴾ وذلك ظاهر على كلّ مَنْ له أدنى فطانة.

وأمّا الأخبار: فلأنّها تدلّ أوّلاً: على كمال عِظم شأن هذه الواقعة، حيث اتّضح تمام الاهتمام من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله في وقوع الامتنان بذلك، وحصول التشرّف لذلك، وتخصيصهم بما لم يكن يجوز لغيرهم ما سوى جبرئيل والنبيّ الجليل صلوات الله عليهما.

وثانياً: على كون المراد الاستخلاص من كلّ ما لم يكن فيه رضا الربّ سبحانه، بل الاتّصاف بما يوجب رضاه أبداً ممّا لا يوجد في غيرهم ما عدا مثل جبرئيل عليه السلام.

وثالثاً: على مشاركة النبيّ صلى الله عليه وآله معهم في ذلك، وطهارته عن كلّ رجسٍ واضح.

وكلّ ذلك ينادي: بأنّ أصل المقصود زوال حالة داعية إلى ارتكاب ما لم يرض به الله تعالى، فإن كان هذا هو المعهود فهو عين المقصود؛ لأنّه بعينه هو المراد برفع جميع أفراد الرجس، كما أشرنا إليه عند ذكر رواية ابن عبّاس، وتفسير الأئمّة عليهم السلام الرجس بالشكّ(١) وإن قيل: إنّه غير ذلك، بل إنّه بعض المعاصي، كالشرك والزنا، كما توهّمه بعض الجاهلين(٢).

فمع قطع النظر عمّا ذكرناه، وعن استلزام اختصاص الآية بالخمسة

---

(١) تقدّم تخريجه في ص ٤٥، الهامش (٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٢: ٥.

ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وجودهما في غيرهم ، حتّى خيار الأزواج ، وعن ظهور نزاهة الخمسة لا سيّما النبيّ صلى الله عليه وآله عن أمثال ذلك ، حتّى يحتاج إلى ذلك الامتنان برفعه ؛ بحيث أخرج أُمَّ سلمة ـ التي لا كلام في حسن حالها ـ لا دليل يعتمد عليه ولا سند يستند إليه ، بل لا وجه للتشبّث بمثل هذا ونحوه ما عدا الحميّة الجاهليّة ، والانحراف عن أهل بيت النبوّة ، كما تشبّث بعضهم : بأنّ المعرّف بلام الجنس في سياق الاثبات لا يفيد العموم ، وغفل عمّا ذكرناه من أنّ الكلام في قوّة النفي ؛ إذ لا معنى لإذهاب الرجس إلّا رفعه ، ورفع الجنس يفيد نفي جميع أفراده .

وإذ قد تبيّن ما ذكرناه في تقرير الآية وبيانها ظهر أنّها تدلّ على عصمة هؤلاء الخمسة ـ صلوات الله عليهم ـ عن المآثم والرذائل ، لاسيّما الكذب خصوصاً على الله والشكّ في أمرٍ منه ، وهو الأصل في معنى العصمة المعتبرة في النبوّة والإمامة ، كما مرّ في محلّه وسيأتي أنّ عليّاً والحسنين عليهم السلام ادّعوا الإمامة لأنفسهم ، فثبتت إمامتهم ؛ لثبوت عصمتهم ، وتنزّههم عن الكذب لا سيّما على الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وكذا أخبروا بإمامة مَنْ بعدهم من بقيّة الاثني عشر ، فيجب صدقهم فيه أيضاً ، ولمّا تبيّن صدق إمامة البقيّة أيضاً بإخبار هؤلاء وغيره ثبتت عصمتهم أيضاً ؛ لاشتراطها في الإمام[1] كما مرّ ، وقد ادّعوا هم أيضاً الإمامة لأنفسهم ، فوجب تصديقهم .

هذا ، مع إمكان إدّعاء دخول البقيّة أيضاً في الآية وتشرّفهم بهذا التشريف ، من حيث كونهم في صلب الحسين عليه السلام الداخل في الكساء ، وإنّما نعلم اختصاصهم بذلك ، دون سائر الذرّيّة بانحصار من ادّعى العصمة

---

(١) في «ن» : «الإمامة» .

من الذرّيّة فيهم، مع اتّفاق الأمّة على عدم عصمة غيرهم، فافهم.

واعلم أيضاً أنّ ما توهّمه بعض الناس، حيث قال: إنّ إذهاب الرجس لا يكون إلّا بعد ثبوته وأنتم قائلون بعصمة هؤلاء من أوّل العمر إلى انقضائه، مدفوع: بأنّ الإذهاب والصرف كما يستعمل في إزالة الأمر الموجود، كذا يستعمل في المنع عن طريان أمرٍ على محلٍّ قابلٍ له، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾[1]، وتقول في الدعاء: صرف الله عنك كلّ سوء، وأذهب عنك كلّ محذورٍ، وأمثال ذلك كثيرة في كلام الله تعالى وغيره.

هذا، مع أنّ النبيّ ﷺ كان من جملتهم، وكان في حال عصمته، فلا مانع من كون البقيّة أيضاً كذلك، وكون نزول الآية لإظهار هذا الأمر على الخلق، وبيان جلالة شأنهم، وكمال شرافة مكانهم، كما ينادي بذلك إدخال جبرئيل أيضاً نفسه فيهم.

على أنّا نقول: إذا أثبتنا على الخصم دلالة الآية على العصمة ولو في الجملة كفى في ثبوت مطلوبنا؛ إذ القول بعصمتهم في بعض الأوقات خرق للإجماع المركّب، ومع قطع النظر عنه كفانا دلالة الآية على أصل وجودها مع الأدلّة الأُخرى الدالّة على دوامها التي منها: اعتراف المخالف والمؤالف، بل تسليم كلّ الأمّة صدق جميع أئمّتنا وصلاحهم وعلمهم وتقواهم مثل النبيّ ﷺ لاسيّما أهل الكساء من أوّل العمر إلى انقضائه من كلّ باب، وكفى هذا لأُولي الألباب، فلنكتف هاهنا بما ذكرناه، والله الهادي إلى الحقّ والصواب.

---

(١) سورة يوسف ١٢: ٢٤.

المطلب الثالث :

في بيان آية المباهلة ونزولها في أصحاب العباء ، وانحصارها في مَن انحصر فيه ما مرّ من آية التطهير .

والآية : هي قول الله عزّوجلّ : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١] .

ولنذكر أوّلاً أصل قصّة هذه الآية بتفصيلها ، ثمّ نتعرّض لبيان خلاصة ما لابدّ من بيانه بلا تطويل ولا إجمال .

اعلم أنّه لا إنكار لأحد من الأمّة في وقوع هذه القصّة بنحو ما سنذكره ، وقد (نقلها مفصّلة)[٢] جمع كثير من المخالف والمؤالف ، وخلاصتها هكذا وإن تفاوتت عبائرهم[٣] طولاً وقصراً ، قالوا : إنّ وفد نجران أتوا النبيّ صلى الله عليه وآله ، وفي رواية : كتب النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أهل نجران[٤] ودعاهم إلى الإسلام أو الاستعداد للمحاربة ، فاضطرب كبيرهم وشاور علماءهم في ذلك واحداً بعد واحد ، فقال أكثرهم : إنّا نعلم ما وعد الله إبراهيم عليه السلام في ذرّيّة إسماعيل عليه السلام من النبوّة ، ولا يبعد أن يكون ذلك الرجل ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا جماعة من علمائهم إليه صلى الله عليه وآله فيأتونهم

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ٦١ .

(٢) بدل ما بين القوسين في «م» : «ذكرها» .

(٣) في «م» : «عبارتهم» .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ : ٣٥٧ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٨١ ، دلائل النبوّة للبيهقي ٥ : ٣٨٥ .

بخبره ، فانطلق وفد منهم ـ وهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ـ حتّى أتوا النبيّ صلى الله عليه وآله ، قالوا : وكان من كبارهم العاقب والسيّد[١] ، وقيل : الطيّب[٢] ، وصرّح جمع بأنّ أكبرهم هو السيّد ، والعاقب هو الذي يكون بعده صاحب رأيهم[٣] ، فسألهم وسألوه حتّى أن قالوا له : ما تقول في عيسى بن مريم عليه السلام ؟ ومن أبوه ؟ فصبرهم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أن ينزل عليه الوحي في ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[٤] الآية ، فلمّا قرأها عليهم قالوا : ما نعرف ما تقول ولا نجد هذا فيما أُوحي إلينا ، وأبوا أن يقرّوا بذلك ، فنزل قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾[٥] الآية .

وفي روايةٍ : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال للسيّد والعاقب : «أسلما» فقالا : أسلمنا قبلك ، قال صلى الله عليه وآله : «كذبتما إن شئتما أخبرتكما ما يمنعكما عن الإسلام» قالا : هات ، فقال صلى الله عليه وآله : «يمنعكما عن الإسلام حبّكما ـ وفي روايةٍ : «عبادتكما»[٦] ـ الصليب ، وأكلكما الخنزير ، وشربكما الخمر»[٧] ، وفي روايةٍ : «وزعمكما أنّ لله ولداً»[٨] فنزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ

---

(١) الطبقات الكبرى ١ : ٣٥٧ ، دلائل النبوّة للبيهقي ٥ : ٣٨٥ .

(٢) دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢ : ٤٥٦ ، المناقب لابن المغازلي : ٢٦٣ ، نهج الإيمان : ٣٤٦ .

(٣) دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢ : ٤٥٧ ، الدرّ المنثور للسيوطي ٢ : ٢٣١ ، لسان العرب لابن منظور ١ : ٦١٤ مادّة ـ عقب ـ .

(٤و٥) سورة آل عمران ٣ : ٥٩ .

(٦) بحار الأنوار ٣٥ : ٢٦٤ ، تاريخ المدينة المنوّرة لابن شبة ٢ : ٥٨٣ ، الدرّ المنثور للسيوطي ٢ : ٢٣١ .

(٧) العمدة لابن البطريق : ٢٩١/١٩٠ ، دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢ : ٤٥٧ ، شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ١٢٢ ، نهج الإيمان : ٣٤٦ ، الدرّ المنثور للسيوطي ٢ : ٢٣١ .

(٨) بحار الأنوار ٣٥ : ٢٦٤ ، تأريخ المدينة المنوّرة لابن شبة ٢ : ٥٨٣ ، دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢ : ٤٥٧ ، المناقب لابن المغازلي : ٣١٠/٢٦٣ ، الدرّ المنثور للسيوطي ٢ : ٢٣١ .

ءَادَمَ﴾ الآية ، فلمّا قرأها عليهم أنكروا ، وقالوا : ما نعرف ما تقول ، فنزلت آية المباهلة ، فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله : «إنّ الله قد أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم» فقالوا له : حتّى نرجع في أمرنا ونأتيك غداً ، وفي روايةٍ أنّهم قالوا : أنصفت فمتى نُباهلك ؟ قال صلى الله عليه وآله : «غداً إن شاء الله»[(١)] ، فانصرفوا وقال بعضهم : انظروا إن خرج في عدّة من أصحابه فباهلوه فإنّه كذّاب ، وإن خرج في خاصّته من أهله فلا تباهلوه ، فإنّه نبيّ ولئن باهلنا لنهلكنّ .

وفي غيرها : أنّهم لمّا قالوا : نأتيك غداً ، ذهبوا وتخالفوا بينهم ، وقالوا للعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ : يا عبد المسيح ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمّداً نبيٌّ مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم قطّ نبيّاً فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم ذلك لتهلكنّ ، فإن أبيتم إلّا إلف[(٢)] دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه ، فوادِعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم[(٣)] .

ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أصبح دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين ، فأخذ بيد الحسن وحمل الحسين على صدره ، ويقال : بيده الأُخرى ، وخرج إليهم وفاطمة تمشي خلفه وعليٌّ خلفها .

وفي روايةٍ : وعليٌّ عليه السلام بين يديه[(٤)] ، وهو يقول لهم : «إذا أنا دعوت فأمّنوا أنتم» .

---

(١) تفسير أبي حمزة الثمالي : ١٣٤ ، المناقب للخوارزمي : ١٨٩/١٥٩ .

(٢) الإلف : الذي تألفه . انظر : المُحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٤٠٤ ، ولسان العرب ٩ : ١١ .

(٣) العمدة لابن البطريق : ١٩٠/١٨٩ ، خصائص الوحي المبين : ٦٨/١٢٦ ، نهج الإيمان : ٣٤٦ ، وانظر بحار الأنوار ٣٥ : ٢٦٤ ، السيرة النبويّة لابن هشام ٢ : ٢٣٣ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٨٢ ، المناقب للخوارزمي : ١٨٩/١٦٠ .

وفي روايةٍ: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أصبح بعث إلى أهل المدينة ومن حولها، ولم تبق بكر لم تر الشمس إلّا خرجت[١]، ثمّ خرج النبيّ صلى الله عليه وآله ومعه هؤلاء الأربعة فقال (للقوم: «هلمّوا)[٢] هؤلاء أبناؤنا الحسن والحسين وهؤلاء أنفسنا لعليّ عليه السلام ونفسه، وهذه نساؤنا لفاطمة».

وفي روايةٍ: فأتى تحت شجرة فظلّل عليها بعباءة وجثا على ركبتيه للدعاء[٣]، وهؤلاء الأربعة حوله، فقال أبو حارثة من الوفد: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة.

قال الرواة كلّهم: ثمّ دعا النبيّ صلى الله عليه وآله القوم إلى الملاعنة فأبوا، وفي رواية: فقال لهم كبيرهم: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله[٤]، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة.

وفي روايةٍ: أنّ كبيرهم لمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وقد أقبل بمن معه سأل عنهم، فقيل له: هذا ابن عمّه وزوج ابنته وأحبّ الخلق إليه، وهذان ابنا بنته من عليٍّ، وهذه الجارية بنته فاطمة أعزّ الخلق إليه وأقربهم إلى قلبه[٥]، فقال الرجل حينئذٍ ما ذكرناه عنه، قالوا: فأقبل النصارى حتّى بركوا بين يديه فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك فأقلنا أقالك الله، الخبر، إلى أن قالوا: فصالحوه على أن يؤدّوا في كلّ عام ألفي حلّة، ألفاً في صفر وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عارية، وفي روايةٍ: وثلاثين رمحاً، وثلاثين فرساً

---

(١) المناقب للخوارزمي: ١٦٠/١٨٩.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «م».

(٣) انظر: بحار الأنوار ٢١: ٣٢١ و٣٥٤.

(٤) نهج الإيمان: ٣٤٦، خصائص الوحي المبين: ١٢٦.

(٥) الإرشاد للشيخ المفيد ١: ١٦٨، بحار الأنوار ٢١: ٢٧٧ و٣٣٨.

عارية[1]، فصالحهم النبيّ صلى الله عليه وآله على ذلك، وقال: «والذي نفسي بيده إنّ العذاب قد تدلّى على أهل نجران ولو لاعنوا لَمُسِخُوا قردةً وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً» الخبر.

وفي روايةٍ: أنّ الوفد لمّا رجعوا لم يلبث السيّد والعاقب إلّا يسيراً حتّى رجعا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأهدى العاقب له حلّةً وعصاً وقدحاً ونعلين وأسلما[2].

هذا أصل هذه القصّة، وقد رواها جمّ غفير من العامّة، فضلاً عن الخاصّة[3]، متّفقين في انحصار أهل المباهلة في هؤلاء الخمسة أصحاب آية التطهير.

فمنهم: مسلم بن الحجّاج، فإنّه ذكرها في صحيحه من طُرق، منها في أوائل الجزء الرابع في باب فضائل عليٍّ عليه السلام وفي أواخره، وذكر في آخرها ـ كما سيأتي ـ أنّه لمّا نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي». وفي روايةٍ: «أهلي»[4].

---

(١) بحار الأنوار ٢١ : ٢٧٧، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٤٢٠، الطبقات الكبرى لابن سعد ١ : ٣٥٧. وفي «م» كلمة «فرساً» ساقطة.

(٢) مجمع البيان ١ : ٤٥٢، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٤٢٠.

(٣) انظر: مجمع البيان ١ : ٤٥١ ـ ٤٥٢، وإعلام الورى ١ : ٢٥٦، والمناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٤١٩ ـ ٤٢١، وخصائص الوحي المبين: ١٢٦ ـ ٦٨/١٢٩ ـ ٧٠، والعمدة لابن بطريق: ٢٤٠ ـ ٣٠٥/٢٤٢ ـ ٣٠٦ ونهج الإيمان: ٣٤٥ ـ ٣٤٧، وكشف الغمّة ١ : ٢٣٢ ـ ٢٣٤، وتفسير مقاتل بن سليمان ١ : ٢٧٩ ـ ٢٨١، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٨٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ١ : ٣٥٧، وشواهد التنزيل ١ : ١٢٠ ـ ١٦٨/١٢٢ ـ ١٧٠، الدرّ المنثور ٢ : ٢٢٨.

(٤) صحيح مسلم ٤ : ٣٢/١٨٧١.

ومنهم الحميدي ذكرها في الجمع بين الصحيحين في مسند سعد بن أبي وقّاص عنه[١].

ومنهم: الثعلبي رواها في تفسيره عن مقاتل والكلبي[٢].

ومنهم: ابن مردويه رواها عن ابن عبّاس والحسن والشعبي والسدّي[٣].

ومنهم: الخطيب الخوارزمي رواها في مناقبه عن هؤلاء المذكورين[٤] أيضاً.

ومنهم: أحمد بن حنبل، كما روى عنه الواحدي في كتاب أسباب نزول القرآن مصرِّحاً بأنّه رواها عن الحسن[٥].

ومنهم: ابن المغازلي، رواها في كتاب المناقب عن الشعبي، عن جابر بن عبدالله الأنصاري، وفي آخرها قال الشعبي: أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا: عليّ بن أبي طالب[٦].

وقد روى هذه الرواية عن الشعبي، عن جابر، مع كلام الشعبي أيضاً الواحدي في كتاب أسباب نزول القرآن[٧].

ومنهم: الحاكم في مستدركه وصحّحه. وأبو نعيم الإصفهاني في الدلائل كلاهما بأسانيدهما عن جابر، وفي آخرها قال جابر: أنفسنا:

(١) الجمع بين الصحيحين ١: ٢٠٨/١٩٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٣: ٨٤.

(٣) نقله عنه ابن طاووس في الطرائف ١: ٣٧/٥٩.

(٤) المناقب للخوارزمي: ١٨٩/١٥٩ وانظر ١١٥/١٠٨.

(٥) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١٣٧٤/٧٧٦ وفيه: عن عبدالله، أسباب نزول القرآن للواحدي: ٢٠٨/١٠٧ وفيه: عن عبدالله بن أحمد بن حنبل.

(٦) المناقب لابن المغازلي: ٣١٠/٢٦٣.

(٧) أسباب نزول القرآن للواحدي: ٢٠٩/١٠٧.

رسول الله وعليّ ، وأبناءنا : الحسن والحسين ، ونساءنا : فاطمة [1].

ونقلها أبو نعيم في الدلائل أيضاً عن ابن عبّاس ، والحاكم أيضاً عن سعد بن أبي وقّاص [2].

ومنهم : البيهقي ذكرها في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع [3] ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّه نقل القصّة بطولها ، وذكرها في سننه عن سعد بن أبي وقّاص [4].

وكذا رواها عنه مسلم والترمذي في صحيحيهما [5].

ورواها عنه ابن المنذر [6] أيضاً .

ومنهم : ابن الأثير رواها في جامع الأُصول من صحيح مسلم ، عن سعد ، مع ما في آخرها من قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «اللّهمّ هؤلاء أهلي» [7].

ورواها عنه أيضاً البغوي في المصابيح مع ما في آخرها ، لكن بلفظ «أهل بيتي» .

وقد رواها عنه الجزري أيضاً .

وقد رواها أيضاً ابن أبي شيبة ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، كلٌّ في كتابه ، ورواها أيضاً ابن الأثير في الكامل [8].

---

(١) المستدرك للحاكم ٢ : ٥٩٣ ـ ٥٩٤ ، دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢ : ٢٤٤/٤٥٦ .

(٢) دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢ : ٢٤٥/٤٥٧ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٥٠ .

(٣) لم نعثر على ترجمته .

(٤) دلائل النبوّة للبيهقي ٥ : ٣٨٥ ، السنن الكبرى له ٧ : ٦٣ .

(٥) صحيح مسلم ٤ : ٣٢/١٨٧١ ، سنن الترمذي ٥ : ٢٩٩٩/٢٢٥ ، و٣٧٢٤/٦٣٨ .

(٦) عنه في الدرّ المنثور ٢ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(٧) جامع الأُصول ٨ : ٦٤٩١/٦٥٠ .

(٨) مصابيح السنّة ٤ : ٤٧٩/١٨٣ ، جامع الأُصول ٩ : ٦٧٠١/١٥٤ ، المصنّف لابن

وممّا رواه مسلم في صحيحه بإسناده المتّصل إلى عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ قال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليَّ من حُمر النَّعم، سمعت النبيّ ﷺ يقول له ـ وقد خلّفه في بعض مغازيه ـ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ[1] بعدي»، وسمعته يقول يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللهَ ورسولَه ويحبّه اللهُ ورسولُه» ثمّ قال: «ادعوا لي عليّاً» فأُتي به أرمَد، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت آية المباهلة دعاه النبيّ ﷺ وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي»[2].

ومنهم: الزمخشري رواها في الكشّاف عند تفسير هذه الآية، ومثله روى البيضاوي في تفسيره، وقد قال الزمخشري بعد أن نقل القصّة: فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلّا ليتبيّن الكاذب، وذلك أمر يختصّ به وبمن يكاذبه، فما معنى ضمّ الأبناء والنساء؟ قلت: كان ذلك آكد للدلالة على ثقته بحاله، واستيقانه بصدقه وكذب خصمه؛ حيث استجرأ على تعريض أعزّته، وأفلاذ كبده وأحبّ الناس إليه لذلك أيضاً، وخصّ الأبناء والنساء؛ لأنّهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب؛ بحيث ربّما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتّى يقتل، قال: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على

↵ أبي شيبة ١٤: ١٨٨٦٠/٥٤٩، سنن سعيد بن منصور ٣: ٥٠٠/١٠٤٤، تفسير الطبري ٣: ٢١١ ـ ٢١٢، الكامل في التاريخ ٢: ٢٩٣، ونقله عن عبد بن حُميد وغيره السيوطي في الدرّ المنثور ٢: ٢٣٢.

(١) في المصدر و«س»: «نبوّة» بدل «نبيّ».

(٢) صحيح مسلم ٤: ٣٢/١٨٧١.

فضل أصحاب الكساء ، وفيه برهان واضح على صحّة نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله حيث إنّهم خافوا ولم يجيبوا إلى ذلك[١] . انتهى .

ومنهم : أبو بكر محمّد بن زياد النقّاش ، رواها في تفسيره شفاء الصدور ، وقال في آخرها : وقد حصلت هذه الفضيلة للحسن والحسين عليهما السلام من بين جميع أبناء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأبناء أُمّته ، وحصلت هذه الفضيلة لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من بين بنات النبيّ صلى الله عليه وآله ، وبنات أهل بيته ، وبنات أُمّته ، وحصلت هذه الفضيلة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام من بين أقارب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أهل بيته وأُمّته بأن جعله الرسول صلى الله عليه وآله كنفسه ، يقول : «وأنفسنا وأنفسكم»[٢] . انتهى كلامه .

وهو من أكابر القوم وثقاتهم كما صرّح به الخطيب البغدادي في كتاب تاريخ بغداد ، وذكر له مدائح ، وأنّ الدارقطني وغيره رووا عنه[٣] .

وقد قال أبو بكر الرازي : هذه الآية تدلّ على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ ولد البنت ابنٌ على الحقيقة[٤] .

وقال ابن حجر في الصواعق : إنّ الرشيد سأل الكاظم عليه السلام كيف قلتم : إنّا ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم أبناء عليٍّ عليه السلام ؟ فتلا عليه السلام قوله تعالى : «﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿وَعِيسَى﴾[٥]» ثمّ قال عليه السلام : «وهذا عيسى عدّه الله من ذرّيّة نوح وليس له أب» ، ثمّ قال : «وأيضاً قال عزّوجلّ : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ

(١) تفسير الكشّاف ١ : ٥٦٤ ، وانظر : أنوار التنزيل ١ : ١٦٥ .
(٢) المصدر غير متوفّر لدينا ، وعنه ابن طاووس في الطرائف ١ : ٦١ ـ ٣٧/٦٢ .
(٣) تاريخ بغداد ٢ : ٦٣٥/٢٠١ .
(٤) أحكام القرآن للجصّاص ٢ : ٢٩٦ .
(٥) سورة الأنعام ٦ : ٨٤ و٨٥ .

ٱلْعِلْمِ﴾(١) الآية، ولم يدع صلى الله عليه وآله عند المباهلة غير عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكانا هُما الابن»(٢).

وقال ابن أبي علّان ـ وهو من أحد أئمّة المعتزلة ـ: هذه الآية تدلّ على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مكلّفين في تلك الحال؛ لأنّ المباهلة لاتجوز إلّا مع البالغين(٣).

فقال بعض الشيعة: قد قال أصحابنا: إنّ صغر السنّ ونقصانها عن حدّ بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل، وإنّما جعل بلوغ الحلم حدّاً لتعلّق الأحكام الشرعيّة، وكان سنّهما عليهما السلام في تلك الحال سنّاً لا يمتنع معها أن يكونا كاملي العقل، ثمّ قال: على أنّ عندنا يجوز أن يخرق الله العادات للأئمّة عليهم السلام، ويخصّهم بما لا يشركهم فيه غيرهم، فلو صحّ أنّ كمال العقل غير معتاد في تلك السنّ لجاز ذلك فيهم إبانةً لهم عمّن سواهم، ودلالةً على مكانهم من الله، واختصاصهم به، قال: وممّا يؤيّده من الأخبار قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»(٤)(٥). انتهى.

ولا يخفى متانة قول هذا البعض لاسيّما الأخير، وإلّا فكلّ أحدٍ يعلم أنّ الحسنين عليهما السلام لم يكونا ذلك اليوم إلّا في أوائل صغر السنّ، إلّا أن يقال: إنّ مراد ابن أبي علّان أيضاً أنّهما كانا مكلّفين في تلك السنّ على خلاف

(١) سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٢) الصواعق المحرقة: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٣) مجمع البيان ١: ٤٥٢.

(٤) الإرشاد للمفيد ٢: ٣٠، الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ج٢): ٣٠٣، روضة الواعظين ١: ٣٥٨/٣٧٥، إعلام الورى ١: ٤٠٧، كشف الغمّة ١: ٥٣٣.

(٥) مجمع البيان ١: ٤٥٣، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٤١٨.

سائر الناس ؛ لإمامتهم وعصمتهم ، فافهم .

وروى جمع أنّ المأمون قال يوماً للرضا عليه السلام : أخبرني بأكبر فضيلةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن ، فقال الرضا عليه السلام : «فضيلته في المباهلة» وقرأ الآية ، وذكر خروج النبيّ صلى الله عليه وآله مع عليٍّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام ، ثمّ قال : «فكان الحسنان ابنيه ، وكانت فاطمة نساءه ، وكان عليٌّ نفسَه بحكم الله عزّوجلّ» ثمّ قال عليه السلام : «وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق الله تعالى أجلّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل ، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم الله عزّوجلّ» .

فقال له المأمون : أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنّما دعا الرسول صلى الله عليه وآله ابنيه خاصّة ، وذكر النساء بلفظ الجمع ، وإنّما دعا النبيّ صلى الله عليه وآله ابنته وحدها ، فألّا جاز أن يذكر الدعاء لمن نفسه ، ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره ، فلا يكون لأميرالمؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل ؟

فقال له الرضا عليه السلام : «ليس يصحّ ما ذكرت ، وذلك ؛ لأنّ الداعي إنّما يكون داعياً لغيره كما أنّ الآمر آمر لغيره ، ولا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة ، كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة ، وإذا لم يدع النبيّ صلى الله عليه وآله في المباهلة رجلاً إلّا أمير المؤمنين ، فقد ثبت أنّه نفسه التي عناها الله في كتابه» .

فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال[1] .

أقول : وإذ قد عرفت ما ذكرناه فاعلم أيضاً أنّ ممّا يدلّ على كون المراد بأنفسنا أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه جماعة ، منهم الدارقطني : أنّ

---

(١) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ج٢) : ٣٨ .

عليّاً عليه السلام يوم الشورى احتجّ على أهلها فقال لهم: «أنشدكم الله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الرحم منّي ومن جعله نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا[1]، والحديث مشهور، وقد مرّ ـ لا سيّما في الفصل الرابع ـ أخبار في تصريح النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ عليّاً عليه السلام مثل نفسه، وكنفسه، وعديل نفسه، وأنّ عليّاً منه وهو من عليٍّ، وكلاهما من نور واحد، ونحو ذلك.

على أنّ لنا أن نقول أيضاً: إنّ المراد بأنفسنا إمّا النبيّ صلى الله عليه وآله فقط، أو غيره ممّن هو كنفسه، أو كلاهما، وعلى الأخيرين صريح في المقصود، وعلى الأوّل يقتضي دخول عليٍّ عليه السلام فيه حتّى يستقيم وجه إخراج النبيّ صلى الله عليه وآله إيّاه معه وتشريكه في الدعاء، فيرجع إلى الأخير حينئذٍ.

حتّى أنّه لو تشبّث أحد بأنّ المراد بأنفسنا نفس كلٍّ من النبيّ والمسلمين، كما هو المتبادر من جمعيّة لفظة «أنفسنا» لاسيّما في مقابل «أنفسكم» فيكون خروج عليٍّ ودعاؤه لكونه نفساً من المسلمين، لكان ذلك أيضاً لنا، بل أدلّ دليل على المدّعى؛ لاستلزامه كمال اختصاص عليٍّ عليه السلام، بل انفراده من بين جميع الأمّة، حتّى أقرب أقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه كافّة؛ بكونه كالنبيّ صلى الله عليه وآله في قابليّة مثل هذا الأمر الذي هو فعل الأنبياء وأمثالهم؛ بحيث لم يجد النبيّ صلى الله عليه وآله ثانياً له يأخذه معهما يكون ثالثهما؛ ليتحقّق أقلّ الجمع الحقيقي.

بل يستلزم ذلك أيضاً بالنسبة إلى فاطمة والحسنين صلوات الله

---

(١) أورده ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٣١، وابن حجر في صواعقه: ٢٣٩.

عليهم ، لاسيّما بعد صدق النساء على الأزواج أيضاً ، فافهم .

واعلم أيضاً أنّ تخصيص هؤلاء من بين جميع من ذكرناهم لا يكون إلّا لأحد شيئين :

إمّا لكونهم أقرب الخلق إلى الله تعالى بعده ؛ حيث استعان بهم في الدعاء على العدوّ دون غيرهم .

وإمّا لكونهم ـ كما ذكره الزمخشري على ما مرّ عنه[1] ـ أعزّ الخلق عليه ، حيث عرضهم للمباهلة إظهاراً لوثوقه على حقّيّته ، بحيث لم يبال صلى الله عليه وآله بأن يدعو الخصم عليهم مع شدّة حبّه صلى الله عليه وآله لهم .

وظاهرٌ أنّ حبّه صلى الله عليه وآله لم يكن من جهة البشريّة والأُمور الدنيويّة ، بل لم يكن حبّه إلّا خالصاً لله تعالى ، كيف لا ، وقد ذمّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ذلك في كثير من الآيات والأخبار ، بل كلّ من يدّعي أدنى درجة من الولاية ، والمحبّة الخالصة يتبرّأ من حبّ الأولاد والنساء والأقارب لمحض القرابة البشريّة أو للأغراض الدنيويّة الفاسدة ، ولقد نرىٰ كثيراً من الناس يذمّهم العقلاء بأنّهم يحبّون بعض أولادهم مع أنّ غيرهم أعلم وأصلح وأتقى وأورع .

وأيضاً معلوم من سيرته صلى الله عليه وآله أنّه كان يعادي كثيراً من عشيرته ؛ لكونهم أعداء الله ، بل يقاتلهم ، وكان يحبّ ويقرّب الأباعد ومن ليس له حسب ولا نسب ؛ لكونهم أولياء الله ، كما قال سيّد الساجدين عليه السلام في دعاء وصف النبيّ صلى الله عليه وآله : «والىٰ فيك الأبعدين ، وعادىٰ فيك الأقربين»[2] .

فإذا ثبت ذلك فيرجع هذا أيضاً إلى كونهم أقرب الخلق ، وأحبّهم إلى

---

(١) في ص ٥٦ .

(٢) الصحيفة السجّاديّة الجامعة : ٣١ .

الله عزّوجلّ، فيكونوا أفضل من غيرهم جميعاً كما ينادي به عدم أخذه مَنْ سواهم، حتّى أنّه صلى الله عليه وآله رجّح صغيراً من هؤلاء عليهم السلام على أعاظم كبار صحابته.

وأيضاً لمّا ثبت بما ذكرناه: أنّ عليّاً عليه السلام هو المقصود بنفس الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الآية، ومعلومٌ أنّ المراد ليس النفسيّة الحقيقيّة؛ لامتناع اتّحاد الاثنين، فلابدّ من أن يكون المراد أقرب المجازات إلى تلك الحقيقة، وإنّما هو اشتراكهما في الصفات والكمالات، وقد خرجت النبوّة بالدليل القاطع، فبقي غيرها من الفضل على من سواه، ووجوب الطاعة، والرئاسة العامّة وغيرها.

على أنّا لو تنزّلنا عن ذلك فلا أقلّ من إرادة المجاز الشائع الذائع في استعمال هذا اللفظ، أعني: كون الرجل عزيزاً على غيره، وأحبّ الخلق إليه كنفسه، وقد بيّنّا دلالة هذا على أفضليّته وإمامته.

هذا، مع أنّ القول بأفضليّة غيره عليه يستلزم القول بأفضليّته على الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً ولا أقلّ من لزوم قوله بالتساوي، كما أشار إليه الرضا عليه السلام فيما مرّ عنه (١)، فافهم.

واعلم أنّ في هذا المقام تحقيقات كثيرة، وفوائد غزيرة طوينا عن بيانها صريحاً؛ لكفاية ما ذكرناه لطالب الاستبصار، مع إمكان استفادتها ممّا ذُكر لصاحب النظر والاعتبار؛ إذ لا أقلّ من لزوم الاعتراف إمّا بعصمة هؤلاء الجماعة حيث خصّهم النبيّ صلى الله عليه وآله بأمر الله ووحيه من بين جميع الناس، بحيث لم يأخذ غيرهم حتّى بنات فاطمة عليها السلام، فتثبت عصمتهم وإمامتهم كما مرّ في آية التطهير، وإمّا بحطّ درجة من سواهم من الصحابة والقرابة

---

(١) مرّ في ص ٥٩.

والأزواج وغيرهم جميعاً عن قابليّة استجابة الدعاء وكمال المحبّة والرضوان من الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، بحيث لم يكن فيهم أحد قابلاً لأن يكون تالياً لهؤلاء عليهم السلام لائقاً لضمّه بهم في مثل هذا الأمر الذي يقتضي الإكثار والاجتماع المعتبر في الدعاء ، والدالّ على وفور الأخيار المقرّبين عند الله فيهم لاسيّما في مقابل الأعداء ، ولا أقلّ من تحقّق حقيقة الجمعيّة المفهومة من الآية ، بل المأمور بها في صريح الآية ، فكيف يجوز مع هذا تقديم الغير عليهم في الإمامة ، بل إنكار أولويّتهم فضلاً عن القول بتفضيل الغير عليهم حتّى تفضيل عائشة على فاطمة عليها السلام ، بل القول بكونها وأبيها أحبّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله من غيرهما ، حتّى من عليٍّ وفاطمة عليهما السلام ، وهل هذا إلّا محض الفرية الباطلة والحميّة الجاهليّة .

ونعم ما ذكره الخوارزمي ـ الذي هو صاحب بحر المناقب ـ في هذا المقام ؛ حيث قال فيه ـ بعد بيان هذه الآية والأخبار الواردة فيها ـ ما خلاصته : أن لا شكّ في أنّ الحجّة لنا في الإيمان بالكتب السالفة المنزلة من عند الله المستلزمة لصحّة نبوّة الأنبياء السابقين إنّما هي القرآن المجيد ، حيث اشتمل على التصريح بذلك ، وقد جعل الله تعالى المباهلة بهؤلاء الجماعة المخصوصين دليل صدق النبيّ صلى الله عليه وآله وحقّيّة ما أنزله عليه من القرآن المجيد ، وطريق إلزام أُولئك الجاحدين ، حتّى أنّه قد تحقّق إبطال حجاجهم في القرآن بالقسم على الله تعالى ، والابتهال إليه بخصوص هؤلاء الجماعة ؛ إذ لو كان حجّة أعظم من هذا ، لأمر الله نبيّه بالاحتجاج بها على القوم ؛ لكونهم جاحدين .

ومقتضى الحكمة والإعجاز أن يكون الاحتجاج على الجاحدين بأبلغ

الحجج وأتمّها وأرهبها في قلوبهم.

فظهر أنّ هذا الابتهال الذي وقع بهؤلاء الجماعة إنّما هو عديل لكلّ نبيٍّ وكتاب في إظهار الحقّ والاحتجاج على الخصم، ومصحّح لكلّ ذلك، حيث كان مصحّحاً للقرآن المصحّح لذلك، فإذا كان حال هؤلاء بهذا الحدّ، كان الاتّباع لهم والاقتداء بهم أتمّ في الهداية وأبلغ للأُمّة في تعبّدها، وما كان كذلك كان أوجب في لزوم الحجّة، وما كان أوجب في لزوم الحجّة كان واجباً مضيّقاً لا يسع الإخلال به، وما لا يسع الإخلال به وجب؛ لوجوب معرفة الله ومعرفة الرسول صلى الله عليه وآله، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾[1] الآية المختصّة بعليٍّ عليه السلام، المنادية بوجوب ولايته كوجوب ولاية الله ورسوله صلى الله عليه وآله، كما هو صريح الصحاح التي لا ريب فيها[2]. انتهى خلاصة كلامه.

ولا مقال للمنصف بعد فهم مرامه لاسيّما بعد ملاحظة ما ذكرناه، لأنّا وإن أجملنا في الكلام لكن أرينا صاحب البصيرة طرقاً يمكنه أن يستفيد منها أشياء كثيرة، فعليه بالتدبّر، وعلى الله الهداية والله الهادي.

المطلب الرابع:

في بيان نزول سورة ﴿**هَلْ أَتَىٰ**﴾ في عليٍّ وفاطمة والحسنين صلوات الله عليهم، وما فيها من الدلالات الموضحة للمقصود.

---

(١) سورة المائدة ٥: ٥٥.

(٢) بحر المناقب غير متوفر لدينا.

اعلم أنّه قد روى الخاصّ والعامّ : أنّ الآيات من هذه السورة وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً﴾[١] نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لمّا تصدّقوا بما سنذكره ، ومعهم فضّة جاريتهم ، وعلى هذا اتّفاق الشيعة كافّة ، حتّى صرّح جمع منهم : عليّ بن عيسىٰ : بأنّ نزول هذه السورة في قضيّة هؤلاء الأجلّة ممّا عليه إجماع الأمّة ؛ بحيث لا نعرف أحداً خالف فيها[٢] .

ويدلّ عليه ما سيظهر من فقدان مصرّح بالقدح سوى بعض التشكيكات الركيكة .

وقد روى أصل هذه القضيّة مفصّلاً أو مجملاً ، وصرّح بنزول السورة فيها جمّ غفير من المفسّرين والمحدّثين من غير نقل خلافٍ ، أو إنكارٍ لأحدٍ من أهل النقل ، بل ولا نقل شبهة من قدمائهم .

فمنهم : أبو صالح ، ومجاهد ، والضحّاك ، والحسن البصري ، وعطاء ، وقتادة ، ومقاتل ، والليث ، والنقّاش ، والقشيري ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والشيرازي ، والنيسابوري ، والمُزَنيّ ، ومحمّد بن عليّ الغزالي ، والخطيب الخوارزمي ، والخطيب المكّي في أربعينه ، وصاحب بحر المناقب ، والسيوطي ، وابن مردويه ، وصاحب كتاب اعتقاد أهل السنّة ، وصاحب كتاب أسباب النزول ، وابن بطريق في كتاب العمدة ، وأحمد بن الفضل النحوي في العروس ، ومحمّد بن السائب ، وعمرو بن شعيب أبو الحسن بن مهران الباهلي ، وسعيد بن جبير ، (وأبو

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ : ٥ ـ ٢٢ .

(٢) كشف الغمّة ١ : ٣٠٤ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ٢٤٨ .

رافع، وزيد بن ربيع)[١]، وابن مسعود، وابن عبّاس ـ وهو الذي تنتهي إليه أكثر هذه الروايات ـ والأصبغ بن نباتة، وجماعة من أصحاب الباقر والصادق عنهماعليهما السلام، بل عن سائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

نعم، قد وقع بعض اختلافٍ في نقل كيفيّة القضيّة، وبحسب نقلها إجمالاً وتفصيلاً، كما سيظهر، وهو غير ضارٍّ لأصل المطلب، والمرجع في الجميع إلى نقلين:

أحدهما: ما رواه الأكثرون من العامّة عن ابن عبّاس، ومن الخاصّة عن الباقرين عليهما السلام، وخلاصة نقل الجميع: أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا وهما صبيّان صغيران، فعادهما جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أُناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرتَ على ولديك نذراً، فقال عليٌّ عليه السلام: «إن برأ ولداي ممّا بهما صُمتُ لله ثلاثة أيّام شكراً له»، وقالت فاطمة عليها السلام مثل ذلك، وقالت جارية لهم يقال لها فضّة: إن برأ سيّداي ممّا بهما صُمتُ لله ثلاثة أيّام شكراً، وفي رواية: قال الصبيّان: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيّام، فألبس الله الغلامين العافيةَ، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام[٢] ـ وفي روايةٍ: وكان في زمان قحط ـ فانطلق عليٌّ عليه السلام إلى جارٍ له من اليهود يقال له: شمعون الخيبري، فاستقرض منه ثلاثة أصوع من الشعير[٣].

وفي روايةٍ: أنّ اليهودي كان يعالج الصوف، فقال له: «هل لك أن تُعطيني جِزّةً من صوف تَغزلها لك ابنة محمّد صلى الله عليه وآله بثلاثة أصوع من

(١) ما بين القوسين لم يرد في «م».

(٢) الأمالي للصدوق: ٣٢٩/٣٣٠، ينابيع المودّة للقندوزي ١: ٢٧٩، روضة الواعظين ١: ٣٦٧/٣٩٠.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٢٦٨/٢٥٠، بحار الأنوار ٣٥: ٢٤٣.

شعير ؟»[١] ـ وفي روايةٍ : «ثلاثة جزّات»[٢] ـ قال : نعم ، فأعطاه ، فجاء بالصوف والشعير ، وأخبر فاطمة عليها السلام ، فقَبِلت وأطاعت ، فغزلت ثُلث الصوف ـ وفي روايةٍ : جِزّة[٣] ـ ثمّ أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكلّ واحد منهم قرصاً ، وصلّى عليٌّ عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله المغرب ، ثمّ أتى منزله فوضع الخوان ، وجلسوا خمستهم ، فأوّل لُقمةٍ كسرها عليٌّ عليه السلام إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب[٤] ، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني ممّا تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنّة ، فآثروه وأعطوه طعامهم ولم يذوقوا إلّا الماء .

وفي رواية الخوارزمي وغيره ، بل في رواية الباقر عليه السلام أيضاً : فوضع عليٌّ عليه السلام اللقمة من يده وأنشأ يقول :

فاطم ذاتُ المجدِ واليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترينَ البائسَ المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين ... يشكو إلينا جائع مسكين[٥]
كلّ امرئ بكسبه رهين ... وفاعل الخيرات يستبين[٦]

---

(١) الأمالي للصدوق : ٣٣٠/٣٢٩ ، المناقب للخوارزمي : ٢٥١/٢٦٨ ، ينابيع المودّة ١ : ٢٧٩ .

(٢) الخرائج والجرائح ٢ : ١٥/٥٣٩ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٢٤٣ .

(٣) الخرائج والجرائح ٢ : ١٥/٥٣٩ ، روضة الواعظين ١ : ٣٩٠/٣٦٧ .

(٤) في «م» : «على الباب» .

(٥) في «س» و«م» و«ن» : «جائعاً حزين» بدل «جائع مسكين» .

(٦) ورد في «س» و«ن» : «من يفعل الخير يقف سمين» ، وورد في «م» ←

مـــــوعده جــــنّة عــلّيّين ... حـــرّمها الله عـــلى الضـــنين
وللـــبخيل مـــوقف رهـين[١] ... تــهوى بــه النــار إلى ســجين
شرابه الحميم والغِسلين[٢]

فأنشأت فاطمة عليها السلام تقول:

أمـركَ يـابنَ عـمّ سمعٌ وطـاعةٌ ... مـا بـيَ مـن لؤمٍ ولا ضـراعـة[٣]
غُــذّيتُ بـــاللبّ والبـــراعـــة ... أرجــو إذا أشـبعتُ مـن مـجاعة
أن ألحـــق الأخــيار والجـماعة ... وأدخــل الخــلد ولي شـفاعة[٤]

ثمّ عَمَدتْ إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعاً، وأصبحوا صُيّاماً لم يذوقوا إلّا الماء القَراح.

ثمّ عَمَدَت فاطمة عليها السلام إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثمّ أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه أيضاً خمسة أقراص

هكذا:

كـلّ امـرئ بكسبه رهـين
من يفعل الخير يقف سمين
وفـاعل الخـيرات يسـتبين
مـــوعده جـــنّة عـــلّيّين

(١) ورد في «ن» و«س»: «دهين».

(٢) والظاهر أنّ هذه الأبيات قرأها عليه السلام على السكون. وقوله عليه السلام: «دهـين» كـما فـي بعض النسخ كناية عن النضارة والطراوة، كأنّه صبّ عـليه الدهـن، ويـقال: قـوم مدهنون، عليهم آثار النعم، منه عفي عنه.

(٣) اللُّؤم بالضمّ مهموزاً: هو الشحّ، والضـراعـة: الذلّ والاسـتكانة والضـعف. وفـي بعض النسخ: «رضاعة» بدل «ضراعة» قال الجوهري: قولهم: لئيم راضع أصـله إنّ رجلاً كان يرضع إبله أو غنمه ولا يحتلبها لئلّا يُسمع صوت حلبه فيُطلب منه.
وهذه الأبيات أيضاً بالسكون. منه عفي عنه.

(٤) المناقب للخوارزمي: ٢٦٨/٢٥١، الأمالي للصدوق: ٣٣٠/٣٩٠.

وصلّى عليٌّ عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله ، ثمّ أتى منزله ، فلمّا وضع الخوان وجلسوا خمستهم ، فأوّل لقمةٍ كسرها عليٌّ عليه السلام إذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب ، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله ، أنا يتيم من يتامى المهاجرين قُتل والدي يوم العقبة ، أطعموني ممّا تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنّة ، فآثروه وأعطوه طعامهم .

وفي رواية الخوارزمي وغيره : فوضع عليٌّ عليه السلام اللقمة من يده ، وأنشأ يقول :

فاطم بنتَ السيّدِ الكريم ... بنت نبيّ ليس بالزنيم[1]
قد جاءنا الله بذا اليتيم ... من يرحم اليوم فهو رحيم
موعده في جنّة النعيم ... حرّمها الله على اللئيم
يزلّ في النار إلى الجحيم ... شرابه الصديد والحميم

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول :

فسوف أُعطيه ولا أُبالي ... وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهم أشبالي[2] ... أصغرهما يقتل في القتال[3]
بكربلاء يقتل باغتيال ... لقاتليه الويل مع الوبال
يهوى في النار إلى سفال[4] ... كُبوله زادت على الأكبال[5]

ثمّ عَمَدَتْ فأعطته جميع ما على الخوان ، وباتوا جياعاً ولم يذوقوا إلّا

---

(١) الزنيم : اللئيم الذي يُعرف بلؤمه . وهذه الأبيات أيضاً بالسكون . منه عفي عنه .

(٢) والأشبال في أبيات فاطمة عليها السلام جمع الشبل ، وهو ولد الأسد . والكبل القيد . منه عفي عنه . والجمع كُبُول ، انظر : لسان العرب ١١ : ٥٨٠ ـ مادّة كبل ـ .

(٣) في «م» : «بالقتال» .

(٤) في المناقب للخوارزمي زيادة : مصفد اليدين بالأغلال .

(٥) المناقب للخوارزمي : ٢٦٩/٢٥١ .

الماء، وأصبحوا صيّاماً.

فعمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثُلث الباقي من الصوف، وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزت منه أيضاً خمسة أقراص، لكلّ واحد قرصاً، وصلّى عليٌّ عليه السلام المغرب مع النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ أتى منزله، فلمّا وضع الخوان وجلسوا خمستهم، فأوّل لقمة كسرها عليٌّ عليه السلام إذا أسير من أُسراء المشركين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، تأسروننا وتشدُّوننا ولا تُطعمونا، أطعموني فإنّي أسير محمّد صلى الله عليه وآله، أطعمكم الله على موائد الجنّة، فآثروه أيضاً وأعطوه طعامهم.

وفي رواية الخوارزمي وغيره: فوضع عليٌّ عليه السلام اللقمة من يده وأنشأ يقول:

فاطمةُ يا بنت النبيّ أحمد ... بنت نبيٍّ سيّدٍ مسوّدِ

هذا أسير للنبيّ المهتد ... مكبّلاً[١] في غُلّه مقيّد

يشكو إلينا الجوع قد تمرّد[٢] ... من يُطعم اليوم يجده في غد

عند العليّ الواحد الموحّد ... ما يزرع الزارع سوف يحصد

فأطعميه من غير منٍّ أنكد[٣] ... حتّى تجازي بالذي لا تُنفَذ

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول:

---

(١) كما في مناقب الخوارزمي، وفي «س» و«ل» و«ن»: مكبلٌ.

(٢) تمرّد عليه، أي غلبه وطغى عليه، وفي بعض النسخ [كما في «ل» و«س» بدله]: «تقدّد» بدل «تمرّد» قيل: هو من التقدّد بمعنى التقطّع والتفرّق، أو المعنى أنّ الجوع لزمه وجفّ عليه ولا يفارقه. منه عفي عنه.

(٣) والنكد: الشدّة والعسر وانكسار القلب ونحو ذلك. وهذه الأبيات وما بعدها أيضاً بالسكون. منه عفي عنه.

لم يبقَ ممّا كان غير صاع قد دبرت[١] كفّي مع الذراع
ابناي والله من الجياع[٢] يا ربّ لا تتركهما في ضياع
أبوهما للخير ذو اصطناع عبل الذراعين[٣] طويل الباع
وما على رأسيَ من قناع إلّا عباءً نسجها بصاع[٤]

فأعطته[٥] جميع ما على الخوان وباتوا جياعاً ولم يذوقوا إلّا الماء ، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء ، فأخذ عليٌّ بيد الحسن والحسين عليهما السلام وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان كالفراخ من شدّة الجوع ، فلمّا بصر به النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «يا أبا الحسن ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم ، فانطلق بنا إلى ابنتي فاطمة» فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلّي قد لصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع وغارت عيناها ، فلمّا رآها النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «واغوثاه بالله ، أهل بيت محمّد يموتون جوعاً» .

وفي رواية : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا رأى ما بهم انكبّ عليهم يبكي ، وقال : «أنتم منذ ثلاث[٦] في ما أرى وأنا غافل عنكم» فهبط جبرئيل عليه السلام ، فقال : يا محمّد خذ ما هنّأك الله في أهل بيتك ، فقال : «وما آخذ يا جبرئيل ؟» فأقرأه ﴿هَلْ أَتَى﴾ إلى آخر السورة[٧] .

---

(١) الدَبَر : بفتحتين : الجروح وصلابة اليد من العمل ، والإدماء والتدمية إخراج الدم ، ويحتمل أن يكون على بناء المفعول مؤنّثاً ، منه عفي عنه . وفي «ن» و«س» : «دميت» بدل «دَبِرت» .

(٢) من الجياع ، أي من جملة الجياع ، منه عفي عنه .

(٣) ورجل عبل الذراعين أي ضخمهما ، منه عفي عنه .

(٤) المناقب للخوارزمي : ٢٥١/٢٧٠ ، مع اختلاف في بعض الأبيات .

(٥) في «س» و«ل» و«ن» «فأعطوه» .

(٦) في «م» : «ثلاثة أيّام» .

(٧) المناقب للخوارزمي : ٢٥١/٢٧١ .

وفي روايةٍ: فنزل جبرئيل بهذه الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾(١)(٢).

وفي رواية الثعلبي في كتاب البلغة: أنّهم عليهم السلام نزلت عليهم مائدة من السماء فأكلوا منها سبعة أيّام، قال: وحديث المائدة ونزولها عليهم مذكورة في سائر الكتب(٣).

وقد نقل غيره: أنّ جبرئيل نزل ومعه صحفة من الذهب مرصّعة بالدرّ والياقوت، مملوءة من الثريد، وعراق يفوح منه رائحة المسك والكافور، فجلسوا وأكلوا حتّى شبعوا ولم ينقص منها لقمة واحدة، وخرج الحسين عليه السلام ومعه قطعة عراق فنادته امرأة يهوديّة يا أهل بيت الجوع، من أين لكم هذا؟ أطعمنيها، فمدّ يده الحسين عليه السلام ليطعمها، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام وأخذ من يده ورفع الصحفة إلى السماء، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لولا ما أراد الحسين من إطعام الجارية من تلك القصعة، لبركت تلك الصحفة في أهل بيتي يأكلون منها إلى يوم القيامة لا تنقص لقمة»(٤).

وقد ذكر الزمخشري أيضاً نزول المائدة، لكن لا في هذا الوقت، بل

---

(١) سورة الإنسان ٧٦: ٥ ـ ٢٢.

(٢) الأمالي للصدوق: ٣٩٠/٣٣٣، شواهد التنزيل ٢: ١٠٤٢/٢٩٩.

وانظر: تفسير فرات الكوفي: ٥١٩، كشف الغمّة ١: ٣٠٢ ـ ٣٠٤، شواهد التنزيل ٢: ٢٩٩ ـ ٣٠٨، مجمع البيان ٥: ٤٠٤، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٤٢٤، تفسير الثعلبي ١٠: ٩٨ ـ ١٠١، مناقب الشيرواني: ٧٩ ـ ٨٠، كفاية الطالب: ٣٤٥، أنوار التنزيل للبيضاوي ٢: ٥٢٦.

(٣) المصدر غير متوفّر لدينا، وعنه ابن طاووس في الطرائف: ١٠٩، وابن البطريق في العمدة: ٤١٠، وكذا في خصائص الوحي المبين: ١٧٨.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٤٢٦.

في وقتٍ آخَر[١].

والحقّ أنّها نزلت غير مرّة وعلى أنحاء متفاوتة ، كما يظهر من أخبار أهل البيت عليهم السلام وغيرهم[٢].

وفي كتاب الخرائج : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً قد مضت عليه تلك الأربعة الأيّام والحجر على بطنه ، وقد علم بحالهم ، فخرج ودخل حديقة المقداد ـ ولم يبق على نخلاتها تمرة ـ ومعه عليّ عليه السلام ، فقال : «يا أبا الحسن خذ السلّة وانطلق إلى النخلة ـ وأشار إلى واحدة ـ فقل لها : قال رسول الله : أطعمينا من تمرك بإذن الله تعالى».

قال عليّ عليه السلام : «لقد تطأطأت بحمل ما نظر الناظرون إلى مثلها ، فالتقطت من أطائبها وحملت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأكل وأكلتُ ، فأطعم المقداد وجميع عياله ، وحمل إلى الحسن والحسين وفاطمة ما كفاهم ، فلمّا بلغ المنزل إذا فاطمة يأخذها الصداع ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : أبشري واصبري فلن تنالي ما عند الله إلّا بالصبر ، فنزل جبرئيل بـ : هل أتى»[٣].

وأمّا ثاني النقلين : فهو ما رواه الخوارزمي عن الضحّاك ، عن ابن عبّاس مفصّلاً . وروى غيره أيضاً عن عطاء ، عن ابن عبّاس (ما يمكن مجمل هذا المفصّل ولو بتفاوت يسير وكذا ما روي عن غير ابن عبّاس)[٤]

---

(١) تفسير الكشّاف ١ : ٥٥٤ .

(٢) انظر : شرح الأخبار للمغربي ٢ : ٧٤٦/٤٠١ ، و٣ : ٩٦٢/٢٦ (حديث الدينار) ، تفسير فرات الكوفي : ٥٢٥ ، نوادر المعجزات للطبري : ١٦٤ ، دلائل الإمامة : ٢٧٠/٣٢١ ، كفاية الطالب : ٣٦٧ ، ذخائر العقبى : ٩١ ، سعد السعود : ١٨٠ ، كشف اليقين : ٤٥٢ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١١٠ .

(٣) الخرائج والجرائح ٢ : ١٥/٥٣٩ .

(٤) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

أيضاً، وخلاصة ذلك: أنّ التصدّق الثلاثة كان في يوم واحد، ونحن ننقل كيفيّة ذلك على نقل الخوارزمي من غير التعرّض للتفاوت فيما نقل غيره من كيفيّته؛ إذ لا غرض متعلّقاً به، قال: كان أهل البيت عليهم السلام صائمين حتّى إذا اقترب الإفطار قامت فاطمة عليها السلام إلى شيء من طحين كان عندها فخبزته قرص مَلّةٍ[1] وكان عندها نَحيٌ فيه شيء من سمن قليل، فأدمت القرصة بشيء من سمن لوقت الإفطار، فأقبل مسكين ينادي: المسكين الجائع المحتاج، فهتف على بابهم.

فقال عليٌّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام: «عندك شيء تطعمينه هذا المسكين؟»

قالت فاطمة عليها السلام: «هيّأت قرصاً وكان في النحي شيء من سمن فجعلته فيه لإفطارنا».

فقال لها عليٌّ عليه السلام: «آثري به هذا المسكين الجائع» فقامت فاطمة بالقرص مأدوماً فدفعته إلى المسكين، فجعله المسكين في حضنه، وأقبل يمشي ويأكل منه.

فأقبلت امرأة معها صبيّ تنادي: اليتيم المسكين الذي لا أُمّ له ولا أب ولا أحد، فلمّا رأت المرأة ذلك المسكين يأكل من الخبز[2]، أقبلت إليه باليتيم، فقالت له: يا عبدالله أطعم هذا اليتيم المسكين ممّا أراك تأكل.

قال ذلك المسكين: لا لعمرك، ما كنت لأطعم من رزقٍ ساقه الله إليَّ، ولكن أدلّك على مَنْ أطعمني.

قالت: دلّني عليه.

---

(١) في هامش «س» و«ل»: قوله: قرص مَلّةٍ أي قرص خبز في الملّة وهي الرماد الحارّ، كما يخبز أعراب البادية. منه عفي عنه.

(٢) في «م» زيادة: «والسمن».

قال : أهل ذلك البيت الذي ترين ، وأشار إليه من بعيد .

قالت المرأة : الدالّ على الخير كفاعله ، فأقبلت باليتيم حتّى وقفت على الباب فنادت : يا أهل المنزل المعمور ، هذا اليتيم المسكين الذي لا أب له ولا أمّ أطعموه من فضل ما رزقكم الله .

فقال عليٌّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام : «عندكِ شيء» ؟» .

قالت : «فضل طحين كان عندي فجعلته حريرة وليس عندنا غيره ، وقد اقترب الإفطار» .

فقال لها عليٌّ عليه السلام : «آثري به هذا اليتيم فما عند الله خير وأبقى» ، فقامت فاطمة عليها السلام بالقدر بما فيها فكبتها في حضن المرأة ، فخرجت المرأة تطعم اليتيم ممّا في حضنها .

فلم تجز بعيداً حتّى أقبل أسير ينادي : الأسير الغريب الجائع ، فلمّا نظر إلى المرأة تطعم الصبيّ أقبل إليها ، فقال : يا أمة الله أطعميني ممّا أراك تطعمينه هذا الصبيّ .

فقالت المرأة : لا لعمر الله ، ما كنت لأطعمك من رزقٍ رزق الله هذا اليتيم ، ولكنّي أدلّك على من أطعمني به ، قال : فدلّيني ، فقالت له : أهل ذلك المنزل الذي ترى ، فإنّ فيه رجلاً وامرأة ، أطعما هذا اليتيم وسائلاً قبل اليتيم ، فانطلق الأسير إلى باب عليٍّ وفاطمة عليهما السلام فهتف بأعلى صوته : يا أهل المنزل أطعموا الأسير الغريب المسكين من فضل ما رزقكم الله تعالى .

فقال عليٌّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام : «أعندكِ شيء ؟» .

فقالت : «ما عندي طحين أصبت فضل تمرات (فخلصتهنّ من

النوى)[١] وعصرت النحيّ فقطرته على التمرات ودقّقت ما كان عندي من فضل الإقط فجعلته حيساً[٢] فما فضل عندنا شيء نفطر به غيره».

فقال عليٌّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام: «آثري به هذا الأسير الغريب»، فقامت فاطمة عليها السلام بذلك الحيس فدفعته إلى الأسير، وباتا جياعاً على غير إفطار ولا عشاء ولا سحور، ثمّ أصبحا صائمين حتّى آتاهما الله برزقهما عند الليل، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[٣][٤] الآيات.

هذا خلاصة تفصيل النقل الثاني، وقد أشرنا أنّ بعضهم أجمل في نقل كيفيّة تصدّقهم الذي كان سبب النزول؛ بحيث يتوهّم الجاهل بالحال اختلافاً زائداً في نقل كيفيّة ذلك.

والحقّ أن لا اختلاف في الروايات كلّها، إلّا في كون ذلك في ليلة أو ثلاث ليال، وأنّ الصدقة أيّ شيء كانت، وكذا في بعض النقل إجمالاً لا يُفهم منه دخول الحسنين الذي هو صريح فيما يشتمل على الكيفيّة الأُولى، ويدلّ عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿وَيُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾[٥] والمشهور هي الأُولىٰ، ولعلّ الثانية قضيّة أُخرى (توهّم بعضهم نزول «هل أتى» فيها)[٦].

وأمّا أصل وقوع التصدّق لاسيّما من عليٍّ وفاطمة عليهما السلام صائمين

---

(١) في «م»: «أخرجت فضل نواتهنّ».

(٢) في هامش «س» و«ل»: الحيس: تمر يخلط بسمن واقط فيعجن شديداً ثمّ يندر نواه، وربّما يجعل فيه سويق. منه عفي عنه.

(٣) سورة الإنسان ٧٦: ٨.

(٤) المناقب للخوارزمي: ٢٥٢/٢٧١.

(٥) سورة الإنسان ٧٦: ٧.

(٦) ما بين القوسين ليس في «ن».

بجميع ما كان في البيت ممّا يؤكل على هؤلاء الثلاثة ، بحيث بات من في البيت جياعاً ، ونزول الآية لذلك فممّا لا اختلاف فيه نقلاً ، بل لا خلاف فيه أصلاً ، بحيث لم يعهد منكر له ولا قادح فيه ، حتّى اعترف بصحّته أكثر المعتزلة ، وعامّة الأشاعرة وغيرهم ، مع أنّ همّة جمع منهم مصروفة بإخفاء أمثال هذه المناقب وتحريفها مهما أمكن ، ولعلّ إجمال بعضهم كان لذلك أيضاً ، غير أنّ الفخر الرازي حيث تحرّك هاهنا ما في طبعه من التشكيك ، وما في قلبه من الانحراف عن آل محمّد عليهم السلام ، ولم يقدر على صريح الإنكار تشبّث في تفسيره الكبير بالتشكيك بما هو في بطلانه كالشمس في رابعة النهار ، وشاركه في ذلك ، بل أضاف إلى تشكيكه تشكيكاً بعض من تأخّر عنه من النواصب .

فأمّا الرازي ، فقال : إنّ أحداً من أكابر المعتزلة كالقاضي عبدالجبّار ، والجبائي ، والكعبي ، وأبي بكر الأصمّ ، والأصفهاني ، لم يذكروا نزول هذه الآيات في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإن ذكره غير هؤلاء .

ثمّ قال : ولهم أن يقولوا : إنّه تعالى ذكر في أوّل السورة : أنّه إنّما خلق الخلق للابتلاء والامتحان ، ثمّ إنّه بيّن أنّه هدى الكلّ وأزاح عِلَلَهم ، ثمّ بيّن أنّهم انقسموا إلى شاكر وكافر ، ثمّ ذكر وعيد الكفّار ، ثمّ أتبعه بذكر وعد الشاكرين ، فقال : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ (١) وهي صيغة جمع يتناول جميع الشاكرين والأبرار ، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد ، وإلّا لفسد نظم السورة مع كونه خلاف ظاهر صيغة الجمع .

ثمّ قال : ولا ينكر دخول عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، لكن من حيث

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ : ٥ .

كونه من جملة الأبرار، كما أنّ سائر الأتقياء من الصحابة وغيرهم داخلون أيضاً.

قال: فحينئذٍ لا يبقى للتخصيص معنى، اللّهمّ إلّا أن يقال: إنّ السورة إنّما نزلت عند صدور طاعة مخصوصة عنه، لكن قد ثبت في أُصول الفقه: أنّ العبرة بعموم اللفظ لا خصوص السبب[1]. انتهى.

ولا يخفى سخافته.

أمّا كلامه الأوّل: فلأنّ عدم نقل خمسةٍ أو ستّةٍ، بل عشرةٍ أو أزيد لا يضرّ فيما ذكره قوم كثير وجمّ غفير لا سيّما بالطول والتفصيل؛ ضرورة أنّه لا يلزم أن يكون محض عدم ذكر هؤلاء المعدودين قادحاً فيه واقعاً، بل ولا يلزم أيضاً أن يكون ذلك لأجل قدحهم فيه، وإلّا لوجب عليهم ذكره مع بيان القادح كما هو دأب جميع المؤلّفين والمفسّرين، بل وجوه عدم الذكر كثيرةٌ.

منها: الانحراف الكامن في صدور قومٍ تركوا كثيراً من فضائل أهل البيت عليهم السلام التي تنافي أو تضعّف ما رسخ في قلوبهم، أو لا تناسب ما ذهبوا إليه، فعدم ذكرهم قادح فيهم لا فيه، ألا ترى أنّ ما سوى المسلمين لم يذكروا معاجز النبيّ صلى الله عليه وآله ولا مناقبه، وهكذا حال أهل كلّ ملّة ودأب كلّ فريق، على أنّ هؤلاء كما لم يذكروه لم يذكروا إنكاره أيضاً، وقد وردت أحاديث كثيرة أيضاً لم ينقلها جمع، بل قوم كثير، وهم عارفون لها مقرّون بها، حتّى أنّهم إن لم يكونوا يسمعوا ببعضها ربّما أقرّوا إذا سمعوا.

فمحض عدم ذكر بعضٍ ليس بقادحٍ ولو كان بسبب عروض شبهة

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٣٠: ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

لهم لا سيّما بعد ذكر جماعة من المعتبرين ، ألا ترى إلى البخاري لم يذكر في صحيحه كثيراً ممّا هو صحيح على شرطه ، وذكره مسلم ، وكذا بالعكس ، وكذا ذكر كلاهما ما لم يذكره غيرهما ، وبالعكس ؛ بحيث يوجد في سائر الصحاح كلّها ، بل في سائر الكتب المعتبرة أيضاً ما لم يذكره هذان ، حتّى أنّه كثيراً ما يوجد في بعض كتبهم ما لم يذكره هذان ، بل ولا غيرهما ، وقد عمل به الجمهور من غير توقّفٍ ، مع أنّ كتابهما عندهم بمنزلة القرآن ، بل إنّهم كثيراً ما اعتمدوا على ما نقله آحاد منهم عند اقتضاء مصلحتهم وإن كان القدح فيه ظاهراً ، بل قدح بعضهم فيه واضحاً ، كما مرّ سابقاً من حديث «اختلاف أُمّتي رحمة»(١) وأمثاله .

نعم ، في أمثال هذا الموضوع الذي لا مصلحة لهم في قبولها يتشبّثون بما هو خلاف دأبهم وإن كان محض شبهة أوهن من بيت العنكبوت .

وهل هذا إلّا عين العصبيّة والحميّة الجاهليّة ، ألا ترى أنّ هذا الرجل كيف صرّح بأنّ أحداً من أكابر المعتزلة لم يذكر نزول هذه الآيات في حقّ عليٍّ عليه السلام بمحض دعواه أنّ أربعةً أو خمسةً منهم لم يذكروه ، مع وضوح كونه مذكوراً في كتب من ذكرنا أساميهم من أعيان المعتزلة وغيرهم ممّن هو إن لم يكن أكبر فليس بأدنى ممّن عدّهم ؟

ألم يكن الزمخشري ، والحسن البصري ، وعطاء ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم كهؤلاء ؟

ألم يكن سائر من ذكرناهم من أكابر المفسّرين وأعيان المحدّثين

---

(١) معاني الأخبار : ١/١٥٧ ، علل الشرائع : ٤/٨٥ ، الاحتجاج ٢ : ٢٥٨ ، كنز الفوائد ٢ : ٢١٥ ، الجامع الصغير ١ : ٢٨٨/٤٨ ، التذكرة للزركشي : ٢٣/٦٤ ، المقاصد الحسنة : ٣٩/٤٦ .

مثلهم ؟

ألم يكن ابن عبّاس، وابن مسعود، وأبو رافع الصحابيّون مثلهم فضلاً عمّا روي عن أئمّة أهل البيت [عليهم السلام] الذين نزل القرآن في بيتهم ؟ ولا كلام لأحدٍ في علمهم وصدقهم، نعم، من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وأمّا كلامه الثاني ـ أعني توجيهه : بأنّ الظاهر أنّ الله تعالى أتبع وعيد الكفّار بوعد الأبرار الذين عبّر عنهم أوّلاً بالشاكر في مقابل الكافر، وهو عامّ شامل جميع الشاكرين والأبرار بقرينة جمعيّة الصيغة، فلا يمكن تخصيصه بشخص واحد ـ فلأنّ ذلك عين التمويه.

أمّا أوّلاً : فلأنّا لو أغمضنا عن تبيين الحال وسامحناه فيما قال، وسلّمنا الشمول لكلّ بَرّ فعل تلك الأفعال، لنا أن نقول : أيّ مانع في ذلك عن قبول ما روي في نزول الآيات في هؤلاء الجماعة، وكونها منقبة لهم ؛ حيث كانوا سبباً لنزولها، وأوّل من صدر عنه الفعل الموجب لذلك، ورأس مصداقها، بل كونهم مختصّين بها من حيث ثبوت صدور الموجب منهم دون غيرهم ؛ حيث لم ينقل أحد صدور مثله عن غيرهم لا سابقاً ولا لاحقاً.

نعم، لا يمتنع أن يكون قد صدر أو يصدر من بعدهم عن بعض خُلّص المؤمنين مثل ما صدر منهم فيكون من جملتهم، وأمّا قبلهم فلا، وإلّا لنزلت فيه إنْ كان مقبولاً غير معيب كما هو ظاهر.

ثمّ إنّ من الغرائب أنّ العصبيّة أعمت قلب هذا الرجل ؛ بحيث لم يدرك أنّ جمعيّة الصيغة ممّا لابدّ منها في هذا المقام حيث كان هؤلاء خمسة ولا أقلّ من الزيادة على واحد، فكيف يقول : لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد !؟ مع أنّا بيّنّا في المطلب الأوّل عند بيان آية : ﴿إِنَّمَا

﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾[١] أنّ الله تعالى قد أورد صيغة الجمع كثيراً فيما نزل لفعل شخص واحد، بل لشخص واحد، فافهم.

وأمّا ثانياً: فلأنّ هذا الرجل غفل أو تغافل عن بيان المعنى كما هو حقّه الذي ينادي باختصاص هؤلاء الجماعة بمزيد عظم الشأن وجلالة المكان عند الله عزّ وجل؛ لأنّ الحقّ الذي صرّح الله تعالى به في سورة الواقعة أنّ المكلّفين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ والشمال الذين سمّاهم الله هاهنا بالكفور، أي: الكافرين وأشباههم ممّن هو عند الله ليس بشاكر.

وثانيها: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ واليمين الذين سمّاهم هاهنا بالأبرار الذين هم من جملة الشكور كسائر أخيار الأمم وأتباع الرسل.

وثالثها: ﴿السَّٰبِقُونَ﴾ الذين صرّح تعالى في تلك السورة بأنّهم هم ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٢] كالأنبياء والمرسلين وأمثالهم من أهل الصفوة والطهارة كالأوصياء والأولياء الذين سبقوا إلى كلّ ما دعا الله إليه، كما نصّ عليه جمع من محقّقي المفسّرين وغيرهم[٣]، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾[٤] حتّى أنّه سيأتي ـ في ضمن آيات المطلب الخامس ـ ما يدلّ صريحاً على أنّ هذه الآية أيضاً في عليّ عليه السلام وذرّيّته الطاهرين عليهم السلام.

ولا شكّ أنّ أهل الصفوة الذين ذكرناهم هم رؤساء الشاكرين، وقد

---

(١) سورة المائدة ٥ : ٥٥.

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٨ ـ ١١.

(٣) انظر: مجمع البيان ٥ : ٢١٥.

(٤) سورة الواقعة ٥٦ : ١٣ و١٤.

عبّر عنهم بعباد الله، كما فعل هذا في مواضع عديدة، كقوله عزّ وجلّ للشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا﴾[٢] يعني الخضر عليه السلام، وكقوله سبحانه: ﴿يَٰأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾[٣] ولهذا فسّره هذا الرجل أيضاً بقوله: أي: انضمّي إلى عبادي المقرّبين[٤].

وأمثالها كثيرة في القرآن، واضحة أكثرها، بحيث لاتحتاج إلى البيان.

ويؤيّد ما ذكرناه: أنّ معنى «عباد الله» هاهنا إن لم يكن هذا الذي ذكرناه، فإمّا أنّ المراد جميع العباد، وبطلانه ظاهر، وإمّا الأبرار المذكور أوّلاً، فيلزم عدم تفاوت بينهما في الحالة التي ذكر لهما لغرض اتّحاد المراد بهما، سواء جعل الأبرار بمعنى أصحاب اليمين فقط، أو الأعمّ منهم ومن المقرّبين، مع أنّ الله قد أخبر عن الأوّلين أنّهم يشربون من فضل ماء العين التي للآخرين، كما هو ظاهر سياق عبارة الآية وفهم أكثر المفسّرين؛ حيث فسّروا الآية بما يرجع إلى أنّ الأبرار يشربون من إناء فيه الشراب الممزوج بالماء الذي يجري من العين التي هي محلّ شرب عباد الله، أي: أولياؤه، كما صرّح به ابن عبّاس[٥]، بل قال أيضاً كما نقل الخوارزمي وغيره عنه: إنّ تلك العين إنّما هي في دار النبيّ صلى الله عليه وآله وتتفجّر إلى دور الأنبياء

---

(١) سورة الإسراء ١٧ : ٦٥.

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٦٥.

(٣) سورة الفجر ٨٩ : ٢٧ ـ ٣٠.

(٤) التفسير الكبير للرازي ٣١ : ١٧٩.

(٥) مجمع البيان ٥ : ٤٠٧.

والمؤمنين [١] .

ومن الغرائب العجيبة أنّ هذا الرجل وكذا غيره صرّحوا بمثل هذا المعنى في سورة المطفّفين ، وتغافل هاهنا نصرةً لشبهته ، فإنّه قال هناك عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [٢] ما هذا عبارته :

قال ابن عبّاس : أشرف شراب أهل الجنّة هو تسنيم ؛ لأنّه يشربه المقرّبون صرفاً ، ويمزج لأصحاب اليمين .

ثمّ قال ـ بعد ذكر كلام ابن عبّاس ـ : واعلم أنّ الله تعالى لمّا قسّم المكلّفين في سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام : المقرّبون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، ثمّ إنّه تعالى بيّن كرامة المذكورين في هذه السورة بأنّه يمزج شرابهم من عين يشرب بها المقرّبون ، علمنا أنّ المذكورين في هذا الموضع هم أصحاب اليمين .

ثمّ قال ـ بعد هذا الكلام ـ : وهذا يدلّ على أنّ الأنهار متفاوتة في الفضيلة ، فالتسنيم أفضلها ؛ حيث يشربها بعضهم صرفاً وبعضهم ممزوجاً .

ثمّ ذكر أنّ «عيناً» منصوب على المدح ، أي : أعني عيناً ، يعني أنّ «تسنيم» عين يشرب بها المقرّبون .

ثمّ قال : وقوله : ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ كقوله : ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ

---

(١) المناقب للخوارزمي : ٢٥١/٢٦٨ في ذيل الحديث ، تفسير الثعلبي ١٠ : ١٠١ .
(٢) سورة المطفّفين ٨٣ : ٢٢ ـ ٢٨ .

الله﴾[١] كما مرّ[٢]. انتهى كلامه.

ولا يخفى أن لا فرق بين عبارتي السورتين فرقاً موجباً لما ارتكبه في سورة «هل أتى» من تغيير التفسير، وجعل عباد الله عبارة عن الأبرار المذكور قبله وأمثال ذلك، غير أنّ الظاهر أنّ التعبير وقع عن العين في إحداهما بالتسنيم وفي الأُخرى بالكافور، ولعلّهما اسمان لعين واحدة، أو أحدهما صفة، ولا يبعد كما يظهر من قوله تعالى: **﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾**[٣] أن تكون عيون متعدّدة في منازل المقرّبين؛ لشرفها، وينتفع منها أصحاب اليمين أيضاً.

فعلى هذا لا يبقى شكّ في أنّ الواجب تفسير كلّ واحدة من الآيتين بما يظهر من الأُخرى؛ **﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ﴾**[٤].

وإذا تبيّن هذا، نقول حينئذٍ: أيّ شيء ينافي أن تكون الآيات من قوله تعالى: **﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾** إلى قوله سبحانه: **﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾**[٥] نازلة في هؤلاء الجماعة عند فعلهم المذكور ويكونوا هم المراد بعباد الله هاهنا، حيث لا كلام في كونهم أولياء الله المقرّبين، ومع النبيّ ﷺ وفي بيته، ويكون فاعل **﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾** و**﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾** وما بعدهما واحداً، وكذا قوله تعالى: **﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾**[٦] وما بعده متعلّقاً بقوله: **﴿عِبَادُ اللهِ﴾** الذي قلنا: إنّهم هؤلاء، وشرحاً لأفعالهم التي بها

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ : ٦.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٣١ : ١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) سورة الإنسان ٧٦ : ١٨.

(٤) سورة آل عمران ٣ : ٧.

(٥) سورة الإنسان ٧٦ : ٦ ـ ٢٢.

(٦) سورة الإنسان ٧٦ : ٧.

استوجبوا ذلك الثواب العظيم المذكور فيما بعد ، وبياناً لجلال شأنهم عند الله واختصاصهم بتلك المزيّة الكاملة كما هو صريح الأخبار التي مضت .

ولا يخفى أنّه على هذا تبقى حكاية الكفّار والأبرار أيضاً على النسق والنظم الذي قد زعمه هذا الرجل ، حتّى أنّ وعيد الكفّار كما هو في آية واحدة ، ويصير وعد الأبرار أيضاً مثله في آية واحدة ، بل بهذا ينحلّ أيضاً ما سيأتي من اشتباه بعض الجهّال ، حيث قال : كيف يجتمع كون السورة مكيّة[1] مع نزولها في هؤلاء ؛ إذ يمكن أن يقال : بعد تسليم كونها مكيّة ربّما كان من أوّل السورة إلى قوله : ﴿كَافُوراً﴾ كان نازلاً في مكّة متّصلاً بقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنْزِيلاً﴾[2] إلى آخر السورة .

ثمّ لمّا نزلت الآيات التي في شأن هؤلاء وضعها النبيّ صلى الله عليه وآله في هذا الموضع المعيّن لمصالح هو أعلم بها ، بل ربّما يقال بأنّ منها : الإيماء إلى أنّ الأبرار إنّما هم الذين يكونوا من موالي هؤلاء حتّى يستحقّوا أن يشربوا من تلك العين التي لهؤلاء ، ويستأهلوا[3] تفجير هؤلاء منها لهم وإرسال مائها إليهم ، بل ومنها : احتمال أن يكون جبرئيل لمّا نزل بتلك الآيات قرأها على النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾[4] الآية ، إلصاقاً لما بعدها وإشعاراً بموضع المنزل جديداً وإن كانت الآية نازلة من قبل ، وكأنّه لأجل هذا ورد ـ كما مرّ ـ في بعض الأخبار : أنّ نزول الآيات كان من قوله تعالى :

---

(١) انظر : مجمع البيان ٥ : ٤٠٦ .

(٢) سورة الإنسان ٧٦ : ٢٣ .

(٣) «المستأهل» ليس من فصيح الكلام ، وتقوله العامّة ، والمراد أن يكونوا أهلاً...

(٤) سورة الإنسان ٧٦ : ٥ .

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[(١)]، فتأمّل ولا تغفل عن سائر القرائن الدالّة على ما نحن فيه من كون المراد بعباد الله هؤلاء الجماعة، وإنّ نزول الآيات فيهم نحو مناسبة ذكر وفاء النذر، وإطعام الثلاثة المخصوصة مع كمال حاجة أنفسهم إليه، وصبرهم على ذلك، وذكر إعطاء الملك الكبير وأمثالها.

حتّى أنّ منها عدم ذكر الحور في تعداد ثوابهم أصلاً مع أنّه عزّ وجلّ في أكثر المواضع مهما ذكر شيئاً من الثواب أدخل فيه الحور، وقد ذكر في هذا الموضع أكثر أنواع الثواب غيرها، وذلك لما ورد في حديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام من أنّ ذلك لمراعاة فاطمة عليها السلام واحتشامها وإجلالها[(٢)]؛ حيث كانت منهم.

بل كان الأصل هي وعليّاً عليهما السلام حتّى أنّه ربما يقال بكون ذكر لفظة فضّة سيّما تكرارها ثلاث مرّات إيهاماً لتشريف فضّة جاريتهم، وإيماءً إلى مدخليّتها أيضاً في جميع الليال الثلاث، فافهم.

وأمّا تشكيك من أشرنا إليه من بعض النواصب، فهو أنّه قال: إنّ هذه السورة مكّيّة فكيف نزلت عند وقوع هذه القضيّة التي وقعت بالمدينة[(٣)]؟ هذا كلامه.

وقد ذكرنا آنفاً جوابه القالع لشبهته على فرض تسليم صحّة دعواه، حتّى أنّ أحمد الزاهد روى في كتاب الإيضاح بإسناده عن عطاء، عن ابن عبّاس أنّه قال: كان إذا نزلت فاتحة سورة بمكّة كتبت بمكّة، ثمّ يزيد

---

(١) سورة الإنسان ٧٦: ٥ ـ ٢٢.

(٢) انظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٧٢، وعنه في بحار الأنوار ٤٣: ١٣/١٥٣.

(٣) انظر: مجمع البيان ٥: ٤٠٦، الصراط المستقيم ١: ١٨٣.

الله فيها ما يشاء بالمدينة[١].

هذا ، مع أنّ الظاهر المعلوم من كلام عامّة علماء الصحابة والتابعين والأئمّة من أهل البيت الطيّبين أجمعين : أنّ هذه السورة مدنيّة .

أمّا أوّلاً : فلنقلهم سبب نزولها في هذه القضيّة ، فلو لم يعتقدوا كون كلّها أو بعضها مدنيّة لم يجز لهم أن يعتمدوا على هذا النقل فضلاً عن اتّفاقهم عليه .

وأمّا ثانياً : فلتصريح جمع منهم بكونها مدنيّة ، فمن ذلك ما رواه الزاهد في كتابه الإيضاح بإسناده عن عِكرمة ، والحسن البصريّ : أنّهما عدّا «هل أتى» فيما نزل بالمدينة بعد أربع عشرة سورة[٢].

وبإسناده عن عطاء ، عن ابن عبّاس أنّه قال : أوّل ما نزل بمكّة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ، ثمّ ذكر السور المكّية بتمامها خمسة وثمانين سورة ، قال : ثمّ أُنزلت بالمدينة «البقرة» ، وعدّ السور المدنيّة كلّها ، وعدّ منها «هل أتى» بعد عدّ إحدى عشرة سورة[٣].

وقد روى هذا الأخير السيّد أبو الحمد القائني أيضاً .

وكذا روى الزاهد وغيره بإسنادٍ متّصل عن سعيد بن المسيّب ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : «سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن ثواب القرآن ، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء» وساق الحديث ، إلى أن عدّ سورة «هل أتى» في السور المدنيّة بعد إحدى عشرة

---

(١) المصدر غير متوفّر لدينا ، وعنه الطبرسي في مجمع البيان ٥ : ٤٠٥ .

(٢) انظر : مجمع البيان ٥ : ٤٠٥ .

(٣) مجمع البيان ٥ : ٤٠٥ .

سورة[١] كما كانت في تعداد ابن عبّاس.

وقال أبو حمزة الثمالي في تفسيره ـ على ما نقل عنه أبو عليّ الطبرسي ـ: حدّثني الحسن بن الحسن أبو عبدالله بن الحسن عليه السلام أنّ سورة «هل أتى» مدنيّة نزلت في عليٍّ وفاطمة عليهما السلام السورة كلّها[٢].

وأمّا تصريح سائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام ففي غير موضع واحد.

ثمّ إنّ من العجائب ما ذكره معاند آخر، حيث قال: هل يمكن أن يصبر الإنسان على مثل هذا؟ وهل يجوز أن يبالغ الإنسان في الصدقة إلى هذا الحدّ ويجوع نفسه وأهله حتّى يشرف على الهلاك؟[٣].

ولا يخفى أنّ هذا من تمام العناد، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَو كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٤] أو لم تكف تلك الأخبار المتواترة في نزول هذه السورة الكريمة مع مناداة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[٥] وأمثاله دليلاً على كون ما صدر عنهم فضيلة لا يساويها فضل، فضلاً عن الجواز.

حتّى أنّه يظهر من حديثٍ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّ أمثال هذا الإيثار كان مندوباً مرغّباً فيه في صدر الإسلام[٦]، حتّى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يشدّ الحجر على بطنه ويطعم غيره[٧]، ثمّ نسخت بآيات أُخَر.

(١ و ٢) مجمع البيان ٥ : ٤٠٥.

(٣) نوادر الأُصول للترمذي ١ : ٢٤٦، وعنه في تفسير القرطبي ١٩ : ١٣٤.

(٤) سورة الحشر ٥٩ : ٩.

(٥) سورة الإنسان ٧٦ : ٢٢.

(٦) الكافي ٤ : ١/١٨ باب الإيثار، الخصال ١ : ٢٥/٨، وانظر: بحار الأنوار ٧٤ : ٢٥٠.

(٧) تفسير فرات الكوفي : ٥٢٥، الأربعين للشيرازي : ٥٠٨، بحار الأنوار ٢٢ : ٩/٥٠٧.

على أنّ أمثال هذه الأشياء قد نُقلت عن الأنبياء السابقين أيضاً ، حتّى أنّه نُقل عن إدريس عليه السلام إطعام طعامه ثلاثة أيّام متوالية[١] ، مثل ما فعل أهل البيت عليهم السلام .

وأمّا استبعاده مثل هذا الصبر منهم فممّا تضحك منه الثكلى ، ألم ينقلوا هم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يشدّ الحجر على بطنه أيّاماً[٢] ، مع أنّ في بعض الأخبار : أنّ تلك الصدقات الثلاث كانت في يومٍ[٣] ، لكن العداوة والعصبيّة تورثان التكلّم والتشبّث بأمثال هذه الواهيات السخيفة .

ثمّ إذا عرفت هذا كلّه ، فاعلم أوّلاً : أنّه لا ينبغي أن يريب أريب بعد ما بيّنّاه مفصّلاً في أنّ مثل هذا الإيثار لا يتأتّى إلّا من هؤلاء الأئمّة الأخيار ، وأنّ نزول ما في هذه السورة سيّما مع نزول المائدة عليهم يدلّ على كمال جلالتهم ورفعتهم ومكرمتهم لدى العزيز الجبّار ، حتّى أنّ الواحدي صرّح بهذا في تفسيره ؛ حيث قال بعد بيان صدور ما صدر منهم مع حسن نيّتهم وإرادتهم وجه الله عزّوجل وإنزال الله سبحانه لأجل هذا لهم تلك الآيات : وهذه منقبة لها عند الله محلّ كريم ، وجودهم بالطعام مع شدّة الحاجة إليه أمر عظيم ، ولهذا أنزل الله فيهم قرآناً وأولاهم من لدنه إحساناً ، ونشر لهم بين العالمين ديواناً ، وعوّضهم عمّا بذلوا جناناً ؛ بحيث تتابع لهم وعده سبحانه فيها بفنون الألطاف وضروب الإنعام والإسعاف[٤] . انتهى .

---

(١) لم نعثر عليه .

(٢) انظر : مسند الشهاب ٢ : ١٤٢٣/٣٠٨ ، تفسير القرطبي ١٠ : ٢٥٠ ، و١٨ : ١٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٦٦ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٠٦١/٣٠٩ ، كنز العمّال ٧ : ١٨٦٣٧/٢٠٣ و١٨٦٩٥/٢١٧ ، و . . .

(٣) شواهد التنزيل ٢ : ١٠٥٣/٣٠٥ ، و١٠٥٦/٣٠٧ ، و١٠٦١/٣٠٩ .

(٤) المصدر غير متوفّر لدينا ، وعنه الأربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٢٩ .

والفضل ما شهدت به الأعداء، ألا ترى كيف أجهر الله تعالى بأنّ فعلهم كان خالصاً لله مخلصاً من الرياء، وطلب الجزاء في قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ (١)، مع أنّهم لم يتكلّموا بذلك، بل علم الله ما في قلوبهم، فأثنى به عليهم؛ ليظهر على الناس صحّة ما في ضمائرهم وطهارتهم عن لوث شهوات الدنيا، ومتابعة النفس والهوى كما ظهر أيضاً من آية التطهير، وكيف كشف عن كمال خوفهم وورعهم وتقواهم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾ (٢) الآية، ليعلم الناس أنّ هؤلاء أكرم الأمّة عند الله كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٣).

ثمّ صرّح بنجاتهم قطعاً عن جميع أنواع شرّ يوم الحساب فضلاً عن العذاب، وبوصولهم جزماً إلى استحقاق أعلى مراتب الثواب، وأعاظم أنواع ألطاف الملك الوهّاب، بل حكم حتماً بأنّه أعطاهم جميع ذلك بلا تغيير أصلاً كما هو صريح عبارة الآيات؛ ليظهر على الناس وجوب الاعتماد عليهم والركون إليهم، حتّى أنّه أخبر بأنّه أعطاهم ملكاً كبيراً، ليكون حجّة على من أزال عنهم الملك في الدنيا؛ ضرورة استحقاقهم لهذا بالطريق الأولى.

فعلى هذا إذا لوحظ اختصاصهم بهذه المكرمة مع سائر المكارم التي اختصّوا بها لا يبقى مجال شكٍّ في قبح دفع الإمامة عنهم، بل تقديم غيرهم عليهم لاسيّما الذين ليس لهم مكرمة واحدة يبدونها عند الفخار، حتّى أنّهم لم يقدروا أن يحتجّوا بآيةٍ تختصّ بأحدٍ منهم سوى آية الغار، وهي مشتملة

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ : ٩.

(٢) سورة الإنسان ٧٦ : ١٠.

(٣) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣.

على كمال النقص وتمام العار ، كما هو معلوم لدى أهل الاستبصار ، كما سيظهر في محلّه .

هذا كلّه ، مع ما يستفاد ممّا في آخر السورة من قوله تعالى : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً**﴾[1] فإنّ ذكره بعد تلك الآيات أو إقحامها بينه وبين ما نزل معه بحيث صار من ملحقاتها ـ بناء على سبق نزوله عليها ـ أوضح شاهدٍ ، بل نصّ على لزوم إمامتهم وبطلان إمامة غيرهم ؛ لأنّ المراد بالقرآن هاهنا :

إمّا خصوص تلك الآيات النازلة في شأنهم ، فيكون المعنى حينئذٍ ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ**﴾ ما يدلّ على قابليّتهم للملك والحكم ، بل أعطيناهم ذلك فتمسّك به واصبر عليه ، ولا تقبل من الناس إن أرادوا غير ذلك ، سواء كانوا مسلمين أو كفّاراً منافقين ؛ لأنّ المسلمين أيضاً من حيث كونهم غير معصومين ، بل ولا سالمين عن الإثم والخطأ ليس لهم ذلك ، بل ذلك إلى الله عزّ وجلّ ، وكأنّه لأجل هذا قال : ﴿**ءَاثِماً**﴾ تعبيراً عن المسلمين ، فافهم .

وإمّا أنّ المراد بالقرآن هذا المجموع المنزل ، وقد بيّنّا اشتماله على أمر الولاية لا سيّما لعليّ عليه السلام ، فيرجع حاصل المعنى أيضاً إلى ما ذكرناه بقرينة وضعه في هذا الموضع وإلصاقه بتلك الآيات .

ويؤيّدنا ما رواه جماعة عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام ، وابن عبّاس ، وغيرهما أنّهم قالوا في تفسير الآية : قال سبحانه : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ**

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ : ٢٣ و ٢٤ .

ٱلْقُرْآنَ﴾[١] في ولاية عليٍّ عليه السلام[٢].

على أنّه لو أُبقي هذا الكلام على ظاهر إطلاقه لدلّ أيضاً على بطلان إمامة المعيّن من الخلق، بل على لزوم التعيين على الله؛ إذ من البيّن الواضح أنّ الله عزّ وجلّ إذا أمر نبيّه ونصّ عليه، بأنّ الواجب عليه أن لا يرضى ولا يقبل في شيءٍ ما اقتضته آراء الناس وإن كانوا مسلمين؛ لعدم خلوّهم عن احتمال صدور الإثم والخطأ منهم، من حيث عدم عصمتهم عن ذلك، بل الواجب عليه الرجوع إلى أمر الله والصبر لحكم الله وإن خالفه الناس، فوجب حينئذٍ على الله البيان له، لا سيّما أمر الإمامة الذي من أعظم الأحكام، بل عمدة أركان الإسلام.

ولا يدفع ذلك التوجيه بأنّ صدور التعيين إنّما كان بعد النبيّ صلى الله عليه وآله؛ إذ لا أقلّ من لزوم كون أفعال الصحابة وغيرهم ممّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله راضياً به لو كان موجوداً، والآية تدلّ على أنّه لو كان موجوداً لم يكن يرضى بمثل هذا.

وقد مرّ سابقاً وسيأتي أيضاً لاسيّما في بطلان الإمامة بالاختيار وجوه عديدة تنادي بسخافة هذا التوجيه، ومَنْ أراد التفصيل فليرجع إلى ذلك المبحث.

ثمّ اعلم ثانياً: أنّ نزول هذه الآيات بهذه الكيفيّة الخاصّة في خصوص هؤلاء الجماعة المخصوصين يدلّ على عصمتهم أيضاً، كما أفاده العلّامة الشرواني مولانا ميرزا محمّد[٣] قدّس الله روحه.

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ : ٢٣.

(٢) الكافي ١ : ٩١/٣٥٨ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، والحديث عن أبي الحسن الماضي عليه السلام.

(٣) هو محمّد بن الحسن الشيرواني الشهير بـ(ملّا ميرزا) العلّامة المحقّق المدقّق ﴿

أمّا أوّلاً : فلما أشرنا إليه آنفاً من أنّ إخبار الله تعالى جزماً بكونهم محروسين عن شرّ يوم الحساب حتماً ، بل واصلين بحسب القرب والمنزلة عنده إلى أعلى المراتب وأسناها قطعاً بعد الإخبار بأنّ ذلك لطهارة قلوبهم وصفاء نيّاتهم عن لوث ما سوى الإخلاص ، وكمال ورعهم وتقواهم خوفاً من ربّهم عن صدور ما يصدر عن سائر الأشخاص أدلّ دليلٍ على العصمة ، لاسيّما إذا لوحظ هذا مع آية التطهير .

وأمّا ثانياً : فلأنّ إعلام مَن مِن شأنه صدور العصيان بأنّه غير معاقب أصلاً ، بل من أهل الجنّة قطعاً يكون سبباً غالباً لزوال الخوف عنه ، ومعيناً لعدم مبالاته بفعل المناهي ، وترك المأمور به ولو أحياناً ، فلا يصدر ذلك من الحكيم ، بل إنّما هو الإغراء على المخالفة ، القبيح عقلاً وعرفاً كما هو ظاهر ، بل شرعاً أيضاً كما يظهر من الآيات التي منها قوله تعالى : ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ﴾ (١) .

ألا ترى كيفيّة كلام الله عزّ وجلّ فيما اشتمل على مواعظ الناس أو خصوص جماعة بفعل الخير أو أمرهم به ، فإنّه جعل عادة وعد جزائهم

↵ الرضي الزكي كان ماهراً في الأُصولَيْن والمنطق والفقه والحديث ، له عدّة مؤلّفات ـ كتب ورسائل ـ منها : حاشية على المعالم ، شرح الشرائع كتاب القضاء ، رسالة فيفي العصمة من سورة هل أتى ، وكثير غيرها ، وشرواني نسبة إلى شروان قرية بخارا ، وبعض قال : الشيرواني . انظر : معجم البلدان ٣ : ٣٨٤ ، وفيه أنّها من نواحي دربند .

توفّي سنة ١٠٩٨ ، وقيل : ١٠٩٩ هـ ، ودُفن في المشهد الرضوي .

انظر : جامع الرواة للأردبيلي ٢ : ٩٢ ، روضات الجنّات ٧ : ٦٠٤/٩٣ ، رجال السيّد بحر العلوم (الفوائد الرجاليّة) ٣ : ٢٢٥ .

(١) سورة المائدة ٥ : ٢ .

على الإخبار بـ«عسى» و«لعلّ»، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١] ونحوه، مع أنّه عالم قطعاً بحال كلّ واحد، وإنّما ذكر كذلك لئلّا يغترّ فاعل الخير بالجزم بنجاته، فلا يبالي حينئذٍ بالمناهي ولو على سبيل الندرة.

نعم، مهما لم يحتمل ذلك لم يسلك هذا النحو من السلوك كبعض مخاطبات الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين؛ حيث لم يوجد هناك احتمال غرر أو ضرر.

فعلى هذا، لو لم يعلم الله تعالى من أهل بيت نبيّه ﷺ، الذين أنزل فيهم[٢] هذه الآيات أنّهم بحيث لم يصدر منهم ما يخالف رضاه لما تكلّم في حقّهم بمثل هذا الكلام لكيلا يغترّوا، وكفى هذا بالحكم بعصمتهم لا سيّما مع انضمام الأدلّة الأُخرى، وعدم نقل أحدٍ صدور معصية منهم خصوصاً الكذب وادّعاء الباطل سيّما على الله ورسوله ﷺ.

وعلى هذا ففيه أيضاً فضائح لمن كذّبهم في دعواهم الإمامة لا سيّما من الله ورسوله ﷺ، ومن كذّب فاطمة عليها السلام في فدك ونحو ذلك، فضلاً عمّن حاربهم وعاداهم جهاراً، بل سبّهم ولعنهم على المنابر، فافهم ولا تغفل عن جواب ما ربّما يشتبه على أحد فيقول: بناءً على ما بيّنتم يلزم أن تكون جاريتهم أيضاً مثلهم معصومة وليس كذلك بالاتّفاق؛ لأنّ بعض الروايات دالّة صريحاً على كونها من جملتهم[٣]، كما هو الأقوى والأشهر أيضاً.

فإنّ لنا أن نقول: إنّ من البيّن الواضح أنّ المملوك لا يملك شيئاً

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٣٢، سورة الأنعام ٦: ١٥٥.

(٢) في «س» و«ل» زيادة: «مثل».

(٣) انظر ص ٦٦.

ولا له اختيار البذل والعطاء إلّا بإذن مولاه كما قال عزّ وجلّ : **﴿عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾**[١] وليس في تلك الأخبار أيضاً أنّ البذل كان منها فضلاً عن كونها بادئةً لذلك ، بل غاية ما يستفاد منها : أنّها لمّا رأت أنّهم بذلوا وهم ساداتها رضيت هي أيضاً بالبذل ، ولا يلزم من هذا ذلك الإخلاص الذي نسبه الله إليهم .

ودخولها في هؤلاء استطراداً في الفعل والخطاب والمدح وغيرها لا يوجب عصمتها ، بل يدلّ على أصل التشرّف بذلك الثواب ببركة دخولها في جملتهم ، وكونها من أتباعهم ، ورغبتها إلى متابعتهم واسترضائهم ، كما قال الشاعر :

مَن صاحبَ الأشرافَ صار مشرّفاً ومُصاحبُ الأَرذَالِ غيرُ مشرَّفِ
أُنظر إلى الجِلد السَخيف مقبّلاً بالثَغرِ لمّا صار جلد المُصحفِ[٢]

فعلى هذا لا يلزم أن تكون مثلهم في كلّ شيء ، وأمثال هذا الخطاب الذي يخاطبون جمعاً بما هو في أغلبهم شائع ذائع ، ألا ترى أنّ أحداً لم يقل في فاطمة عليها السلام بالإمامة مع أنّ ظاهر الآيات دالّة ـ كما ذكرنا ـ على إمامتهم أيضاً ، فخروج بعضٍ من أهل الخطاب لجهةٍ من الجهات لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي لاسيّما من كان ظاهراً واضحاً فيه ، فتأمّل تفهم .

وكفى ما ذكرناه هاهنا لفهم كلّ من كان من أُولي الألبابِ ، ولم يرد إلّا قبول الحقّ والصواب ، والله الهادي .

---

(١) سورة النحل ١٦ : ٧٥ .

(٢) لم نتحقّق الشاعر بعينه ، وفي «ن» زيادة : «ألا» في صدر البيت .

المطلب الخامس :

في بيان سائر الآيات التي ظاهرة الدلالة على الإمامة ، ونذكر منها هاهنا خمساً وعشرين آية ، سوى آية ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[١] وما يتعلّق بها ، كقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٢] الآية وغيرها ، فإنّا ذكرنا ذلك في نقل حكاية الغدير بما لا يحتاج إلى الإعادة هاهنا .

الأولى : قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٣] .

روى ابن المغازلي في مناقبه بإسنادٍ له عن أنس ، قال : انقضّ كوكب على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «انظروا إلى هذا الكوكب فمن انقضّ في داره فهو الخليفة من بعدي» فنظروا فإذا قد انقضّ في منزل عليٍّ عليه السلام ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[٤] .

ورواه بهذا المضمون ـ أي : بلفظ الخليفة ـ جماعة ، منهم : أبو الحسن أحمد بن صالح الهمداني بإسنادٍ له ، عن بريدة الأسلمي ، وفيه : فقالت قريش لمّا انقضّ في دار عليٍّ عليه السلام : ضلّ محمّد في ابن عمّه ، فأنزل الله : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ وذكر الآيات[٥] .

---

(١) سورة المائدة ٥ : ٦٧ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٣ .

(٣) سورة النجم ٥٣ : ١ ـ ٥ .

(٤) المناقب لابن المغازلي : ٣١٣/٢٦٦ .

(٥) تفسير فرات الكوفي : ٥٨٩/٤٤٩ بتفاوت يسير .

وقد روى ابن المغازلي أيضاً بإسنادَيْن متّصلَيْن عن ابن عبّاس قال : كنتُ جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبيّ ﷺ إذا انقضّ كوكب ، فقال النبيّ ﷺ : «من انقضّ هذا النجم في منزله فهو الوصيّ من بعدي» قال : فقام فتيةٌ من بني هاشم وغيرهم فنظروا ، فإذا قد انقضّ الكوكب في منزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقالوا : يارسول الله ، قد غويتَ في حبّ ابن عمّك ، فأنزل الله : ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ**﴾[1] .

ورواه بهذا المضمون عنه جماعة منهم أبو حامد[2] الشافعي في كتاب شرف المصطفىٰ[3] ، ومنهم : إسماعيل بن إبراهيم من علماء الجمهور[4] ، ومنهم : قوم من الشيعة ، ومنهم : الضحّاك[5] ، وربيعة السعدي[6] ، وغيرهما .

وفي بعض رواياته أنّ النبيّ ﷺ قال : «سينقضّ كوكب من السماء مع طلوع الفجر ، فمن سقط في داره فهو وصيّي وخليفتي ، والإمام من بعدي» الخبر ، إلى أن قال ابن عبّاس : فجلس كلٌّ منّا عند الفجر ينتظر السقوط في داره ، وكان أطمع القوم في ذلك أبي العبّاس بن عبدالمطلب[7] ـ وفي روايةٍ : ولكن أبى الله أن يكون ذلك غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وذلك

---

(١) المناقب لابن المغازلي : ٣٥٣/٣١٠ .

(٢) كذا في النسخ ، والظاهر أنّ الصحيح أبو سعيد ، أو أبو سعد .

(٣) المصدر غير متوفّر لدينا .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ٥٩١/٤٥١ .

(٥) انظر : الأمالي للصدوق : ٨٩٣/٦٥٩ .

(٦) المصدر السابق : ٨٩٥/٦٦٠ .

(٧) المصدر نفسه : ٨٩٣/٦٥٩ .

فضل الله يؤتيه من يشاء[١] ـ إلى أن قال: فقال المنافقون ـ عبدالله بن أُبيّ وأصحابه ونظراؤهم ـ: لقد ضلّ محمّد صلى الله عليه وآله[٢]، الخبر.

وفي بعض روايات أهل البيت عليهم السلام تفصيل ذكر هذه القصّة وأنّ الكوكب كان الزهرة، وقيل: كان الثريّا[٣]، والمجمل ما ذكرناه.

وفي روايةٍ من كتاب المناقب عن جعفر بن أحمد معنعناً عن عائشة قالت: بينا النبيّ صلى الله عليه وآله جالس إذ قال له بعض أصحابه: من أخير الناس بعدك يا رسول الله؟ فأشار إلى نجمٍ في السماء، فقال: «من سقط هذا النجم[٤] في داره»، فسقط في دار عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال بعض أصحابه: ما أشدّ ما رفع بضبع ابن عمّه، فأنزل الله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[٥].

وفي كتاب الفضائل روى أيضاً نحو ما ذكرناه عن جابر الأنصاري[٦].

وروى فيه أيضاً مرفوعاً عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: أُعطي عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام خمس خصال لو كانت لي واحدة منها، لكان أحبّ إليّ من الدنيا والآخرة، قالوا: وما هي؟ قال: تزويجه بفاطمة، وفتح بابه إلى المسجد حين سدّت أبوابنا، وانقضاض النجم في حجرته، ويوم خيبر، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يده»[٧] الخبر.

---

(١) الأمالي للصدوق: ٨٩٥/٦٦٠.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٥٩١/٤٥١ و٥٩٢، الأمالي للصدوق: ٨٩٣/٦٥٩، إحقاق الحقّ ٣: ٣٤٠.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٥.

(٤) كلمة «النجم» لم ترد في «ن» و«س» و«ل».

(٥) وجدناه في تفسير فرات الكوفي: ٥٨٨/٤٤٩.

(٦) الفضائل لشاذان بن جبرائيل: ١٨٨/٤٣٧.

(٧) الفضائل لشاذان بن جبرائيل: ١٨٧/٤٣٥.

أقول : هذا هو الذي وصل إلينا في أخبار هذه القصّة ، حتّى أنّ بعض المفسّرين أيضاً صرّحوا بكون السورة مدنيّة ، إلّا أنّ أكثرهم نصّوا على كونها مكّيّة ، وأنّها نزلت في حكاية الإسراء ، وأنّ المراد بالنجم النبيّ صلى الله عليه وآله [١] .

ولا بُعْد في ورودها ابتداءً لما ذكروا ، ثمّ تكرّر نزول هذه الآية في هذه القصّة أيضاً ، والله أعلم .

الثانية : قوله تعالى : ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ [٢] .

روى الحافظ أبو نُعيم في حلية الأولياء بإسناده عن عمر بن عليّ بن أبي طالب ، عن أبيه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياعليّ ، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أُدنيك وأُعلّمك لتعي ، وأُنزلت هذه الآية : ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ فأنت الأُذن الواعية» [٣] .

وكذا روىٰ بإسناده عن مكحول عن عليٍّ عليه السلام ، وفيه : لمّا نزل قوله تعالى : ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ قال عليٌّ عليه السلام : «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : دعوت الله أن يجعلها أُذنك ياعليّ ، فقبل لي» [٤] ، وفي روايةٍ : «ففعل» [٥] .

وروى مثله ابن مردويه ، عن مكحول عنه عليه السلام أيضاً ، وفيه : وكان عليٌّ عليه السلام يقول : «ما سمعت من رسول الله شيئاً ـ وفي روايةٍ : كلاماً ـ إلّا

---

(١) مجمع البيان ٥ : ١٧٠ ، الكشف والبيان ٩ : ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٢) سورة الحاقّة ٦٩ : ١٢ .

(٣) حلية الأولياء ١ : ٦٧ ، ونقله عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٨ : ٢٦٧ .

(٤) معرفة الصحابة لأبي نُعيم ١ : ٣٤٤/٣٠٦ ، وفيه بتفاوت يسير ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٣/٧١٥ .

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩٦ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٦/٧١٦ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٠١٤/٢٧٦ .

وعيته وحفظته ولم أنسه»[١].

وروى نحوه أبو نعيم أيضاً عن عبدالله بن الحسن[٢].

وروى الخوارزمي مضمون الخبر الأوّل بإسناده عن الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زرّ بن حبيش، عن عليٍّ عليه السلام، وفيه بعد قوله: «لتعي»: «وحقٌّ على الله أن تسمع وتعي» فنزلت الآية[٣].

وروى أيضاً مضمون خبر مكحول بنحو ما رواه ابن مردويه تماماً بإسنادٍ له عن [أبي] قتادة، وغيره، عن ميمون بن مهران، عن ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٤].

وروى النطنزي في الخصائص أخباراً عن أبي رافع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام لمّا نزلت الآية: «إنّ ربّي أمرني أن أُدنيك ولا أُقصيك، وأن أُعلّمك ولا أجفوك، وحقٌّ عليَّ أن أُطيع ربّي فيك، وحقٌّ عليك أن تعي»[٥].

وفي محاضرات الراغب: قال الضحّاك وابن عبّاس: **﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾**[٦] **﴿أُذُنٌ﴾** عليٌّ عليه السلام[٧].

وفي رواية سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس مثله مع زيادة قوله: ثمّ

---

(١) شواهد التنزيل ٢: ١٠١٦/٢٧٨، المناقب للخوارزمي: ٢٧٨/٢٨٣، الدرّ المنثور ٨: ٢٦٧.

(٢) حلية الأولياء ١: ٦٧، وفيه: عن محمّد بن عمر بن سلم، معرفة الصحابة ١: ٣٤٤/٣٠٦، وفيه: عن أبي الحسن علي بن أحمد، وعنه في كنز العمّال ١٣: ٣٦٥٢٦/١٧٧.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٢٧٦/٢٨٢.

(٤) المناقب للخوارزمي: ٢٨٢ ـ ٢٧٧/٢٨٣، وما بين المعقوفين أثبتناه منه.

(٥) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣: ٩٥، نهج الإيمان: ٥٥١.

(٦) سورة الحاقّة ٦٩: ١٢.

(٧) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣: ٩٥، وانظر محاضرات الأدباء ١: ٣٩.

قال النبيّ ﷺ : «مازلت أسأل الله منذ اُنزلت أن تكون اُذنيك يا عليّ ، فَفَعَل»[١].

ونحوه مذكور في غريب [العزيري][٢]، وتفسير القشيري[٣].

وروى نحو رواية مكحول محمّد بن جرير الطبري بإسنادٍ له عن مكحول[٤].

وروى نحوه أيضاً ابن المغازلي في كتابه[٥].

وكذا رواه أبو عمرو في كتاب الياقوت، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[٦]، بل قد روى صاحب كنز الفوائد هذه القصّة من ثلاثين طريقاً من المخالف والمؤالف عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم[٧].

وأمّا المفسّرون، فقد روى الواحدي في أسباب نزول القرآن عن أبي بريدة[٨]، وفي روايات عن بريدة الأسلمي[٩].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩٥ ، نهج الإيمان : ٥٥٢ .

(٢) بدل ما بين المعقوفين في النُّسَخ : «الهروي» . والمثبت كما في مصادر ترجمته والمناقب لابن شهر آشوب .

وهو محمّد بن عُزير ، السجستاني المفسّر صاحب غريب القرآن ، كان رجلاً فاضلاً خيّراً ، مات سنة ٣٠٣ هـ أو ما دونها . انظر : سير أعلام النبلاء ١٥ : ٢١٦ برقم ٨٠ ، والوافي بالوفيات ٤ : ١٥٧٣/٩٥ .

(٣) نقله عنهما ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ٩٥ ـ ٩٦ .

(٤) تفسير الطبري ٢٩ : ٣٥ .

(٥) المناقب لابن المغازلي : ٣١٢/٢٦٥ .

(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩٥ عن أبي عمرو ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧ : ٢٢٠ .

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٣/٧١٥ ـ ٦ . كنز الفوائد ٢ :١٥٢ ، وفيه مختصراً .

(٨) أسباب نزول القرآن : ٤٦٥ .

(٩) شواهد التنزيل ٢ : ١٠١١/٢٧٤ و١٠١٢ ، و١٠١٩/٢٨٠ ، و١٠٢٠/٢٨٢ و١٠٢٢ .

وروى أبو القاسم بن حبيب في تفسيره عن زرّ بن حبيش عن عليّ عليه السلام مثل ما ذكرناه عن الخوارزمي وأبي نعيم[١].

ورواه الثعلبي في تفسيره أيضاً مثله بإسنادٍ له عن بريدة، وبإسنادٍ آخر له عن عبدالله بن الحسن[٢].

وقال الزمخشري في الكشّاف عند تفسيره هذه الآية: قوله تعالى: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ أي من شأنها أن تَعِيَ وتحفظ ما سمعت به ولا تضيّعه بترك العمل، وكلّ ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غيرك فقد أوعيته كقولك: أوعيت الشيء في الظرف.

ثمّ قال: وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ عليه السلام عند نزول هذه الآية: «سألت الله أن يجعلها أُذنك يا عليّ»، قال عليّ عليه السلام: «فما نسيت شيئاً بعد، وما كان لي أن أنسى».

ثمّ قال الزمخشري: فإن قلت: لِمَ قيل: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ على التوحيد والتنكير؟ قلت: للإيذان بأنّ الوعاة فيهم قلّة، ولتوبيخ الناس بقلّة من يعي منهم، وللدلالة أنّ الأُذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عندالله، وأنّ ما سواها لا يبالي بهم وإن ملئوا ما بين الخافقين[٣]. انتهى كلامه.

ونحو ذلك روى وذكر الرازي في تفسيره أيضاً[٤].

أقول: لا يخفى حينئذٍ وضوح دلالة هذه الآية باتّفاق الفريقين على

---

(١) انظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٥.
(٢) تفسير الثعلبي ١٠: ٢٨.
(٣) تفسير الكشّاف ٦: ١٩٦ ـ ١٩٧.
(٤) التفسير الكبير للرازي ٣٠: ١٠٦ ـ ١٠٧.

اختصاص عليٍّ عليه السلام من بين سائر الصحابة بمزيد العلم والكمال الذي ذكرنا سابقاً لزوم وجوده في المعلّم ، كما اعترف به الزمخشري والرازي في كلامهما المذكور آنفاً .

وفي ذلك من الدلالة على اختصاصه بالإمامة والخلافة ، وعلى عدم جواز تفضيل غيره عليه ما لا يخفى ، قال الله عزّ وجلّ : **﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾**(١) ، وقال سبحانه : **﴿أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَّا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾**(٢) الآية وأمثالها ، فافهم حتّى تعلم أنّها تدلّ على عصمته أيضاً ، ضرورة أنّ حقّ مثل هذا الوعي أن لا يصدر منه خلاف ما فيه رضا الربّ سبحانه ، بل هذا أحد وجوه تخصيصها به ، بحيث خرج منها سائر صلحاء الصحابة وعلمائهم ، فتأمّل ، والله الهادي .

الثالثة : قوله عزّ وجلّ : **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾**(٣) .

روى جمع ، منهم : الخوارزمي في مناقبه ، ومنهم ابن مردويه في كتابه ، ومنهم الحاكم أبو القاسم الحسكاني في شواهد التنزيل ، كلٌّ منهم بإسنادٍ له عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليٍّ عليه السلام ، قال : سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول : «حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري ، فقال : أي عليّ ، ألم تسمع قول الله تعالى : **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾** هم أنت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض ،

---

(١) سورة الزمر ٣٩ : ٩ .

(٢) سورة يونس ١٠ : ٣٥ .

(٣) سورة البيّنة ٩٨ : ٧ .

إذا جَثت الأُمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين»(١).

ورواه السيوطي أيضاً في تفسيره(٢).

وروى أيضاً جمع منهم: الحاكم في الشواهد، وابن مردويه، والحافظ أبو نُعيم، وجمال الدين الزرندي، ومقاتل بن سليمان، وغيرهم، عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين»(٣).

وفي رواية الزرندي، بل غيره أيضاً: «ويأتي عدوّك غضاباً مقمحين»(٤).

وروى نحوه ابن حجر أيضاً في صواعقه، وابن الأثير في نهايته، والسيوطي في تفسيره(٥).

وكذا رواه الإصفهاني، والشعبي، وأبو بكر الشيرازي، وغيرهم(٦).

وروى الطبراني عن عليّ عليه السلام أنّه قال بالبصرة: «إنّ خليلي صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ، ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيّين، ويقدم عليه عدوّك

---

(١) المناقب للخوارزمي: ٢٦٥/٢٤٧، شواهد التنزيل ٢: ٣٥٦/١١٢٥.

(٢) الدرّ المنثور ٨: ٥٨٩.

(٣) بناء المقالة الفاطميّة: ١٤٧، منهاج الكرامة: ١٦٨، كشف اليقين: ٣٦٦، خصائص الوحي المبين: ٢٢٤/١٧٣، المناقب للشرواني: ٧٧، شواهد التنزيل ٢: ٣٥٧/١١٢٦.

(٤) المناقب للشرواني: ٧٧.

(٥) الصواعق المحرقة: ٢٤٦ ـ ٢٤٧، النهاية لابن الأثير ٤: ١٠٦، الدرّ المنثور ٨: ٥٨٩.

(٦) انظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨٣.

غضاباً مقمحين» ، ثمّ جمع عليٌّ يده إلى عنقه يريهم الإقماح(١) .

وروى السيوطي في جامعه من كتاب ابن عساكر ، عن أبي سعيد الخُدري قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «عليٌّ خير البريّة»(٢) .

ورواه في تفسيره منه ، ومن كتاب ابن عديّ أيضاً(٣) .

وروى غيره عن معاذ بن جبل أنّه قال في هذه الآية : إنّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما يختلف فيها أحد(٤) .

وقال السيوطي في تفسيره بعد روايته من ابن عديّ وابن عساكر ما ذكرناه : وأيضاً أخرج ابن عساكر عن جابر قال : كنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله ، فأقبل عليٌّ عليه السلام ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة» فأنزل الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾(٥) الآية ، فكان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أقبل عليٌّ عليه السلام قالوا : قد جاء خير البريّة(٦) .

ورواه عن جابر غيره أيضاً ، وفيه أنّه قال : ثمّ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «أما إنّه أوّلكم إيماناً ، وأقومكم لأمر الله ، وأوفاكم بعهد الله ، وأقضاكم بحكم الله ، وأقسمكم بالسويّة ، وأعدلكم في الرعيّة ، وأعظمكم عند الله مزيّة»(٧) .

وقد روى الزهري أيضاً بإسنادٍ له عن أبي أيّوب الأنصاري ، قال : قال

---

(١) المعجم الأوسط ٤ : ٣٩٣٤/٣٦٤ .

(٢) لم نعثر عليه في جامع الأحاديث ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٧١ .

(٣) الكامل ١ : ٢٧٧ برقم ٦ ، الدرّ المنثور ٨ : ٥٨٩ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ٧٥٣/٥٨٤ ، شواهد التنزيل ٢ : ١١٤٤/٣٦٥ .

(٥) سورة البيّنة ٩٨ : ٧ .

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٧١ ، الدرّ المنثور ٨ : ٥٨٩ .

(٧) تفسير فرات الكوفي : ٧٥٤/٥٨٥ ، بشارة المصطفى : ١٠٤/١٤٩ ، شواهد التنزيل ٢ : ١١٣٩/٣٦١ .

النبيّ صلى الله عليه وآله : «لمّا أُسري بي إلى السماء وانتهيت إلى سدرة المنتهى شممت وهبت منها ريح نبقها ، فقلت لجبرئيل : ما هذا ؟ فقال : هذه سدرة المنتهى اشتاقت إلى ابن عمّك حين نظرت إليك ، فسمعت منادياً ينادي من عند ربّي : محمّد خير الأنبياء ، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب خير الأولياء ، وأهل ولايته خير البريّة جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، رضي الله عن عليٍّ وأهل ولايته ، وهم المخصوصون برحمة الله ، الملبسون نور الله ، والمقرّبون إلى الله ، طوبى لهم ثمّ طوبىٰ لهم ، يغبطهم الخلائق يوم القيامة بمنزلتهم عند ربّهم»(١) .

ثمّ إنّه قد روي مثل هذه المضامين عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أيضاً ، حتّى أنّ محمّد بن العبّاس بن مروان نقل في تفسيره ورود هذه الآية في عليٍّ وشيعته من ستّة وعشرين طريقاً ، أكثر ذلك من طرق المخالفين ورجالهم .

منها : ما رواه معنعناً عن عامر بن واثلة ، قال : خطبنا عليٌّ عليه السلام بالكوفة ، فقال : «أيّها الناس سلوني سلوني فوالله ما تسألوني عن آيةٍ من كتاب الله إلّا حدّثتكم عنها بما نزلت وفي مَنْ نزلت وخاصّة أو عامّة» إلى أن قال : فقام ابن الكوّا وقال : أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ ، وذكر هذه الآية ، فسكت عليٌّ عليه السلام فأعادها ابن الكوّا فسكت فأعادها الثالثة ، فقال عليٌّ عليه السلام ورفع صوته : «ويحك يا ابن الكوّا أُولئك نحن وأتباعنا نأتي يوم القيامة غرّاً محجّلين رواءً مرويّين ، يُعرفون بسيماهم»(٢) .

وروى في كنز الفوائد بإسنادٍ له عن جمعٍ من رُواة العامّة عن

---

(١) تفسير فرات الكوفي : ٧٥٦/٥٨٦ .

(٢) سعد السعود : ٣١/٢١٨ .

أبي رافع أنّ عليّاًعليه السلام قال لأهل الشورى : «أُنشدكم الله هل تعلمون يوم أتيتكم وأنتم جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : هذا أخي قد أتاكم [...] أما إنّه أوّلكم إيماناً» ، وذكر الحديث في الأوصاف التي ذكرناها ، إلى أن قال : «فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾(١) الآية ، فكبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وكبّرتم ، وهنّأتموني بأجمعكم ، فهل تعلمون أنّ ذلك كذلك ؟» قالوا : اللّهمّ نعم(٢) .

وممّا يؤيّد هذه الأخبار الواردة في هذه الآية ما رواه جماعة منهم : الخطيب في تاريخه ، والديلمي في الفردوس ، وابن حنبل في مسنده وفي الفضائل ، ومنهم : الأعمش ، والدارمي ، وابن أبي حازم ، وعليّ بن جبر ، وشريك ، ووكيع ، والبلاذري ، وغيرهم ، بعضهم عن جابر ، وبعضهم عن حذيفة ، وبعض عن عائشة ، وأكثرهم عن جابر : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول : «عليٌّ خير البشر من أبىٰ فقد كفر»(٣) .

وفي بعض رواياتهم هكذا : «من لم يقل إنّ عليّاً خير البشر فقد كفر»(٤) .

---

(١) سورة البيّنة ٩٨ : ٧ .

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٨٣٣ ، ونقله عنه المجلسي في البحار ٣٥ : ٢١/٣٤٦ ، وانظر كنز الفوائد ٢ : ٩٦ .

(٣) تاريخ بغداد ٧ : ٤٢١ ، فردوس الأخبار ٣ : ٤١٧٥/٦٢ ، فضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل ٢ : ٩٤٩/٥٦٤ ، وانظر أنساب الأشراف ٢ : ٩١ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٧٢ ، مائة منقبة لابن شاذان : ١٣٨ ، المسترشد : ٨٣/٢٧١ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٨٢ ، الطرائف : ٨٨ ، نهج الإيمان : ٥٥٥ ، الصراط المستقيم ٢ : ٦٨ ـ ٦٩ .

(٤) تاريخ بغداد ٣ : ١٩٢ في ترجمة محمّد بن كثير القرشي ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

وفي بعضها: «خير رجالكم عليٌّ، وخير شبابكم الحسن والحسين، وخير نسائكم فاطمة»[١].

وفي بعضها: إنّ جابر كان يدور في سكك المدينة يقول هذا القول[٢].

وفي مسند أحمد قال جابر: عليٌّ خير البشر، ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بِبُغضهم إيّاه[٣].

وفي حديث الخوارج على ما رواه الطبري، وغيره، حتّى في بعض نسخ البخاري أيضاً قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «هم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة»[٤].

والأخبار من هذا القبيل كثيرة، وقد مرّ بعضها في الفصول السابقة، ويأتي بعضٌ، فلا تغفل.

أقول: من الواضحات أنّ تخصيص الآية بعليٍّ عليه السلام وشيعته على سبيل هذا النوع من القصر ومع بيان كمال جلالة القدر يدلّ على أُمور:

منها: أنّ المؤمن الصالح ليس إلّا هو وشيعته، بل لا يقبل عمل صالح إلّا منه ومن شيعته، وأنّ أصل السبب في ذلك التشيّع الذي هو حبّه

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨٥ ـ ٨٦، نهج الإيمان: ٥٥٩، تاريخ بغداد ٤: ٣٩١ في ترجمة أحمد بن محمّد النيسابوري.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨٢، نهج الإيمان: ٥٥٥.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١٠٨٦/٦٣٩، نهج الإيمان: ٥٥٩ نقلاً عن مسند أحمد.

(٤) المسترشد: ٩٢/٢٨١، شرح الأخبار ١: ٧٤/١٤١، و٢: ٤٢١/٥٩، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨٦، نهج الإيمان: ٥٥٩، الصراط المستقيم ٢: ٧٠، المناقب لابن المغازلي: ٧٩/٥٥.

وموافقته ، بل التأسّي به ؛ ولهذا نبّه أخيراً بكون أعدائه مغضوباً عليهم وإن صدرت منهم سائر الأعمال الصالحة .

ومنها : كون عليٍّ عليه السلام أفضل كلّ مؤمن بالله ورسوله ، صالح في جميع أعماله ، كائناً من كان لا سيّما من الصحابة ؛ إذ لو كان أحد منهم خيراً منه أو في مرتبته لم يكن لتخصيصه بهذه المزيّة ـ بحيث جعل هو وحده أصلاً ورأساً وغيره مطلقاً شيعةً له وفرعاً ـ معنىً صالحاً ، بل لا معنى له حينئذٍ أصلاً ، حتّى أنّ الحقّ ـ كما هو واضح على كلّ متأمّلٍ صادقٍ ـ أنّ تفسير هذه الآية بهذا التعبير المرويّ إنّما هو من نصوص النبيّ صلى الله عليه وآله على إمامته ، وبيان لزوم تقديمه على غيره ، والتجنّب عن ترك موافقته ومتابعته ؛ ضرورة أنّ المخالف له ليس يُعدّ من شيعته ، وكذا لو جاز كون غيره إماماً له لازم التقديم عليه لم يجز مثل هذا النوع من التعبير ، بل كان الأولى ، بل الصواب عكسه ؛ لوجوب إزاحة شبهة التخصيص المتبادر من هذا التعبير .

فافهم حتّى تعلم أيضاً أنّ ورود تفسير هذه الآية مع إطلاقها بهذا النحو من تخصيصها بعليٍّ عليه السلام ممّا يستلزم ، بل يصرّح بأنّه هو أصل المراد أيضاً في سائر الآيات المشتملة على التوصيف بالإيمان والعمل الصالح معاً ، التي منها ما مرّ في المقالة الحادية عشرة أيضاً من قوله تعالى : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ**﴾ (١) فتكون هي من نصوص خلافته ، دون ما توهّمه المخالفون من كونها دليلاً على خلافة من تقدّم عليه ـ كما سيأتي في الخاتمة ـ ؛ ضرورة أنّهم لم يكونوا لا نفس عليٍّ عليه السلام ولا من شيعته ، وإلّا لم يتقدّموا

---

(١) سورة النور ٢٤ : ٥٥ .

عليه لا سيّما على النهج الذي ظهر ممّا مرّ سابقاً ويظهر ممّا يأتي لاحقاً.

وقد مرّ أيضاً تحقيق معنى الشيعة والمراد بها في الفصل الرابع من هذه المقالة.

ويأتي ما يدلّ على عداوة من تقدّم على عليٍّ وأتباعهم له عليه السلام.

وكفى ما رواه ابن المغازلي، وغيره، عن أنس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يدخل الجنّة من اُمّتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم» ثمّ التفت إلى عليٍّ عليه السلام، فقال: «هم من شيعتك وأنت إمامهم»[1].

هذا، مع وضوح وجود المباينة بينه وبين الذين تقدّموا عليه وأتباعهم فليكونوا على الباطل؛ ضرورة أنّ الحقّ لا يكون في جهتين مختلفتين.

وكفى في هذا وضوح وجود المنافرة بينه وبين عثمان، بحيث لمّا ادّعى معاوية وأصحابه مدخليّته في دم عثمان قَبِلَه أكثر الناس حتّى إلى اليوم، فكيف يمكن أن يقال: يكون هؤلاء من شيعته. فافهم.

ومع هذا فقد وردت أخبار صريحة عموماً وخصوصاً في كونه عليه السلام هو المراد في تلك الآية وأمثالها، وأنّها جميعاً نزلت فيه.

ولا بأس إن ذكرنا بعضاً منها هاهنا تأييداً لهذه الآية ولاعتضاد بعضها ببعضٍ.

فممّا ورد مجملاً وعامّاً ما رواه جماعة كثيرة، منهم: مجاهد، وعِكرمة، وأبو صالح، وغيرهم، على ما رواه ابن مردويه وغيره، بأسانيد عنهم، عن ابن عبّاس أنّه قال: والله الذي لا إله إلّا هو ما نزلت آية:

---

(١) المناقب لابن المغازلي: ٣٣٥/٢٩٣، الإرشاد للمفيد ١: ٤٢، إعلام الورى ١: ٣١٩، بشارة المصطفى: ٦٠/٢٥٧، و٢٥/٣١٤.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[١] إلّا كان عليّ بن أبي طالب سيّدها وشريفها.

وفي روايةٍ: إلّا كان هو أميرها وشريفها[٢].

وفي أُخرى: إلّا كان هو رأسها وقائدها[٣].

وفي أُخرى: إلّا كان هو لبّها ولبابها[٤].

وفي أُخرى: إلّا وله سابقة ذلك وفضيلته؛ لأنّه سبقهم إلى الإسلام[٥].

وليس القسم في بعض الروايات.

ثمّ قال: وما بقي أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا وقد عوتب في القرآن غيره عليه السلام[٦].

وفي روايات عنه أنّه قال: ولقد عاتب الله جميع أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وما ذكر عليّاً إلّا بخير[٧].

وفي روايةٍ أنّه قال له رجل: وأين عاتبهم؟ قال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) وردت في كثير من الآيات القرآنيّة.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٦٤ ـ ٦٥، الطرائف: ١٢٥/٨٨، خصائص الوحي المبين: ١٥٢/٢٠٦، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١١١٤/٦٥٤، المعجم الكبير للطبراني ١١: ١١٦٨٧/٢٦٤، معرفة الصحابة لأبي نُعيم ١: ٣٣٢/٢٩٨، شواهد التنزيل ١: ٧٠/٤٩، المناقب للخوارزمي ٢٧٢/٢٨٠.

(٣) انظر: كشف اليقين: ٣٥٥، وكشف الغمّة ١: ٣١٤.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٦٥، نهج الإيمان: ٤٦٣، كشف الغمّة ١: ٣١٧، شواهد التنزيل ١: ٦٧/٤٨.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ٥/٤٩، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٦٥، نهج الإيمان: ٤٦٣، كشف الغمّة ١: ٣١٧.

(٦) تفسير فرات الكوفي: ٤٩ ـ ٧/٥٠، شواهد التنزيل ١: ٧٥/٥٠.

(٧) تفسير فرات الكوفي: ٩/٥٠، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١١١٤/٦٥٤، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٦٣، خصائص الوحي المبين: ١٥٢/٢٠٦.

﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾(١) فإنّه لم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم غير عليٍّ وجبرئيل عليهما السلام(٢).

ومنهم: الأصبغ بن نباتة قال: سمعت عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: ما أنزل الله في القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلّا كان عليٌّ رأسها(٣).

وقد روي مثل ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام(٤) أيضاً.

وممّا ورد في خصوص آيات دالّة على ما نحن فيه: ما رواه الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾(٥) قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب خاصّة؛ لأنّه أوّل مؤمن وأوّل مصلٍّ مع النبيّ صلى الله عليه وآله(٦).

وما رواه العزّ الحنبليّ وابن مردويه عن مجاهد وغيره: أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى﴾(٧) الآية نزلت في عليٍّ وأصحابه(٨).

وفي روايةٍ: أنّها نزلت في عليٍّ وحمزة وعبيدة بن الحارث، حين بارزوا عتبةَ وشيبةَ والوليدَ(٩).

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٥٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٩/٥٠.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٨/٥٠.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ٦/٤٩، شواهد التنزيل ١: ٨٣/٥٤.

(٥) سورة البقرة ٢: ٨٢.

(٦) تفسير فرات الكوفي: ٢٢/٦٠، شواهد التنزيل ١: ١٢٧/٩٠.

(٧) سورة الحجّ ٢٢: ١٤.

(٨و٩) كشف الغمّة ١: ٣٢٥، كشف اليقين: ٤٠٦.

وما رواه ابن مردويه ، عن ابن عبّاس قال : إنّ قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَٰتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْراً عَظِيماً﴾[١] نزل في عليٍّ وشيعته[٢].

بل قد روى هو وغيره ما يدلّ على أنّ الآية بطولها ـ أي : من قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ﴾[٣] إلى الآخر ـ نازلة فيه وفي أتباعه ، وهو سيّدهم وأميرهم ، فإنّه روى في قوله : ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾[٤] عن الكاظم عليه السلام : «أنّها نزلت في عليٍّ عليه السلام»[٥].

وفي قوله تعالى : ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[٦] عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «هو عليٌّ عليه السلام»[٧].

وفي قوله تعالى : ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾[٨] عن الحسن البصري أنّه قال : فيه استوى الإسلام بسيف عليٍّ عليه السلام[٩].

وسيأتي أيضاً في المطلب الآتي في تفسير قوله تعالى : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١٠] ما يدلّ على تفسير قوله تعالى هاهنا : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[١١] بعليٍّ عليه السلام أيضاً ، وكذا سائر الصفات .

ومن مؤيّدات هذا صريحاً مارواه الحاكم أبوالقاسم الحسكاني في

(١و٣و٤و٦و٨و١١) سورة الفتح ٤٨ : ٢٩ .

(٢) لم نعثر عليه في مظانّه .

(٥) كشف الغمّة ١ : ٣٢٢ ، كشف اليقين : ٣٩١ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥٩٩ ـ ٦٠٠ .

(٧) كشف الغمّة ١ : ٣٢٥ ، كشف اليقين : ٤٠٨ .

(٩) كشف الغمّة ١ : ٣١٦ ، كشف اليقين : ٣٦٧ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٦٠٠ .

(١٠) سورة المائدة ٥ : ٥٤ .

كتاب شواهد التنزيل أيضاً عن ابن عبّاس هكذا: قال: سُئل النبيّ ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (١) في من نزلت؟ فقال: «إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض ونادى منادٍ ليقم سيّد المؤمنين ـ إلى أن قال ـ: فيقوم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيعطى اللواء بيده، وتحته جميع السابقين الأوّلين من المؤمنين المهاجرين والأنصار يجلس على منبر من نور ربّ العزّة، ويعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيعطى أجره ونوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم: إنّ ربّكم يقول: إنّ لكم عندي مغفرةً وأجراً عظيماً ـ يعني الجنّة ـ فيقوم عليٌّ والقوم تحت لوائه حتّى يُدخلهم الجنّة، ثمّ يرجع إلى منبره فلا يزال إلى أن يعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذهم إلى الجنّة، ويترك أقواماً على النار»، وذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ يعني السابقين وأهل الولاية له، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِأَيَٰتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ (٢) يعني: كذّبوا بالولاية بحقّ عليٍّ عليه السلام، وحقّه واجب على العالمين (٣). الخبر.

وما رواه الحافظ أبو نُعيم وابن مردويه وغيرهما عن الأعمش والضحّاك وغيرهما، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ أنّه قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يعني أبا جهل،

---

(١) سورة الفتح ٤٨ : ٢٩.

(٢) سورة الحديد ٥٧ : ١٩.

(٣) شواهد التنزيل ٢ : ٨٨٧/١٨١.

و ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[١] هو عليٌّ وسلمان[٢].

وروى أبو نُعيم أيضاً عن عليّ بن عبدالله بن العبّاس أنّه كان يقول: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾[٣] في عليٍّ[٤].

وفي رواية ابن مردويه عن ابن عبّاس أنّ قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ في عليٍّ عليه السلام[٥].

وفي رواية أهل البيت: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي بولاية عليٍّ عليه السلام ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ﴾[٦] أي ذريّاتهم ومن خلّفوا بعليٍّ وولايته وتواصوا بها وصبروا عليها[٧].

واحتمال كون مراد ابن عبّاس هذا أيضاً ظاهر.

واعتراض بعض النواصب: بأنّ كون المراد بالإنسان أبا جهل يجعل الاستثناء منقطعاً، ولم يقل به أحد، فلا محالة يجب أن يكون المراد جميع أفراد الإنسان، وعلى هذا لا يصحّ تخصيص المؤمنين بعليٍّ وسلمان، فإنّ غيرهم من المؤمنين ليسوا في خسر[٨]، باطلٌ؛ إذ حَملَ الاستثناء على المنقطع كثيرٌ من المفسّرين كالنيسابوري وغيره، حتّى أنّه عن مقاتل: أنّ

---

(١) سورة العصر ١٠٣ : ١ ـ ٣.
(٢) كشف الغمّة ١ : ٣٢٠، كشف اليقين : ٣٨٠، الدرّ المنثور ٨ : ٦٢٢.
(٣) سورة العصر ١٠٣ : ٣.
(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٧٦، بحار الأنوار ٣٦ : ١٥١/١٦٦.
(٥) كشف الغمّة ١ : ٣٢٠.
(٦) سورة العصر ١٠٣ : ٣.
(٧) تفسير القمّي ٢ : ٤٤١.
(٨) انظر : إحقاق الحقّ ٣ : ٣٨٣.

أبا لهب أو أبا جهل كان يقول : إنّ محمّداً لفي خسر[١] ، فأقسم الله تعالى أنّ الأمر بالضدّ ممّا توهّمه هذا الجاهل ، وأيضاً نفي كون غيرهما من المؤمنين في خسر إنّما يصحّ إذا أُريد بالخسر الكفر لا إذا أُريد منه مطلق الذنب والتقصير ، فافهم .

ثمّ من الآيات الدالّة على ما نحن فيه مارواه الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازي في تفسيره المستخرج من التفاسير الاثني عشر عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] بإسناده عن علقمة ، عن ابن مسعود ، قال : وقعت الخلافة من الله عزّ وجلّ في القرآن لثلاثة نفر .

وفي روايةٍ أُخرى عنه : لأربعة نفر ، ذكرها أبو عبيدة وعليّ بن حرب في تفسيريهما عنه[٣] .

ثمّ في الكلّ أنّه قال : لآدم عليه السلام ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني خالق في الأرض ، ولداوُد عليه السلام ؛ لقوله تعالى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[٤] يعني بيت المقدس ، والخليفة الثالث : أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وفي الرواية الأُخرى قبل ذكر داوُد قال : ولهارون ؛ لقوله تعالى حكايةً عن موسى : يا ﴿هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[٥] ، ثمّ قال بعد ذكر

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٤ : ٨٢٩ ، تفسير غرائب القرآن ٦ : ٥٥٩ ، التفسير الكبير ٣٢ : ٨٦ ـ ٨٧ ، تفسير القرطبي ٢٠ : ١٨٠ ، الدرّ المنثور ٨ : ٦٢٢ ، وانظر : إحقاق الحقّ ٣ : ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٣٠ .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٧٧ ـ ٧٨ ، نهج الإيمان : ٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

(٤) سورة ص ٣٨ : ٢٦ .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ١٤٢ .

داوُد عليه السلام : الرابع : عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

ثمّ اشتركتا في أنّه قال بعد ذكر عليّ عليه السلام : وذلك لقوله تعالى في السورة التي يذكر فيها النور : ﴿وَعَدَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾(١) يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ آدم وداوُد ـ الخبر ـ إلى قوله : ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بولاية عليّ بن أبي طالب ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٢) يعني العاصين لله ولرسوله(٣) .

وسيأتي تفسير هذه الآية صريحاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ المراد عليٌّ عليه السلام وأحد عشر من ذرّيّته بأساميهم ، في الفصل الحادي عشر .

وقد أشرنا إلى رواية ابن مسعود في الفصل السابق أيضاً عند ذكر ورود لفظة الخلافة لعليٍّ عليه السلام ، ومعلومٌ أنّ ابن مسعود لا يقول هذا إلّا سماعاً من النبيّ صلى الله عليه وآله ، كما سيظهر من روايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

وسيأتي ما يدلّ على تفسير آيات أُخر أيضاً بما ذكر ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥) وأمثالهما من الآيات الآتية المشتملة على تفسير الإيمان والمؤمن والصادق والصدّيق والدين ونحو ذلك به عليه السلام ، فتأمّل ولا تغفل .

الرابعة : قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ

(١ و ٢) سورة النور ٢٤ : ٥٥ .

(٣) الطرائف ١ : ١٣٤/١٣٩ ، نهج الحقّ : ٢١١ ـ ٢١٢ ، نهج الإيمان : ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٨٩ ، وانظر : الهامش (٣) من ص ١١٦ .

(٤) سورة مريم ١٩ : ٩٦ .

(٥) سورة التحريم ٦٦ : ٤ .

سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[١].

روى جمع منهم: الضحّاك وشعبة عن الحكم، عن عِكرمة، ومنهم: الأعمش عن سعيد بن جبير، ومنهم: العزيري السِجِسْتاني في غريب القرآن عن أبي عمر، كلّهم عن ابن عبّاس، ومنهم: العزّ الحنبلي بإسنادٍ له عنه، ومنهم: محمّد بن العبّاس بن مروان بإسنادٍ له عن عليّ بن عبدالله بن العبّاس عن أبيه قالوا: إنّه سُئل عن هذه الآية فقال: نزلت في عليّ بن أبي طالب؛ لأنّه ما من مسلم إلّا ولعليٍّ في قلبه محبّة[٢].

وفي رواية الحنبلي أنّه قال: إنّها نزلت في عليٍّ، جعل الله له وُدّاً في قلوب المؤمنين[٣].

وفي رواية الضحّاك أنّه فسّر الوُدّ أيضاً بالمحبّة، فقال: أي محبّةً في قلوب المؤمنين[٤].

وروى مثلَه الحافظُ أبو نُعيم، والمفضّل الشيباني، وابن بطّة، عن محمّد بن الحنفيّة، وعن الباقر عليه السلام، وفيه: لا يلقى مؤمن إلّا وفي قلبه وُدٌّ لعليٍّ بن أبي طالب ولأهل بيته عليهم السلام[٥].

وروى الثعلبي في تفسيره، وابن مردويه في مناقبه بعدّة طُرق عن البراء بن عازب، والحافظ أبو نعيم بإسنادٍ له عن البراء، وبإسنادٍ له عن ابن عبّاس، وروى النطنزي في الخصائص عن البراء، وابن عبّاس،

---

(١) سورة مريم ١٩ : ٩٦.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١٢، كشف الغمّة ١ : ٣١٢، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٣٠٨ و١٧/٣٠٩ و١٨، وانظر: شواهد التنزيل ١ : ٤٩٩/٣٦٣، و٥٠٢/٣٦٥.

(٣) كشف الغمّة ١ : ٣١٢.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ١١٢.

(٥) عنهم في المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ١١٢.

والباقر عليه السلام ، وكذا روى أبو حمزة الثمالي في تفسيره عن الباقر عليه السلام ، وروى الشعبيّ (١) وزيد بن عليّ والأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وكذا روى ابن مردويه بإسنادٍ له عن جابر بن عبدالله ، كلّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال لعليٍّ عليه السلام : «قل : اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي في قلوب المؤمنين وُدّاً» ـ وفي روايةٍ : بعد قوله : «عهداً» : «واجعل لي عندك وُدّاً واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة» (٢) ـ فقالها عليٌّ عليه السلام وأمّن النبيّ صلى الله عليه وآله ، فنزلت هذه الآية (٣) .

وقد روى أيضاً نزولها فيه النيسابوري في تفسيره ، وابن حجر في صواعقه ، والخوارزمي في مناقبه (٤) .

وفي بعض هذه الروايات تفسير ما بعد هذه الآية هكذا أيضاً : ﴿يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «هم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وشيعته» ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾ (٥) قال : «هم بنو أُميّة» ، أي قوماً ظلمة (٦) .

أقول : ستأتي أيضاً آية مودّة ذي القربى ، المنادية بصحّة ما ذُكر هاهنا مع آيات أُخَر ، بل قد مرّت في الفصول السابقة أخبار متظافرة ، بل

---

(١) كذا في النسخ ، وفي المناقب : الثعلبي .

(٢) كما في تفسير الثعلبي ٦ : ٢٣٣ .

(٣) تفسير الثعلبي ٦ : ٢٣٣ ، كشف الغمّة ١ : ٣١٤ ، عن ابن مردويه ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١٣ ، مجمع البيان ٣ : ٥٣٢ ، كشف اليقين : ٣٥٦ ، الدرّ المنثور ٥ : ٥٤٤ بتفاوت فيها .

(٤) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٤ : ٥١١ ، الصواعق المحرقة : ٢٦١ ، المناقب للخوارزمي : ٢٧٨/ ٢٦٨ .

(٥) سورة مريم ١٩ : ٩٧ .

(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١٣ .

متواترة، وتأتي أيضاً روايات غيرها صريحة في وجوب محبّة آل محمّد وأهل بيته [عليهم السلام] لا سيّما خصوص عليّ وفاطمة والحسنين صلوات الله عليهم، ودلالة أكثر ما ذُكر على ما يُفهم من هذه الآية من كون حبّه ومودّته من لوازم الإيمان وأركان الدين ودعائمه واضحة، كما سيأتي في الآية الرابعة عشر.

وإذا لوحظ هذا كلّه بنظر الاعتبار علم أنّ المراد مودّة خاصّة به ليس كمودّة سائر الصالحين، وهذا لاسيّما بعد ملاحظة العموم المعلوم من إيراد «الصالحات» جمعاً محلّى باللام، وما هو واضح أيضاً من وجوب بغض كلّ من صدر منه فسق لصدق كونه فاسقاً أدلّ دليل على عصمته وإمامته، ولا أقلّ من التأييد، بل تقوية الآيات السابقة أيضاً لاسيّما الأخيرة، فافهم، والله الهادي.

الخامسة: قول الله جلّ جلاله: ﴿وَإِنْ تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَـٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

فإنّ جميع الشيعة وعامّة المفسّرين وأكثر حُفّاظ الحديث من المخالف والمؤالف على أنّ المراد بـ ﴿صَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ولنذكر نبذاً ممّا روي في هذا:

روى أبو يوسف يعقوب بن سفيان في تفسيره، والكلبي، ومجاهد، والمغربي، وأبو صالح، عن ابن عبّاس أنّه قال: رأت حفصة النبيّ صلى الله عليه وآله في حجرة عائشة مع مارية القبطيّة، فقال لها: «أتكتمين عليَّ حديثي؟»، قالت: نعم، فقال: «إنّها عليَّ حرام» ليطيب قلبها، فأخبرت عائشة وبشّرتها من

---

(١) سورة التحريم ٦٦: ٤.

تحريم مارية ، فكلّمت عائشة النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك ، فنزل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثاً﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَـٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] ثمّ قال : ﴿صَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والله عليّ بن أبي طالب[(٢)].

وفي صحيح البخاري ، وكتاب أبي يعلى الموصلي : أنّ ابن عبّاس قال : سألتُ عمر بن الخطّاب عن المتظاهرتين من نسائه ، قال : حفصة وعائشة[(٣)].

ويأتي هذا الحديث أيضاً في محلّه من المقصد الثاني .

وروى السريّ عن أبي مالك عن ابن عبّاس ، وروى الحافظ أبو نعيم بإسناده عنه وعن أسماء بنت عميس ، وروى الثعلبي أيضاً عنها وعن موسى بن جعفر وعن عليّ عليهما السلام ، وكذا روى السيوطي في تفسيره عنها وعن عليّ عليه السلام ، وكذا روى الخوارزمي عن عليّ عليه السلام أيضاً ، وكذا روى ابن المغازلي وابن مردويه أيضاً عنها وعن ابن عبّاس ، وروى ابن عساكر عن ابن عبّاس ، وروى ابن عبد البرّ في الاستيعاب عن أبي عليّ الجيزي كلّهم قالوا : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «﴿صَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عليّ بن أبي طالب»[(٤)].

---

(١) سورة التحريم ٦٦ : ٣ و ٤ .

(٢) المصدر غير متوفّر لدينا ، وعنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ٩٤ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٥٤٩ .

(٣) صحيح البخاري ٦ : ١٩٥ ، مسند أبي يعلى الموصلي ١ : ١٧٦/١٩٧ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩٤ نقله عن السريّ وأبي نعيم والثعلبي ، نهج الإيمان : ٥٤٩ ، خصائص الوحي المبين : ٢٤٨/٢٠١ ، كشف الغمّة ١ : ٣١٦ ، كشف اليقين : ٣٦٧ ، المناقب للشرواني : ٩٩ نقلاً عن الاستيعاب ، تفسير الثعلبي ←

وفي رواية أبي نعيم هكذا: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ علياً باب الهدىٰ بعدي والداعي إلى ربّي وهو صالح المؤمنين **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً﴾**[١] الآية»[٢].

وقد نقل جماعة منهم: العزّ الحنبليّ، وصاحب شواهد التنزيل: أنّ مجاهداً كان يقول وينادي: إنّ صالح المؤمنين عليّ عليه السلام[٣].

وفي كتاب الشواهد بإسنادٍ له عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «لقد عرّف رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أصحابه مرّتين: أمّا مرّة فحيث قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وأمّا الثانية: فحيث نزلت هذه الآية أخذ بيد عليّ عليه السلام وقال: أيّها الناس هذا صالح المؤمنين»[٤].

وقد روى مثله محمّد بن العبّاس بن مروان بإسنادٍ له عن ابن عبّاس، وعن الصادق عليه السلام[٥] أيضاً.

وروى أيضاً بإسنادٍ له عن محمّد بن عبدالله بن أبي رافع، عن أبيه، قال: لمّا كان اليوم الذي توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله فيه غشي عليه، ثمّ أفاق، وأنا أبكي وأُقبّل يديه وأقول: من لي ولولدي بعدك يارسول الله؟ فقال: «لك

↩ ٩: ٣٤٨ وفيه: ... عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن أسماء، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٦١، الدرّ المنثور ٨: ٢٢٤، المناقب لابن المغازلي: ٣١٦/٢٦٩ عن مجاهد.

(١) سورة فصّلت ٤١: ٣٣.

(٢) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣: ٩٤.

(٣) كشف الغمّة ١: ٣١٤ عن العزّ الحنبلي، شواهد التنزيل ٢: ٢٦١ ـ ٩٩٣/٢٦٢.

(٤) شواهد التنزيل ٢: ٩٩٦/٢٦٣.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٣/٦٩٩ بتفاوت، تفسير البرهان للبحراني ٤: ٦/٣٥٣.

الله بعدي ووصيّي صالح المؤمنين عليّ بن أبي طالب»[١].

وبإسنادٍ له عن عمّار بن ياسر، قال: سمعتُ عليّ بن أبي طالب يقول: «دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ألا أُبشّرك؟ قلت: بلى يا رسول الله وما زلتَ مبشّراً بالخير، قال: لقد أنزل الله فيك قرآناً، قلت: وما هو يارسول الله؟ قال: قرنت بجبرئيل، ثمّ قرأ ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٢]، ثمّ قال: فأنت والمؤمنون من بنيك الصالحون»[٣].

أقول: لا يخفى أنّ في إيراد هذه الكلمة في الآية وبصيغة الإفراد، وفي مثل هذا المقام وإرادة عليٍّ عليه السلام منها إشعاراً، بل إشارات وبشارات تدلّ على اختصاصه بالعصمة والإمامة من بين سائر الأُمّة.

أمّا أوّلاً: فلأنّها تدلّ على انحصار الصلاح فيه من بين سائر المؤمنين؛ لأنّه إذا قال أحد: فلان عالم قومه، وزاهد أهل بلده، لم يُفهم عرفاً وعادةً من قوله هذا إلّا كونه أعلمهم وأزهدهم، وأيضاً فإنّ المراد بالصلاح هاهنا ـ حيث حُوصر فيه وحده بحيث لم يورد إلّا مفرداً وعلى خلاف ما هو قانون موارد سائر الآيات ـ إمّا معنىً آخَر أعلى ممّا في الناس فهو إذاً ليس إلّا العصمة، وإمّا الفرد الأعلى والأكمل ممّا في الناس، وظاهرٌ إنّما هو فعلُ جميع الخيرات وتركُ كلِّ الشرور، وهذا هو أيضاً معنى العصمة، واختصاص العصمة به عليه السلام مع كمال علمه المعلوم دليل إمامته كما بيّنّا سابقاً.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١/٦٩٨، تفسير البرهان للبحراني ٤ : ٣/٣٥٣.
(٢) سورة التحريم ٦٦ : ٤.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٢/٦٩٨، تفسير البرهان للبحراني ٤ : ٤/٣٥٣.

هذا ، مع الدلالة أيضاً على أنّه المراد بما ورد في الآيات من العاملين بالصالحات كما مرّ في آية : ﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[1] وأمثالها . وقد ذكرنا أنّ تخصيصه برئاسة الصالحين ، وجعلهم شيعةً له أدلّ دليل على كونه أكمل منهم في الصلاح ، وهو معنى العصمة اللازمة للإمامة .

وأمّا ثانياً : فلأنّها تدلّ على انحصار كمال نصرة الرسول صلى الله عليه وآله وإعانته والدفع عنه فيه من بين جميع الأمّة ، بحيث لم يوازنه أحد منهم ، وإلّا لشاركه الله معه في الذكر ولا أقلّ من إيراد صيغة الجمع ، ألا ترى أنّ أحداً من الملوك ـ مثلاً ـ لو هدّد بعضَ أعدائه ممّن ينازعه في سلطانه ، فقال : لا تطمعوا فيَّ ولا تحدّثوا أنفسكم بمغالبتي فإنّ معي من أنصاري فلاناً وفلاناً ، فلا يحسن أن يذكر في كلامه هذا إلّا من هو التمام ، بل في الغاية من النصرة والمعاونة والشجاعة والدفاع عنه .

هذا ، مع أنّه هو الذي قرنه الله تعالى مع نفسه وجبرئيل في هذه المعاونة والنصرة .

ولا يخفى أنّ هذا مع إيراده بلفظة ﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أيضاً يدلّ على كونه أصلح أيضاً ، وأنّ جميع أُموره لله تعالى وأنّه القابل لأن يكون في مقامه والأحقّ بذلك لا من ليس بهذه المثابة .

وأمّا ثالثاً : فلأنّها تدلّ على كونه عليه السلام أتقى الناس ؛ ضرورة كون الأصلح هو الأتقى وقد قال سبحانه : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللهِ أَتْقَٰكُمْ﴾[2] ، فإذا كان عليٌّ عليه السلام هو الأتقى كان هو الأكرم عند الله والأفضل وخير البريّة كما ظهر سابقاً ، فلابدّ أن يكون معصوماً وإماماً ؛ لما مرّ .

---

(١) سورة البيّنة ٩٨ : ٧ .

(٢) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣ .

ثمّ يظهر من هذا أيضاً أنّه هو أصل مصداق الآية : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللهِ أَتْقَكُمْ﴾ وذلك ظاهر، بل يستفاد منه أيضاً أنّه هو أصل مصداق قوله تعالى : ﴿وَ سَيُجَنَّبُهَا ٱلأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[1] ؛ إذ الآيات يفسّر بعضها بعضاً ، فإذا تبيّن كونه هو الأصلح والأتقى تبيّن أنّه هو المراد في تلك الآية أيضاً ، كما صرّح به جماعة من المفسّرين ، بل قال نظام الدين الشافعي شارح الطوالع : أكثر المفسّرين قالوا : المراد بالأتقى عليّ بن أبي طالب[2] . انتهى .

أقول : ويدلّ عليه بعض الآيات الآتية الدالّة على كونه إمام المتّقين وأمثالها ويؤيّده قوله تعالى :﴿يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[3] ؛ لما مرّ صريحاً في آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ﴾[4] ـ المختصّة به إجماعاً ـ من قوله تعالى : ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَكَوٰةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ﴾[5] .

ومنه يظهر بطلان من ادّعى كون المراد بالأتقى في الآية الأخيرة أبا بكر كما سيأتي في محلّه ؛ لكونها دعوى بلا دليل في مقابلة ما ذكرناه من الأدلّة .

نعم ، إن تكلّف أحد بأنّ المراد بالأتقى في هذه الآية مطلق الكامل في التقوى لا خصوص الفرد الأعلى بحمل الأشقى على مطلق الشقيّ أيضاً ؛ لمناسبة كون كلّ شقيٍّ من أهل النار ، أمكن حينئذٍ أن يقال بشمولها ما يدلّ

---

(١) سورة الليل ٩٢ : ١٧ و١٨ .

(٢) انظر : الصراط المستقيم ٣ : ٨٨ ، الأربعين للشيرازي : ٥٠٦ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١/٨٠٨ .

(٣) سورة الليل ٩٢ : ١٨ .

(٤ و ٥) سورة المائدة ٥ : ٥٥ .

عليه بعض الأخبار من كون المراد فيها أبا الدحداح أو أبا ذرّ، كما قيل[١]، فافهم، والله يعلم.

السادسة: قول الله عزّ سلطانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢]، وكذا ما يفسّره ويفيد مفاده من الآيات كقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٤] وأمثالها.

روى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٥]، أي: كونوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٦].

ورواه الثعلبي أيضاً في تفسيره بهذا السند عن ابن عبّاس، وروى فيه أيضاً عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام مثله، ورواه ابن مردويه عن ابن عبّاس، ورواه الحافظ أبو نُعيم عنه أيضاً، ورواه ابن عقدة أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام، ورواه عنه عليه السلام ابن عساكر أيضاً، وكذا السيوطي في تفسيره، ورواه أيضاً إبراهيم الثقفي عن السدّي، وابن عبّاس، وعن الصادق، عن

---

(١) مجمع البيان ٥: ٥٠١، تفسير الثعلبي ١٠: ٢٢٠، تفسير القرطبي ٢٠: ٩٠، وليس فيها «أبو ذرّ».

(٢) سورة التوبة ٩: ١١٩.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٣.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٧٧.

(٥) سورة التوبة ٩: ١١٩.

(٦) بناء المقالة الفاطميّة: ٢٦٠، شواهد التنزيل ١: ٣٥١/٢٥٩، المناقب للخوارزمي: ٢٨.

أبيه عليهما السلام (١) .

وروى الحافظ أبو نُعيم ، والخركوشي ـ صاحب كتاب شرف النبيّ ـ عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال في الآية : «أي : محمّد وعليّ عليهما السلام» (٢) .

وفي رواية أُخرى أنّه قال : «أي : كونوا مع آل محمّد» وفيها : وقال عليٌّ عليه السلام : «فنحن عترته الصادقون ، وأنا أخوه في الدنيا والآخرة» (٣) .

وروى العزّ الحنبليّ أيضاً عن ابن عبّاس مثل خبر الكلبي إلّا أنّ فيه : أي : كونوا مع عليٍّ عليه السلام وأصحابه (٤) .

ولعلّ المراد بأصحابه الأئمّة المطهّرون من ذرّيّته أو حمزة وجعفر وأمثالهما من شيعته ، كما سيظهر .

وروى جمع منهم : الحسين بن سعيد بإسنادٍ له عن أبي سعيد الخُدري قال : لمّا نزلت الآية : ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (٥) التفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أصحابه ، فقال : «أتدرون في مَنْ نزلت هذه الآية ؟» قالوا : لا والله يا رسول الله ما ندري ، فقال أبو دجانة : يا رسول الله كلّنا من الصادقين قد آمنّا بك وصدّقناك ، فقال : «لا ، يا أبا دجانة هذه نزلت في ابن

---

(١) تفسير الثعلبي ٥ : ١٠٨ ـ ١٠٩ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٦١ ، الدرّ المنثور ٤ : ٣١٦ ، كفاية الطالب : ٢٣٦ عن ابن عقدة ، النور المشتعل : ٢٣/١٠٢ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١١ ، كشف الغمّة ١ : ٣١٥ ، كشف اليقين : ٣٦٢ ـ ٣٦٤ ، منهاج الكرامة : ١٦٠ .

(٢) انظر : النور المشتعل : ٢٥/١٠٤ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١١ ـ ١١٢ .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١١ ـ ١١٢ .

(٤) عنه في كشف الغمّة ١ : ٣١٢ .

(٥) سورة التوبة ٩: ١١٩.

عمّي عليّ بن أبي طالب خاصّة دن الناس وهو من الصادقين»[١].

وروى ابن مردويه في مناقبه أنّ قوله تعالى: ﴿**مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾[٢] الآية، نزلت في عليّ عليه السلام[٣].

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني، ومحمّد بن العبّاس بن مروان، ومحمّد بن إبراهيم الثقفي وغيرهم كلٌّ بإسنادٍ له عن جمع منهم: عمرو بن ثابت، عن أبي إسحاق، عن عليّ عليه السلام، ومنهم: جابر الجعفي، عن الصادق، عن عليّ عليهما السلام، ومنهم: محمّد بن الحنفيّة، عن عليّ عليه السلام أيضاً، قالوا: قال عليّ عليه السلام: «أنا وعمّي حمزة، وأخي جعفر، وعمّي عبيدة بن الحارث عاهدنا على أمرٍ، وفينا فيه لله ولرسوله، فتقدّمني أصحابي وخُلِّفتُ بعدَهم لما أراد الله عزّ وجلّ، فأنزل الله تعالى فينا: ﴿**مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ**﴾ حمزة، وجعفر، وعبيدة، ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[٤] فأنا المنتظر وما بدّلت تبديلاً»[٥].

وقد روى بعض هؤلاء نحوه عن عبدالله بن الحسن المثنّى عن آبائه عليهم السلام هكذا: قال: «عاهد الله عليّ وحمزة وجعفر أن لا يفرّوا في

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٢٢٥/١٧٤، بحار الأنوار ٣٥: ٧/٤١١.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٣.

(٣) أورده الحلّي في كشف اليقين: ٣٧١، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٦٢٨/٢، وعنه في توضيح الدلائل على تصحيح الفضائل: ١٥٨ (مخطوط في مكتبة السيّد المرعشي النجفي) لشهاب الدين أحمد بن عبدالله الشيرازي الأيجي.

(٤) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٣.

(٥) انظر: الخصال: ٥٨/٣٧٦ في ضمن الحديث، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٨/٤٤٩، بحار الأنوار ٣٥: ٥/٤١٠، تفسير البرهان للبحراني ٤: ٨٥٥٢/٤٢٩، و٨٥٥٣/٤٣١.

زحف أبداً فتمّوا كلّهم على العهد ، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني : حمزة وجعفر ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ، يعني : عليّ بن أبي طالب ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ ، يعني : الذي عاهدوا عليه»[(١)] .

أقول : ولهذا قال جماعة من المفسّرين : إنّ المراد بالصادقين في قوله تعالى : ﴿كُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾[(٢)] هم الذين ذكرهم الله في قوله : ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[(٣)] الآية .

وكذا هم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾[(٤)] .

وقد روى مقاتل بن سليمان ، عن الضحّاك ، عن ابن عبّاس أنّه قال في هذه الآية : ذهب عليٌّ عليه السلام بشرفها وفضلها[(٥)] .

وفي تفسير يوسف القطّان ، ووكيع ، وعطاء ، عن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية : نزلت في عليٍّ عليه السلام وحمزة وجعفر ، ﴿ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ ولم يشكّوا في إيمانهم ، ﴿وَجَٰهَدُوا﴾ الأعداء ﴿فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وطاعته بأموالهم وأنفسهم ، فـ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٩/٤٤٩ ، تفسير البرهان للبحراني ٤ : ٨٥٥٣/٤٢٩ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٦/٤١١ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ١١٩ .

(٣) التبيان ٥ : ٣١٨ ، مجمع البيان ٣ : ٨١ .

(٤) سورة الحجرات ٤٩ : ١٥ .

(٥) لم نعثر عليه في تفسيره ، وعنه السيّد شرف الدين في تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٦٠٧ ، تفسير البرهان للبحراني ٤ : ١/٢١٥ .

﴿الصَّـٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم فشهد الله لهم بالصدق والوفاء[١][٢].

وكذا قالوا: ومن الأدلّة على ذلك أيضاً الآية التي ذكر الله فيها وصف الصادقين، حيث قال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٣][٤].

إذ من المعلوم الواضح أنّ عليّاً عليه السلام كان كاملاً في كلّ هذه الصفات جامعاً لجميعها أجمع، متفرّداً في ذلك دون غيره لاسيّما في الوفاء بالعهد، والصبر في البأساء والضرّاء ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾، أي: الحرب؛ لأنّه لم يفرّ من زحفٍ قطّ كما فرّ غيره[٥]، وفي غير موضعٍ مع أنّهم بايعوا النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) عنهم ابن شهرآشوب في المناقب ٢: ١٦ ـ ١٧، وأبو القاسم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٨٩٣/١٨٦.

(٢) في هامش نسخة «ل» زيادة: أقول: تدبّر هذا وتذكّر ما سيأتي من إقرار عمر بشكّه يوم الحديبيّة، ومن فراره وفرار غيره مراراً حتّى يظهر لك أنّه كان صادقاً غير مرتاب مثل هؤلاء أم لا، وقس على هذا أمثاله. منه عفي عنه.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٧٧.

(٤) مجمع البيان ١: ٢٦٤، نهج الإيمان: ١٦٣.

(٥) إشارة إلى فرار المسلمين يوم أُحد والأحزاب وفي غزوة حنين، وكان من جملتهم: عمر وأبو بكر وعثمان، انظر: تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٢: ٢٨٧، التفسير الكبير للرازي ٩: ٥١، جامع البيان ٤: ٩٥ ـ ٩٦، الدرّ المنثور ٣: ٣٥٥، و٤: ١٥٧ ـ ١٦٦، و٦: ٥٧٨.

على عدم الفرار غير مرّة لاسيّما يوم الحديبيّة[١] .

ولهذا ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام صريحاً أنّ هذه الآية أيضاً نزلت فيه عليه السلام[٢] ، فلا محالة هو أصل مصداق الصادق الذي يجب الكون معه واتّخاذه إماماً .

وسيأتي في الآية الآتية ما يتّضح به ما ذكرناه غاية التوضيح .

بل سيأتي صريحاً أيضاً أنّ المراد بقوله تعالى : **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾**[٣] إنّما هو عليّ بن أبي طالب[٤] ، وكذا في قوله : **﴿وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأَخِرِينَ﴾**[٥] [٦] وأمثالهما من الآيات .

وقد مرّ في الفصول السابقة ، ويأتي أيضاً ما ينادي بصدق عليّ والأئمّة المعلومين من ولده عليهم السلام من كلّ جهةٍ وفي كلّ أمرٍ بحسب دلالة الآيات والأخبار وملاحظة الآثار والأطوار ، وإقرار كلّ الأمّة الأخيار منها والأشرار ، وهذا هو معنى العصمة المعتبرة في الإمامة .

ولا بأس إن ذكرنا هاهنا خلاصة إفادة بعض العلماء في هذا المقام لتوضيح ما ذكرناه من المرام وإن انجرّ إلى بعض تطويلٍ في الكلام .

قال بعض الأفاضل منهم : الصادق حقيقةً من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله ، ولا يكذب في شيءٍ من قوله ولا من فعله حتّى لا يتطرّق

---

(١) إشارة إلى بيعة الرضوان ، انظر : السيرة النبويّة لابن هشام ٣ : ٣٣٠ ، وغيرها .

(٢) انظر : المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٩٥ .

(٣) سورة مريم ١٩ : ٥٠ .

(٤) معاني الأخبار : ١٢٩ (باب معنى الكلمات التي ابتلى إبراهيم ربّه بهنّ فأتمّهنّ) ، تفسير القمّي ٢ : ٥١ .

(٥) سورة الشعراء ٢٦ : ٨٤ .

(٦) معاني الأخبار : ١٢٦ (باب معنى الكلمات التي...) ، تفسير القمّي ٢ : ١٢٣ .

إليه سلب الصدق عنه .

وظاهرٌ أنّ مثل هذا الصدق لا يكون إلّا في المعصوم ؛ ضرورة أن لا أقلّ من أنّ الإنسان يقول في كلّ يوم عشر مرّات وأكثر عند قراءة سورة الحمد في صلاته : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ، وقد سمّى الله طاعة الشيطان عبادة في مواضع[١] من كتابه ، وكلّ معصية طاعة للشيطان ، وقس على هذا ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وسائر ما يقوله الإنسان ويدّعيه من الإيمان بالله واليوم الآخر وحبّ الله تعالى والإخلاص والتوكّل عليه وغير ذلك ، فظهر أنّ الصادق حقيقة إنّما هو المعصوم لا غير .

ومع هذا قد وردت الأخبار في كون المراد بهذه الآيات لاسيّما قوله تعالى : ﴿كُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[٢] خصوص عليٍّ عليه السلام[٣] من بين سائر الصحابة ، فليس ذلك إلّا لعصمته ، ولمّا تبيّن بإقرار المخالف والمؤالف أنّ في ذرّيّته جماعةً معلومين مثله في هذه الحالات ، فهُم أيضاً مصداق هذه الآية .

ثمّ قال : ولا ريب في أنّ المراد بالكون معهم الاقتداء بهم وطاعتهم ومتابعتهم ؛ إذ ظاهرٌ أن ليس المراد محض الكون معهم بالجسم والبدن ، فيدلّ على إمامتهم ، إذ لا يجب متابعة غير الإمام في كلّ ما يقول ويفعل بإجماع الأمّة[٤] .

---

(١) منها : قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾ سورة مريم ١٩ : ٤٤ ، وقوله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾ سورة يس ٣٦ : ٦٠ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ١١٩ .

(٣) انظر : بناء المقالة الفاطميّة : ٢٦٠ ، وسعد السعود : ٤٥/٢٤٧ ، وكشف الغمّة ١ : ٣١٥ ، وشواهد التنزيل ١ : ٣٥١/٢٥٩ ، والمناقب للخوارزمي : ٢٧٣/٢٨٠ ، وتاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٦١ .

(٤) انظر : بحار الأنوار ٣٥ : ٤١٨ .

وقال بعضٌ منهم : إنّ الله عزّ وجلّ أمر في هذه الآية باتّباع المذكورين ، ولم يخصّ جهة الكون بشيء دون شيء ، فيجب اتّباعهم في كلّ شيء ، وذلك يقتضي عصمتهم ؛ لقبح الأمر بطاعة الفاسق أو من يجوز منه الفسق ، ولا أحد ثبتت له العصمة ولا ادّعيت فيه غيرهم عليهم السلام ، فيجب القطع بإمامتهم واختصاصهم بالصفة الواجبة للإمامة ، ولأنّه لا أحد فرّق بين دعوى العصمة لهم والإمامة[١] . انتهى كلامه .

وقال المرتضى أعلى الله مقامه بعد أن ذكر ورود الأخبار في نزول الآية في عليٍّ وذرّيّته الأئمّة عليهم السلام : قد ثبت أنّ الله سبحانه دعا المؤمنين في هذه الآية إلى اتّباع الصادقين والكون معهم فيما يقتضيه الدين ، وثبت أنّ المنادىٰ به يجب أن يكون غير المنادى إليه ؛ لاستحالة أن يدعىٰ الإنسان إلى الكون مع نفسه واتّباعها ، فلا يخلو أن يكون الصادقون الذين دعا الله إليهم جميع من صدق وكان صادقاً ولو في الجملة حتّى يتحقّق استغراق الجنس أو بعضهم .

وقد ذكرنا فسادَ مقال من يزعم أنّه يعمّ الصادقين ؛ لأنّ كلّ مؤمن فهو صادق بإيمانه فكان يجب بذلك أن يكون الدعاء للإنسان إلى اتّباع نفسه ، وذلك محال على ما ذكرناه .

وإن كان بعض المؤمنين دون بعضٍ ، فلا يخلو أن يكونوا معهودين معروفين حتّى تكون الألف واللّام للعهد ، أو يكونوا غير معهودين ، فإن كان الأوّل فيجب أن يكونوا معروفين غير مختلف فيهم ، فتأتي الروايات بأسمائهم والإشارة إليهم خاصّة ، وأنّهم طائفة[٢] معروفة عند من سمع

---

(١) تقريب المعارف : ١٧٩ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ٤١٨ .

(٢) في نسخة «م» زيادة : «خاصّة» .

الخطاب من رسول الله ﷺ، وفي عدم ذلك دليل على بطلان مقال من ادّعى أنّ هذه الآية نزلت في جماعة غير من ذكرناه كانوا معهودين.

وإن كان الثاني فلابدّ من الدلالة عليهم ليمتازوا ممّن يدّعي مقامهم، وإلّا بطلت الحجّة لهم وسقط تكليف اتّباعهم، وإذا ثبت أنّه لابدّ من الدليل عليهم ولم يدّع أحد من الفِرَق دلالة على غير من ذكرناه من عليٍّ وذرّيّته الأئمّة عليهم السلام ثبت أنّها فيهم خاصّة ؛ لفساد أن لا يكون المراد أحداً من الأمّة، ولا أن يكون القصد إلى أحد منهم بها.

ثمّ قال رحمه الله : على أنّ الدليل قائم على أنّها في مَنْ ذكرناه ؛ لأنّ الأمر ورد باتّباعهم على الإطلاق، وذلك يوجب عصمتهم وبراءة ساحتهم من الزلل، وإلّا لم يصحّ الأمر باتّباعهم على الإطلاق، والعصمة توجب النصّ على صاحبها بلا ارتياب، وإذا اتّفق مخالفونا على نفي العصمة والنصّ على ما ادّعوا له تأويل هذه الآية، فقد ثبت أنّها في الأئمّة ؛ لوجود النقل للنصّ عليهم، وإلّا لخرج الحقّ عن أُمّة محمّد ﷺ وذلك فاسد.

ثمّ قال رحمه الله : مع أنّ القرآن دليل على ما ذكرناه، وهو أنّ الله سبحانه قال : ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾.

وذكر عليه الرحمة : الآية السابقة بتمامها إلى قوله تعالى : ﴿أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[١].

ثمّ قال : فجمع الله تعالى هذه الخصال كلّها، ثمّ شهد لمن كملت فيه بالصدق والتقى على الإطلاق، فكان مفهوم معنى الآيتين الأُولى وهذه الثانية أن اتّبعوا الصادقين الذين لاجتماع هذه الخصال التي عدّدناها فيهم،

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٧٧.

استحقّوا إطلاق هذا الاسم .

ولم نجد أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمعت فيه هذه الخصال إلّا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فوجب أنّه الذي عناه الله سبحانه بالآية وأمر فيها باتّباعه والكون معه فيما يقتضيه الدين ، وذلك أنّه عزّ وجلّ ذكر الإيمان به واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أوّل الناس إيماناً به وبما وصف بالأخبار المتواترة من أنّه أوّل من أجاب النبيّ صلى الله عليه وآله من الذكور[1] ، وبقول النبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام : «زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً»[2] ، وقول عليّ عليه السلام : «أنا عبد الله وأخو رسوله لم يقلها أحد قبلي ولا يقولها أحد بعدي إلّا كذّاب مفترٍ ، صلّيتُ قبلهم سبع سنين»[3] وقوله عليه السلام : «اللّهمّ إنّي لا أقرّ لأحدٍ من هذه الأمّة عَبَدَكَ قبلي»[4] وقوله عليه السلام لمّا بلغه عن الخوارج مقال أنكره : «أم يقولون : إنّ عليّاً يكذب فعلى من أكذب أعلى الله ؟ فأنا أوّل من عَبَده ، أم

---

(١) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٢) : ١٣٩ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٧ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٠٥ ـ ٨٣٩١/١٠٦ ـ ٨٣٩٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٦ ـ ٤٥ .

(٢) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٢) : ١٣٩ ، مسند أحمد ٥ : ١٩٧٩٦/٦٦٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ١٣٢ .

(٣) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٢) : ١٣٩ ، كشف الغُمّة ١ : ٨٩ ، نهج الإيمان : ٥١٧ ، بناء المقالة الفاطميّة : ٢٨١ ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٩٩٣/٥٨٦ ، الأوائل للعسكري : ٩١ ، معرفة الصحابة ١ : ٣٧٧/٣٠١ ، سنن ابن ماجة ١ : ١٢٠/٤٤ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٠٦ ـ ٨٣٩٥/١٠٧ بتفاوت في بعض المصادر .

(٤) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٢) : ١٣٩ ، وانظر : نهج الإيمان : ١٦٥ .

على رسوله ﷺ ؟ فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره»[١] وبغير ذلك من الأخبار التي يطول ذكرها.

ثمّ أردف الله سبحانه الوصف الذي تقدّم بالوصف بإيتاء المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين، وفي الرقاب، ووجدنا ذلك كلّه لأمير المؤمنين عليه السلام بالتنزيل وتواتر الأخبار به على التفصيل.

قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[٢] الآية، ونزولها فيه وفي زوجته فاطمة عليها السلام ثابت بالاتّفاق.

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[٣] الآية.

وقد جاءت الروايات مستفيضة حتّى عند المخالفين في أنّ المراد بها أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

وكذا لا خلاف في أنّه عليه السلام أعتق من كدّ يده جماعة لا يحصون كثرةً، ووقف أراضي كثيرة استخرجها وأحياها بعد موتها.

ثمّ إنّ الله سبحانه أردف أيضاً ما مرّ بقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٥] وكان عليٌّ عليه السلام هو المعنيّ بها؛ بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

---

(١) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٢): ١٣٩، نهج الإيمان: ١٦٤.

(٢) سورة الإنسان ٧٦: ٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٧٤.

(٤) تفسير الثعلبي ٢: ٢٧٩، شواهد التنزيل ١: ١٥٥/١٠٩، المناقب لابن المغازلي: ٣٢٥/٢٨٠، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٢٧٨، تفسير الماوردي ١: ٣٤٧، الوسيط للواحدي ١: ٣٩١، معالم التنزيل للبغوي ١: ٣٩٦، المحرّر الوجيز ٢: ٣٤٣.

(٥) سورة البقرة ٢: ١٧٧.

﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (١) الآية ، وقد اتّفق أهل النقل على أنّه هو المزكّي في حال ركوعه في الصلاة ، فطابق هذا الوصف وصفه بالآية التي نحن فيها وشاركه في معناه .

ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ أعقب ذلك بقوله : ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا﴾ (٢) ، وليس أحد من الصحابة إلّا من نقض عهده في الظاهر أو تقوّل ذلك عليه إلّا أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّه لا يمكن لأحدٍ أن يقول أو يزعم أنّه نقض ما عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله من النصرة والمواساة وغيرهما ، فاختصّ هو أيضاً بهذا الوصف .

ثمّ قال سبحانه : ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ (٣) ولم يوجد أحد صبر مع رسول الله صلى الله عليه وآله عند الشدائد غير أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّه باتّفاق وليّه وعدوّه لم يولّ دبراً ولا فرّ من حرب ولا هاب في الحروب خصماً .

قال رحمه الله : فلمّا استكمل عليه السلام هذه الخصال بأسرها قال سبحانه : ﴿أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (٤) يعني به أنّ المدعوّ إلى اتّباعه من جملة الصادقين هو عليّ بن أبي طالب الذي استكملت فيه جميع هذه الصفات واستجمعت له خاصّة .

قال رحمه الله : وإنّما عبّر عنه بحرف الجمع تعظيماً له وتشريفاً ؛ إذ العرب قد تأتي بلفظ الجمع على الواحد إذا أرادت أن تدلّ على نباهته وعلوّ قدره .

قال : ولو جعلنا المعنى في لفظ الجمع بالعبارة عن أمير المؤمنين لكان ذلك وجهاً أيضاً ؛ لأنّه وإن خُصّ بالذكر فإنّ الحكم جارٍ في مَنْ يليه

---

(١) سورة المائدة ٥ : ٥٥ .

(٢ ـ ٤) سورة البقرة ٢ : ١٧٧ .

من الأئمّة المهديّين من ذرّيّته عليهم السلام[١] . انتهى كلامه أعلى الله مقامه .

وجميع ما ذكره واضح الثبوت لاسيّما بعد ملاحظة ما تقدّم ويأتي في فضائلهم وصفاتهم ، فتأمّل ، والله الهادي .

السابعة : قوله عزّ وجلّ : ﴿**وَٱلَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ**﴾[٢] وكذا ما بمعناه ويفيد مفاده كقوله سبحانه : ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾[٣] وأمثاله التي منها : قوله تعالى : ﴿**فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ**﴾[٤] الآية وغيرها .

روى جماعة من علماء رُواة أهل البيت عليهم السلام عن الباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضا ، وزيد بن عليّ عليهم السلام أنّهم قالوا في الآية الأولى : «هو عليّ عليه السلام»[٥] ، أي : صدّق برسول الله قبل كلّ أحدٍ .

وروى السدّي ، والضحّاك ، والعزّ الحنبلي ، عن ابن عبّاس أنّه قال : رسول الله صلى الله عليه وآله جاء بالصدق ، وعليّ عليه السلام صدّق به . وروى مثله عن مجاهد جمع ، منهم : النطنزي في الخصائص ، وأبو نُعيم في الحلية عن ليث عنه ، ومنهم : السيوطي في تفسيره ، وابن عساكر ، والعزّ الحنبليّ ، وابن

---

(١) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٢) : ١٣٧ ـ ١٤١ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ٤١٩ ـ ٤٢٣ .

(٢) سورة الزمر ٣٩ : ٣٣ .

(٣) سورة الحديد ٥٧ : ١٩ .

(٤) سورة النساء ٤ : ٦٩ .

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١١ ، نهج الإيمان : ٥١٥ ، كشف اليقين : ١٢٠ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٨١ .

المغازلي ، وابن مردويه ، والثعلبي ، وغيرهم عنه . ورواه أبو نُعيم أيضاً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام[١] .

وروى ابن مردويه عن موسى بن جعفر ، عن أبيه عليهما السلام ، وروى أيضاً الضحّاك عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ**﴾[٢] «أنّه هو من ردّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام»[٣] .

وفي رواية الضحّاك ، قال الرضا عليه السلام : «قال النبيّ صلى الله عليه وآله : الصدق عليّ»[٤] .

قال بعض الأفاضل : من الواضحات أنّ ولايته من أعظم ما أتى الرسول به صادقاً عن الله [تعالى] ، فالتكذيب فيه من أعظم الظلم ؛ لأنّه عمدة أركان الإيمان ، فيحتمل أن تكون الآية نازلة فيه ، ثمّ جرى في كلّ من كذّب شيئاً ممّا نزل من عندالله [تعالى][٥] . انتهى .

وروى العزّ الحنبليّ عن مجاهد وابن عبّاس في قوله تعالى :

---

(١) انظر : تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١٦/٥١٦ ، والمناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١١ ، وكشف الغمّة ١ : ٣١٣ ، وكفاية الطالب : ٢٣٣ ، ونهج الحقّ : ١٨٥ ، والطرائف ١ : ١٠٩/١٢٠ ، وخصائص الوحي المبين : ١٣٣/١٨٩ ، والدرّ النظيم : ٢٨٠ ، وشواهد التنزيل ٢ : ٨١٣/١٢٢ ، والمناقب لابن المغازلي : ٣١٧/٢٦٩ ، والدرّ المنثور ٧ : ٢٢٨ ، والنور المشتعل : ٥٦/٢٠٤ ، وتاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٥٩ .

(٢) سورة الزمر ٣٩ : ٣٢ .

(٣) كشف الغمّة ١ : ٣١٧ عن ابن مردويه ، عن موسى بن جعفر عليه السلام ، وكذا في كشف اليقين : ٣٧٥ ، وتأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١٤/٥١٦ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٤/٤١٤ نقلاً عن الكشف .

(٤) انظر : المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١١ .

(٥) بحار الأنوار ٣٥ : ٤١٥ .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[١] ـ أعني الآية الثانية ـ أنّها نزلت في عليٍّ عليه السلام[٢].

وقد روى نزولها في عليٍّ عليه السلام أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده[٣].

وروى الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازي في تفسيره المشهور عند تفسير هذه الآية الثانية بإسناده عن قتادة، عن الحسن، عن ابن عبّاس أنّه قال في هذه الآية[٤]: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: صدّقوا ﴿بِاللَّهِ﴾ أنّه واحد: عليّ عليه السلام، وحمزة، وجعفر، وقال في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «صدّيق هذه الأمّة عليّ بن أبي طالب، وهو الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم»، ثمّ قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: فهُم صدّيقون وهم شهداء الرسل على أنّهم قد بلّغوا الرسالة، ثمّ قال: وقال تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ يعني: ثوابهم على التصديق بالنبوّة والرسالة لمحمّد صلى الله عليه وآله ﴿وَنُورُهُمْ﴾[٥] يعني على الصراط[٦].

وسيأتي لاسيّما في الآية التاسعة والثانية عشر ما يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام هو شاهد النبوّة، فلا تغفل.

---

(١) سورة الحديد ٥٧ : ١٩.

(٢) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٣.

(٣) لم نعثر عليه في مسنده، وعنه العلّامة في نهج الحقّ : ١٨٦، وفي المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٢٩٤ عن الضحّاك عن ابن عبّاس.

(٤) في «س» و«ل» زيادة : «في».

(٥) سورة الحديد ٥٧ : ١٩.

(٦) نقله عنه ابن طاووس في الطرائف ١ : ١٣٢/١٣٨، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ١٠/٤١٢.

وممّا ورد في الآية الثالثة ما رواه المعافا بن زكريّا شيخ البخاري بإسناده عن الأعمش ، عن الحكم بن عتيبة ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أُمّ سلمة ، قالت : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى : ﴿فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[(١)] الآية ، فقال : «﴿ٱلنَّبِيِّينَ﴾ أنا ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ عليّ بن أبي طالب ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الحسن والحسين ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ جعفر وحمزة ، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰئِكَ رَفِيقاً﴾ الأئمّة الاثنا عشر بعدي»[(٢)].

وروي مثله أيضاً عن أنس بن مالك ، قال : سألتُ النبيّ صلى الله عليه وآله عن هذه الآية ، فقال[(٣)] ، وذكر مثل هذا الخبر بعينه مع زيادة لم نذكرها هاهنا .

وأمّا الأخبار المؤيّدة لما نحن فيه الدالّة صريحاً على كون عليّ عليه السلام هو الصدّيق فكثيرة جدّاً ، ولا بأس إن ذكرنا نبذاً منها هاهنا .

روى أحمد بن حنبل في مسنده من ثلاثة طُرق منها : عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى الغفاري ، عن أبيه ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكذا روى بهذا الإسناد الحافظ أبو نعيم ، وكذا ابن شيرويه في الفردوس ، وروى في الفردوس عن داوُد بن بلال أيضاً ، وكذا روى ابن المغازلي من ثلاثة طُرق في مناقبه منها : عن أبي ليلى أيضاً ، وكذا روى ابن عساكر عنه ، وكذا الخوارزمي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الصدّيقون ثلاثة : حبيب النجّار مؤمن آل يس ، وحزبيل مؤمن آل فرعون ـ ويروى : حزقيل[(٤)] ـ وعليّ بن أبي طالب وهو

---

(١) سورة النساء ٤ : ٦٩ .

(٢) كفاية الأثر : ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٣) انظر : المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٥ ، ونهج الإيمان : ٥١٣ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٨ ، منهاج الكرامة : ١٦٢ ، بناء المقالة الفاطميّة : ٢٥٨ ، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيّين : ٧٢/١٦٤ .

أفضلهم»[١].

وروى مثله جماعة، منهم: الرازي، والثعلبي في تفسيريهما[٢].

وقد روى أيضاً مثله ابن النجّار، عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٣].

وقد نقله من كتابه ابن حجر في الصواعق، وكذا من كتابَي أبي نُعيم وابن عساكر[٤]، إلّا أنّه لم يذكر قوله صلى الله عليه وآله: «وهو أفضلهم».

وفي بعض رواياتهم بعد قوله صلى الله عليه وآله: «مؤمن آل يس» قوله صلى الله عليه وآله: «الذي قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٥]» وكذا بعد قوله صلى الله عليه وآله: «مؤمن آل فرعون» قوله صلى الله عليه وآله: «الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾[٦]»[٧].

وروى الحافظ أبو نُعيم بإسناده عن عَبّاد بن عبدالله[٨] قال: سمعتُ

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١٠٧٢/٦٢٧، معرفة الصحابة ١: ٣٣٨/٣٠٢، الفردوس ٢: ٣٨٦٦/٤٢١، المناقب لابن المغازلي: ٢٤٥ و٢٩٣/٢٤٦ و٢٩٤، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٣، المناقب للخوارزمي: ٣٠٧/٣١٠، وعن أبي نعيم وابن عساكر في جامع الأحاديث للسيوطي ٦: ١٣٧٤٠/١١٠.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٢٧: ٥٧، تفسير الثعلبي ٨: ١٢٦.

(٣) نقله عنه السيوطي في جامع الأحاديث ٦: ١٣٧٤١/١١١، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ١١: ٣٢٨٩٧/٦٠١.

(٤) الصواعق المحرقة: ٣٠/١٩٢.

(٥) سورة يس ٣٦: ٢٠.

(٦) سورة غافر ٤٠: ٢٨.

(٧) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١١١٧/٦٥٥، المناقب لابن المغازلي: ٢٩٤/٢٤٦، شواهد التنزيل ٢: ٩٣٩/٢٢٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٣، جامع الأحاديث للسيوطي ٦: ١٣٧٤٠/١١٠.

(٨) هو عَبّاد بن عبدالله الأسدي الكوفي، روى عن عليّ عليه السلام، وعنه المنهال بن عمرو. انظر: الثقاة لابن حبّان ٥: ١٤١، وتهذيب التهذيب ٥: ١٦٥/٨٦، وتهذيب الكمال ١٤: ٣٠٨٧/١٣٨.

علياً عليه السلام يقول : «أنا الصدّيق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلّا كذّاب مفترٍ ، صلّيتُ قبل الناس سبع سنين»[١] .

وقد رواه ابن حنبل في مسنده (عن عَبّاد ، وعن المنهال بن عمرو)[٢] هكذا : «أنا عبدالله وأخو رسوله صلى الله عليه وآله وأنا الصدّيق الأكبر»[٣] إلى آخر الخبر .

وكذا رواه الثعلبي أيضاً في تفسيره[٤] ، وكذا ابن الأثير في تاريخه لكن مرسلاً[٥] ، وكذا رواه الطبري في تاريخه كما نقله أيضاً ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، ثمّ إنّه قال : وفي غير رواية الطبري : «أنا الصدّيق الأكبر ، وأنا الفاروق الأعظم ، أسلمتُ قبل إسلام أبي بكر ، وصلّيتُ قبل صلاته سبع سنين»[٦] .

وقال في موضعٍ آخَر من الشرح أيضاً : وقد قال هو عليه السلام : «أنا الصدّيق الأكبر وأنا الفاروق الأوّل ، أسلمتُ قبل إسلام الناس ، وصلّيتُ قبل صلاتهم»[٧] .

وقد ذكرنا سابقاً هذه الأخبار أيضاً في الفصل الخامس في مقام سبق الإسلام .

وفي كتاب الاستيعاب بإسنادٍ له عن الحسن ، عن أبي ليلى الغفاري

---

(١) معرفة الصحابة ١ : ٣٠١ .

(٢) كذا ورد ما بين القوسين في النسخ ، والصحيح كما جاء في ترجمته وفي المصدر : عن المنهال بن عمرو عن عَبّاد بن عبدالله .

(٣) عثرنا عليه في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٩٩٣/٥٨٦ .

(٤) تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) ٥ : ٨٥ .

(٥) الكامل في التاريخ ٢ : ٥٧ .

(٦) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٠٠ .

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٣٠ .

أيضاً أنّه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «ستكون بعدي فتنة ، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب ، فإنّه أوّل من يراني ، وأوّل من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصدّيق الأكبر ، وهو فاروق هذه الأمّة ؛ يفرق بين الحقّ والباطل ، وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين»[١] .

أقول : والأخبار من هذا القبيل كثيرة ، وقد مرّ بعضها فيما سبق من الفصول ، ويأتي بعض منها فيما سيأتي .

وإذا عرفت هذا ، فقد تبيّن لك أنّ الحقّ الصحيح بنقل الفريقين ـ بحيث كاد أن يصل إلى أقصى حدّ اليقين ـ إنّما هو نزول هذه الآية ، أعني : الأولى ، وكذا ما يفيد مفادها كالثانية ، بل الثالثة أيضاً في أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام ، فلا عبرة حينئذٍ بما يتفرّد به شاذٌّ من متعصّبي المخالفين كالرازي ؛ حيث قال في الآية الأولى : إنّها نزلت في أبي بكر[٢] ، تصحيحاً لانتحالهم له لقب الصدّيق ، على أنّك قد عرفت بنقل الفريقين أنّ أمير المؤمنين [عليه السلام] هو الصدّيق في هذه الأمّة ورأس جميع الصدّيقين ، وظاهرٌ أنّه إذا ورد نقلٌ باتّفاق الفريقين وآخَر بتفرّد أحدهما به ، لا يبقى حينئذٍ شكّ في أنّ المعوّل عليه إنّما هو ما اتّفقا عليه ، مع أنّه سيأتي في آية السابقين ، ومرّ في فصول أخبار فضائله ما ينادي بما هو ثابت من سبق إسلامه ، بل عدم عبادته غير الله أبداً ، ومعلومٌ أنّ مثله أولى بالوصف بالتصديق والصدّيق ممّن عبد الأصنام أزيد[٣] من أربعين سنة .

وأمّا تصحيح الآية على وجهٍ يوافق الأخبار فبوجهين :

---

(١) الاستيعاب ٤ : ٣١٥٧/١٧٤٤ .

(٢) انظر : التفسير الكبير للرازي ٢٦ : ٢٧٩ .

(٣) في «ل» : «أكثر» بدل «أزيد» .

أحدهما : أن يكون المراد بالموصول الجنس ، فيكون الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما داخلين في الموصول ، وإنّما خصّ الرسول بالجزء الأوّل من الصلة ؛ لكونه فيه صلى الله عليه وآله أظهر وأقوى ، وكذا خصّ الجزء الثاني بعليٍّ عليه السلام ؛ لأنّه فيه أحوج إلى البيان .

وثانيهما : أن يقدّر الموصول في الثاني كما هو مختار الكوفيّين[١] .

قال الشيخ الرضيّ : أجاز الكوفيّون حذف غير الألف واللّام من الموصولات الاسميّة ، خلافاً للبصريّين ، قالوا : قوله تعالى : ﴿**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾[٢] أي : إلّا من له مقام معلوم .

ثمّ قال : ولا وجه لمنع البصريّين من ذلك من حيث القياس ؛ إذ قد تحذف بعض حروف الكلمة وليس الموصول بألزق منها[٣] . انتهى .

ثمّ إذا عرفت هذا كلّه ، ظهر لك اعتضاد كلٍّ ممّا ذكرناه هاهنا وما ذكرناه قبله للآخر ؛ ضرورة أنّ كونه عليه السلام صدّيقاً يستلزم كونه صادقاً بالطريق الأولى ، وكذا لزوم الكون معه من حيث الأمر بالكون مع الصادقين يستلزم بالطريق الأولى الكون معه من حيث كونه من الصدّيقين ، وكفى هذا في الدلالة على إمامته وعصمته .

على أنّه قد ذكر بعض أهل العلم هاهنا كلاماً وافياً في بيان هذا المطلب ، فلنذكره .

قال : اعلم أنّ الصدق خلاف الكذب ، والصدّيق الملازم للصدق ، الدائم في صدقه ، والصدّيق : من صدّق عملُه قولَه ، ذكر ذلك أحمد بن

---

(١) انظر : بحار الأنوار ٣٥ : ٤١٦ .

(٢) سورة الصافّات ٣٧ : ١٦٤ .

(٣) شرح الرضيّ على الكافية ٣ : ٧٠ ـ ٧١ ، وراجع بحار الأنوار ٣٥ : ٤١٦ ـ ٤١٧ .

فارس اللغوي في كتاب المجمل في اللغة، وذكره الجوهري في الصحاح[١].

وإذا كان هذا معنى الصدّيق، فالصدّيق أيضاً ينقسم إلى ثلاثة أقسام: صدّيق يكون نبيّاً، وصدّيق يكون إماماً، وصدّيق يكون عبداً صالحاً لا يكون نبيّاً ولا إماماً.

فأمّا ما يدلّ على أوّل الأقسام: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[٣] وكلّ نبيّ صدّيق وليس كلّ صدّيق نبيّاً.

وأمّا ما يدلّ على (الثاني ـ وهو)[٤] كون الصدّيق إماماً ـ: فقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٥] فذكر النبيّين، ثمّ ثنّى بذكر الصدّيقين؛ لأنّه ليس بعد النبيّين في الذكر أخصّ من الأئمّة عليهم السلام.

ويدلّ عليه أيضاً الأخبار الواردة بأنّ الصدّيقين ثلاثة: حزبيل، وحبيب[٦]، وعليّ، وهو أفضلهم[٧]؛ لأنّه صلى الله عليه وآله لمّا ذكر عليّاً عليه السلام مع هذين المذكورين في لفظة الصدّيقين، وهما لم يكونا نبيّين ولا إمامين، فأراد إفراده عليه السلام عنهما بما لا يكون لهما وهي الإمامة، قال صلى الله عليه وآله: «هو أفضلهم»،

---

(١) انظر: مجمل اللغة ٢: ٥٥٣، والصحاح ٤: ١٥٠٥.

(٢) سورة مريم ١٩: ٥٦.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٤٦.

(٤) ما بين القوسين لم يرد في «س» و«ل» و«ن».

(٥) سورة النساء ٤: ٦٩.

(٦) في «م» زيادة: «النجّار».

(٧) تقدّم تخريجه في ص ١٤١، الهامش (٤)، وص ١٤٢، الهامش (١).

فليس في لفظة الصدّيق بينهم تفاضل ؛ لأنه صلى الله عليه وآله قال : «الصدّيقون ثلاثة . . .» فقد استووا في اللفظ ، فأراد صلى الله عليه وآله الإخبار عن اختلافهم في المعنى وهو استحقاق الإمامة ، فقال : «هو أفضلهم» ، تنبيهاً على كونه [عليه السلام] صدّيقاً إماماً .

قال : وهذا معنى الوجه الثالث أيضاً ، ثمّ قال : وإذا كان الصدّيق هو الملازم للصدق الدائم عليه ومَنْ صدّق عملُه قولَه ، فينبغي أن تختصّ هذه اللفظة بأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام ؛ لأنّه لم يعص الله تعالى مذ خُلق ، ولم يشرك بالله [تعالى] طرفة عين ، فقد لازم الصدق ودام عليه ، وصدّق عمله قوله ، فصحَّ اختصاص هذه اللفظة به دون غيره[1] . انتهى كلامه .

ودلالته على ما أشرنا إليه من كون هذه الآيات أيضاً من دلائل (الإمامة و)[2] العصمة ولو بعد الاستعانة بالقرائن واضحة .

ويظهر منه أنّ صاحب الصواعق وأشباهه من المتعصّبين لمّا أدركوا ما في لفظة «وهو أفضلهم» ممّا ذكره هذا الرجل ومن صراحتها في فضله عليه السلام على أبي بكر ، وغير ذلك تركوها من الحديث مع وجودها في جُلّ الروايات .

فتأمّل حتّى تعلم أنّ هؤلاء القوم كيف حوّلوا لفظ الصدّيق والفاروق من عليٍّ عليه السلام إلى أبي بكر وعمر مع كون أخبارهم مشحونة بكونه هو مصداقهما لا هما .

ومنه يظهر أنّ الذي رواه بعضهم في ترويج هذا التحويل موضوع لا أصل له ، كما صرّح به بعضهم ، على ما سيأتي في محلّه ، فلا تغفل .

الثامنة : قول الله سبحانه : **﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ**

---

(١) نقله ابن البطريق في عمدته ١: ٢٢٢ ، عن يحيى بن الحسن ، في ذيل حديث ٣٥٢.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «س» و«ل» و«م» .

ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾[1] وأمثاله من الآيات المشتملة على السبق إلى الحقّ والخير والدين.

روى مقاتل بن سليمان عن الضحّاك، عن ابن عبّاس، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قوله تعالى: **﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾**، فقال ﷺ: «قال لي جبرئيل: ذلك عليّ وشيعته، هم السابقون إلى الجنّة، المقرّبون من الله بكرامته لهم»[2].

ولعلّ المراد بالشيعة هاهنا الخواصّ منهم كذرّيّته الأئمّة، بل الأنبياء عليهم السلام أيضاً، ولا أقلّ من كونهم عمدة المقصود، وسيأتي ما يوضّح هذا.

ويؤيّده قوله تعالى: **﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾**؛ ضرورة كثرة الأنبياء بالنسبة إلى محمّد ﷺ وعليّ عليه السلام والأئمّة من ذرّيّتهما صلوات الله عليهم أجمعين في هذه الأمّة، فافهم.

وفي كتاب العزّ الحنبليّ في هذه الآية: هو عليّ عليه السلام وكان ينشد:

سَبَقْتُكُمْ إلى الإسلام طُرّاً   صغيراً ما بَلغتُ أوانَ حلمِي[3][4]

وقال محمّد بن طلحة، وكذا الخوارزمي في هذه الآية: قيل: هُم الذين صلّوا إلى القبلتين، وقيل: هُم السابقون إلى الطاعة، وقيل: إلى الهجرة، وقيل: إلى الإسلام وإجابة الرسول، وكلّ ذلك موجود في

---

(١) سورة الواقعة ٥٦: ١٠ ـ ١٣.

(٢) الأمالي للطوسي: ١٠٤/٧٢، وانظر: كشف الغمّة ١: ٣٠٦.

(٣) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٢): ٢٦٢، مطالب السؤول: ٦٤، أنوار العقول للكيدري: ٣٦٨، وفيهما: «غلاماً» بدل «صغيراً».

(٤) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣١٣.

أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام على وجه التمام والكمال ، والغاية التي لا يقاربه فيها أحد من الناس ، ثمّ نقل رواية ابن عبّاس المذكورة(١)(٢).

وفي روايات أهل البيت ، عن الرضا عن آبائه عن عليّ عليهم‌السلام أنّه قال : «﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ نزلت فِيَّ»(٣).

وعن الصادق عليه‌السلام أنّه قيل له : أخبرنا عن قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الآية ، فقال عليه‌السلام : «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يخلق الخلقَ خلقهم من طين ، ورفع لهم ناراً وقال لهم : ادخلوها ، فكان أوّل من دخلها محمّد وعليّ والحسن والحسين والأئمّة التسعة بعد الحسين عليهم‌السلام إمام بعدَ إمام ، ثمّ اتّبعهم شيعتهم ، فهُم والله السابقون»(٤).

وفي رواية أُخرى بأسانيد عديدة عنه عليه‌السلام ، وعن الباقر عليه‌السلام أيضاً أنّه قال : «السابقون أربعة : ثلّة من الأوّلين ، وهم هابيل بن آدم عليه‌السلام الذي قتله أخوه ، وسابق أُمّة موسى عليه‌السلام وهو مؤمن آل فرعون ، وسابق أُمّة عيسى عليه‌السلام وهو حبيب النجّار صاحب يس ، وقليل من الآخرين ، وهو عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام سابق أُمّة محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله»(٥).

وفي رواية أُخرى : «إنّ المراد بالسابقين من سبق بالإيمان بالله

---

(١) في ص ١٤٨ .

(٢) كشف الغمّة ١ : ٣٠٦ ، المناقب للخوارزمي : ٢٦٠/٢٧٦ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٣٣٥ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ٢ : ٢٨٨/٦٥ .

(٤) الغيبة للنعماني : ٢٠/٩٠ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥/٦٤٢ ، معالم الزلفى ٢ : ٥/٣٢٦ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٦/٣٣٣ .

(٥) تفسير فرات الكوفي : ٦٠٩/٤٦٥ ، مجمع البيان ٥ : ٢١٥ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٧/٦٤٣ ، معالم الزلفى ٢ : ٣٢٩ و١٢/٣٣٠ و١٥ ، شواهد التنزيل ٢ : ٢١٨ ـ ٩٣٢/٢١٩ ـ ٩٣٥ .

وبإجابته حيث أخذ الميثاق ، وإنّ أوّلهم إجابةً كان رسول الله وعليّ صلوات الله عليهما ، ثمّ سائر الأئمّة عليهم السلام ثمّ الأنبياء»[١].

ولا يخفى أنّ عليّاً عليه السلام سابق بجميع هذه المعاني ، بل وكذا بغيرها ، كأن يقال بكون المراد أيضاً السّبق بحسب الرتبة والشرف نسباً وحسباً على حسب التسابق في الكمالات الصوريّة والمعنويّة إلّا أنّ أكثر الأخبار في أنّه بمعنى السبق إلى الإيمان بالأنبياء لاسيّما مع القتل في سبيل الله ، ولعلّ الأخير هو السرّ في ذكر أسامي خصوص بعضٍ منهم.

قال ابن حجر في صواعقه : أخرج الديلمي عن عائشة ، والطبراني وابن مردويه ، عن ابن عبّاس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «السُّبَق ثلاثة : فالسابق إلى موسى يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى صاحب يس ، والسابق إلى محمّد عليّ بن أبي طالب»[٢].

وقد روى أيضاً سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن عامر ، عن ابن عبّاس مثله سواء[٣].

وفي رواية ابن المغازلي ، عن ابن عبّاس أيضاً مثله سواء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[٤][٥].

وفي تفسيري الثعلبي والزمخشري ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «سبّاق الأمم ثلاثة : لم يكفروا بالله طرفة عينٍ ، عليّ بن أبي طالب ، وصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون» ، وفي آخر رواية الثعلبي : «فهم الصدّيقون حبيب النجّار

---

(١) لم نعثر على نصّه.

(٢) الصواعق المحرقة : ٢٩/١٩٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٢/٦٤١ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٥/٣٣٣.

(٤) سورة الواقعة ٥٦ : ١٠.

(٥) المناقب لابن المغازلي : ٣٦٥/٣٢٠.

ومؤمن آل فرعون وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم»[١]. وقد مرّ[٢] هذا الأخير في الآية السابقة.

وروى الحافظ أبو نُعيم مرفوعاً عن ابن عبّاس قال : إنّ سابق هذه الأمّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

وروى عِكرمة، عن ابن عبّاس، قال : فرض الله الاستغفار لعليٍّ عليه السلام في القرآن على كلّ مسلم، وهو قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٤] وهو سابق الأمّة[٥].

وروى أبو بكر الشيرازي في تفسيره : عن مالك بن أنس، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، في قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[٦] الآية : أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام سبق الناس كلّهم بالإيمان، وصلّى القبلتين، وبايع البيعتين، وهاجر الهجرتين[٧].

وقد روى جمع من المفسّرين ورودها أيضاً في عليٍّ عليه السلام[٨].

بل في روايةٍ في كتاب المناقب : أنّ هذه الآية في مَنْ هاجر مع

---

(١) تفسير الثعلبي ٨ : ١٢٦، الكشّاف ٥ : ١٧١.

(٢) في ص ١٤١ ـ ١٤٢.

(٣) نقله عنه ابن البطريق في خصائص الوحي المبين : ٩١/١٤٧، والحلّي في منهاج الكرامة : ١٥٤.

(٤) سورة الحشر ٥٩ : ١٠.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٨/٦٨١، شواهد التنزيل ٢ : ٩٧٣/٢٤٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٢٤ بتفاوت يسير فيهما، بحار الأنوار ٣٥ : ٩/٣٣٤.

(٦) سورة التوبة ٩ : ١٠٠.

(٧) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٢ : ١٠.

(٨) كما في المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١٠، وينظر : تفسير فرات الكوفي : ٢١٧/١٦٩، شواهد التنزيل ١ : ٣٤٦/٢٥٦، تفسير البرهان للبحراني ٢ : ٤٦٦٥/٨٢٨، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١٠، وانظر : كمال الدين ١ : ٢٧٦.

النبيّ صلى الله عليه وآله إلى شعب أبي طالب عليه السلام ، والإجماع على أنّهم كانوا بني هاشم[١] .

وقال الثعلبي في تفسيره عند تفسير هذه الآية : قد اتّفق العلماء على أنّ أوّل من آمن (بعد خديجة من الذكور)[٢] عليّ بن أبي طالب[٣] .

وعن ابن مردويه قال : ﴿السَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[٤] عليّ عليه السلام ، وسلمان[٥] .

ولعلّه رأي حديثاً في ذلك ، كما يظهر من بعض الكتب أيضاً .

بل من ذلك ما رواه الحافظ أبو نُعيم ، عن ابن عبّاس أنّه قال : ﴿وَالسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ عليّ عليه السلام وسلمان رضي الله عنه[٦] .

وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد السّبق بحسب الرتبة لا بحسب الزمان ، أو لأجل ما يظهر من أحوال سلمان من أنّه كان من أوصياء عيسى عليه السلام ، ومؤمناً بنبيّنا صلى الله عليه وآله قبل الوصول إليه ، على أنّه قد قيل : إنّه وصل إليه وآمن به قبل البعثة ، حتّى أنّه نقل في بعض الكتب المعتبرة : أنّه كان واسطةً في تقريب أبي بكر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في مكّة[٧] .

وفي روايات عديدة عن الباقر عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ *

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٦٨ .

(٢) بدل ما بين القوسين في «م» هكذا : «بالله من الذكور بعد خديجة» .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٥ : ٨٣ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ١٠٠ .

(٥) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٢٠ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ١٠/٣٣٤ .

(٦) انظر : النور المشتعل : ٦٥/٢٤٠ ، وبحار الأنوار ٣٥ : ٤/٣٣٢ .

(٧) انظر : إحقاق الحقّ ٣ : ٣٨٨ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٣٤ .

وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ الآية إلى قوله تعالى : **﴿أُوْلَـٰئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾**[١] «إنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب لم يسبقه أحد»[٢].

وفي روايةٍ : «نزلت فيه وفي وُلده الأئمّة عليهم السلام»[٣].

وظاهرٌ ـ كما بيّنّاه مراراً ـ أنّه ووُلده كنفس واحدة ، ذرّية بعضها من بعضٍ ، فلا يبعد كونهم أيضاً مصداق ما ورد فيه ، بل هذا هو سرّ إيراد الآيات الواردة فيه بصيغة الجمع .

وقد مرّ فيما سبق (من الفصول)[٤] جملة من الأخبار الكثيرَة الموضّحة لكونه أوّل الأمّة إسلاماً ، وأقدمهم إيماناً ، وأسبقهم طاعةً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وفي سائر الخيرات كلّها ، وأنّه هو المقرّب عند الله كرسول الله صلى الله عليه وآله .

ولا يخفى أنّ هذا كلّه من دلائل وجوب كونه إماماً معصوماً مقدّماً على جميع الأُمّة ، لاسيّما بعد ملاحظة ما تقدّم من الآية السابقة وغيرها ، بل ما سيأتي أيضاً كذلك ، فافهم ، والله الهادي .

التاسعة : قوله عزّوجلّ : **﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾** الآية[٥] وأمثالها من الآيات المشتملة على الشهادة .

---

(١) سورة «المؤمنون» ٢٣ : ٥٧ ـ ٦١ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٣٧٦/٢٧٧ ، تفسير القمّي ٢ : ٩٢ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١٣٤ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٢/٣٣٤ نقلاً عن تفسير فرات الكوفي .

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٤/٣٥٣ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١١/٣٣٤ .

(٤) ما بين القوسين لم يرد في «ن» .

(٥) سورة هود ١١ : ١٧ .

اعلم أوّلاً : أنّ الشهادة تطلق على معانٍ :

منها : القتل في سبيل الله ، يقال : فلان شهيد ، أي : مقتول مظلوماً في سبيل الله ، والجمع : الشهداء .

ومنها : الخبر القاطع والإخبار به ، يقال : فلان شاهد على ذلك ، أي: مخبر قاطع في العلم به ، والجمع : الشُهَّد - بفتح الهاء المشدّدة - والشهود والأشهاد ، وقد يقال لهذا الشاهد : الشهيد أيضاً ، ويجمع على الشهداء .

ثمّ إنّ ورود الآيات بالمعنى الثاني كثير منها الآية المذكورة ، وسيظهر أنّ المراد في أكثرها عليٌّ عليه السلام ، بل مع ذرّيّته الأئمّة عليهم السلام ، بل ومع بعض خواصّ الأُمّة أيضاً في بعض الآيات التي منها ما مرّ[1] في الآية السابعة الواردة في كونه صدّيقاً ، وظاهرٌ صدق ذلك عليهم عليهم السلام فيما ورد بالمعنى الأوّل أيضاً؛ ضرورة كونهم رؤساء الشهداء ، هذا .

وقد روى الطبري بإسناده عن جابر بن عبدالله ، عن عليٍّ عليه السلام ، وروى الثعلبي في تفسيره عن زاذان وعن جابر كليهما عن عليٍّ عليه السلام ، وروى النطنزي في الخصائص ، وكذا الحافظ أبو نعيم بثلاثة طُرق عن عبّاد ابن عبدالله الأسدي ، عن عليٍّ عليه السلام أيضاً ، قال : «﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾ رسول الله على بيّنة من ربّه ، ويتلوه أنا شاهد منه»[2] .

وقد ذكر روايةَ عبّاد بنحو مفصّل عنه جماعةٌ كثيرةٌ منهم : النطنزي

---

(١) في ص ١٣٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٢ : ١١ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٦٢ ، ومعرفة الصحابة ١ : ٣٤٥/٣٠٧ ، ونقله عن النطنزي وغيره ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٠٣ - ١٠٤ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٥٦٤ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٨/٣٨٨ .

وأبو نعيم ، ومنهم : الأعمش ، وأبو مريم ، وابن مردويه ، وغيرهم ، هكذا: قال : سمعتُ علياًعليه‌السلام يقول على المنبر : «ما من رجل من قريش إلّا وقد نزلت فيه آية أو آيتان» ـ وفي روايةٍ : «تقوده إلى الجنّة أو تسوقه إلى النار»[١] ـ فقال رجل ممّن لا يحبّه ـ وفي نسخة : ممّن تحته[٢] ، وفي أُخرى : ممّن أبغضه[٣] ـ : فما نزل فيك أنت؟ فغضب ثمّ قال : «أما لو لم تسألني على رؤوس القوم ما حدّثتك ، ويحك هل تقرأ سورة هود؟ ثمّ قرأعليه‌السلام : ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾[٤] رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله على بيّنة من ربّه وأنا الشاهد منه له»[٥] .

وفي روايةٍ : «وأنا الشاهد وأنا منه»[٦] .

وروى مثلَه ابن أبي الحديد في شرحه بإسنادٍ له عن عبدالله بن الحارث[٧] قال : قال عليٌعليه‌السلام على المنبر ، وذكر نحو هذا الخبر[٨] .

---

(١) تفسير فرات الكوفي : ١٨٧ ـ ٢٣٨/١٨٨ و٢٣٩ ، المناقب لابن المغازلي : ٣١٨/٢٧٠ ، شواهد التنزيل ١ : ٣٨٤/٢٨٠ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١١/٣٩١ نقلاً عن تفسير فرات .

(٢) كشف الغمّة ١ : ٣١٥ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ١٥/٣٩٢ .

(٣) انظر : الهامش (٨) .

(٤) سورة هود ١١ : ١٧ .

(٥) الخصائص لابن البطريق : ١٤٠ ـ ٨٢/١٤١ ـ ٨٤ ، كشف الغمّة ١ : ٣١٥ ، تفسير البرهان للبحراني ٣ : ٥٠٥٠/٩٣ ، معرفة الصحابة ١ : ٣٤٥/٣٠٧ ، الدرّ المنثور ٤ : ٤٠٩ ـ ٤١٠ ، وانظر : فضائل الطالبيّين : ٩٧ .

(٦) الأمالي للطوسي : ٨٠٠/٣٧١ .

(٧) هو عبدالله بن الحارث الأنصاري ، يكنّى أبا الوليد ، روى عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وآخرين ، روى عنه : المنهال بن عمرو ، وآخرون .

انظر : تهذيب الكمال ١٤ : ٣٢١٧/٤٠٠ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣١١/١٥٨ .

(٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٧ .

ورواه السيوطي والبغوي في تفسيريهما، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وأبو نُعيم في المعرفة عن عليٍّ عليه السلام[١].

وفي كتاب فصيح الخطيب: أنّ السائل كان ابن الكوّاء[٢].

وقد روى نحو هذا الحديث أيضاً جماعةٌ عن الباقر والصادق والرضا عليهم السلام، وعن زاذان، وعن سليم بن قيس، وعن الأصبغ بن نباتة، وعن عبدالله بن يحيى قالوا: قال عليٌّ عليه السلام على المنبر، وذكروا نحو هذا الخبر بل بوجه أبسط، حتّى أنّ بعضاً منهم ذكر في أوّله أنّه قال: «لو كسرت لي الوسادة لقضيتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى الله يزهر، والله ما نزلت آية في كتاب الله إلّا وقد علمتُ أنّها في مَنْ نزلت، وما من أحد من قريش»[٣]، وذكر نحو الخبر المذكور بتفاوت يسير في العبارة، والمعنى في الجميع واحد متّفق عليه.

وممّن رواه مفصّلاً الثعلبي عن زاذان[٤].

وفي رواية معاوية العجلي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «الذي على

---

(١) الدرّ المنثور ٤ : ٤٠٩، معالم التنزيل ٣ : ١٩٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦ : ٢٠١٥، معرفة الصحابة ١ : ٣٤٥/٣٠٧.

(٢) المصدر غير متوفّر لدينا، وعنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٠٤، وابن جبر في نهج الإيمان : ٥٦٤، والبحراني في تفسير البرهان ٣ : ٥٠٥٥/٩٤.

(٣) تفسير فرات الكوفي : ١٨٨ و٢٣٩/١٨٩ و٢٤١، وأيضاً في ص ٢٤٥/١٩١ عن عبدالله بن نُجي، تفسير العيّاشي ٢ : ١٩٩٩/٣٠٣، تفسير القمّي ١ : ٣٢٤، مجمع البيان ٣ : ١٥٠، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٣، كتاب سُليم بن قيس ٢ : ٩٠٣، الاحتجاج ١ : ٣٦٨، بصائر الدرجات : ١٥٢ بتفاوت، وفي بعضها باختصارٍ.

(٤) تفسير الثعلبي ٥ : ١٦٢.

بيّنة من ربّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، والذي تلاه من بعده الشاهد له منه أمير المؤمنين وأوصياؤه واحداً بعد واحدٍ»(١).

وفي رواية أبي بصير والفضيل بن يسار عنه عليه السلام أنّه قال : «إنّما نزلت ﴿افَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّهِ﴾(٢) يعني النبيّ صلى الله عليه وآله ، ويتلوه شاهد منه ، يعني عليّاً ، إماماً ورحمةً ومن قبله كتاب موسى أُولئك يؤمنون به ، فقدّموا وأخّروا في التأليف»(٣).

وروى حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنّه قال في الآية : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّهِ﴾ النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ قال : كان والله لسان رسول الله صلى الله عليه وآله(٤).

وروى الثعلبي عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ، أنّه قال في الآية : ﴿الشاهد﴾ عليّ عليه السلام(٥).

ورواه عنه القاضي أبو عمرو ، وأبو نصر القشيري في كتابيهما ، ورواه الفلكي في تفسيره عن مجاهد(٦).

وروى ابن المغازلي في مناقبه عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «أنا على بيّنةٍ من ربّه ، وعليٌّ الشاهد منه»(٧).

---

(١) تفسير العيّاشي ٢ : ١٩٩٨/٣٠٣ .

(٢) سورة هود ١١ : ١٧ .

(٣) تفسير القمّي ١ : ٣٢٤ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٤ ، نهج الإيمان : ٥٦٣ .

(٥) تفسير الثعلبي ٥ : ١٦٢ .

(٦) عنهم ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٠٤ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٥٦٤ ، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٨٩ .

(٧) المناقب لابن المغازلي : ٣١٨/٢٧٠ .

ورواه ابن مردويه، وابن عساكر على ما نقله السيوطي في تفسيره من كتابيهما عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله[١].

والأخبار من هذا القبيل كثيرة بحيث قد روى محمّد بن العبّاس بن مروان في كتابه هذا المضمون عن ستّةٍ وستّين طريقاً بأسانيدها[٢].

وقد مرّ كثير من الأخبار المشتملة على مضمون هذه الآية في الفصول السابقة.

وقال الرازي في تفسيره: قد ذكروا في تفسير ﴿**الشاهد**﴾ وجوهاً:

أحدها: أنّه جبرئيل عليه السلام، كان يقرأ القرآن على محمّد صلى الله عليه وآله.

وثانيها: أنّ ذلك الشاهد كان لسان محمّد صلى الله عليه وآله.

وثالثها: أنّ المراد هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والمعنى: أنّه يتلو تلك البيّنة، وقوله تعالى: ﴿**مِنْهُ**﴾ أي هذا الشاهد من محمّد وبعض منه، والمراد[٣] تشريف هذا الشاهد بأنّه بعض من محمّد صلى الله عليه وآله[٤]. انتهى.

ثمّ من شواهد صحّة ما ذكرناه ـ من أنّ المراد بالشاهد في الآية، وكذا في سائر المواضع المشتملة على الفضل والجلالة عليّ عليه السلام وذرّيّته الطاهرون عليهم السلام، وأنّهم شهود الأنبياء عليهم السلام أيضاً ـ ما مرّ فيما سبق[٥] قريباً من بيان الآية المشتملة على الصدّيقين والشهداء.

وما رواه مالك بن أنس عن أبي صالح، عن ابن عبّاس في قوله

---

(١) الدرّ المنثور ٤ : ٤١٠.

(٢) انظر: سعد السعود: ١٤٩، وتأويل الآيات الظاهرة ١ : ٦/٢٢٥، وبحار الأنوار ٣٥ : ٣٩٣.

(٣) في «م»: «المقصود» بدل «المراد».

(٤) التفسير الكبير ١٧ : ٢٠١.

(٥) في ص ١٣٨ وما بعدها.

تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ﴾ (١) قال : يعني بالشهداء : عليّاً ، وجعفراً ، وحمزة ، والحسن ، والحسين هؤلاء سادات الشهداء ، ويعني بالصالحين : سلمان ، وأبا ذرّ ، والمقداد ، وعمّاراً ، وبلالاً ، وخباباً (٢) ، الخبر .

أقول : لا ينافي هذا ما مرّ غير بعيدٍ من تفسير الصدّيقين في الآية بعليٍّ عليه السلام ؛ إذ كلّ واحدٍ منهما صادق عليه حقيقةً كما هو ظاهر .

وروى سليم بن قيس في كتابه عن عليٍّ عليه السلام ، قال : «إنّ الله تعالى إيّانا عنىٰ بقوله : ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (٣) فرسول الله شاهد علينا ، ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته في أرضه ، ونحن الذين قال الله : ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ الآية (٤) (٥) .

وروى سُليم أيضاً عن المقداد ، قال : عليٌّ ديّان هذه الأمّة والشاهد عليها (٦) ، الخبر .

وعن الصادق عليه السلام على ما رواه عنه جماعة عديدة من أصحابه أنّه قال في قوله تعالى : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٧) : «هما النبيّ وأمير المؤمنين

---

(١) سورة النساء ٤ : ٦٩ .

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٥ .

(٣) سورة الحج ٢٢ : ٧٧ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٤٣ .

(٥) كتاب سُليم بن قيس ٢ : ٨٨٥ ، ونقله عنه الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ١٢٩/٩٢ ، وابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٠٥ .

(٦) كتاب سُليم بن قيس ٢ : ٨٥٩ .

(٧) سورة البروج ٨٥ : ٣ .

صلوات الله عليهما»(١).

وقال في قوله تعالى: «﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾(٢): «إنّها نزلت في أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله خاصّة في كلّ قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم ومحمّد شاهد علينا»(٣).

وفي روايةٍ أُخرى ما خلاصته: إنّهم يشهدون على سائر الأنبياء أيضاً بتبليغ الرسالة إلى أُممهم، وأنّ الشاهد على صدق هؤلاء الشهود في شهادتهم النبيّ صلى الله عليه وآله، حيث إنّهم يستندون في شهادتهم إلى إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك وهو يصدّقهم(٤).

والأخبار في هذا الباب خصوصاً من طريق أهل البيت عليهم السلام ممّا لا تحصى، حتّى أنّ في بعض أخبارهم أنّ الإمام عليه السلام استدلّ على ذلك أيضاً؛ حيث قال: «لا يكون الشهداء على الناس إلّا الرسل والأئمّة دون سائر الأُمّة فإنّه غير جائز أن يستشهد الله بهم، وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل»(٥).

وسيأتي شاهداً على هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(٦).

---

(١) الكافي ١: ٦٩/٣٥٢ (باب فيه نُكت ونتف من التنزيل في الولاية)، معاني الأخبار: ٧/٢٩٩.

(٢) سورة النساء ٤: ٤١.

(٣) الكافي ١: ١/١٤٦ (باب في أنّ الأئمّة عليهم السلام شهداء الله عزّوجلّ على خلقه).

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٠٥، بحار الأنوار ٣٥: ٣٨٩، وانظر شرح الأخبار ٣: ١٢٩٨/٤٣٩.

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٩٤، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ٦٣/٣٥١.

(٦) سورة الرعد ١٣: ٤٣.

وإذا عرفت هذا ، فنقول : لا ريب أنّ شاهد النبيّ صلى الله عليه وآله على اُمّته يكون أعدل الخلق سيّما إذا تشرّف بكونه بعضاً منه كما ذكره الرّازي[١] ، فكيف يجوز أن يتقدّم عليه عليه السلام غيره ، لا سيّما من لم يكن بهذه المثابة ولم يجعل في تلك المرتبة ، على أنّ الظاهر أنّ الشاهد المذكور لابدّ أن يكون عالماً بكلّ ما أتى به النبيّ صلى الله عليه وآله وبجميع ما في القرآن ؛ حتّى تكون شهادته له تامّة وافية بكلّ تلك الأشياء ، وكأنّه لأجل هذا أيضاً خصّ عليّ عليه السلام بما ذُكر في الآية ؛ لما مرّ من كونه أعلم الأُمّة ، ويأتي في الآية الثانية عشر أيضاً من أنّه هو المراد بمن عنده علم الكتاب ، وأنّه هو الذي جعله الله مع نفسه شاهداً على رسوله صلى الله عليه وآله ، وظاهرٌ أنّ مثل هذا هو مصداق المعلّم الذي بيّنّا سابقاً لزوم وجوده في كلّ عصرٍ ، فيجب أن يكون هو إماماً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله .

هذا ، مع أنّه معلومٌ أنّ أعدل الأُمّة التي فيهم مثل سلمان وأبي ذرّ وأمثالهما لا يكون إلّا من يكون معصوماً ، وظاهرٌ أنّ مثل هذا يجب أن يكون إماماً ، بل ربّما يقال بأنّ قوله تعالى : ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[٢] بمعنى كون أمير المؤمنين عليه السلام تالياً للنبيّ صلى الله عليه وآله للإشعار بكونه إماماً بعده بلا فصل .

ويؤيّد هذا كلّه ما مرّ آنفاً من قول الباقر عليه السلام : إنّ قوله تعالى : ﴿إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ كان متّصلاً بقوله سبحانه : ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[٣] .

ولا يخفى أنّه يظهر المعنى حينئذٍ غاية الظهور ، بل يصير نصّاً صريحاً ، فافهم ، والله الهادي .

---

(١) تقدّم تخريجه في ص ١٥٨ ، الهامش (٤) .

(٢) سورة هود ١١ : ١٧ .

(٣) تقدّم تخريجه في ص ١٥٧ ، الهامش (٣) .

العاشرة: قوله عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[١] وأمثاله من الآيات التي تفيد هذا المفاد، كقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[٢] ونحو ذلك.

روى الجَلُوديّ[٣] بإسناده عن الأعمش، عن المنهال، عن عَبّاد بن عبدالله الأسدي، قال: قال عليٌّ عليه السلام: «ما نزلت في القرآن آية إلّا وقد علمتُ أنّها أين نزلت وفي مَنْ نزلت» قيل: فما نزل فيك؟ فقال: «لولا أنّكم سألتموني ما أخبرتُكم، نزل فِيَّ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فالنبيّ صلى الله عليه وآله المنذر وأنا الهادي إلى ما جاء به»[٤].

والظاهر أنّ هذا أيضاً من جملة الخبر الذي رويناه عن عَبّاد عنه عليه السلام في الآية السابقة بأن يكون الإمام عليه السلام، ذكر آياتٍ في شأنه، ويحتمل أنّه عليه السلام ذكر هذا في يوم آخَر، إلّا أنّه بعيد.

وروى الحسكاني في شواهد التنزيل، والمرزباني فيما نزل من القرآن في عليٍّ عليه السلام، عن أبي برزة قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالطهور وعنده عليٌّ عليه السلام، فأخذ بيد عليٍّ عليه السلام بعد ما تطهّر فألصقها بصدره، ثمّ قال: «إنّما أنا منذر»، ثمّ ردّدها إلى صدر عليٍّ عليه السلام» ثمّ قال: «ولكلّ قوم هاد»، ثمّ قال: «ياعليّ أنت منار الأنام، وراية الهدى، وأمين القرآن، وأشهد على ذلك

---

(١) سورة الرعد ١٣ : ٧.

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٨١.

(٣) هو عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري، يكنّى أبا أحمد شيخ البصرة وأخباريّها.

انظر: رجال النجاشي: ٦٤٠/٢٤٠، رجال الطوسي: ٦٢٢٢/٤٣٥، جامع الرواة ١ : ٤٦٠.

(٤) الأمالي للصدوق: ٤٢٣/٣٥٠.

أنّك كذلك»[١].

ورواه أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقرعليه‌السلام إلّا أنّ فيه : «أنت منار الإيمان ، وأصل الدين ، وغاية الهدىٰ ، وأمير[٢] الغرّ المحجّلين ، أشهد لك بذلك»[٣].

وروى الثعلبي في تفسيره ، والحافظ أبو نُعيم ، والفلكي المفسّر ، والعزّ الحنبليّ ، وابن شيرويه في الفردوس ، كلّهم عن عطاء بن السائب ، عن ابن جبير ، عن ابن عبّاس ، بتفاوت يسير سهل ؛ فإنّ في كلام بعضٍ منهم ليس قوله : لمّا نزلت الآية ، قال : لمّا نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يده على صدره ، وقال : «أنا المنذر» وأومأ بيده إلى منكب عليٍّ عليه‌السلام ، وقال : «أنت الهادي ياعليّ بك يهتدي المهتدون بعدي»[٤].

وقد رواه ابن مردويه أيضاً بعدّة طرق عن ابن عبّاس[٥].

ورواه الرازي في تفسيره عنه أيضاً هكذا : قال ابن عبّاس ، وذكر

---

(١) شواهد التنزيل ١ : ٤١٤/٣٠١ وفيه : عن أبي فروة السلمي بتفاوت ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠١ نقلاً عن الحسكاني والمرزباني ، بحار الأنوار ٣٥ : ٣٩٨ نقلاً عن المناقب .

(٢) في بعض النُّسَخ وكذلك في بعض المصادر : «وقائد» بدل «وأمير» .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٢٠٥ ـ ٢٧٠/٢٠٦ ، بصائر الدرجات : ٥٠ ـ ٨/٥١ ، وعنهما في بحار الأنوار ٣٥ : ٩/٤٠٠ .

(٤) تفسير الثعلبي ٥ : ٢٧٢ ، معرفة الصحابة ١ : ٣٤٣/٣٠٥ ، ونقله عنهم ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٠١ ـ ١٠٢ ، والإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٢ عن العزّ الحنبلي وغيره ، وانظر : فردوس الأخبار ـ دار الكتب العربي ـ ١ : ١٠٣/٧٥ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٣٩٨ ـ ٣٩٩ .

(٥) نقله عنه الإربلي في كشف الغُمّة ١ : ٣١٥ ، والسيوطي في الدرّ المنثور ٤ : ٦٠٨ .

الخبر بعينه[١].

وقد روى جماعة بأسانيد عن عبدالله بن عطاء، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، بل رواه عنه عليه السلام وعن ولده الصادق عليه السلام قوم من أصحابهما من المخالف والمؤالف حتّى روى عنه عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لمّا أُسري بي إلى السماء لم يكن بيني وبين ربّي ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، وما سألت ربّي حاجة إلّا أعطاني خيراً منها، فوقع في مسامعي: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقلت: إلهي، أنا المنذر فمن الهادي؟ فقال الله، يامحمّد ذاك عليّ بن أبي طالب غاية المهتدين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين من أُمّتك برحمتي إلى الجنّة»[٢].

وفي روايةٍ أُخرى عنه عن آبائه عليهم السلام في هذه الآية: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «أنا المنذر وعليّ الهادي، وكلّ إمام منّا هادٍ للقرن الذي هو فيه»[٣].

وفي روايةٍ أُخرى هكذا: «وفي كلّ زمان إمام منّا يهديهم إلى ما جاء به نبيّ الله صلى الله عليه وآله، والهداة من بعده عليّ والأوصياء من بعده واحد بعد واحد، أما والله ما ذهبت منّا ولا زالت فينا إلى الساعة»[٤].

وفي كتاب المناقب عن سعيد بن المسيّب وغيره عن أبي هريرة،

---

(١) التفسير الكبير ١٩: ١٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٢٠٦/٢٧٢، وعنه في بحار الأنوار ٣٥: ٤٠٠/١١، وفيهما عن عبدالله بن مسعود.

(٣) تفسير العيّاشي ٢: ٣٧٩/٢١٨٦ بتفاوت يسير، وعنه في بحار الأنوار ٣٥: ٤٠٤/٢٢.

(٤) تفسير العيّاشي ٢: ٣٨٠/٢١٨٧، بصائر الدرجات: ٤٩/١، وليس فيه ذيل الحديث، بحار الأنوار ٣٥: ٤٠٤/٢٣ نقلاً عن العياشي.

قال : سألتُ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله عن هذه الآية ، فقال لي : «هادي هذه الأمّة عليّ بن أبي طالب»(١) .

وستأتي في الفصل الحادي عشر رواية أُخرى عن أبي هريرة أيضاً أصرح ممّا ذكرناه .

وروى الثعلبي والسدّي ، عن عبد خير ، عن عليّ عليه‌السلام ، قال : «المنذر النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، والهادي رجل من بني هاشم» قال : يعني نفسه(٢) .

وفي رواية الحافظ أبي نُعيم بإسناده عن عبد خير ، عن ابن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : «أنا المنذر والهادي رجل من بني هاشم»(٣) .

وقال الرازي في تفسيره : ذكروا في هذه الآية أقوالاً ، إلى أن قال : والثالث : المنذر النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله والهادي عليّ عليه‌السلام ، ثمّ روى مؤيّداً لهذا الأخير ما ذكرناه من رواية ابن عبّاس التي نقلناها من كتب عديدة منها تفسير هذا الرجل(٤) .

وقد نقل الطبرسي نزول الآية في عليّ عليه‌السلام عن ابن عبّاس وقتادة والزجّاج وابن زيد ، وغيرهم(٥) .

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٢ ، وكذا في شواهد التنزيل ١ : ٤٠٦/٢٩٧ ، وبحار الأنوار ٣٥ : ٨/٣٩٩ .

(٢) تفسير الثعلبي ٥ : ٢٧٢ ، وفيه : روى السدّي عن عبدالله بن عليّ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٢ ، وفيه : الثعلبي عن السدّي عن عبد خير ، بشارة المصطفى : ٥٢/٣٦٢ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٨/٣٩٩ نقلاً عن المناقب ، وأورده ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٣) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٠٢ .

(٤) التفسير الكبير للرازي ١٩ : ١٤ .

(٥) نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ٣٥ : ٤٠٦ . وانظر مجمع البيان ٣ : ٢٧٨ .

وقد صنّف ابن عقدة كتاباً في أنّ المراد بالهادي في هذه الآية عليّ أمير المؤمنين عليه السلام[١].

ورواه الثعلبي أيضاً مسنداً عن جابر وعن ابن المسيّب[٢].

وروى محمّد بن العبّاس بن مروان في تفسيره: كون الهادي عليّاً عليه السلام في الآية بخمسين طريقاً من طُرق المخالف والمؤالف.

منها: ما رواه بإسنادٍ له عن السبيعي، عن بريد الأسلمي أنّه قال في الآية: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وضع يده على منكب عليٍّ عليه السلام وقال: «هذا الهادي من بعدي»[٣].

وروى الحافظ أبو نُعيم بثلاثة طُرق عن حذيفة بن اليمان قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إن تستخلفوا عليّاً ـ وما أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهديّاً يحملكم على المحجّة البيضاء»[٤].

وقد روى السيوطي في جامعه الكبير عن عمر بن الخطّاب أنّه قال في خلافته لمّا جعلها شورى نحو هذا الكلام بعينه[٥].

وقد مرّ هو وأمثاله مع سائر ما يدلّ على كونه هادياً مهديّاً، وكذا الأوصياء من ذرّيّته في الفصول السابقة.

منها: ما ذكره الخطيب الخوارزمي في أربعينه عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة ينادون عليّ بن أبي طالب بسبعة

---

(١) ذكره ابن شهرآشوب في مناقبه ٣: ١٠١، وابن جبر في نهج الإيمان: ١٨٣.

(٢) لم نعثر عليه في تفسير الثعلبي، وعنهما في نهج الإيمان: ١٨٥.

(٣) عنه ابن طاووس في سعد السعود: ١٩٩ ـ ٢٠٠، بحار الأنوار ٣٥: ٤٠٥ـ٤٠٦.

(٤) حلية الأولياء ١: ٦٤.

(٥) انظر: جامع الأحاديث ٣: ٨٥٢١/٢٦٢ عن حُذيفة.

أسماء : ياصدّيق ، يادالّ ، ياعابد ، ياهادي ، يامهديّ ، يافتى ، ياعليّ»[١] .

وقد روى الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾[٢] : يعني من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله ﴿أُمَّةٌ﴾ ، قال : يعني عليّ بن أبي طالب ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ قال : يعني يدعو بعدك يامحمّد إلى الحقّ ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال : يعني في الخلاف بعدك ، ثمّ قال ابن عبّاس : ومعنى الأُمّة : العَلَمُ في الخير ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً﴾[٣] [٤] الخبر .

وقد روى ابن مردويه أيضاً تفسير هذه الآية عن زاذان وغيره ، عن عليّ عليه السلام هكذا : قال عليه السلام : «تفترق هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنّة ، وهُم الذين قال الله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾[٥] الآية ، وهُم أنا وشيعتي»[٦] .

وعن أنس أنّه قال : قرأ النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الآية ، ثمّ قال : «إنّ من أُمّتي قوماً على الحقّ حتّى ينزل عيسى بن مريم»[٧] .

---

(١) وجدناه في مناقب الخوارزمي : ٣٢٣/٣١٩ ، وفي مائة منقبة لابن شاذان : ٨٣/١٥٠ ، ونقله عن أربعين الخوارزمي ابن جبر في نهج الإيمان : ٥١٦ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٨١ .

(٣) سورة النحل ١٦ : ١٢٠ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٢ ، شواهد التنزيل ١ : ٢٦٦/٢٠٤ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٣٩٩ ـ ٨/٤٠٠ نقلاً عن المناقب .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ١٨١ .

(٦) نقله عنه الإربلي في كشف الغُمّة ١ : ٣٢١ ، والحلّي في كشف اليقين : ٣٨٩ ، والتستري في إحقاق الحقّ ٣ : ٤١٣ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١٨٦ ، نقلاً عن الكشف ، والخوارزمي في مناقبه : ٣٥١/٣٣١ .

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥ : ٩٣٢٦/١٦٢٣ ، التفسير الكبير للرازي ١٥ : ←

وفي روايةٍ أُخرى: أنّ النبيّ ﷺ قال: «هذه الآية لكم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها»(١).

أقول: أشار به عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ**﴾(٢) الآية.

وقد ذكر الرازي أيضاً هذه الآية وقال: إنّها صريحة في تخصيص بعض الأُمّة بكونهم على الحقّ، وقال: أكثر المفسّرين على أنّ المراد بالأُمّة هاهنا قوم محمّد [ﷺ]، ورواه قتادة، وابن جريج أيضاً عن النبيّ ﷺ(٣).

ولا يخفى أنّ حديث ابن مردويه وغيره صريح في كونهم عليّاً عليه السلام وشيعته.

وقد مرّ في ذيل الآية الثالثة معنى الشيعة، وأنّ مَنْ تقدّم على عليٍّ عليه السلام ليس منهم.

وقد تكلّمنا في المقدّمة في باب اختلاف الأُمّة ما يوضّح هذا، فارجع إليه.

ثمّ إنّه قد روي عن أئمّة أهل البيت [عليهم السلام] تفسير أكثر الآيات التي من هذا القبيل بعليٍّ عليه السلام والأوصياء من ولده، كقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ ٱتَّبَعَ**

↩ ٧٢، الدرّ المنثور ٣: ٦١٧ نقلاً عن ابن أبي حاتم، وفي المصادر: عن الربيع بن أنس.

(١) تفسير الطبري ٩: ٩٢، تفسير القرآن للسمعاني ٢: ٢٣٦، التفسير الكبير ١٥: ٧٢، الوسيط ٢: ٤٣١، معالم التنزيل ٢: ٥٧٦ بتفاوتٍ.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٥٩.

(٣) انظر: تفسير السمرقندي ١: ٥٨٥، وتفسير القرآن للسمعاني ٢: ٢٣٦، والوسيط ٢: ٤٣١، ومعالم التنزيل ٢: ٥٧٦، وزاد المسير ٣: ٢٩٤، والتفسير الكبير للرازي ١٥: ٧٢، وبحار الأنوار ٣٦: ١٨٧ نقلاً عن الرازي.

هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(١) ، وقوله : **﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾**(٢) وقوله : ما أنزل الله من الهدى(٣) ، وغيرها(٤) .

وجميع ذلك من شواهد ما نحن فيه من تفسير الآية بما هو صريح ما ذكرناه من الأخبار ، فإنّ الآية بحسب الظاهر من اللفظ تحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون قوله تعالى : **﴿هَادٍ﴾** خبراً لقوله تعالى : **﴿أَنتَ﴾** أي : أنت هادٍ لكلّ قومٍ .

وممّا يبعّده توسيط «لكلّ قومٍ» بين «منذر» و«هادٍ» ، كما هو غير خفيٍّ على البصير بأُسلوب كلام الفصحاء .

والثاني أن يكون «هادٍ» مبتدأ ، والظرف خبره ، وعلى الثاني قيل : إنّ المراد بالهادي هو الله تعالى(٥) .

ولا يخفى بُعْده لا سيّما من جهة أنّ المتبادر أنّ لكلّ قومٍ هادياً مختصّاً بهم منهم ، كما يظهر من الآية الثانية وأمثالها .

وقيل : المراد كلّ نبيّ مرسل في قومه(٦) .

وفيه : بعد استلزامه نوع تخصيصٍ أنّه حينئذٍ لا يبقى لقوله : **﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾** وجه وجيه كما هو ظاهر ، مع أنّ عادة الله في القرآن جارية

(١و٢) سورة طه ٢٠ : ١٢٣ .

(٣) لعلّه اقتباس من قوله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾** سورة البقرة ٢ : ١٥٩ .

(٤) تأويلات الآيات الظاهرة ١ : ١٩/٣٢٠ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٢٩ ، و٤ : ٤٣٢ ، الكافي ١ : ١٠/٣٤٢ (باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية) ، وعنها في بحار الأنوار ٢٤ : ٣٠/١٤٩ ، و ٣١/١٥٠ ، و٣٥ : ١٢/٥٨ .

(٥) مجمع البيان ٣ : ٢٧٨ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٤٠٦ ، التفسير الكبير للرازي ١٩ : ١٤ ، الدرّ المنثور ٤ : ٦٠٨ .

(٦) بحار الأنوار ٣٥ : ٤٠٦ ، وانظر : التفسير الكبير للرازي ١٩ : ١٤ .

بنسبة الإنذار إلى الأنبياء، فتأمّل تفهم.

والحقّ ـ كما يظهر من الآية الثانية وأشباهها ـ أنّ المعنى: أنّ لكلّ قومٍ في كلّ زمانٍ إماماً هادياً يهديهم إلى مراشدهم، وهو المتبادر المناسب لشأن عموم الإحسان، وشمول اللطف، وإتمام الحجّة، وتدلّ عليه الأخبار المذكورة، بل هذه الأخبار تدلّ أيضاً على نفي سائر المعاني المذكورة، وإذا ورد نزولها في عليٍّ عليه السلام ثبت أنّه أوّلهم في هذه الأمّة، وظهر أنّها جارية في الأوصياء من بعده، فهو الإمام والمعصوم والخليفة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله دون غيره.

أمّا أوّلاً: فلأنّ مقابلته للنبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه منذر وعليٌّ عليه السلام هادٍ أدلّ دليل على كونه بعده قائماً بما كان يقوم به، متّصفاً بما هو من لوازم ذلك، كما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان كذلك، فهذا أمر واضح على من له معرفة بأساليب الكلام.

وأمّا ثانياً: فلأنّ المراد ليس إلّا الهداية إلى كلّ خير وجميع الحقّ الوارد من الله [تعالى] ورسوله صلى الله عليه وآله؛ ضرورة أنّ الهداية إلى بعضٍ دون بعضٍ أمر ميسور لمن له أدنى علم بالدين، بل كان يصدر من كثيرٍ من الصحابة والتابعين، وعلى هذا فلابدّ أن يكون مثل هذا الهادي عالماً عاملاً بجميع الخير والحقّ كالنبيّ صلى الله عليه وآله؛ ضرورة عدم الاعتماد عليه وعلى قوله إن لم يكن كذلك، إنّ الهداية واقعاً وحقيقةً لا تتحقّق إلّا بعد معرفة الهادي بما يهدي إليه، ولا تأثير لها إن لم يعمل بما يقول، بل ليس مثله قابلاً لأن يجعله الله هادياً، كما حقّقناه مراراً فيما مرّ ويأتي لاسيّما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1]، فضلاً عن جعله أيضاً قريناً للرّسول صلى الله عليه وآله،

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

وإذا ظهر لزوم هذا الاتّصاف ، فلا يخفى أنّ هذا هو وصف المعلّم الذي بيّنّا وجوبَ وجوده مادام التكليف ، وأثبتنا لزوم كونه عالماً بالأشياء ، معصوماً عن الكذب والخطأ مثل الأنبياء ، وإذا خُصّ ذلك بعليّ عليه السلام فهو ذاك المعلّم ، وهو المطلوب .

هذا كلّه ، مع ما تضمّنته الأخبار المذكورة لاسيّما بعضها من العبارات الصريحة في اختصاصه بهذا الأمر ، وكونه شيئاً عظيماً وأمراً خطيراً شرّفه الله به ، وجعله أهلاً له ، بل بعضها صريح في كونه إماماً ، ومع الحصر المستفاد من قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «أنت الهادي»[1]؛ إذ تعريف الخبر باللّام يدلّ على الحصر ، وكذا من قول عليّ عليه السلام : «أنا الهادي إلى ما جاء به»[2] ، وكذا من قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «والهادي عليّ»[3] فإنّ تعريف المبتدأ باللّام أيضاً يدلّ على الحصر ، وكذا من تقديم الظرف المنادي بالحصر في قوله : «وبك يهتدي المهتدون»[4] . وأمثال ذلك ، فإنّ جميع ذلك ينادي بالانحصار في عليّ عليه السلام وعدم قابليّة غيره ، بل وجوب عدم متابعة غيره ، كما هو صريح آياتٍ ، لا سيّما الواردة في هذا الأمر .

منها : قوله تعالى : ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِى سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5] .

وقوله سبحانه : ﴿أَفَمَن يَهْدِى إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أَمَّن

(١) شواهد التنزيل ١ : ٤٠٢/٢٩٦ .
(٢) شواهد التنزيل ١ : ٤١٣/٣٠٠ .
(٣) شواهد التنزيل ١ : ٣٩٨/٢٩٣ .
(٤) شواهد التنزيل ١ : ٣٩٩/٢٩٥ و ٤٠٠ .
(٥) سورة الملك ٦٧ : ٢٢ .

لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١) وأمثالهما.

فافهم حتّى تعلم أنّ من هذا يظهر أيضاً أنّ ما سيأتي في مستندات القوم ومستمسكاتهم من حديث: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»(٢) لا أصل له، كما اعترف به جمع منهم: ابن حزم، والحافظ زين الدين العراقي، خصوصاً شارح الشفاء، فإنّه ضعّف رواته، بل صرّح بكونه موضوعاً(٣)، كما سيأتي في محلّه.

فتأمّل ولا تغفل عمّا سيأتي في المطلب الآتي من سائر آيات الهداية المناسبة لهذه الآية، والله الهادي.

الحادية عشرة: قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾**(٤) وكذا ما يفيد هذا المفاد، كقوله تعالى: **﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾**(٥).

وقد روى كون المراد بحبل الله في الآية الأولى أئمّتنا عليهم السلام جماعة كثيرة من أصحابنا بأسانيد عن الباقر، والصادق، والكاظم عليهم السلام(٦).

وكذا رواه بأسانيد عن الصادق عليه السلام جمع من المخالفين منهم:

---

(١) سورة يونس ١٠: ٣٥.

(٢) نثر الدرّ لأبي سعيد الآبي ١: ١٦٥، جامع بيان العلم وفضله ٢: ٨٩٨ و٩٢٤ و١٦٨٤/٩٢٥ و١٧٥٩ و١٧٦٠، الاجتهاد لأبي المعالي الجويني: ١٢٢، الكامل لابن عدي ٣: ٥٠٢/٢٦٣ ترجمة حمزة بن أبي حمزة.

(٣) الإحكام في أُصول الأحكام لابن حزم ٥: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، نسيم الرياض في شرح الشفاء ٣: ٤٢٣ ـ ٤٢٤ نقلاً عن ابن حزم والحافظ العراقي.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٠٣.

(٥) سورة آل عمران ٣: ١١٢.

(٦) تفسير فرات الكوفي: ٧٣/٩١، تفسير العيّاشي ١: ٧٦٢/٣٣٤، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٢، شواهد التنزيل ١: ١٨٠/١٣١ بتفاوت يسير.

الحافظ أبو نُعيم ، ومنهم : العزّ الحنبلي ، ومنهم : الثعلبيّ في تفسيره ، كما نقل عنه ابن حجر أيضاً في صواعقه(١) .

وبالجملة ، الروايات مستفيضة ولو بتفاوت سهل في العبارة .

ففي بعضها : أنّه قال : «نحن حبل الله الذي قال الله : ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾» كرواية الثعلبي وجمع(٢) .

وفي بعضها : أنّه سُئل عن الآية ، فقال : «عليّ بن أبي طالب حبل الله المتين»(٣) .

وفي بعضها : أنّه قال في الآية : «حبل الله عليٌّ وأهل بيته عليهم‌السلام» في رواية الحنبلي وغيره(٤) .

وفي بعضها : أنّه قال : «ولاية عليٍّ الحبل الذي قال الله تعالى : ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فمن تمسّك به كان مؤمناً ، ومَنْ تركه خرج من الإيمان»(٥) .

وقد روى جمع منّا ومنهم في هذا أيضاً رواية أُخرى مفصّلةً رواها جمع منهم : الخيبريّ ، ومنهم : المفيد ، ومنهم : محمّد بن عبّاس بن مروان ، عن عليّ بن الحسين عليهما‌السلام ، ورواها بعض العلماء عن ابن عبّاس

---

(١) خصائص الوحي المبين : ١٣٩/١٩٣ ، كشف الغمّة ١ : ٣١١ ، تفسير الثعلبي ٣ : ١٦٣ ، الصواعق المحرقة : ٢٣٣ .

(٢) تفسير الثعلبي ٣ : ١٦٣ ، تفسير فرات الكوفي : ٧٣/٩١ ، مجمع البيان ١ : ٤٨٢ ، نهج الإيمان : ٥٤٧ ، العمدة لابن البطريق : ٣٥٠ .

(٣) تفسير العيّاشي ١ : ١٢٢/١٩٤ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١/١٥ .

(٤) انظر : مصادر الهامش (١) ، وبحار الأنوار ٣٦ : ٧/١٨ نقلاً عن الكشف .

(٥) تفسير فرات الكوفي : ٩٠ ـ ٧٢/٩١ ، شواهد التنزيل ١ : ١٣٠ ـ ١٧٨/١٣١ و١٧٩ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١٠/١٨ نقلاً عن تفسير فرات الكوفي .

أيضاً، وكذا رواها العنبريّ بإسنادٍ له عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وبإسنادَين له عن الباقر والصادق عليهما السلام، ورواها غيره عنهما أيضاً، وكذا عن أبي عبدالله الحسين عليه السلام، ولنذكرها على نقل مَنْ أبسط في نقلها مشيراً إلى اختلاف رواية بعض رواتها.

قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً في المسجد وأصحابه حوله فقال صلى الله عليه وآله لهم: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة يسأل عمّا يعنيه» فطلع عليهم رجل شبيه برجال مصر، فتقدّم وسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله وجلس -وفي روايةٍ: كان النبيّ صلى الله عليه وآله جالساً مع أصحابه إذ ورد عليه رجل في هيئة أعرابيّ فبرك بين يديه[(١)] - قالوا: فقال: يا رسول الله إنّي سمعت الله يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فما هذا الحبل الذي أمرنا الله بالاعتصام به، وأن لا نتفرّق عنه؟ فأطرق النبيّ صلى الله عليه وآله ساعة، ثمّ رفع رأسه وأشار إلى عليّ بن أبي طالب - وفي روايةٍ: فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله يده فوضعها على كتف عليٍّ عليه السلام، وفي ثالثةٍ: فضرب النبيّ صلى الله عليه وآله يده على كتف عليٍّ عليه السلام[(٢)] - قالوا: ثمّ قال: «هذا حبل الله الذي من تمسّك به عصم في دنياه ولم يضلّ في آخرته»، وفي الرواية الأُخرى: «هذا حبل الله فاعتصم به»[(٣)]، وفي الثالثة بعد نقل ضربة يده على كتف عليٍّ عليه السلام، فقال: «هو ولاية هذا»[(٤)].

وفي رواية ابن عبّاس: فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا نبيّ الله وهذا عليّ بن

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٧٤/٩١، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ١١/١٨.
(٢) انظر: تفسير فرات الكوفي: ٧٤/٩١، بحار الأنوار ٣٦: ١١/١٨.
(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٢ - ٩٣ عن العنبري، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٥/١٦.
(٤) راجع: الهامش (٢).

أبي طالب حبله»(١).

وفي أكثر الروايات : فوثب الرجل إلى عليّ عليه‌السلام والتزمه من وراء ظهره ، ثمّ قال : اللّهمّ إنّي أُشهدك أنّي اعتصمتُ بحبلك(٢).

وفي روايةٍ : قال : اعتصمتُ بحبل الله وحبل رسوله(٣).

وفي روايةِ ابن عبّاس ليس الالتزام ، بل فيها : فخرج الأعرابي وهو يقول : آمنتُ بالله وبرسوله واعتصمتُ بحبله(٤).

وفي رواية العنبريّ : إنّ الأعرابي لمّا خرج قال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله : «مَنْ سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا»(٥).

وفي رواية عليّ بن الحسين عليهما‌السلام : فقام رجل من الناس فقال : يا رسول الله ، ألحقه وأسأله أن يستغفر لي؟ فقال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله : «إذاً تجده موفقاً» وفي نسخة مرفقاً» ـ يقال : أرفقه إذا رفق به ونفعه ـ قال : فلحقه الرجل فسأله أن يستغفر له ، فقال : هل فهمت ما قال لي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وما قلت له؟ قال الرجل : نعم ، فقال له : إن كنت متمسّكاً بذلك الحبل فغفر الله لك وإلّا فلا غفر الله لك وتركه وذهب(٦).

ثمّ هاهنا رواية أُخرى مفصّلة أيضاً رواها صاحب كتاب المناقب عن الطبراني أنّه رواها بإسنادٍ له عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : دخل على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قومٌ من أهل اليمن ، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله : «قومٌ رقيقةٌ قلوبهم راسخٌ

---

(١) تفسير فرات الكوفي : ٧٠/٩٠ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٩/١٨ .

(٢) انظر : الهامش (٣) من ص ١٧٤ .

(٣) انظر : الهامش (٦) .

(٤) انظر : الهامش (١) .

(٥) انظر : الهامش (٣) من ص ١٧٤ .

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١١٧ ، الغيبة للنعماني : ٢/٤١ ، بحار الأنوار ٣٦: ٣/١٥ .

إيمانهم، منهم المنصور، يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلفَ وصيّي، حمائل سيوفهم من المسد»، فقالوا: يارسول الله ومن وصيّك؟

فقال: «هو الذي أمركم الله بالاعتصام به، فقال عزّوجلّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[١]».

فقالوا: يا رسول الله بيِّن لنا ما هذا الحبل؟

فقال: «هو قول الله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[٢] فالحبل من الله كتابه، والحبل من الناس وصيّي».

فقالوا: من وصيّك يا رسول الله؟

فقال: «هو الذي قال الله فيه: ﴿يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ﴾[٣] وصيّي هو جنب الله».

فقالوا: وما جنب الله هذا؟

قال: «هو الذي يقول الله فيه: ﴿يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْه يَقُولُ يَالَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٤] هو وصيّي، والسبيل إلَيَّ من بعدي».

فقالوا: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ أرناه فقد اشتقنا إليه.

فقال: «هو الذي جعله الله آيةً للمؤمنين المتوسّمين، فإن نظرتم أنتم إليه نظر مَنْ كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد عرفتم أنّه وصيّي، كما عرفتم أنّي نبيّكم، قوموا تخلّلوا الصفوف وتصفّحوا الوجوه، فمن أهوت

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٠٣.
(٢) سورة آل عمران ٣: ١١٢.
(٣) سورة الزمر ٣٩: ٥٦.
(٤) سورة الفرقان ٢٥: ٢٧.

إليه قلوبكم فإنّه هو وصيّي؛ لأنّ الله يقول في كتابه : **﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ﴾**⁽¹⁾ أي إليه وإلى ذرّيته» .

فقام أبو عامر الأشعريّ في الأشعريّين ، وأبو غرّة الخولاني في الخولانيّين ، وظبيان ، وعثمان بن قيس ، وعُرنة الدوسيّ في الدوسيّين ، ولاحق بن علاقة ، فتخلّلوا الصفوف ، وتصفّحوا الوجوه ، فأخذوا بيد الأنزع البطين عليه‌السلام وقالوا : إلى هذا أهوَتْ أفئدتُنا يا رسول الله .

فقال : «نعم ، أنتم بحمد الله عرفتم وصيّ رسول الله قبل أن تعرّفوه» .

قال جابر : فرفعوا أصواتهم يبكون ويقولون : يا رسول الله ، نظرنا إلى القوم فلم نَحِنَّ لهم ، ولمّا رأيناه رجفت قلوبنا ثمّ اطمأنّت نفوسنا إليه [...] حتّى كأنّه لنا أبٌ ونحنُ له بنون .

فقال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله : «وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم ، أنتم منهم بمنزلة الذين سبقت لهم من الله الحُسنى ، وأنتم عن النار مُبعَدون» .

قال جابر : فبقي هؤلاء القوم المُسمّون حتّى شهدوا مع أمير المؤمنين عليه‌السلام الجمل وصفّين ، وكان النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بشّرهم بالجنّة وأخبرهم أنّهم يستشهدون مع عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام[2] .

أقول : المسد هو حبل من ليف أو خوص[3] ، والظاهر أنّ المنصور هو الذي يخرج من اليمن قريباً من زمان القائم عليه‌السلام كما صرّح به بعض

---

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٧ .

(٢) الغيبة للنعماني : ١/٣٩ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ١١٢ ـ ٦٠/١١٤ .

(٣) انظر : لسان العرب ٣ : ٤٠٢ ، مادّة ـ مسد ـ .

أصحابنا(١)، وورد بخروجه الأخبار من أئمّتنا(٢)، ولعلّه من السادة الذين بيدهم ملك اليمن اليوم، أو المراد به أوّل من خرج من هؤلاء قُبيل زماننا هذا، لأنّه خرج بهذا العدد أو قريباً منه على آل عثمان وانتصر عليهم وضبط اليمن، واليوم إمام اليمن من نسله، ولا يضرّ نسبة نصرة الخلف إليه إذا كان الناصر بعض ولده؛ لشيوع هذا الإطلاق في كلام الفصحاء، بل في كلام الله ورسوله، لكنّهم يدّعون أنّهم على مذهب الزيديّة لكثرة وجود تلك الفرقة باليمن، وقد مرّ في محلّه بيان بطلان ذلك المذهب، إلّا أنّ الذي وصل إلينا من المطّلعين على أحوالهم أنّ أكثر أئمّتهم لاسيّما أوّلهم المذكور حتى الذي في زماننا هذا كانوا إماميّة وإن لم يُظهروا بذلك مصلحةً، والله يعلم.

هذا، مع أنّ إخبار النبيّ صلّى الله عليه وآله بالنصرة والمدح لذلك ربّما كان لأجل أنّهم يختارون وقت نصرة الخلف القائم المذهبَ الحقّ؛ لكون أكثرهم جاروديّة، وهُم قريبون إلى المذهب الحقّ، فافهم.

وإذا عرفت هذا، فاعلم أيضاً أنّه قد ظهر من الخبر الأخير كون المراد بـ ﴿حَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أيضاً في الآية الثانية عليّاً عليه السلام وذرّيته الأئمّة عليهم السلام.

ويشهد لهذا روايات غيره أيضاً.

منها: ما رواه جماعة من أصحاب الأئمّة عليهم السلام بأسانيد عديدة عن الأئمّة عليهم السلام ـ عن الباقر والصادق عليهما السلام ـ من تفسيرهم: الحبل من الناس في

---

(١) العلّامة المجلسي في بحار الأنوار ٣٦ : ١١٤.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢ : ٣٧٥، الغيبة للطوسي: ٤٤٣/٤٤٦، الصراط المستقيم ٢ : ٢٥٠، بحار الأنوار ٥٢ : ٥٢/٢١٠، وفيها ... اليماني، ويحتمل أنّه هو المنصور اليماني.

الآية بعليّ عليه السلام[١] ، حتّى أنّ في رواية أبان بن تغلب الثقة عند المخالف والمؤالف[٢] أنّه قال : سألتُ أبا جعفر الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣] فقال : «ما يقول الناس فيها؟» قال : قلت : يقولون : ﴿حَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كتابه ، ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ عهده الذي عهد إليهم ، قال عليه السلام : «كذبوا» ، قال : قلت : ما تقول فيها؟ قال عليه السلام : «﴿حَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كتابه ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٤] .

وسيأتي في المطلب الآتي تفسير العروة الوثقى أيضاً به وبولايته وحبّه عليه السلام .

ولا يخفى كونه أيضاً من مؤيّدات ما نحن فيه ، كما أنّ ما مرّ سابقاً من أخبار الثقلين من الشواهد المصرّحة ، بل غيرها أيضاً كذلك ، كما روى الزمخشري وغيره عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «فاطمة مهجة قلبي ، وابناها ثمرة[٥] فؤادي ، وبعلها نور بصري ، والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي ، وحبل ممدود بينه وبين خلقه ، من اعتصم بهم نجا ، ومن تخلّف عنهم هوىٰ»[٦] .

---

(١) تفسير العيّاشي ١ : ٧٧٠/٣٣٦ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩٢ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٣٩/١٢٢ .

(٢) انظر : الفهرست : ٦١/٥٧ ، رجال العلّامة (خلاصة الأقوال) : ١١٩/٧٣ ، رجال ابن داوُد : ٤/٢٩ ، ميزان الاعتدال ١ : ٢/٥ ، تهذيب التهذيب ١ : ٨١ ـ ١٦٦/٨٢ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١١٢ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ٧٦/٩٢ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٨/١٨ .

(٥) في «م» : «ثمرتا» .

(٦) نقله عن الزمخشري ابن طاووس في الطرائف ١ : ١٨٠/١٦٩ ، وفيه : «بهجة» ، وكذا الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ١ : ٥٩ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٢٠٥ ، والبياضي في الصراط المستقيم ٢ : ٣٢ ، مائة منقبة لابن شاذان : ٧٦ ، نهج الحقّ وكشف الصدق : ٢٢٧ ، بحار الأنوار ٢٩ : ٦٤٩ نقلاً عن الزمخشري .

والأخبار من هذا القبيل كثيرة ، وقد مرّ أكثرها .

وللمفسّرين في تفسير «حبل الله» أقوال :

أحدها : أنّه دين الله والإسلام(١) .

وقيل : العهد منه والأمان الذي يؤمّن من العذاب(٢) .

وقد فسّر أكثرهم الحبل في الآية الثانية بالعهد والأمان(٣) .

قال الجزري : الحبل : العهد والميثاق(٤) .

وثانيها : أنّه القرآن(٥) .

وثالثها : أنّه عليٌّ والأئمّة(٦) من ولده الذين هم أصل عترة النبيّ صلوات الله عليهم .

قال الجزري : إنّ العرب تشبّه النور الممتدّ بالحبل والخيط(٧) .

وأنّ القرآن نور هدىً من الله ، كما قال ﷺ في حديث الثقلين : «كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض»(٨) أي نور من الله

---

(١) مجمع البيان ١ : ٤٨٢ ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) ١ : ٤١٤ ، زاد المسير ١ : ٤٣٣ .

(٢) النهاية لابن الأثير ١ : ٣٣٢ ، زاد المسير ١ : ٤٣٣ ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) ١ : ٤١٤ .

(٣) انظر : مجمع البيان ١ : ٤٨٨ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ٣٤٩ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٢١ نقلاً عن الأكثر ، وفيه : بالعهد والإيمان .

(٤) النهاية لابن الأثير ١ : ٣٣٢ .

(٥) مجمع البيان ١ : ٤٨٢ ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) ١ : ٤١٣ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ٣٤٥ ، الوسيط ١ : ٤٧٣ ، زاد المسير ١ : ٤٣٢ ، التفسير الكبير للرازي ٨ : ١٧٣ ، تفسير القرطبي ٤ : ١٥٩ ، تفسير القرآن لابن كثير ٢ : ٨٩ .

(٦) انظر : مجمع البيان : ١ : ٤٨٢ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٢١ .

(٧) النهاية لابن الأثير ١ : ٣٣٢ .

(٨) تقدّم تخريجه مراراً ، وانظر : الطرائف ١ : ١٧١/١٦٢ ، ومسند أحمد ٣ : ١٠٧٢٠/٣٨٨ ، والسنّة لابن أبي عاصم : ١٥٥٣/٦٢٩ و١٥٥٤ .

ممدود[١] من السماء إلى الأرض .

أقول : معنى الحبل معروف عرفاً ، ويطلق على كلّ ما يتوصّل به إلىٰ البغية ، ومنه الحبل للأمان؛ لأنّه سبب النجاة ، وإنّما شبّه القرآن والأئمّة عليهم‌السلام بالحبل ؛ لأنّهما وسيلة الخلق إلى الله تعالى؛ إذ بهما وبمتابعتهما وبالتمسّك بهما يصلون إلى قرب الله وحبّه وكرامته وجنّته ، فكأنّ كلّاً منهما حبل ممدود بين الله وبين الخلق .

وبالجملة ، استعير لهما لفظ الحبل من حيث إنّ التمسّك بهما سبب للنجاة عن الردىٰ ، كما أنّ التمسّك بالحبل سبب للسلامة من التردّي ، ولهذا قد أُطلق عليهما لفظ السبب أيضاً في بعض أخبار الثقلين كما تقدّمت في محلّها ؛ لأنّ السبب أيضاً بمعنى الحبل لغةً[٢] ، ويطلق على ما يتوصّل به إلى غيره عرفاً ، وجمعه أسباب ، ولهذا يطلق على الدليل أيضاً كما في قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾[٣] .

ولا يخفى أنّ دين الله أيضاً كذلك ، وعلى هذا فلا منافاة في أن يكون المراد الجميع ، ويكون الأئمّة عليهم‌السلام هُم أصل المقصود ، ولا أقلّ من كونهم من جملة المقصود والمصداق ، بل الحقّ أنّه لا يمكن لأحدٍ أن يخالف في هذا ولو كان من فِرَق المخالفين .

أمّا أوّلاً : فلما ذكرناه هاهنا من الأخبار والشواهد .

وأمّا ثانياً : فلما مرّ في الفصل السابع من أحاديث الثقلين ولزوم التمسّك بهما ، وأنّ النجاة إنّما هو في ذلك ، وأنّهما حبل الله ولا يتفارقان ،

---

(١) في «م» زيادة : «بين الله وبين الخلق» .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري ١ : ١٤٥ ، والمحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٤٢٢ ـ ٤٢٥ ، ومجمع البحرين ٢ : ٧٩ .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٨٤ .

وأنّ علم الكتاب عند أهل البيت عليهم السلام ، وأمثال ذلك ممّا يدلّ على عدم مفارقة كلٍّ من الكتاب والعترة عن الآخر ، وأنّ التمسّك بأحدهما بدون الآخر لا يفيد ، وأنّ الدين عند التمسّك بهما معاً ، وقد تكلّمنا في الفصل المذكور بما يوضّح المقصود به ، فليرجع إليه .

وأمّا ثالثاً : فلما هو متّفق عليه عند المخالف والمؤالف من كون عليٍّ عليه السلام والأئمّة المعلومين من ولده عليهم السلام أعلم علماء الدين ، وأعلم الناس بكتاب الله ، وأنّ علمه جميعاً عندهم ، كما دلّ عليه حديث الثقلين أيضاً ، وكذا ما سيأتي في تفسير آية : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[1] .

وقد بيّنّا كونهم أعلم الناس أيضاً في محلّه؛ إذ على هذا إذا كان القرآن الذي علمه عندهم حبل الله فهُم أيضاً كذلك ، وهكذا إذا كان هو الدين؛ ضرورة أنّ الدين الصحيح هو الذي كان عندهم كما اعترف به مخالفوهم أيضاً ، ومع هذا إذا كان عندهم علم القرآن ، وظاهرٌ أنّ علوم الدين في القرآن فلا شكّ في كون الدين بجميع جزئيّاته عندهم ، فهُم أيضاً حبل الله ، ولا أقلّ من كون الاعتصام بهم اعتصاماً بحبل الله ولو بمعنى القرآن أو الدين ، فافهم .

وأمّا رابعاً : فلما هو ظاهرٌ أيضاً من أنّ القرآن إذا كان حبل الله ، وقد دلّ هو في مواضع عديدة صريحاً على لزوم متابعة هؤلاء عليهم السلام وفضلهم وصلاحهم وصدقهم ووجوب حبّهم وموالاتهم والكون معهم ونحو ذلك ، وأنّ في ذلك النجاة كما ظهر ممّا مرّ من الآيات فضلاً عن غيرها ، فعلى هذا إنّ الاعتصام بهم عليهم السلام هو عين الاعتصام بالقرآن الذي هو حبل الله ، بل

---

(١) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ .

لا يمتنع حينئذٍ أيضاً أن يطلق عليهم حبل الله .

وأمّا خامساً: فلما هو معلوم على[1] كلّ خبير بصير من أنّ سائر المتمسّكين بالقرآن وعلمائه ما سوى هؤلاء الأجلّة مختلفون في فهم القرآن، بل في سائر الأحكام كلّها، بل لا يوجد مثل هؤلاء الأجلّة أحد في اتّفاق القول والحكم والفهم من كتاب الله، كما مرّ في المقدّمات صريح اختلاف سائر الفِرَق غير هؤلاء الأجلّة، فلو لم يكن المراد بالاعتصام ولو بالقرآن الاعتصام بهؤلاء العالمين بجميع ما فيه من الله ورسوله، المتّفقين في ذلك من غير تفرّقٍ واختلافٍ موجودٍ عند غيرهم، لم يبق للأمر بالاعتصام ـ الدافع للتفرّق ـ وجه وجيه، بل ولا معنى مستقيم؛ ضرورة ادّعاء جميع الفِرَق مع اختلافهم حتّى في الفهم من القرآن الاعتصام به، ولا يمكن التوجيه بأنّ المراد التفرّق عنه وتركه رأساً؛ ضرورة عدم تطرّق هذا الاحتمال في مسلمٍ حتّى يحتاج إلى الاعتناء التامّ والتأكيد التمام بذكره حتّى التقييد بقوله: جميعاً، على أنّه يلزم من هذا أنّه لو كان جميع فِرَق الأمّة لصدق الاعتصام بهذا المعنى على الكلّ، وليس كذلك؛ لما ثبت ممّا مرّ سابقاً من كون الناجي منهم فرقة واحدة.

نعم، يمكن أن يكون المراد عدم التفرّق عنه في شيءٍ أصلاً، بأن تكون جميع أُمور الدين على ما يعلم منه.

ولا يخفى أنّه حينئذٍ ينحصر في هؤلاء الأجلّة والمتمسّكين بهم؛ إذ لا يمكن لأحدٍ إنكار فتاوى سائر الفِرَق بالآراء معترفين بعدم فهمهم إيّاها من القرآن.

---

(١) في «ل»: «عند» بدل «على».

هذا، مع أنّهم يفتون بخلاف ما يفهم من الكتاب أيضاً منها: العمل بالآراء كما مرّ مفصّلاً، ومنها: التمسّك بما سمّوه إجماعاً من اتّفاق الأكثر، بل ولو طائفة أو قوم على أمرٍ ولو بحسب الرأي كما مرّ أيضاً مفصّلاً ويأتي أيضاً، وكفى في هذا قوله تعالى: **﴿وإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**[1]، وقوله تعالى: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً﴾**[2] وما ورد كثيراً من ذمّ الأكثر وأمثال ذلك، فافهم حتّى تعلم أنّ ما ذكرناه في هذا الوجه جارٍ أيضاً إن قيل بأنّ المراد في الآية الاعتصام بدين الإسلام، بل المفسدة فيه أزيد، فتأمّل تعلم.

وبالجملة، وجوه صدق حبل الله عليهم كثيرة واضحة، وقد دلّت هذه الأخبار وغيرها على أنّهم عليهم السلام داخلون في مصداق حبل الله في هذه الآية، فعلى هذا يجب على الناس جميعاً الاعتصام بهم وعدم التفرّق عنهم، بل ويجب عليهم الاعتصام بهم اعتصاماً يحفظهم عن التفرّق والاختلاف، ومن الواضحات البيّنة أنّ هذه الآية حينئذٍ نصٌّ في شيئين:

أحدهما: كون هؤلاء هُم الأئمّة عليهم السلام لهذه الأمّة، وكون غيرهم جميعاً مأمورين بإطاعتهم تلك الإطاعة المعلومة؛ ضرورة أنّ هذا هو معنى الاعتصام، لاسيّما المؤكّد بما في الآية، وظاهرٌ كون ذلك مستلزماً أيضاً للعصمة.

وثانيهما: كون سائر الفِرَق التي تبعت غير هؤلاء، وقدّموا غيرهم عليهم، حتّى في الفتاوي ـ كأهل المذاهب الأربعة وأمثالهم ـ تاركين للاعتصام بهم، بل للاعتصام بالقرآن والدين أيضاً؛ حيث إنّ علمه تماماً

---

(١) سورة الأنعام ٦ : ١١٦.

(٢) سورة الإنسان ٧٦ : ٢٤.

ـكما ظهر سابقاً وآنفاً ـ عند هؤلاء ، وهُم لم يتّبعوهم ، ومنه يلزم كونهم أيضاً مفترقين عن هؤلاء الأئمّة ، التاركين إيّاهم ، الواقعين لأجل ذلك التفرّق والاختلاف ، وكفى في هذا أنّهم لو تمسّكوا في اليوم الأوّل بعليٍّ عليه‌السلام كان يُعلّمهم هو والأئمّة عليهم‌السلام من بعده جميع معالم الدين على وفق ما في كتاب الله كالنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بلا خلاف ولا اختلاف .

بل نقول أيضاً : إنّ هؤلاء القوم حينئذٍ من التاركين للاعتصام بالقرآن أيضاً المفترقين عنه ، الواقعين في الاختلاف والتفرّق لذلك؛ لما ظهر من الوجوه المذكورة آنفاً ، حتّى أنّ من ذلك أنّه إذا تبيّن ـكما مرّ ويأتي ـ دلالة آيات من القرآن على إمامة الأئمّة ولزوم متابعتهم ، وأنّ القوم لم يعبأوا بذلك ، بل تمسّكوا بما يدلّ القرآن على ضلالة التمسّك به ممّا سمّوه إجماعاً ـ كما بيّنّا جميع ذلك سابقاً ، وأشرنا إليه آنفاً ـ فأيّ معنى لترك الاعتصام حينئذٍ بالقرآن والتفرّق عنه إذا لم يكن مثل هذا تركاً ، لاسيّما بعد ظهور وقوعهم في الاختلاف والفتن والقتال؛ لأجل صدور ما ذكر منهم ، فافهم حتّى تعلم أنّه يظهر من هذا كلّه أنّ هذه الآية كما أنّها من أدلّة إمامة عليٍّ عليه‌السلام وذرّيّته الأئمّة عليهم‌السلام ، كذلك هي من دلائل ضلالة سائر الفِرَق كلّها وإن ادّعوا حبّهم للأئمّة وعرفان شأنهم كذباً ولساناً؛ إذ لا محبّة قطعاً أصلاً لمن اطّلع على أمثال هذه الدلائل والفضائل فيهم[1] ، لا سيّما الأمر المؤكّد بالاعتصام بهم مع فهم معانيها وإدراك مفادها ودلالتها على إمامتهم ، ومع هذا لا يتبعهم ولا يقول بتقديمهم على غيرهم ، بل لا يتوجّه إلىٰ تتبّع أقوالهم وأفعالهم فضلاً عن المتابعة ، بل يعزلهم عمّا جعله الله لهم ، وينكر

(١) في «ل» زيادة : «ولهم» .

إمامتهم ، بل كثيراً من فضائلهم .

وكذا لا معرفة لمن لم يطّلع على هذه الأشياء ، سواء لم يتتبّعها ولم يسمع بها كما هي العادة الجارية بين جمهورهم من عدم ممارستهم أحوال الأئمّة عليهم السلام ولا كتب الإماميّة ، ومن تركهم المناظرة معهم ، والاطّلاع على مقالاتهم وحقيقة عقائدهم ودلائلهم ، بل يكتفي أكثرهم بما سمع من مفتريات أعاديهم عليهم كذباً صراحاً ، حتّى أنّهم يتركون ملاحظة بعض كتب أصحابهم المخالفين للإماميّة أيضاً ؛ لما فيه بعض ما ينافي ما استحسنوه من الطريقة ، وسواء تتبّعها وسمع بها لكن لم يدرك مفادها؛ لرسوخ ما في ذهنه من صحّة ما ذهب إليه قومه ومشايخه وأصحابه ، بل إنّ بعضهم لا يتوجّه تعمّداً[1] إلى التدبّر في ذلك على وجهٍ يدرك ما فيه تعصّباً أو خوفاً من الوقوع في التزلزل .

مع أنّه من الواضحات البيّنة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبر : بأنّ اُمّته يختلفون على بضع وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية فقط[2] ، ومن الواضحات أنّه لا يجوز للنبيّ صلى الله عليه وآله المبلّغ للرسالة الموضّح للحقّ ، وكذا لا يحتمل على الله سبحانه الذي صرّح في كتابه بأنّ له الحجّة البالغة[3] ، وأنّه أكمل الدين أن يتسامحا في بيان الذي فيه النجاة وعليه الفرقة المحقّة .

وكذا من البيّن أنّ الواجب على كلّ من له أدنى خوف من الله سبحانه

---

(١) في «س» و«م» و«ن» : «عمداً» .

(٢) تقدّم تخريجه مراراً ، وانظر : الكافي ٨ : ٢٨٣/٢٢٤ ، كفاية الأثر : ١٥٥ ، كمال الدين : ٦٦٢ ، الخصال : ٥٨٥ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٨٩ ، مسند أحمد ٢ : ٨١٩٤/٦٣٦ ، سنن الدارمي ٢ : ٢٤١ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٢٢ ، سنن أبي داوُد ٤ : ٤٥٩٦/١٩٧ ، المستدرك للحاكم ١ : ١٢٨ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ . . .﴾ سورة الأنعام ٦ : ١٤٩ .

واعتقاد بالسؤال والحساب أن يتفحّص عن تلك الفرقة بتتبّع جميع المذاهب ، وملاحظة أحوال كلّ واحدٍ واحدٍ على نهج الإنصاف وقبول ما فيه مُرّ الحقّ لا على سبيل الإغماض والتمويه .

حتّى أنّ من إغماضهم أنّ أكثر هؤلاء القوم لم يذكروا ما ورد في تفسير حبل الله بعليٍّ والعترة عليهم السلام ؛ لأجل كمال ظهور ذلك فيما ذكرناه من بطلان مذاهب أتباع ما سوى هؤلاء العترة مع كون هذه الأخبار مؤيّدة بأحاديث الثقلين وأمثالها .

وقد مرّ في الفصل السابع ما يوضّح كلّ هذا كمال التوضيح ، فافهم ، والله الهادي .

الثانية عشرة : قول الله جلّ جلاله : ﴿**قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ**﴾[1] .

قد روى جماعة كثيرة من أصحاب أئمّة أهل البيت من الإماميّة وغيرهم عنهم عليهم السلام بعبارات عديدة أنّهم قالوا في هذه الآية : إنّ المراد بقوله تعالى : ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ**﴾ عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وقد رواه من علماء العامّة ومفسّريهم جماعة أيضاً عن هؤلاء الأئمّة عليهم السلام ، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وعن بعض الصحابة والتابعين .

فممّن ذكره من علماء المخالفين ومفسّريهم : الثعلبي في تفسيره من طريقين ، بل من طُرق عديدة .

ومنهم : السدّي والنيسابوري في تفسيريهما .

ومنهم : البغوي في معالم التنزيل .

---

(١) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ .

ومنهم : السيوطي في كتاب الإتقان .

ومنهم : الحافظ أبو نُعيم ، وابن المغازلي ، والعزّ الحنبلي ، وغيرهم .

وقد رواه بعض هؤلاء : عن شريك بن عبدالله ، وعن أبي تمام ، عن سلمان الفارسي ، عن عليٍّ عليه السلام .

وبعضهم عن عبدالله بن سلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

وبعضهم عن سعيد بن جبير .

وبعضهم عن عبدالله بن عطاء رواه عن الباقر عليه السلام .

وبعضهم عن زاذان وغيره عن محمّد بن الحنفيّة ، حتى أنّه في بعض روايات غير هؤلاء مرويٌّ عن أبي سعيد الخدري أيضاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

وأمّا ما روى أصحابنا عن الأئمّة الصادقين عليهم السلام في هذا فأزيد من أربعين حديثاً .

ولنذكر لفظ بعض ما أشرنا إليه من أخبار هذا المطلب .

ففي رواية أبي سعيد الخُدري أنّه قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[(١)] فقال : «ذلك وصيّ أخي سليمان بن داوُد» ، فقلت له : يا رسول الله ، فقول الله عزّوجلّ : ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[(٢)] فقال : «ذاك أخي عليّ بن أبي طالب»[(٣)] .

وعن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم؟ أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال : «ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند

---

(١) سورة النمل ٢٧ : ٤٠ .

(٢) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ .

(٣) الأمالي للصدوق : ٨٩٢/٦٥٩ .

الذي عنده علم الكتاب إلّا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر»(١).

وفي روايةٍ أُخرى عن الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال لبعض أصحابه : «ما يقول الناس ـ وفي روايةٍ : «ما يقول أصحابكم»(٢) ـ في أُولي العزم وصاحبكم عليّ بن أبي طالب؟» ـ وفي روايةٍ : «أيّهم أعلم»(٣) وفي رواية : «ما يقولون في عليٍّ وموسى وعيسى عليهم السلام أيّهم أعلم»(٤) ـ فقال : ما يقدّمون على أُولي العزم أحداً ، فقال : «أما إنّك لو حاججتهم بكتاب الله لحججتهم» فقال : وأين هذا في كتاب الله؟ قال : «إنّ الله تعالى قال في موسى عليه السلام : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾(٥) ولم يقل : كلّ شيءٍ ، فعلمنا أنّه لم يكتب لموسى كلّ شيءٍ ، وقال في عيسى عليه السلام : ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾(٦) ولم يقل كلّ شيءٍ ، وقال في صاحبكم : ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾(٧) ، وقال لنبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰناً لِكُلِّ شَىْءٍ﴾(٨) ، وقال : ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُبِينٍ﴾(٩) وعلم هذا الكتاب عنده»(١٠).

---

(١) تفسير القمّي ١ : ٣٦٧ .

(٢ و ٣) لم نعثر عليه .

(٤) بصائر الدرجات : ٦/٢٤٩ .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ١٤٥ .

(٦) سورة الزخرف ٤٣ : ٦٣ .

(٧) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ .

(٨) سورة النحل ١٦ : ٨٩ .

(٩) سورة الأنعام ٦ : ٥٩ .

(١٠) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٢٣/٢٣٩ ، الاحتجاج ٢ : ٢٥٤/٣٠٢ ، نور الثقلين ٢ : ٢٥٦/٦٨ ، تفسير البرهان للبحراني ٣ : ٥٦٥٧/٢٧٦ .

وفي رواية سلمان الفارسي عن عليّ عليه السلام أنّه قال في هذه الآية: «أنا هو الذي عنده علم الكتاب» وقال سلمان: وقد صدّقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصيّة ولا يُخلي أُمّة النبيّ صلى الله عليه وآله من وسيلة إليه وإلى الله تعالى، فقال: ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[١]»[٢].

وفي رواية عبدالله بن عطاء أنّه قال: كنتُ جالساً مع أبي جعفر عليه السلام في المسجد إذ مرّ ابن عبدالله بن سلام، فقلت: جُعلت فداك هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: «إنّما ذاك عليّ بن أبي طالب»[٣].

وفي روايةٍ أُخرى عنه وعن أبي مريم الأنصاري وغيرهما: أنّه لمّا مرّ ابن عبدالله بن سلام قيل لأبي جعفر عليه السلام: هذا ابن عبدالله بن سلام يزعم أنّ أباه الذي يقول الله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ الآية، فقال: «كذب، ذاك عليّ بن أبي طالب عليه السلام عالم هذه الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّها نزلت فيه»[٤].

وفي رواية عبدالله بن سلام أنّه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ من عنده علم الكتاب عليّ بن أبي طالب»[٥].

وفي رواية ابن الحنفيّة أنّه قال في هذه الآية: إنّه عليّ بن

---

(١) سورة المائدة ٥: ٣٥.
(٢) بصائر الدرجات: ٢١/٢٣٦، وعنه في بحار الأنوار ٣٥: ١٢/٤٣٢.
(٣) بصائر الدرجات: ١١/٢٣٤، الطرائف ١: ٤٣/٦٨، شواهد التنزيل ١: ٤٢٥/٣٠٨ بتفاوت، بحار الأنوار ٣٥: ١٩/٣٤٣.
(٤) انظر: بصائر الدرجات: ٢٣٥ ـ ١٦/٢٣٦ ـ ١٨، وتفسير العيّاشي ٢: ٢٢٥٦/٤٠١، وعنهما في بحار الأنوار ٣٥: ٤٣١ ـ ١٠/٤٣٢ و١١.
(٥) نقله عن تفسير الثعلبي المجلسي في بحار الأنوار ٣٥: ٤٣٥، ولم نعثر عليه في تفسيره.

أبي طالب[١].

وفي رواية أبي عوانة، عن أبي بِشر قال: سألتُ سعيد بن جبير عن هذه الآية، فقلت: أهو عبدالله بن سلام؟ فقال: فكيف وهذه السورة مكيّة وابن سلام وأصحابه آمنوا بالمدينة بعد الهجرة[٢].

وقد أجاب بعضهم أيضاً بأنّه كيف يجوز إثبات النبوّة بقول الواحد والإثنين مع جواز الكذب على أمثالهما؛ لكونهم غير معصومين[٣].

وفي روايةٍ عن الباقر عليه السلام أنّه قال في هذه الآية: «إيّانا عنى، وعليٌّ عليه السلام أفضلنا وأوّلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله»[٤].

وفي روايةٍ أُخرى أنّه قال: «نزلت الآية في عليٍّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الأئمّة بعده، وعليٌّ عنده علم الكتاب»[٥].

أقول: وممّا يشهد لهذه الروايات مع كثرتها بنقل المخالف والمؤالف ما مرّ سابقاً لاسيّما في الفصل الأوّل من قول عليٍّ عليه السلام: «سلوني عن كلّ شيءٍ فإنّي أعلم كلّ آيةٍ [أين] نزلت وأنّها فيما نزلت»[٦] الخبر.

وقوله: «لو كسرت لي الوسادة لأفتيتُ أهل التوارة بتوراتهم، وأهل

---

(١) فضائل الطالبيّين: ١٠٢، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٣٦، كشف الغمّة ١ : ٣١٢، شواهد التنزيل ١ : ٤٢٤/٣٠٨.

(٢) تفسير الطبري ١٣ : ١١٩، الإتقان في علوم القرآن ١ : ٤٨، وانظر تفسير الثعلبي ٥ : ٣٠٢، والدرّ المنثور ٤ : ٦٦٩.

(٣) بحار الأنوار ٣٥ : ٤٣٥، تفسير غرائب القرآن ٤ : ١٦٧.

(٤) بصائر الدرجات : ٢٣٤ ـ ١٢/٢٣٦ و٢٠، تفسير العيّاشي ٢ : ٢٢٥٥/٤٠١.

(٥) تفسير العيّاشي ٢ : ٢٢٥٧/٤٠١.

(٦) انظر : المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٤٧ و٥٣، وما بين المعقوفين أثبتناه منه.

الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم»(١) الخبر.

وأمثالهما من سائر ما يدلّ على كونهم أعلم الناس كافّة، وأعرفهم بعلم القرآن، وما فيه من الأحكام حتّى بإقرار أعدائهم، بل قد ورد في بعض أحاديث أصحابنا الإماميّة عن الأئمّة عليهم السلام أنّهم فسّروا الإمام المبين في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾(٢) بعليّ بن أبي طالب عليه السلام(٣)، حتّى أنّ الوارد في خبرٍ هكذا: لمّا نزلت الآية قال فلان وفلان: هو التوراة؟ قال: «لا» قالا: فهو الإنجيل؟ قال: «لا» قالا: فهو القرآن؟ قال: «لا» فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «هو هذا، إنّه الإمام الذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء»(٤).

وفي خبرٍ آخر: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال في خطبته يوم الغدير: «معاشر الناس ما من علم إلّا وقد أحصاه الله فيَّ، وكلّ علم علّمته فقد أحصيته في عليٍّ والمتّقين من ولده، وما من علم إلّا وقد علّمته عليّاً وهو الإمام المبين»(٥).

وأمثالهما كثيرة.

---

(١) بصائر الدرجات: ٢/١٥٢، الأمالي للصدوق: ٥٦٠/٤٢٢، المسائل العكبريّة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٦): ١٢٣، الاختصاص: ٢٣٥، المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٤٧، الإرشاد للمفيد ١: ٣٥، الأمالي للطوسي: ١١٥٩/٥٢٣، الاحتجاج ١: ٦١٠ بتفاوت فيها.

(٢) سورة يس ٣٦: ١٢.

(٣) تفسير القمّي ٢: ٢١٢، الفضائل لشاذان بن جبرئيل: ٥١٣، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٢٨٢، أسرار الإمامة: ١٨١، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٢/٤٨٧.

(٤) الأمالي للصدوق: ٢٥٠/٢٣٥، معاني الأخبار: ١/٩٥، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٣/٤٨٧.

(٥) روضة الواعظين ١: ٩٣، الاحتجاج ١: ١٤٤، بحار الأنوار ٣٥: ٣/٤٢٨، و٣٧: ٨٦/٢٠٨ بتفاوت.

وهو أيضاً من المؤيّدات وإن لم يمكن الاستشهاد به؛ حيث لم ينقله أحدٌ من العامّة.

نعم، يمكن الاستشهاد بما مرّ سابقاً لا سيّما في المقالة السابقة، بل يأتي أيضاً من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[١] الآية، وقد بيّنّا معناها فيما أشرنا إليه.

وقد روى ابن مردويه أيضاً أنّها نزلت في عليٍّ عليه السلام وأنّه قال: «نحن أُولئك»[٢].

ثمّ لا يخفى أنّه حينئذٍ لا يبقى شكّ في ظهور أنّ مثل هذا الرجل يجب أن يكون معلّماً وإماماً، كما مرّ تبيانه سابقاً، فالآية أيضاً من نصوص إمامته وإمامة الأئمّة عليهم السلام من ولده، بل عصمتهم أيضاً؛ لما مرّ مراراً.

وكفى في هذا أنّ الله تعالى اكتفى بشهادة عليٍّ عليه السلام وحده من بين سائر الناس في بيان حقّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وإثبات نبوّته في هذه الآية، ومن البيّن عدم إثبات شيءٍ لاسيّما مثل هذا بشاهد واحد إذا لم يكن معصوماً، ومع هذا قد قرنه الله عزّوجلّ بنفسه في الشهادة على نبوّة نبيّه صلى الله عليه وآله؛ بحيث لم يجعل لغيرهما مدخلاً في ذلك، حتّى أنّه لم يرض أن يكون واحدٌ آخر شريكاً أصلاً ولو لإتمام الشاهدين على هذا[٣] الأمر، بل اكتفى بضمّه وحده إلى نفسه والاقتصار على شهادتهما، وظهور كون هذا مرتبة عظيمة لا تدانيها درجة غير النبوّة أو الإمامة، ولا يدركها أحد غير صاحب كمال

---

(١) سورة فاطر ٣٥ : ٣٢.

(٢) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٧، والعلّامة الحلّي في كشف اليقين: ٣٧٢، بحار الأنوار ٣٦ : ١٧٥/١٨١ نقلاً عن كشف الغُمّة.

(٣) في «م»: «ذلك» بدل «هذا».

العلم والطهارة من كلّ جهة غير خفيّ على كلّ زكيّ[١] ذكيّ ، وكذا كونه عليه‌السلام كذلك كما ظهر مراراً لاسيّما ممّا مرّ في آية التطهير سابقاً ، وفي الآية التاسعة وغيرها من أمثالها المذكورة في هذا المطلب ، حتّى أنّ هذه الآية أيضاً من الشواهد ، فتأمّل حتّى تعلم تعصّب من قال من المفسّرين ـ مع وضوح هذا الذي ذكرناه ووجود هذه الشواهد ـ : إنّ المراد بالكتاب التوراة ، وبمن عنده علمه عبدالله بن سلام وأمثاله من علماء اليهود[٢] ، كأنّه لم يعلم أنّ عليّاً عليه‌السلام كان عالماً بهذا أيضاً ، فافهم ، والله الهادي .

الثالثة عشرة : قول الله عزّوجلّ : ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ**﴾[٣] ، وكذا ما يفيد مفاده ولو تأويلاً كقوله سبحانه : ﴿**قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ**﴾[٤] وأمثال ذلك .

روى الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازي في تفسيره بإسنادٍ له عن السدّي في تفسير الآية الأُولى ، وكذا روى عنه أيضاً القطّان في تفسيره مثل ما رواه الحافظ المذكور لكن بهذا السند وإن كان المتن واحداً هكذا : روى وكيع ، عن سفيان ، عن السدّي ، عن عبدخير ، عن عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام ، قال : «أقبل صخر بن حرب حتّى جلس إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وقال : يامحمّد ، هذا الأمر بعدك لنا أم لمن؟ فقال : ياصخر ، الأمر بعدي لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسى ، فأنزل الله تعالى : ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ * ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾[٥] أي : منهم المصدّق

---

(١) كلمة «زكيّ» لم ترد في «ل» .

(٢) تفسير الطبري ١٣ : ١١٨ ، الدرّ المنثور ٤ : ٦٦٨ .

(٣) سورة النبأ ٧٨ : ١ و٢ .

(٤) سورة ص ٣٨ : ٦٧ و٦٨ .

(٥) سورة النبأ ٧٨ : ١ ـ ٣ .

بولايته وخلافته، ومنهم المكذّب بهما، ثمّ قال: ﴿كَلَّا﴾ وهو ردّ عليهم ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾[١] أي: خلافته بعدك أنّها حقّ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[٢] يقول: يعرفون ولايته وخلافته؛ إذ يُسألون عنها في قبورهم، فإنّه لا يبقى ميّت في شرق أو غرب إلّا منكر ونكير يسألانه عن ولاية عليٍّ عليه السلام يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك؟»[٣].

ورويا أيضاً بإسنادهما عن علقمة قال: خرج يوم صفّين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح وهو يقرأ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٤] فأردتُ البراز إليه، فقال عليٌّ عليه السلام: «مكانك»، وخرج بنفسه فقال له: «أتعرف النبأ العظيم الذي هُم فيه مختلفون؟» قال: لا، فقال عليه السلام: «أنا والله النبأ العظيم الّذي فيه[٥] اختلفتم، وعلىٰ ولايتي تنازعتم، وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم، ببغيكم هلكتم بعدما بسيفي نجوتم، ويوم الغدير قد علمتم، ويوم القيامة تعلمون[٦] ما عملتم» ثمّ علاه بسيفه فرمى

---

(١) سورة النبأ ٧٨ : ٤ .

(٢) سورة النبأ ٧٨ : ٥ .

(٣) عنه ابن طاووس في اليقين : ١٥١/٤١٠ ، والطرائف ١ : ١٣٣/١٣٨ ، ونقله عن القطّان وغيره ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ٩٦ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٥٠٧ ، والبياضي في الصراط المستقيم ١ : ٢٧٩ ، وشرف الدين النجفي في تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤/٧٥٨ ، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ١٠٧٥/٣١٨ .

(٤) سورة النبأ ٧٨ : ١ و٢ .

(٥) في المناقب لابن شهرآشوب ونهج الإيمان وتأويل الآيات الظاهرة : «فيَّ» بدل «فيه» .

(٦) في «م» زيادة : «ما فعلتم و» .

برأسه ويده[١].

وفي كتاب المناقب وغيره، عن الأصبغ بن نباتة أنّ عليّاًعليه‌السلام قال: «والله أنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلّا سيعلمون ثمّ كلّا سيعلمون حين أقف بين الجنّة والنار، وأقول للنار: هذا لي وهذا لكِ»[٢].

وفي روايات كثيرة من الفريقين: أنّ عليّاًعليه‌السلام كان يقول: «أنا النبأ العظيم، والآية الكبرىٰ، والصدّيق الأكبر» وهو موجود اليوم في بعض خطبه أيضاً منها: خطبة الوسيلة، وفيها زيادة قوله بعد ذلك الكلام: «عن قليلٍ ستعلمون ما توعدون»[٣].

وفي روايةٍ في كتاب المناقب: أنّ الجماعة لمّا هربت يوم أُحد كان عليٌّعليه‌السلام يضرب بالسيف قُدّام النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله، وجبرئيل عن يمين النبيّ، وميكائيل عن يساره[٤]، فنزل ﴿**قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ**﴾[٥] فكان عليٌّعليه‌السلام يقول: «ما لله من نبأ عظيم أعظم منّي»[٦] الخبر، وبمضمونه روايات عن الأئمّة الصادقين[٧].

---

(١) انظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٦ ـ ٩٧، ونهج الإيمان: ٥٥٣، وتأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥/٧٥٩، وتفسير البرهان للبحراني ٥: ١١٣٢٢/٥٦٦.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٧، نهج الإيمان: ٥٥٣، الصراط المستقيم ١: ٢٧٩، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٦/٧٥٩، تفسير البرهان للبحراني ٥: ١١٣٢٣/٥٦٦.

(٣) الكافي ٨: ٤/١٨ في ذيل الخطبة، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٩/٤، ولم ترد: «والآية الكبرى» في المصدر.

(٤) في «م»: «شماله».

(٥) سورة ص٣٨: ٦٧ و٦٨.

(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٧، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٧/٣.

(٧) انظر: بصائر الدرجات: ٩٧، تفسير القمّي ٢: ٤٠١، عيون أخبار الرضاعليه‌السلام ٢: ١٣/٦، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٢/٧٥٨.

أقول : دلالة ما في هذه الآية ونحوها كما في هذه الأخبار على خلافته وإمامته وعظم شأنه ، بل ضلالة مخالفته وعذاب مخالفه واضحةٌ لا تحتاج إلى بيانٍ .

وممّا يؤيّد معنى هذه الآية ما سنذكره من الآية الآتية ، فتأمّل ، والله الهادي .

الرابعة عشرة : قول الله سبحانه : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[١] .

روى الحافظ أبو نُعيم في كتابه عن الشعبي ، عن ابن عبّاس أنّه قال في هذه الآية : إنّهم يُسألون عن ولاية عليّ بن أبي طالب[٢] .

ورواه عنه أيضاً ابن مردويه في مناقبه ، وكذا رواه الحاكم الحسكاني في كتابه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، ورواه الحسين بن الحكم ، وعبيد بن كثير بإسنادهما عنه أيضاً[٣] .

وروى ابن شيرويه في الفردوس ، عن أبي سعيد الخُدري ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال في هذه الآية : «إنّهم مسؤولون عن ولاية عليّ بن أبي طالب»[٤] .

ورواه عن الخُدري أيضاً الحاكم الحسكاني ، والعِزّ الحنبليّ ،

---

(١) سورة الصافّات ٣٧ : ٢٤ .

(٢) النور المشتعل : ١٩٦/٥٣ و٥٤ .

(٣) كشف اليقين : ٣٦١ عن ابن مردويه ، وكذا في كشف الغمّة ١ : ٣١٥ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٠٧/٧٨٨ ، تفسير الحبري : ٣١٢ ـ ٣١٣ ، تفسير فرات الكوفي : ٣٥٥/٤٨٣ و٤٨٤ عن عبيد بن كثير وعن الحسين بن الحكم ، وغيره .

(٤) عنه ابن طاووس في الطرائف ١ : ١١٢/٩٢ ، وابن البطريق في العمدة : ٣٠١/٥٠٦ ، وخصائص الوحي المبين : ١٤٣/٨٨ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٥٠٤ ، والعلّامة الحلّي في منهاج الكرامة : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

والديلمي، وغيرهم مثل ما ذُكر[(١)].

وفي رواية عن أبي هارون عن الخدري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله في الآية: «﴿إِنَّهُم مَّسْؤُلُونَ﴾ عن ولاية عليٍّ وما صنعوا في أمره، وقد أعلمهم الله عزّوجلّ أنّه الخليفة بعد رسوله»[(٢)].

وقال في الصواعق بعدما ذكر رواية الديلمي: إنّ الواحدي قال: وروي في هذه الآية: ﴿إِنَّهُم مَّسْؤُلُونَ﴾ عن ولاية عليٍّ وأهل البيت عليهم السلام[(٣)].

وأمّا ما روي في هذا عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام فكثير جدّاً، حتّى أنّ في حديث السيّد الثقة الجليل عبدالعظيم الحسني، عن أبي الحسن الهادي، عن آبائه، عن أبي عبدالله الحسين عليه السلام أنّه قال في حديثٍ له: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أشار إلى ثلاثة نفر من أصحابه وقال: هذا منّي بمنزلة السمع، وهذا بمنزلة البصر، وهذا بمنزلة الفؤاد، ثمّ قال: وسيسألون عن وصيّي هذا وأشار إلى عليٍّ عليه السلام، ثمّ قال: إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[(٤)] ثمّ قال: وعزّة ربي إنّ جميع أُمّتي لموقفون يوم القيامة ومسؤولون عن ولايته، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾»[(٥)].

---

(١) شواهد التنزيل ٢: ٧٨٦/١٠٦ و٧٨٧، كشف الغُمّة ١: ٣١٣ عن العزّ الحنبلي، نهج الحقّ: ١٨١، وانظر اليقين لابن طاووس: ٧٧/٢٣٨، ومائة منقبة لابن شاذان: ١٦/٣٦.

(٢) معاني الأخبار: ٧/٦٧، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٧٦ ـ ١/٧٧.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢٢٩، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٧٨.

(٤) سورة الإسراء ١٧: ٣٦.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٨٦/٣١٣ بتفاوت، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٤/٧٧.

أقول : وممّا يشهد لهذا كثير ممّا مرّ ويأتي ، حتى في المطلب الآتي ، لا سيّما عند ذكر قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[(١)] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾[(٢)] ، وما سيجيء في قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(٣)] فالمعنى إنّهم يسألون هل والَوْهُم حقّ الموالاة؟ كما أوصاهم النبيّ صلى الله عليه وآله ، أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون عليهم المطالبة والتبعة .

ولهذا روى المخالف والمؤالف أنّ ابن عبّاس قال عند موته : اللّهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[(٤)] ؛ إذ لو لم يعلم عظم شأن ولايته والسؤال عنها لما جعلها خاتمة حاله ، وهو واضح .

ومن البيّن أنّ هذه الولاية التي خُصّ السؤال والتوقيف بها في يوم القيامة من بين سائر العقائد والأعمال ، لابدّ[(٥)] أن تكون من أعظم أركان الإسلام ، وليس حينئذٍ غير الاعتقاد بإمامته وخلافته كما هو المفهوم ممّا سبق في الآية السابقة وغيرها ممّا مرّ ويأتي ، لاسيّما مع دعواه الإمامة صريحاً ، على أنّ الثابت عند كلّ المقرّين بسؤال القبر أنّه إنّما يكون عن ربّه ونبيّه وإمامه ، وأيضاً من المعلوم الواضح أنّ عامّة الأمّة لم يعملوا بشرائط

---

(١) سورة التكاثر ١٠٢ : ٨ .

(٢) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٤ .

(٣) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٤) الطرائف ١ : ٩٣/١١٢ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٢٣٢ نقلاً عن الفردوس ، العمدة لابن بطريق : ٤٢٩/٢٧٢ ، و٥٠٦/٣٠٢ ، بحار الأنوار ٣٩ : ٢٥٨ نقلاً عن المناقب ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ١١٢٩/٦٦٢ ، الرياض النضرة ٣ : ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٥) في «ل» زيادة : «من» .

الولاية لا في حقّه ولا في حقّ ذرّيّته؛ حيث أذلّوهم بتقديم غيرهم عليهم وتمكينه منهم، بل سبّوهم ولعنوهم وحاربوهم وقتلوا أجلّتهم، وليس أصل أسباب هذا وأوّلها غير حكاية السقيفة وأخذ الخلافة[١] كما سيأتي مفصّلاً في المقصد الثاني؛ ضرورة أنّ الناس لو تركوا الخلافة لعليّ عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لم ينفتح[٢] باب لطمع الناس في ذلك، المستلزم لتلك المفاسد والعداوات؛ حيث إنّه لم يكن حينئذٍ يطمع فيها أحد أبداً، بل لو طمع شخص لم يمكنه الوصول إليها أيضاً.

وكفى في هذا قول من قال: إنّ الحسين عليه السلام قُتل يوم السقيفة[٣]، وما كتبه معاوية إلى محمّد بن أبي بكر، ويزيد إلى عبدالله بن عمر، وسيأتي جميع ذلك.

فظهر أنّ تمام الولاية والمحبّة، بل حصولها إنّما هو بالتمسّك بهم وبطاعتهم، الملازم لاعتقاد إمامتهم وإعانتهم على ذلك، فيكون إذاً هذا أصل مناط السؤال، فافهم، والله الهادي.

الخامسة عشرة: قول الله عزّوجلّ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾[٤]، وكذا ما بمعناه، كقوله تعالى: ﴿**قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ**﴾[٥] فاتّبعوه، وأمثال ذلك ممّا يشتمل على الصراط المستقيم وصراط الله وسبيل الله، ونحو ذلك ممّا يفيد هذا المفاد.

---

(١) في «م» و«ل» زيادة: «منه».
(٢) في «م» و«ن»: «يفتح» بدل «ينفتح».
(٣) نقله المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٣٢٨.
(٤) سورة الأنعام ٦: ١٥٣.
(٥) سورة الحجر ١٥: ٤١.

اعلم[1] أنّ ورود الأخبار عن الأئمّة ـ أهل البيت عليهم السلام ـ برواية المخالف والمؤالف عنهم عليهم السلام في كون المراد بالصراط والسبيل، بل الميزان أيضاً في أمثال المواضع المذكورة عليّاً عليه السلام، وكذا الأوصياء من ولده كثيرة، وقد روى بعض علماء الجمهور أيضاً ما يشهد لذاك، بل يسدّ عليهم باب التكذيب والإنكار، على أنّ الحقّ ـ كما سيظهر ـ أنّ انطباق هذا المعنى على ظاهر سياق بعض الآيات وعبارتها أشدّ وأوفق من سائر المحتملات.

ولنذكر بعض تلك الأخبار:

روى صاحب كتاب المناقب، وكنز الفوائد، وغيرهما، عن كتاب مناقب أبي إسحاق إبراهيم الثقفي أنّه روى فيه بإسنادٍ له عن بريدة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الآية الأولى: «سألتُ الله أن يجعلها لعليّ بن أبي طالب، ففعَل»[2].

وفي روايةٍ عن جابر بن عبدالله ذكرها في المناقب أيضاً: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هيّأ أصحابه عنده يوماً، ثمّ قال ـ وأشار بيده إلى عليٍّ عليه السلام ـ: «﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية[3]»[4].

وفي رواية أهل البيت: أنّ الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه في الآية الأولى: «أتدري ما يعني بـ ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾؟» فقال: لا، قال: «ولاية

---

(١) في «ن»: «أقول» بدل «اعلم».

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨٨، وفيه: عن أبي برزة الأسلمي، الصراط المستقيم ١: ٢٨٣ ـ ٢٨٤، تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٠/١٦٧، بحار الأنوار ٢٤: ٢٦/١٧، و٣٥: ٣٦٤، وفيه: عن أبي بردة الأسلمي، تفسير البرهان للبحراني ٢: ٣٧٣٠/٤٩٩.

(٣) سورة الأنعام ٦: ١٥٣.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٠.

عليٌّ والأوصياء عليهم السلام»، ثمّ قال عليه السلام: «وتدري ما معنى ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾؟» قال: لا، قال: «يعني اتّبعوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام»، ثمّ قال: «وتدري ما يعني بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾؟» فقال: لا، قال: «يعني ولاية فلان وفلان وفلان»، ثمّ قال: «وتدري ما يعني بـ ﴿سَبِيلِهِ﴾؟» قال: لا، قال: «يعني سبيل عليٍّ عليه السلام»[(١)].

وروى صاحب المناقب، وكذا محمّد بن مؤمن أبو بكر الشيرازي في تفسيره بإسنادٍ له عن شعبة، عن قتادة، عن الحسن البصري، أنّه كان يقرأ الآية الثانية هكذا: «هذا صراط عليٍّ مستقيم» بإضافة الصراط إلى عليٍّ عليه السلام بكسر اللّام، قال قتادة: فقلت له: ما معناه؟ فقال: يقول الله تعالى: هذا صراط عليّ بن أبي طالب ودينه طريق ودين مستقيم فاتّبعوه وتمسّكوا به فإنّه واضح لا عوج فيه[(٢)].

وقد روى ثقات مثلَ هذه القراءة والتفسير صريحاً عن الباقر وابنه عليهما السلام[(٣)]، حتّى أنّ في رواية الصادق عليه السلام أنّه قال: «هو والله عليٌّ، هو والله عليٌّ، هو والله الميزان والصراط»[(٤)].

---

(١) تفسير العيّاشي ٢: ١٥٢٠/١٢٧، بحار الأنوار ٣٥: ١٦/٣٧١، تفسير البرهان للبحراني ٢: ٣٧٢٦/٤٩٨.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٩ نقلاً عن أبي بكر الشيرازي، وكذا ابن جبر في نهج الإيمان: ٥٣٩، وابن طاووس في الطرائف ١: ١٣٥/١٤٠، والبياضي في الصراط المستقيم ١: ٢٨٤.

(٣) انظر: تفسير فرات الكوفي: ١٦٤/١٣٧، تفسير العيّاشي ٢: ٢٣٢٨/٤٢٩، الكافي ١: ٦٣/٣٥١، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٧، تفسير البرهان للبحراني ٣: ٥٨٧١/٣٦٧ ـ ٥٨٧٤، بحار الأنوار ٣٥: ٥٩، و٢/٣٦٣، و٢٤: ٢٧/١٧، و٤٩/٢٣.

(٤) انظر: بصائر الدرجات: ٩/٩٩، و٢٥/٥٣٢، ومختصر البصائر: ٢٠٣/٢١٢، وبحار الأنوار ٣٥: ٢/٣٦٣ نقلاً عن البصائر.

وفي روايةٍ في المناقب عن ابن عبّاس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم وعليٌّ عليه السلام بين يديه مقابلته ، ورجل عن يمينه ، ورجل عن شماله ، فقال صلى الله عليه وآله : «اليمين والشمال مضلّة ، والطريق المستوي الجادّة» ثمّ أشار بيده إلى عليٍّ وقال : «وإنّ ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ فاتّبعوه»(١) .

أقول : هذا الحديث ليس بصريح في قراءة الحسن ، بل يوافق قراءة المشهور أيضاً بلا تكلّف ، وكذا ما سبق آنفاً من رواية جابر(٢) ، والله يعلم .

وقد روى ابن مردويه أيضاً عن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣) : هو عليّ بن أبي طالب(٤) .

أقول : الظاهر أنّ مراد ابن عبّاس هاهنا تفسير ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بعليٍّ عليه السلام ، كما يشعر به أوّل الآية بحسب الظاهر ؛ إذ الآية هكذا : ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَـٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ﴾ إلى آخر الآية ، فعلى هذا ، المراد بالصراط هو دين الله ، ولا منافاة ، لأنّ دين الله أيضاً هو(٥) عند عليٍّ عليه السلام ، كما صرّح به في رواية البصري(٦) أيضاً ، ولهذا فسّر بولايته أيضاً في كثير من الأخبار ، كما روى

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩٠ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٨٤ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٦/٣٦٦ نقلاً عن المناقب .

(٢) تقدّمت روايته في ص ٢٠١ .

(٣) سورة النحل ١٦ : ٧٦ .

(٤) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٢٤ ، والعلّامة الحلّي في كشف اليقين : ٤٠٤ ، ونهج الحقّ : ٢٠٥ .

(٥) في «ن» و«ل» زيادة : «الذي» .

(٦) تقدّمت روايته في ص ٢٠٢ .

الحافظ أبو نُعيم بإسناده عن الأصبغ بن نباتة عن عليٍّ عليه السلام، وروى ابن مردويه أيضاً عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس عنه عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾[1]: يعني عن ولايتنا أهل البيت عليهم السلام[2].

وبمضمونه أخبار عديدة[3].

وفي رواية العِزّ الحنبلي في هذه الآية: يعني صراط محمّد وآله صلّى الله عليه وآله[4].

وفي رواياتٍ أيضاً: أنّ الولاية هي دين الله الذي ارتضى به[5].

فلا ينافي التفسير بكلّ واحد كما في روايةٍ: أنّ الباقر عليه السلام فسّر قوله تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[6] بعليٍّ عليه السلام، ثمّ قال: «ومعنى عليّ صراط الله: أنّه الصراط إلى الله، كما يقال: فلان باب السلطان إذا كان يوصل به إليه» قال: «ثمّ إنّ الصراط هو الذي عليه عليٌّ عليه السلام»[7].

وستأتي بعض المؤيّدات أيضاً، منها: ما سيأتي في المطلب الآتي من قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[8] ونحو ذلك، فتأمّل حتّى تعلم ما في هذه الآية على وفق هذا

---

(١) سورة «المؤمنون» ٢٣ : ٧٤.

(٢) خصائص الوحي المبين: ٧٨/١٣٣، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٤ ـ ٦/٣٥٥ و٧، كشف الغمّة ١: ٣٢٤، شواهد التنزيل ١: ٥٥٧/٤٠٢.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٣٧٨/٢٧٨، شواهد التنزيل ١: ٥٥٨/٤٠٢.

(٤) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣١٣.

(٥) انظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١١٤ و١١٥، وبحار الأنوار ٣٥: ٣٤١.

(٦) سورة الشورى ٤٢: ٥٣.

(٧) انظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩١ في تفسير الآية ٤٣ من سورة الزخرف.

(٨) سورة الزخرف ٤٣: ٤٣.

التفسير من أشياء أُخَر أيضاً ، حتّى أنّها تدلّ على عدم كون مَنْ تقدّم عليه على دين الله ، وأنّه من الظالمين الذين لا يأمرون بالعدل ، ومن الجاهلين الذين لا يأتون بخيرٍ ، فافهم .

وقد روى الخوارزمي بإسنادٍ له عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «الصراط صراطان : صراط في الدنيا ، وصراط في الآخرة ، فأمّا صراط الدنيا فهو عليّ ابن أبي طالب ، وأمّا صراط الآخرة فهو جسر جهنّم ، مَنْ عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة»(١) .

وفي رواية الحسن البصري أنّه قال : خرج ابن مسعود فوعظ الناس ، فقام إليه رجل ، فقال : يا أبا عبدالرحمان أين الصراط المستقيم؟ فقال : الصراط المستقيم طرفه في الجنّة ، وناحيته عند محمّد وعليٍّ عليهما السلام ، وحافّتاه دعاة ، فمن استقامت له الجادّة أتى محمّداً وعليّاً [عليهما السلام] ومن زاغ عن الجادّة تبع الدعاة(٢) .

وبالجملة ، تفسير الصراط المستقيم بعليٍّ عليه السلام صريحاً في آيات عديدة ممّا دلالة الروايات عليه واضحة .

روى الثعلبي في تفسيره ، وابن شاهين في كتابه مرفوعاً إلى بريدة الأسلمي أنّه قال في قوله تعالى : ﴿إِهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(٣) : يعني :

---

(١) نقله عنه الشيرازي في الأربعين : ٧٨ ، والعلّامة الأميني في الغدير ٢ : ٣١١ ، وانظر : تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١٣/٢٩ ، وتفسير البرهان للبحراني ١ : ٢٨٧/١١٣ ، وتفسير نور الثقلين ١ : ٩١/٢١ ، ومعاني الأخبار : ١/٣٢ و٢ ، وبحار الأنوار ٨ : ٣/٦٦ ، و٢٤ : ٣/١١ .

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩١ ، نهج الإيمان : ٥٤١ .

(٣) سورة الفاتحة ١ : ٦ .

صراط محمّد وآله عليهم السلام[١].

وروى مثلَه الثعلبي أيضاً عن مسلم بن حيّان هكذا: قال: سمعتُ أبا يزيد يقول في الآية: أي: صراط محمّد وآله عليهم السلام[٢].

وفي رواية أبي جعفر الهاروني وروايات عديدة ذكرها أصحابنا عن الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام أنّهم قالوا في هذه الآية: «إنّ الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته»، قالوا: «والدليل على ذلك قوله عزّوجلّ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[٣] وأُمّ الكتاب سورة الفاتحة، يعني أنّ فيها ذكر عليّ عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾»[٤].

ثمّ لا يخفى دلالة الاستشهاد أيضاً على كمال جلالة شأن عليّ عليه السلام وأنّه المسمّى باسمه صريحاً في القرآن بكونه حكيماً، وسيأتي في المطلب الآتي عن ابن عبّاس أنّه فسّر الحكمة بولاية عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٥]، وتأييده ظاهر، فافهم.

وفي روايات أصحابنا عن الباقر عليه السلام وروايات غيرهم، عن زيد بن عليّ عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٦] قال:

---

(١) تفسير الثعلبي ١: ١٢٠ عن مسلم بن حيّان، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨٩ نقلاً عن الثعلبي وابن شاهين، نهج الإيمان: ٥٤٠، بحار الأنوار ٢٤: ١٩/١٦.

(٢) تفسير الثعلبي ١: ١٢٠، وعنه ابن البطريق في العمدة: ٢٩/٤٢.

(٣) سورة الزخرف ٤٣: ٤.

(٤) انظر: معاني الأخبار: ٣٢ ـ ٣/٣٣، وتفسير القمّي ١: ٢٨، والمناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨٩ ـ ٩٠، وبحار الأنوار ٣٥: ٣٦٥ و٣٧٣ نقلاً عن المناقب ومعاني الأخبار.

(٥) سورة الجمعة ٦٢: ٢.

(٦) سورة الشورى ٤٢: ٥٢.

يعني إنّك لتأمر بولاية عليٍّ وتدعو إليها ، وعليٌّ هو الصراط المستقيم ، وهو صراط الله ، وقال زيد لمّا سمع الآية : ولقد هدى الناس وربّ الكعبة إلى عليٍّ عليه‌السلام ، ضلّ عنه من ضلّ ، واهتدى (به)[١] من اهتدى[٢] .

ثمّ إنّ في كثيرٍ من روايات أهل البيت عليهم‌السلام التصريح بأنّ المراد بسبيل الله ونحوه هو عليٌّ والأوصياء من ذرّيّته عليهم‌السلام ، ويشهد له ما دلّ على كونه الصراط المستقيم[٣] ، وما مرّ أوّلاً من رواية بريدة ، وما في كتاب المناقب عن أبي ذرّ رحمه‌الله عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه قال في حديثٍ له عند قوله تعالىٰ : ﴿وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾[٤] : «يعني عليّاً»[٥] .

وعن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾[٦] الآيات : إنّ سبيل الله في هذا الموضع[٧] عليّ بن أبي طالب ، وفي قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾[٨] هو الوصيّ بعد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله[٩] .

فتأمّل حتّى تعلم صريح دلالة هذه الآيات بعد ما تبيّن المراد بها على إمامة عليٍّ والأوصياء من ذرّيّته عليهم‌السلام ؛ إذ لا أقلّ من دلالة الاختصاص من بين

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في «ن» و«س» و«ل» .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٥٣٣/٤٠٠ و٥٣٤ ، تفسير القمّي ٢ : ٢٨٠ ، وعنهما في بحار الأنوار ٣٥ : ١٢/٣٦٩ .

(٣) انظر : بحار الأنوار ٢٤ : ٩ باب ٢٤ إلى آخره .

(٤) سورة غافر ٤٠ : ٧ .

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٨٩ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ١٤٤ ، والأعراف ٧ : ٣٧ ، ويونس ١٠ : ١٧ ، والكهف ١٨ : ١٥ .

(٧) في «م» زيادة : «هو» .

(٨) سورة الحجر ١٥ : ٧٦ .

(٩) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٨٩ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٣٦٤ ـ ٥/٣٦٥ .

سائر الأُمّة بهذا اللقب والخطاب فضلاً عن اشتمال كثيرٍ من الآيات على ما ينادي بالإمامة ووجوب الإطاعة، لا سيّما قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾[2] وأمثال ذلك، فافهم، والله الهادي.

السادسة عشرة: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[4]، وما يفيد مفادهما.

اعلم أوّلاً أنّ أخبار أئمّة أهل البيت عليهم السلام صريحة في كون المراد بالوالدين فيهما رسول الله وعليٌّ صلوات الله عليهما، بل إنّهما نزلتا فيهما، وأكثرها صريحة في كونهما المراد بالوالدين في آيات من القرآن، وأنّهما أبوا هذه الأُمّة، وأنّ عليّاً أحد الوالدين، وأنّ حقّه على الأُمّة كحقّ الوالد على الولد، وأمثال ذلك.

وقد روى العامّة في كتبهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وجمع من الصحابة مثل هذه الأخبار أيضاً وإنْ لم يذكروا صريحاً خصوص حكاية الآية.

ولا يخفى أنّ بعد اتّفاق الفريقين على ورود ما يدلّ على أصل المصداق وصحّة الصدق لا يبقى شكٌّ لكلّ ذي نظر منصف في الدخول تحت الآية، بل كونهما عمدة المراد وأصل المقصود، كما سيظهر.

ولهذا نحن نذكر هاهنا نبذاً من خلاصة أخبار الطرفين مع بعض شرحٍ يظهر منه حقيقة الأمر الذي ذكرناه.

روى جماعة من الخاصّة منهم: أبو مريم الأنصاري، وأبان بن تغلب

(١ و ٢) سورة الأنعام ٦ : ١٥٣.

(٣) سورة النساء ٤ : ٣٦.

(٤) سورة لقمان ٣١ : ١٤.

ـ الثقة عند الفريقين[١] ـ وأبو بصير، وابن جبلة، وسلّام الجعفي، وغيرهم، عن الباقر والصادق عليهما السلام: «إنّ أحد الوالدين في الآية الأُولى رسول الله صلى الله عليه وآله، والآخَر عليّ بن أبي طالب»[٢]، بل في رواية الجعفي عن الباقر عليه السلام، ورواية أبان عن الصادق عليه السلام، بل في رواية ابن جبلة أيضاً صريح أنّ الآية نزلت في رسول الله وعليٍّ صلوات الله عليهما[٣].

وروىٰ جمع من الخاصّة أيضاً منهم: جابر الجعفي، وزرارة بن أعين ـ الثقتان عند الفريقين ـ وعبدالواحد بن المختار[٤]، وزياد بن المنذر أبو الجارود، وعبدالله بن سليمان، وغيرهم، عن الباقر عليه السلام: «إنّ المراد بالوالدين في الآية الثانية رسول الله وعليٍّ صلوات الله عليهما» حتّى أنّ في بعضٍ منها أيضاً أنّها نزلت فيهما[٥].

وفي رواية عبدالله بن سليمان: أنّ الباقر عليه السلام قال في الآية: «إنّ منّا الذي أُحلّ له الخُمس، ومنّا الذي جاء بالصدق، ومنّا الذي صدّق به، ولنا المودّة في كتاب الله، ورسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام الوالدان، وأمر الله ذرّيّتهما

---

(١) انظر: اختيار معرفة الرجال: ٦٠١/٣٣٠ ـ ٦٠٤، رجال النجاشي: ٧/١٠، تهذيب الكمال ٢: ١٣٥/٦، ميزان الاعتدال ١: ٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٩٣/١٠٤ و٩٤، تفسير العيّاشي ١: ١٢٩/٣٩٧ و١٣٠، تفسير البرهان للبحراني ٢: ٢٣٦٧/٧٧ ـ ٢٣٦٩.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٦، تفسير البرهان للبحراني ٢: ٢٣٧٠/٧٧، و٤: ٣٧١ ـ ٨٤٠٩/٣٧٢.

(٤) هو عبدالواحد بن المختار الأنصاري، كان من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام.
انظر: رجال البرقي: ١١، ورجال الكشّي: ٦٣١/٤٠٦، ورجال الطوسي: ١٤٨١/١٣٩، و٣٣٣١/٢٤٢.

(٥) انظر: تفسير فرات الكوفي: ٤٤٢/٣٢٥ عن زياد بن المنذر، وتأويل الآيات الظاهرة ١: ١/٤٣٦ و٢، وتفسير البرهان للبحراني ٤: ٣٧٠ ـ ٨٤٠٣/٣٧١ ـ ٨٤٠٥، بحار الأنوار ٣٦: ١٥/١٢.

بالشكر لهما»[١].

وقد روى عليّ بن الحسين العبدي[٢]، عن سعد الإسكاف[٣]، عن الأصبغ بن نباتة أنّه سأل علياًعليه السلام عن هذه الآية الثانية، فقال عليه السلام: «الوالدان اللّذان أوجب الله لهما الشكر هُما اللذان ولّدا العلم، وورّثا الحِكم، وأُمر الناس بطاعتهما، والدليل على ذلك الوالدان، ثمّ قال سبحانه: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ فمصير العباد إلى الله تعالى» الخبر، إلى أن قال عليه السلام: «فاتّقوا الله ولا تعصوا الوالدين فإنّ رضاهما رضا الله وسخطهما سخط الله»[٤].

أقول: لعلّ مراده عليه السلام بقوله: «والدليل على ذلك الوالدان» أنّ تذكير اللفظ حينئذٍ لا حاجة فيه إلى ارتكاب تجوّز التغليب.

وروى جابر أيضاً عن الباقر عليه السلام، وبشير الدّهان[٥]، عن الصادق عليه السلام قالا في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإِنْسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْناً﴾[٦]: «رسول الله صلى الله عليه وآله أحد الوالدين والآخر عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٧].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١/٤٣٦، بحار الأنوار ٣٦ : ١٤/١٢.

(٢) لم يُذكر له ترجمة.

(٣) هو سعد الإسكاف، يقال له: سعد بن طريف، وسعد الخفاف، كان من أصحاب السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، ويظهر من الروايات وثاقته.
انظر: رجال الطوسي: ١١٤٧/١١٥، و١٤٣٠/١٣٦، ورجال الكشّي: ٣٨٤/٢٨٦، ومستدركات علم الرجال للنمازي ٤ : ٦٠٩٤/٢٥.

(٤) تفسير القمّي ٢ : ١٤٨-١٤٩، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٥/٦.

(٥) هو بشير الدهّان الكوفي ـ وقيل: يسير، بالياء والسين غير المعجمة ـ كان من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، قال له الصادق عليه السلام: «أنتم والله على دين الله».
انظر: رجال الطوسي: ١٩٦٥/١٦٩، و٤٩٥٦/٣٣٣، وتنقيح المقال ١ : ١٣٤٨/١٧٤، والمستدركات في علم الرجال للنمازي ٢ : ٢١٦١/٣٩.

(٦) سورة العنكبوت ٢٩ : ٨.

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٤/٤٣٧، بحار الأنوار ٣٦ : ١٦/١٣.

وفي رواية جابر أيضاً أنّه سُئل الباقر عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (١) قال : «يعني عليّاً وما ولد من الأئمّة عليهم السلام» (٢) .

هذا خلاصة ما رواه أصحابنا في تفسير هذه الآيات خصوصاً .

وأمّا الأخبار المطلقة المشتركة بين الفريقين في الرواية :

فمنها : ما رواه جماعة كالثعلبيّ في ربيعه ، والخركوشي في شرف النبيّ صلى الله عليه وآله عن عمّار وجابر وأبي أيّوب ، وكالديلمي في الفردوس ، وأبي الزبير المكّي ، عن جابر الأنصاري ، وكالنطنزي في الخصائص ، والخوارزمي في مناقبه عن عليّ عليه السلام ، والشيخ الطوسي الإماميّ رحمه الله في كتاب الأمالي عن أنس ، وكابن المغازلي في مناقبه ، وابن عقدة ، وغيرهما بأسانيد عن عليّ عليه السلام ، قالوا كلّهم : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «حقّ عليّ على هذه الأُمّة ـ وفي روايةٍ : على الناس ، وفي رواية أنس : على المسلمين ـ كحقّ الوالد على الولد» وفي روايةٍ : «على ولده» (٣) .

قال القاضي أبو بكر أحمد بن كامل : يعني : إنّ حقّ عليّ عليه السلام على كلّ مسلمٍ أن لا يعصيه أبداً (٤) .

---

(١) سورة البلد ٩٠ : ٣ .

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٧٩٧ ـ ١/٧٩٨ ، بحار الأنوار ٢٣ : ١٦/٢٦٨ ، و٣٦ : ١٧/١٣ ، وورد بتفاوتٍ يسير مرفوعاً في الكافي ١ : ١١/٣٤٢ (باب فيه نكت ونُتف من التنزيل في الولاية) .

(٣) نقله عن الثعلبي والخركوشي والنطنزي وغيرهم ، ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٢٦ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٦٢٩ ، الفردوس بمأثور الخطاب ٢ : ٢٦٧٤/١٣٢ ، فردوس الأخبار ٢ : ٢٤٩٥/٢١٠ ، المناقب للخوارزمي : ٣٢٧/٣٢١ ، الأمالي للطوسي : ٧٢/٥٣ ، و٥٣٠/٢٧٠ ، و٦٧٣/٣٣٤ ، المناقب لابن المغازلي : ٧٠/٤٧ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٠٧ و٣٠٨ ، فرائد السمطين ١ : ٢٣٥/٢٩٧ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٢٦ .

ومنها: ما رواه الراغب في مفرداته عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا عليّ، أنا وأنت أبوا هذه الأمّة، ولحقّنا عليهم أعظم من حقّ أبوي ولادتهم، فإنّا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار، ونلحقهم من العبوديّة بخيار الأحرار»(١).

وقد رواه بعض ثقات الإماميّة أيضاً عن أبي محمّد العسكري عليه السلام عن آبائه عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال، وذكر الحديث بعينه(٢).

وقد روي عن أبي محمّد عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً أنّه قال: «أفضل والديكم وأحقّهما بشكركم محمّد وعليّ»(٣).

وعنه عليه السلام عن الحسن المجتبى عليه السلام أنّه قال: «محمّد وعليّ أبوا هذه الأمّة، فطوبى لمن كان بحقّهما عارفاً، ولهما في كلّ أحواله مطيعاً»(٤).

وعنه عليه السلام عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «إن كان الأبوان إنّما عظم حقّهما على أولادهما لإحسانهما إليهم، فإحسان محمّد وعليّ إلى هذه الأمّة أجلّ وأعظم، فهُما بأن يكونا أبويهم أحقّ»(٥).

والأخبار من هذا القبيل عديدة رواها ثقات من الإماميّة عن أئمّتهم، حتّى أنّ في روايةٍ في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٧ ـ كتاب الألف ـ وعنه في المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٦.

(٢) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ١٩٠/٣٣٠، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ٨/٢٥٩.

(٣) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ١٨٩/٣٣٠، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ٢٥٩.

(٤) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ١٩٢/٣٣٠، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٥) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ١٩٤/٣٣٠، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ٢٦٠.

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَتُهُمْ﴾[١] أنها نزلت ومعها وهو أبٌ لهم ، وأنّه هو معنى أزواجه أمّهاتهم ، وأنّه تعالى لمّا جعل نبيّه صلى الله عليه وآله أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله في الغدير : «أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟» فقالوا : بلى ، فأوجب لعليٍّ عليه السلام ما أوجبه لنفسه عليهم من الولاية ، فقال : «ألا من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» ، ولمّا جعل الله النبيّ صلى الله عليه وآله أبا المؤمنين ألزمه مؤونتهم ، وتربية أيتامهم ، فعند ذلك صعد النبيّ صلى الله عليه وآله المنبر ، فقال : «من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً ـ يعني عيالاً فقراء ـ فعلَيَّ وإلَيَّ» فألزم الله نبيّه صلى الله عليه وآله للمؤمنين ما يلزم الوالد ، وألزم المؤمنين من الطاعة له ما يلزم الولد للوالد ، فكذلك ألزم أمير المؤمنين عليه السلام ما ألزم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ؛ لمشاركتهما في الولاية والأُبوّة ، وكذلك الأئمّة بعد عليٍّ عليهم السلام واحداً بعدَ واحدٍ[٢] ، بل في روايةٍ : أنّ الصادق عليه السلام قال : «وكان إسلام عامّة اليهود بهذا السبب؛ لأنّهم أمنوا على أنفسهم وعيالاتهم»[٣] .

وقد ذكر بعض العلماء أنّ حقيقة الحال أن للإنسان حياة بدنيّة فانية بالروح الحيوانيّة ، وحياة روحانيّة أبديّة بالإيمان والعلم والكمالات التي هي موجبة للسعادة الأبديّة ، وقد وصف الله في مواضع من كتابه الكفّار بأنّهم أموات غير أحياء ، ووصف أموات كُمّل المؤمنين بأنّهم أحياء ، وحقّ الوالدين في النسب إنّما يجب لمدخليّتهما في الحياة الأُولى الفانية ، ولتربية الإنسان فيما يُقوّي تلك الحياة ، وحقّ النبيّ صلى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السلام بل وسائر الأئمّة عليهم السلام أيضاً إنّما يجب من الجهتين معاً :

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٦ .

(٢) تفسير القمّي ٢ : ١٧٥ ـ ١٧٦ بتفاوت يسير ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٧ ـ ٧/٨.

(٣) تفسير القمّي ٢ : ١٧٦ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٧/٨ .

أمّا الأُولى فلكونهم علّة غائيّة لإيجاد الخلق، وبهم يرزقون، وبهم يبقون، وبهم يدفع عنهم الشرور والعذاب، وبهم يسبّب الله لهم الأسباب.

وأمّا الثانية التي هي الحياة العظمى فبهدايتهم اهتدوا، ومن أنوارهم اقتبسوا، وبينابيع علمهم أحياهم الله حياة طيّبة لا تزول عنهم أبداً، فثبت أنّهم الآباء الحقيقيّة الروحانيّة التي يجب على الخلق رعاية حقوقهم، والاحتراز عن عقوقهم، فالنبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام هما الأبوان اللّذان أولى بالذكر والشكر والإحسان والطاعة من الأبوين في النسب[1]. انتهى كلامه.

ولا يخفى أيضاً أنّ الذي ورد في أخبار كثيرة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام هو أنّ الله تعالى خلق أرواح شيعتهم من شعاع أنوارهم، وخلق قلوب شيعتهم من فضل طينتهم[2]، وأنّه لأجل هذا قلوب الشيعة تحنّ إليهم، وعلى هذا فذلك أيضاً من أسباب التسمية.

وبالجملة، الأخبار من هذا القبيل عند الفريقين كثيرة حتّى أنّ منها: ما رواه أحمد بن محمّد الطبري، بإسنادٍ له عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: كنت عند عليّ عليه السلام في الشهر الذي أُصيب فيه، وهو شهر رمضان، فدعا ابنه الحسن عليه السلام، ثمّ قال: «يا أبا محمّد اعل المنبر فاحمد الله كثيراً وأثن عليه واذكر جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله بأحسن الذكر، وقل: لعن الله ولداً عقّ أبويه، لعن الله ولداً عقّ أبويه، لعن الله ولداً عقّ أبويه، لعن الله عبداً أبق من مواليه، لعن الله غنماً ضلّت عن الراعي، وانزل» فلمّا فرغ من خطبته ونزل اجتمع الناس إليه وقالوا: يابن أمير المؤمنين وابن بنت

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٣٦: ١٣ ـ ١٤.

(٢) انظر: بصائر الدرجات: ٣/٣٥، ومشارق أنوار اليقين: ٩٠ ـ فصل ٤٦ ـ، وبحار الأنوار ٢٥: ١٤/٩، و١٧/١١ و١٨، و٢٤/١٢، و٢٥/١٣، و٣٩/٢٣.

رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله نبّئنا بمعناه ، فقال : «الجواب على أمير المؤمنين عليه‌السلام» ، فقال عليّ عليه‌السلام : «إنّي كنت مع النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في صلاة صلّاها ، فضرب بيده اليمنى إلى يدي اليمنى فاجتذبها وضمّها إلى صدره ضمّاً شديداً ، ثمّ قال لي : يا عليّ! فقلت : لبّيك يا رسول الله ، فقال : أنا وأنت أبوا هذه الأمّة ، فلعن الله من عقّنا ، قل : آمين ، قلت : آمين ، قال : أنا وأنت موليا هذه الأمّة فلعن الله من أبق عنّا ، قل : آمين ، قلت : آمين ، ثمّ قال : أنا وأنت راعيا هذه الأمّة فلعن الله من ضلّ عنّا ، قل : آمين ، قلت : آمين» قال أمير المؤمنين [عليه‌السلام] : «وسمعت قائلَيْن يقولان معي : آمين ، فقلت : يا رسول الله ، من القائلان معي : آمين؟ قال : جبرئيل وميكائيل»(١) .

أقول : وقد مرّ فيما تقدّم من الفصول بأسانيد عديدة من الصحاح الستّة وغيرها ، حتّى من صحيح البخاري ما يقوّي صحّة ورود هذه الروايات بأجمعها من حيث كونه مسلّم الورود عند الكلّ ، مع أنّه ممّا يفسّره ويشرح ما فيه من الإجمال هذه الروايات لا سيّما الأخيرة فإنّها كالشرح الصريح له؛ لكونها مشتملة عليه وعلىٰ بيان معناه ، فنعلم صحّة أصل هذه الأحاديث من ذاك ومعنى ذاك من هذه .

وهو الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، عن عليّ عليه‌السلام وغيره : أنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال ـ وفي بعض الأسانيد أيضاً أنّه من جملة ما كان مكتوباً في الصحيفة التي كانت معلّقة في قِراب سيف رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ : «من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،

---

(١) معاني الأخبار : ١/١١٨ وفيه : ورد أحمد بن محمّد الطبري في ضمن السند ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٥ ـ ٤/٦ .

لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»(١).

وفي بعض أسانيده هكذا: «مَنِ انتمىٰ إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليه فعليه كذا»(٢) الخبر.

وفي بعضها: «لعن الله مَنِ انتمى إلى غير أبيه أو توالى غير مواليه»(٣).

فتأمّل حتّى يتبيّن لك أنّ عمدة مراد النبيّ صلى الله عليه وآله بهذا القول والكتابة ما هو مضمون الخبر الأخير، مع أنّ هذا المضمون ورد في غيره من روايات العامّة أيضاً، حتّى أنّهم نقلوا صريحاً: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة فمن عقّ والديه فعليه لعنة الله»(٤).

فتأمّل جدّاً حتّى تعلم ثانياً أنّ ممّا ذكرناه وبيّنّاه ظهر عياناً كون عليّ عليه السلام إماماً واجب الطاعة(٥) مثل النبيّ صلى الله عليه وآله؛ بحيث إنّ الله تعالى قرن فيما ذكر من الآيات الإحسان به والشكر له بالإحسان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله والشكر له صلى الله عليه وآله من غير الإشعار بفرقٍ أصلاً، ثمّ جعل إحسانهما معاً، وشكرهما من أعظم الأركان وأخصّ لوازم عبادته والإيمان به، ونفي الشريك عنه، والتزام شكره، بل جعل إحسانهما وشكرهما قريناً لهذه الأشياء كلّها، بل هكذا النبيّ صلى الله عليه وآله جعل عقوق عليّ عليه السلام عقوق نفسه حيث عبّر في حديثه صلى الله عليه وآله عن عقوق عليّ بعقوق الوالدين ونحو ذلك، وأيّ معنى للإمامة غير هذا؟

---

(١) صحيح مسلم ٢: ٢٠/١١٤٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٧٢١٦/٢٠٥ و١٧٢١٧، و٢٨٤ ـ ١٧٦٢٠/٢٨٥ و١٧٦٢١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٢٠٣ ـ ١٧٢١٠/٢٠٤، العمدة لابن بطريق: ٣٤٤، ذيل الرقم ٦٦٧.

(٤) العمدة لابن بطريق: ٣٤٥، ذيل الرقم ٦٦٧.

(٥) في «س» و«ن» و«ل»: «الإطاعة».

ومن البيّن أنّ إظهار هذا الاختصاص بعليٍّ عليه السلام دون غيره لا سيّما من تقدّم عليه لأجل تنبيه الناس بأنّ الإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّما هي له ومختصّة به ؛ لعلمه وسائر مزاياه ، وأنّ من لم يقل بذلك لم يشكره ولم يُحسن إليه ، بل ادّعى إلى غير أبيه وانتمى إلى الغير ، بل تولّى غير مواليه أيضاً ، كما مرّ مفصّلاً في حكاية الغدير ، بل إنّ مثل هذا الرجل عاصٍ ، بل عاقٌّ قاطع ، كما في صريح أخبار ممّا ذُكر ، بل ومن الملعونين بحسب هذه الأخبار على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله لاسيّما من آذاه ولو بأخذ بعض ما جعله الله له منه فضلاً عمّن نازعه وقاتله وحاربه وسبّه وبهته وافترى عليه ، وقتل أتباعه ، ودعا الناس إلى البراءة منه ، كما سيأتي في المقصد الآتي لاسيّما في ذكر أحوال معاوية ، فافهم ، والله الهادي .

السابعة عشرة : قول الله عزّوجلّ : **﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾**[(١)] ، وكذا ما يفسّره أيضاً ، كقوله سبحانه : **﴿يَٰأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾**[(٢)] ، وقوله تعالى : **﴿هُوَ ٱلَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾**[(٣)] فإنّه قد روى ابن مردويه في مناقبه في الآية الأُولى أنّ المراد بـ **﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾** عليٌّ عليه السلام[(٤)] .

وفي روايات مستفيضة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام مثله بنقل المخالف والمؤالف ، حتّى أنّه روى سعيد بن الحسن بن مالك معنعناً عن الباقر عليه السلام

(١) سورة يوسف ١٢ : ١٠٨ .
(٢) سورة الأنفال ٨ : ٦٤ .
(٣) سورة الأنفال ٨ : ٦٢ .
(٤) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٧ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٥١ ـ ٣/٥٢ .

أنّه قرأ الآية الأُولى ، ثمّ قال عليه السلام : «لم تنلني شفاعة جدّي إن لم تكن هذه الآية في عليّ عليه السلام خاصّة»(١) .

وفي حديثٍ آخر عنه عليه السلام أنّه قال في هذه الآية : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : هو عليّ وآل محمّد ، الأوصياء من بعده»(٢) .

وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام أنّه قيل له : إنّ الناس ينكرون عليك حداثة سنّك ، فقال عليه السلام : «وما ينكرون [عليّ] من ذلك ، فوالله لقد قال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله : **﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾**(٣) وما اتّبعه ذلك اليوم غير عليّ عليه السلام ، وكان ابن تسع سنين ، وأنا ابن تسع سنين»(٤) .

أقول : يحتمل أن يكون هذا الكلام منه عليه السلام إلزاماً للمخالفين بأن يكون أهل زمانه منهم قائلين بكون سنّ عليّ عليه السلام عند إيمانه تسعاً ، وكذا بنزول الآية في بدء الإسلام ، وربّما كان نزولها في ذلك الوقت معلوماً عند الجميع أيضاً ، فألزمهم الإمام عليه السلام على مسلكهم .

وبالجملة ، كون المراد عليّاً عليه السلام صريح تفاسير أهل البيت عليهم السلام وبعض المخالفين لا أكثرهم ؛ لما سيظهر من كونها كالصريح في الإمامة ، ومن عادة أكثرهم ترك نقل أمثال هذا ، إلّا أنّه يلزمهم أن يقولوا بهذا التفسير

---

(١) تفسير فرات الكوفي : ٢٦٤/٢٠١ ، تفسير العيّاشي ٢ : ٢١٧٢/٣٧٤ ، تفسير البرهان للبحراني ٣ : ٥٤٠٩/٢١٤ ، شواهد التنزيل ١ : ٣٩٠/٢٨٥ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٥/٥٢ .

(٢) تفسير العيّاشي ٢ : ٢١٧٤/٣٧٥ ، المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٤١٠ ، تفسير البرهان للبحراني ٣ : ٥٤٠٤/٢١٣ .

(٣) سورة يوسف ١٢ : ١٠٨ .

(٤) تفسير القمّي ١ : ٣٥٨ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ١/٥١ .

ولو لم يريدوه .

أمّا أوّلاً : فلأنّه هو صريح ما يلزمهم ممّا ذكروه في تفسير الأخيرتين ، فإنّ الحافظ أبا نُعيم وابن بطريق والعِزّ الحنبليّ رووا في قوله تعالى : ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) : أنّ المراد عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٢) .

وروى أبو نُعيم عن الباقر عليه السلام نزول الآية في عليٍّ عليه السلام (٣) .

وقال العِزّ الحنبليّ : قالوا : هو عليٌّ عليه السلام ، وهو رأس المؤمنين (٤) .

وروى أبو نُعيم في حلية الأولياء ، وغيره بإسنادٍ له عن أبي هريرة ، وكذا روى الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة ، وكذا روى السيوطي وابن عساكر عن أبي هريرة أيضاً ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «مكتوب على العرش : لا إله إلّا الله وحده لا شريك له» وفي روايةٍ بدل «وحده لا شريك له» : «أنا وحدي لا شريك لي ، محمّد عبدي ورسولي أيّدته بعليٍّ» ـ وفي روايةٍ : بعليّ بن أبي طالب ـ وذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥) وفي روايةٍ بعد ذكر الآية يعني : عليّ بن أبي طالب (٦) .

---

(١) سورة الأنفال ٨ : ٦٤ .

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١١/١٩٦ ، خصائص الوحي المبين : ١٣٥/١٩٠ ، النور المشتعل : ١٨/٩٢ ، وأورده الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٣٠٥/٢٣٠ و٣٠٦ ، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٦ : ٧/٥٢ .

(٣) خصائص الوحي المبين : ١٣٦/١٩٠ و١٣٧ ، النور المشتعل : ١٨/٩٢ و١٩ .

(٤) عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٢ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٣/٥١ .

(٥) سورة الأنفال ٨ : ٦٢ .

(٦) انظر : خصائص الوحي المبين : ١٣٥/١٩٠ ، وتأويل الآيات الظاهرة ١ : ٩/١٩٥ ، كلاهما عن أبي نُعيم ، والأمالي للصدوق : ٣١٢/٢٨٤ ، والدرّ المنثور ٤ : ١٠٠ ، ←

وقد روى سعيد بن جبير عن أبي النجم[١] خادم النبيّ ﷺ أنّه قال: سمعتُ النبيّ ﷺ يقول: «لمّا أُسري بي إلى السماء رأيتُ على ساق العرش مكتوب: لا إله إلّا الله محمّد رسولي وعليٌّ صفيّي من خلقي، أيّدته به»[٢].

وقد مرّت في بعض الفصول السابقة أمثالها مع ما يؤيّدها.

ولا يخفى أنّه إذا ورد أنّ عليّاً عليه السلام هو المراد بـ ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ في الآية الثانية وكذا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ في الثالثة فهو المراد أيضاً في الأُولى، كما هو واضح.

وقد مرّت بعض المؤيّدات أيضاً في الآيات السابقة لاسيّما الخامسة عشرة، ويأتي أيضاً فيما يأتي منها.

ومن العجايب أنّ بعضاً منهم روى حديثَ أبي هريرة بدون ذكر لفظة ابن أبي طالب، وفسّر عليّاً بكلّ عالٍ جليل، لا خصوص أمير المؤمنين[٣].

وأمّا ثانياً: فلأنّه معلوم أنّ المراد بمن اتّبع هاهنا صاحب المتابعة التامّة في جميع الأشياء، وإلّا فكلّ مؤمن تابع في الجملة، وظاهر كلمة «من» أنّها تبعيضيّة لا بيانيّة، حتّى أنّها إن كانت بيانيّة أيضاً معلوم أنّ جميع المؤمنين لم يكونوا بهذه المثابة، فلامحالة بكون المراد أهل الجدّ في

↩ وتاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٦٠، وبحار الأنوار ٣٦: ٥٢ ـ ٥٣، ذيل ح٧ وح٨، و٢٧: ٣/٢.

(١) الظاهر أنه أبو الحمراء، وهو هلال بن الحارث السهمي، كما في تاريخ مدينة دمشق ٤: ٣٢/٢٩٠.

(٢) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٠/١٩٦، تفسير أبي حمزة الثمالي: ١١٨/١٨٦ ـ ١٢٠، مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ١: ١٣٠/٢١٠، و١٥٥/٢٤٠، تفسير البرهان للبحراني ٢: ٤٣٥٧/٧٠٧ ـ ٤٣٥٩، شواهد التنزيل ١: ٣٠٤/٢٩٧.

(٣) لم نعثر عليه.

الجهاد والقدرة على الإرشاد ، وظاهرٌ أنّه لم يكن أحدٌ في ذلك مثل عليٍّ عليه السلام لا علماً ولا عملاً ، وكفى في ذلك هزيمة مَنْ سواه ، وكون كلّ الظفر على يديه ، وكذا رجوع كلّ الصحابة في كلّ علمٍ إليه ، كما تبيّن جميع ذلك سابقاً .

هذا ، مع ظهور متابعته له صلى الله عليه وآله قبل كلّ أحد ، فلا أقلّ من كونه هو أصل المراد ، والعمدة والمقصود بالذات في هذه الآيات ، لاسيّما الأُولى وإن لم نحكم أوّلاً بالاختصاص؛ لأنّ بعد ملاحظة هذا الذي ذكرناه مع سائر القرائن وما ورد من الروايات لا يبقى لمنصف شكٌّ في الاختصاص ، كما شهد به الباقر عليه السلام مؤكّداً بالأيمان المغلّظة[(١)] ، حتّى أنّ من القرائن ما مرّ في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً﴾[(٢)] و﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)] و﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[(٤)] وأمثالها ، ومنها : التقييد في الآية الأُولى بما يدلّ على لزوم بصيرة الداعي بما يدعو إليه مثل النبيّ صلى الله عليه وآله ، وظاهرٌ أنّ بصيرة النبيّ صلى الله عليه وآله كان بكلّ أمرٍ وبتعليمٍ من الله كما مرّ بيانه ، فكذا يجب أن يكون هذا حال الداعي إلى سبيل الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد بيّنا مفصّلاً مبرهناً واضحاً ، بل ظاهر أيضاً أنّ عليّاً عليه السلام كان كذلك لا غيره ، ولا ينفع التوجيه باحتمال كون كلّ ذي بصيرةٍ بأمرٍ داعياً إليه ؛ ضرورة أن جعله قرين النبيّ صلى الله عليه وآله ومعادله في أمره يستلزم كونه مثله في ذلك ، على أنّا بيّنّا لزوم وجود مثل هذا الرجل ما دام التكليف ، وظاهرٌ أنّ مع وجود ذي البصيرة بالجميع يجب

---

(١) انظر : تفسير فرات الكوفي : ٢٦٤/٢٠١ ، وتفسير العيّاشي ٢ : ١٠٠/٣٧٤ ، وشواهد التنزيل ١ : ٣٩٠/٢٨٥ .

(٢) سورة الأنعام ٦ : ١٥٣ .

(٣) سورة التحريم ٦٦ : ٤ .

(٤) سورة الرعد ١٣ : ٧ .

أن يكون هو أصل المرجع كما كان النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك في زمانه، ولا ينافيه وجود بعض من يرشد إلى بعض الجزئيّات غير أنّه ليس بمنزلة الاقتران بالنبيّ صلى الله عليه وآله ومن يقوم مقامه في سائر الأمور، وقد مرّ تبيان هذا كلّه في مقالات وجوب المعلّم في كلّ عصرٍ وصفاته، وعلى هذا فالآية الأولى نصٌّ في لزوم كون عليٍّ عليه السلام هو المعلّم والإمام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وكذا تدلّ أُختاها بانضمام دلالتهما سيّما مع ملاحظة ما أشار إليه سبحانه فيهما، حيث عادله بنفسه في نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله وإعانته.

هذا كلّه، مع أنّ أصل دلالة الآيات لا سيّما مع ملاحظة القرائن المذكورة على كمال شرفه وجلالته وقابليّته للإمامة، بل وجوب تقديمه على غيره ممّا لا ينكره إلّا متعسّف، فافهم، والله الهادي.

الثامنة عشرة: قول الله عزّوجلّ: ﴿**أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾(١) فإنّه قد روى جماعة من المخالف والمؤالف بأسانيد عديدة أنّ الخطاب في ﴿**أَلْقِيَا**﴾ إلى النبيّ وعليٍّ صلوات الله عليهما.

ولنذكر بعض مضامين تلك الأخبار.

فمنها: ما رواه جمع منهم: جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام، وأبو الحسن الرضا عليه السلام، ومحمّد بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام، كلٌّ منهم عن آبائه، عن عليٍّ عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: يامحمّد ياعليّ ﴿**أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ فأنا وهو الملقيان في النار»(٢).

---

(١) سورة ق ٥٠ : ٢٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٥٧٧/٤٣٧ عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٢٧/٧٤.

وفي رواية محمّد بن الحسين : أنّ علياً عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله تعالى إذا جمع النّاس يوم القيامة في صعيد واحد كنت أنا وأنت عن يمين العرش ، فيقال لي ولك : قوما فألقيا من أبغضكما وخالفكما وكذّبكما في النار»(١) .

وفي روايةٍ عن الرضا عليه السلام : أنّ علياً عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة وفرغ من حساب الخلائق دفع الخالق مفاتيح الجنّة والنار إليّ فأدفعها إليك ، فأقول لك : احكم ، وذلك قوله تعالىٰ : ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾(٢) الآية» ، ثمّ قال عليّ عليه السلام : «والله إنّ للجنّة أحداً وسبعين باباً ، يدخل من سبعين باباً منها شيعتي وأهل بيتي ، ومن باب واحد سائر النّاس»(٣) .

وفي روايةٍ أُخرىٰ عنه عن آبائه عليهم السلام : «أنّ علياً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الآية : إنّها نزلت فيَّ وفي عليّ بن أبي طالب ، وذلك أنّه إذا كان يوم القيامة شفّعني ربّي وشفّعك ، وكساني وكساك ياعليّ ، ثمّ قال لي ولك : ألقيا في جهنّم كلّ من أبغضكما ، وأدخلا الجنّة كلّ من أحبّكما ، فإنّ ذلك هو المؤمن»(٤) .

ومنهم : يحيي بن سالم الفرّاء وفرات بن إبراهيم بإسنادٍ لهما عن عباية بن ربعيّ أنّه قال في هذه الآية : إنّ المخاطب هو النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) تفسير القمّي ٢ : ٣٢٤ ، تفسير فرات الكوفي : ٤٣٦ و٥٧٥/٤٣٧ و٥٧٦ ، بحار الأنوار ٣٩ : ١٣/١٩٩ نقلاً عن تفسير القمّي .

(٢) سورة ق ٥٠ : ٢٤ .

(٣) الأمالي للطوسي ٧٨٤/٣٦٨ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٩ : ٩/١٩٨ .

(٤) الأمالي للطوسي : ٧٨٢/٣٦٨ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤/٦٠٩ ، بحار الأنوار ٧ : ٢٦/٣٣٨ ، و٣٩ : ٢٣/٢٥٣ ، و٦٨ : ٤٣/١١٧ نقلاً عن أمالي الطوسي .

وعليٍّ عليه السلام[١].

وروى الحسن بن صالح عن عباية عن عليٍّ عليه السلام نحوه، وأنّه قال: «أنا قسيم الجنّة والنار»[٢].

ومنها: ما رواه محمّد بن العبّاس بن مروان، عن عبدالله بن مسعود قال: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمتُ، وقلتُ: يا رسول الله، أرني الحقّ أنظر إليه عياناً، فقال لي: «لج المخدع، فانظر ما ذا ترى؟» قال: فدخلتُ فإذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام راكعاً وساجداً، وساق الحديث بطوله كما مرّ في الفصول السابقة إلى أن قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّوجلّ لي ولعليٍّ: أدخلا الجنّة من أحبّكما[٣]، وألقيا في النار من أبغضكما[٤]، وذلك قوله تعالى: ﴿**أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[٥]» فقلت: يا رسول الله، مَن الكفّار العنيد؟ قال: «الكفّار من كفر بنبوّتي، والعنيد من عاند عليّ بن أبي طالب»[٦].

ومنها: ما رواه الحسن بن راشد قال: قال لي شريك القاضي أيّام المهدي: يا أبا عليّ أُريد أن أُحدّثك بحديثٍ أُوثرك به على أن تجعل الله عليك أن لا تحدّث به حتّى أموت، قال: فقلت: أنت آمن فحدِّث بما شئت، قال: كنت على باب الأعمش وعليه جماعة من أصحاب الحديث، ففتح الأعمش الباب فنظر إليهم، ثمّ رجع وأغلق الباب فانصرفوا وبقيتُ

(١) تفسير فرات الكوفي: ٥٧٤/٤٣٦، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٢٥/٧٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٥٨١/٤٤٠.

(٣) في «ن» و«س» و«ل»: «أحببتما».

(٤) في «ن» و«س» و«ل»: «أبغضتما».

(٥) سورة ق ٥٠: ٢٤.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٧/٦١٠، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٢٤/٧٣.

أنا[١] فخرج فرآني ، فقال : أنت هنا؟ لو علمتُ لأدخلتك أو خرجتُ إليك ، ثمّ قال لي : أتدري ما كان تردّدي في الدهليز في هذا اليوم؟ قلت : لا ، قال : إنّي ذكرت آيةً في كتاب الله ، قلت : ما هي؟ قال : قول الله تعالى : يامحمّد ياعليّ ألقيا في جهنم كلّ كفّار عنيد ، قال : قلت : وهكذا نزلت؟ قال : إي والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة هكذا نزلت[٢].

ومنها : ما رواه عليّ بن محمّد الزهري ، عن صباح المزني قال : كنّا نأتي الحسن بن صالح ، وكان يقرأ القرآن فإذا فرغ من القرآن سأله أصحاب المسائل ، فقام إليه شابّ ، فقال له : قول الله تعالى : ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٣] فمكث ينكت في الأرض طويلاً ، ثمّ قال : عن «العنيد» تسألني؟ قال : لا ، أسألك عن ﴿أَلْقِيَا﴾ قال : فمكث ساعةً أيضاً ينكت في الأرض ، ثمّ قال : إذا كان يوم القيامة يقوم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على شفير جهنّم ، فلا يمرّ به أحد من شيعته إلّا قال : «هذا لي وهذا لكِ» ، وفي روايةٍ : إنّ الحسن نقله عن الأعمش[٤].

وفي رواية أبي القاسم الحاكم الحسكاني بإسناده عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن الأعمش أنّه قال : حدّثنا أبو المتوكّل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّوجلّ لي ولعليٍّ : ألقيا في النار من أبغضكما ، وأدخلا في الجنّة من أحبّكما ، وذلك

---

(١) في «م» زيادة : «وحدي» .
(٢) تفسير فرات الكوفي : ٥٨٠/٤٣٩ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٧٤ ـ ٢٨/٧٥ .
(٣) سورة ق ٥٠ : ٢٤ .
(٤) تفسير فرات الكوفي : ٥٨١/٤٤٠ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٢٩/٧٥ .

قوله تعالى» وذكر الآية[١].

وقد روى هذا الحديث ابن المغازلي أيضاً لكن عن شريك، وبالتفصيل المؤكّد للصحّة هكذا: قال شريك: لمّا مرض الأعمش مرضه الذي مات فيه دخل عليه ابن شبرمة، وابن أبي ليلى، وأبو حنيفة، وأنا معهم، فقالوا: يا أبا محمّد هذا آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة وقد كنت تُحدّث عن عليٍّ عليه السلام بأحاديث كان السلطان يعترضك عليها، وفيها تعيير بني أُميّة، ولو كنت اختصرت لكان الرأي، فقال لهم: ألي تقولون هذا؟ أسندوني، فأسندوه، فقال: حدّثني أبو المتوكّل الناجي عن أبي سعيد الخُدري وذكر الخبر بتمامه سواءً، وفي آخره زيادة قوله صلى الله عليه وآله: «فيجلس عليٌّ على شفير جهنّم، فيقول: هذا لي وهذا لكِ».

وقد روى غيره أيضاً هذا الخبر بعينه، وفي آخره أنّ أبا حنيفة قال لهم: قوموا قبل أن يأتي بأعظم من هذا، فقاموا فخرجوا فلم يلبث إلّا ساعةً حتّى توفّي[٢].

وفيه أيضاً أنّه قال لهم لمّا أسندوه: اعلموا أنّي مفارق للدنيا وملاقٍ لربّي اليوم، وأنّي أشهد شهادة صدق أنّه حدّثني أبو المتوكّل[٣]، الخبر.

أقول: تأمّل في هذا الخبر حتّى تعرف أنّ علماءهم كيف كانوا يتسامحون في الدين تملّقاً إلى الحكّام، لا سيّما في إخفاء مناقب عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام، وقد مرّ سابقاً بعض الأخبار أيضاً في هذا المعنى لاسيّما

---

(١) شواهد التنزيل ٢ : ٨٩٦/١٩٠، وعنه في مجمع البيان ٥ : ١٤٧، وكذا في بحار الأنوار ٣٦ : ٧٥، ذيل ح٢٩.

(٢) المناقب لابن المغازلي : ٣/٤٢٧، وعنه ابن طاووس في الطرائف ١ : ١١٥/١٢٤، بتفاوت يسير، وأورد نحوه الشيخ الطوسي في أماليه : ١٢٩٤/٦٢٨، وابن شهرآشوب في مناقبه ٢ : ١٨٠، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ٨٩٥/١٨٩.

(٣) انظر : تفسير البرهان للبحراني ٥ : ١٠٠٨١/١٤٥.

في فصول[١] الفضائل .

وما احتمله البيضاوي وغيره من كون الخطاب متوجّهاً إلى ملكين من خزنة النار ، أو بمعنى ألقِ ألقِ ، بأن يكون تثنية الضمير للدلالة على تكرير الفعل[٢] ، وأمثال ذلك من التوجيهات البعيدة سماجة لاسيّما في مقابل الأخبار الكثيرة .

وعلى هذا فهي أيضاً دليل الإمامة ، بل نصّ؛ ضرورة أنّ مرجع أُمور الدين وأحوال الأنام كلّها إلى النبيّ والإمام ، وهُما اللّذان لهما رئاسة الدنيا والآخرة ، وإليهما تمييز المطيع لهما والعاصي ، وجزاء كلٍّ بما يستحقّه ، فلو كان غير عليّ عليه السلام إماماً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لكان هو أولى بالمشاركة ، ولا أقلّ من إدخاله ولو بإتيان ضمير الجمع ، وهذا أمر واضح على كلّ بصيرٍ ، والله الهادي والمعين .

التاسعة عشرة : قول الله عزّوجلّ : ﴿**وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾[٣] .

روى الحافظ أبو نُعيم ، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ، وغيرهما ، عن ابن عبّاس أنّه قال في تفسير هذه الآية : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «لمّا جمع الله بيني وبين الأنبياء ليلة الإسراء ، قال الله : سلهم يا محمّد على ما بعثتم ؟ قالوا : بعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله ، والإقرار بنبوّتك ، وعلى الولاية لعليّ بن أبي طالب»[٤] .

---

(١) في «م» زيادة : «المناقب و» .

(٢) أنوار التنزيل ٢ : ٤١٥ ، تفسير الكشّاف ٥ : ٥٩٩ ، تفسير الثعلبي ٩ : ١٠١ .

(٣) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٥ .

(٤) عنهما ابن بطريق في العمدة : ٦٠٩/٤١٤ ، وخصائص الوحي المبين :

وفي رواية الديلمي بإسناده عن ابن عبّاس هكذا: قال رسول الله ﷺ: «لمّا عرج بي إلى السماء فرأيت في السماء الرابعة بيتاً من ياقوت أحمر، فقال جبرئيل: هذا البيت المعمور فصلِّ فيه، فقمتُ للصلاة وجمع الله النبيّين والمرسلين فصلّيتُ بهم، فلمّا سلّمتُ أتاني آتٍ من عند ربّي، فقال: يا محمّد ربّك يقرئك السلام ويقول لك: سل الرسل على ما أُرسلتم من قبلي، فقلتُ: معاشر الأنبياء والرسل على ما ذا بعثكم ربّي قبلي؟ قالوا: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَسْئَلْ مَن أَرْسَلْنَا**﴾ الآية»[1].

وروى العِزّ الحنبليّ، والثعلبيّ في تفسيره، وغيرهما، عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتاني ملك»، وفي رواية غيرهما كرواية محمّد بن العبّاس بن مروان عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث الإسراء: «فأتاني ملك، فقال: يا محمّد ﴿**وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ**﴾ على ما بعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب» هكذا رواية الحنبليّ والثعلبيّ[2].

وفي رواية محمّد بن العبّاس بعد قوله: «على ما بعثوا؟»: «فقلت لهم: معاشر الأنبياء على ما ذا بعثكم الله قبلي؟ قالوا: على ولايتك يا محمّد

↲ ١٢١/١٧٠، وابن جبر في نهج الإيمان: ٥٠٥ ـ ٥٠٦، وعن أبي نُعيم في تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٣ ـ ٣١/٥٦٤.

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٣٠/٥٦٣.

(٢) نقله عن العِزّ الحنبلي، الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣١٢، تفسير الثعلبي ٨: ٣٣٨، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٤١، معرفة علوم الحديث: ٩٦، ونقله عن محمّد بن العبّاس شرف الدين النجفي في تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٢ ـ ٢٩/٥٦٣.

وولاية عليّ بن أبي طالب».

وهذا هو أوفق لروايات ابن عبّاس وغيره.

وقد روى هذا المضمون مفصّلاً أصحابنا عن الصادق عليه السلام هكذا: قال عليه السلام: «أتى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مسجد الكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ في القرآن آية أفسدت عليَّ ديني، قال: وما ذاك؟ فقرأ الرجل هذه الآية، قال: فهل كان في ذلك الزمان نبيّ غير محمّد صلى الله عليه وآله فيسأله عنه؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: اجلس أُخبرك به، إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾[1] فكان من آيات الله التي أراها محمّداً صلى الله عليه وآله أنّه انتهى به جبرئيل إلى البيت المعمور، وهو المسجد الأقصى، فلمّا دنا منه أتى جبرئيل عيناً فتوضّأ منها، ثمّ قال: يا محمّد توضّأ، ثمّ قام جبرئيل فأذّن وأقام، ثمّ قال للنبيّ صلى الله عليه وآله: تقدّم فصلّ واجهر بالقراءة فإنّ في خلفك أُفقاً من الملائكة لا يعلم عددهم إلّا الله جلّ وعزّ، وفي الصفّ الأوّل آدم ونوح وإبراهيم وهود وموسى وعيسى، وكلّ نبيّ بعثه الله تعالى منذ خلق السماوات والأرض إلى أن بعث محمّداً صلى الله عليه وآله، فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بهم غير هائبٍ ولا محتشم، فلمّا انصرف أوحى الله إليه أن سل يا محمّد ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ الآية إلى آخرها، فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بجميعه، فقال: بِمَ تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله وسيّد الأنبياء، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين أخذت على ذلك مواثيقنا لكما بالشهادة، فقال الرجل: أحييت

---

(١) سورة الإسراء ١٧ : ١.

قلبي وفرّجت عنّي يا أمير المؤمنين»[١].

أقول: ومن هذا يظهر أنّ الإجمال الذي في رواية الثعلبي فإنّما هو من الإهمال في النقل، كما هو دأبهم في روايات فضائل أهل البيت عليهم السلام.

ثمّ إنّ دلالة الجميع على إمامة عليٍّ عليه السلام وتقديمه على جميع الأُمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، بل على عصمته وأفضليّته على الخلق، وإنّ الولاية هي إمامته واضحة، وإنكارها تحكّم من جهات:

منها: شهادة بعثة الأنبياء عليها لاسيّما مقرونة بشهادة نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله، بل بشهادة التوحيد أيضاً.

ومنها: أنّ ولاية النبيّ صلى الله عليه وآله بمعنى النبوّة كما هو صريح الرواية الأُولى والأخيرة أيضاً، فلا محالة يلزم أن تكون ولايته أيضاً بمعنى الإمامة.

ومنها: أنّ ذلك الاهتمام التامّ في السؤال عن هذا الحال وحصرهم الجواب في هذه الثلاث فقط ينادي بذلك، بل يكون القول بإمامته مثل القول بالتوحيد والنبوّة في عدم حصول الإيمان بدون ذلك، وأنّ الأُمم السالفة أيضاً كانوا مكلّفين بذلك، كما هو مذهب الإماميّة ومدلول جميع رواياتهم.

ومنها: أنّ ما قبل هذه الآية ما ورد في هذا الأمر أيضاً، أعني: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾[٢] إلى ما يتّصل بهذه الآية.

وسيأتي بيان وروده في عليٍّ عليه السلام في المطلب الآتي.

وأمّا دلالتها على كفر من خرج عليه وعاداه وآذاه فممّا لا كلام فيه،

---

(١) اليقين: ٢٩٤ ـ ١٠٥/٢٩٥، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٤ ـ ٣٢/٥٦٥، بحار الأنوار ١٨: ٩٩/٣٩٤، و٣٧: ٤٧/٣١٦ نقلاً عن اليقين.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٤٣.

فافهم .

ثمّ إنّ النيسابوري ذكر في تفسيره رواية الثعلبي عن ابن مسعود ، ثمّ قال : ولكنّه لا يطابق قوله تعالى : ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾(١)(٢) .

وقد اُجيب عنه من ثلاثة وجوه :

أحدها ـ وهو الأظهر عند الأكثر ـ : أن يكون ما ذكره الله تعالى على سبيل الاختصار بجزءٍ من الكلام ، فإنّ السؤال والجواب كما ظهر من الخبر الأوّل والأخير كان عن التوحيد والنبوّة والولاية ، فقوله تعالى : ﴿أَجَعَلْنَا﴾ بيان السؤال عن التوحيد وطوى الأخيرين ، فبيّنهما النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومثله كثير في القرآن ، فإنّه عزّوجلّ كثيراً مّا يذكر جزءاً من القصّة في موضعٍ وجزءاً منها في موضعٍ آخر ، ولعلّ الرواية التي اقتصر فيها على الأخيرين إنّما هي على سبيل الاكتفاء بذكر ما لم يذكر في الآية ؛ لعدم الحاجة إلى ذكر ما هو مصرّح فيها .

وثانيها ـ ولعلّه أظهر وأنسب ـ : أن يكون ما ذُكر في الآية إشارةً إلى الشهادات الثلاث جميعاً لكن تصريحاً وتلويحاً ، فإنّ دلالته على الشهادة بالوحدانيّة صريحاً ظاهرة ، وأمّا الأخيرين فلكون نفيهما في حكم إنكار الاُولى ومستلزماً لنفيها حقيقةً ؛ ضرورة أنّ مخالفة الله في الإيمان بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، وكذا من نصب غير أئمّة الحقّ المنصوبين من الله ورسوله ، وكذا متابعة الغير في مقابل النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام نوع من الشرك ، ومن عبادة غير الله ، كما قال سبحانه : ﴿لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَٰنَ﴾(٣) وقال تعالى :

---

(١) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٣ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦ : ٩٣ .

(٣) سورة يس ٣٦ : ٦٠ .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰنًا﴾(١) وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٢) وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(٣) وأمثالها من الآيات التي ذكرناها سابقاً، لا سيّما في المقدّمة، وبيّنّا ما فيها من الدلالة.

وممّا يؤيّد هذا ما رواه أصحابنا بأسانيد عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنّما يعبده هكذا ضلالاً» قيل: فما معرفة الله؟ قال: «تصديق الله وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاة عليٍّ عليه السلام والائتمام به وبأئمّة الهدى من بعده، والبراءة من عدوّهم، هكذا يُعرف الله»(٤).

وفي خبرٍ آخر قال: «إنّما يعرف الله ويعبده من عرف الله ورسوله صلى الله عليه وآله وعرف إمامه منّا أهل البيت عليهم السلام، ومن لم يكن هكذا فإنّما يعرف ويعبد غير الله»(٥) الخبر.

وسيأتي مؤيّداً أيضاً في الآية الآتية هذا سوى ما مرّ ويأتي في الفصول الماضية والآتية من الأخبار الصريحة في ذلك، فلا تغفل.

وثالثها: ما ذكره السيّد التستري حيث قال: يمكن أن يكون الجعل في الجملة الاستفهاميّة بمعنى الحكم ـ كما صرّح به النيسابوري ـ وتكون الجملة حكاية عن قول الرسول صلى الله عليه وآله وتأكيداً لما أُضمر في الكلام من الإقرار ببعثهم على الشهادة المذكورة، بأن يكون المعنى: أنّ الشهادة

---

(١) سورة الحجّ ٢٢ : ٧١.
(٢) سورة التوبة ٩ : ٣١.
(٣) سورة الجاثية ٤٥ : ٢٣.
(٤) الكافي ١ : ١/١٣٨ (باب معرفة الإمام والردّ إليه).
(٥) الكافي ١ : ٤/١٣٩ (باب معرفة الإمام والردّ إليه).

المذكورة لا يمكنه التوقّف فيها إلّا لمن جَعل من دون الرحمٰن آلهة يعبدون .

قال : ونظير هذا الإضمار واقع في القرآن في قوله تعالى : ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾[١] .

قال : غاية الأمر أن يكون ما نحن فيه من الآية لخفاء القرينة على تعيين المحذوف من المتشابهات التي لا يعلم معناها إلّا بتوقيف من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله[٢] . انتهى . ولا يخلو من بُعد ، فافهم .

واعلم أيضاً أنّه قد روي تفسير آية أُخرى بهذا المعنى أيضاً عن الباقر عليه السلام ، فإنّه روي عن زرارة بن أعين أنّه قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : آية في كتاب الله شككتني ، فقال : «ما هي ؟» فقلت : قوله تعالى : ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾[٣] الآية ، مَن هؤلاء الذين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بسؤالهم ؟ فقال : «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لمّا أُسري بي إلى السماء فصرت في السماء الرابعة جمع الله إلَيَّ النبيّين والصدّيقين والملائكة ، فأذّن جبرئيل وأقام الصلاة فتقدّمتُ وصلّيتُ بهم ، فلمّا انصرفتُ قلت لهم : بِمَ تشهدون ؟ قالوا : نشهد أن لا إلّا الله وأنّك رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين ، فهو معنى قوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾[٤]»[٥] .

ولا يخفى ما فيها من الدلالة ، بل توضيحها أيضاً ما مرّ آنفاً ، فافهم ،

---

(١) سورة يوسف ١٢ : ٤٥ و٤٦ .

(٢) إحقاق الحقّ ٣ : ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٣و٤) سورة يونس ١٠ : ٩٤ .

(٥) تفسير فرات الكوفي : ٢٣٤/١٨١ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٧ : ٨٠/٣٣٩ .

والله الهادي[١].

العشرون: قول الله عزّوجلّ: **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾**[٢].

روى أبو بكر الشيرازي الحافظ محمّد بن مؤمن في تفسيره بإسنادٍ له عن أنس بن مالك، قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله عن هذه الآية، فقال: «إنّ الله تعالى اختارني وأهلَ بيتي على جميع الخلق، فانتجبَنا، فجعلني الرسول وجعل عليّ بن أبي طالب الوصيّ، ثمّ قال: **﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾** يعني: ما جعلت للعباد أن يختاروا أحداً، ولكنّي أختار مَن أشاء، فأنا وأهلُ بيتي صفوة الله وخيرته من خلقه، ثمّ قال: **﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** يعني: الله منزّه عمّا يشركون به كفّار مكّة، ثمّ قال: **﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ﴾** ـ يا محمّد ـ **﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾** من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك **﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾** من الحبّ لك ولأهل بيتك»[٣].

أقول: والأنسب للمقام أن يكون مراده صلى الله عليه وآله بكفّار مكّة الذين تصدّوا لتغيير الخلافة عن عليّ عليه السلام وأخذها من يده، وإنّما عبّر هكذا كنايةً عن ارتدادهم بذلك عن الدين، مع كون بعضهم أوّلاً من المنافقين، وكون رؤساء أهل هذه الفتنة من أهل مكّة، وإشارةً إلى كون هؤلاء أيضاً مشركين حقيقةً مثل كفّار مكّة، كما بيّنّا أنّه مفاد الآية المتقدّمة أيضاً، فافهم حتّى

---

(١) في «م» زيادة: «والمعين».

(٢) سورة القصص ٢٨: ٦٨ و٦٩.

(٣) الطرائف ١: ١٣٦/١٤٠، إحقاق الحقّ ٣: ٥٦٤، شرح أُصول الكافي للمازندراني ٥: ٢٦١ ـ ٢٦٢، الأربعين للشيرازي: ٤٠، غاية المرام للبحراني ٢: ٦٥/١٨٣، و٣: ٢/٣١٢، وانظر المناقب لابن شهرآشوب ١: ٣١٦.

تعلم أنّ مفاد هذه الآية ممّا لا يخفى ، وما يحتاج إلى الرواية أيضاً ؛ لأنّ هذه الآية ـ كما مرّت سابقاً ، وتأتي في محلّها أيضاً ـ تدلّ على نفي الاختيار عن الأمّة ، فلا يجوز بمقتضى الآية أن يختاروا لأنفسهم إماماً ، لاسيّما بعد دلالة الآيات والأخبار وغيرها ـ ممّا مرّ ويأتي ـ على اختيار الله ورسوله عليّاً ، بل الأئمّة المعلومين من ذرّيّته أيضاً ، فبطلت إمامة أئمّة المخالفين ، المبنيّة على اختيارهم ، فثبتت إمامة أئمّتنا الاثني عشر .

ثمّ ممّا يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾[1] ، وقوله : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[2] ، وقوله : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[3] لأنّها تدلّ على أنّ الله تعالى مختصّ بتزكية من يشاء واختياره على سائر عباده ، وأن ليس لأحدٍ من الناس قسمة رحمة الربّ ولا رفع الدرجات ، ولا شكّ أنّ الإمامة من رحمة الربّ ، بل من أعظمها ، واختيار الإمام هو التزكية ورفع الدرجة ، فليس للأُمّة أنْ يختاروا لأنفسهم إماماً ويرفعوا بها درجته كما فعلوا في دفع الخلافة عن عليٍّ عليه السلام الذي زكّاه الله ورفع درجته ، ورحم عباده به وبولايته ، وبيان شأنه المنادي بإمامته بالآيات والأخبار التي وردت فيه باعتراف هؤلاء ، فضلاً عن نصوص خلافته ، وإعطاءها لمن أقرّوا فيه بأنّ إمامته ليست من الله ورسوله ، بل ولا هو بهذه المنزلة والمثابة ، وسيأتي بيان دلالة هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات الدالّة على عدم اختيار الناس في تعيين الإمام في أواخر المقالة الثالثة من المقصد الآتي ، فلأجل هذا لم نتعرّض لذكر جميعها هاهنا وإن لم نترك ذكر جميعها

---

(١) سورة النساء ٤ : ٤٩ .

(٢) سورة الزخرف ٤٣ : ٣٢ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٨٣ ، سورة يوسف ١٢ : ٧٦ .

أيضاً حتّى إنّا نذكر بعض الآيات في الفصل الآتي أيضاً؛ لكونه أنسب بالنسبة إليها، فلا تغفل.

الحادية والعشرون: قول الله عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾(١).

روى الحافظ أبو بكر محمّد بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقاد بإسناده عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ هذه الآية نزلت في شأن عليّ عليه السلام حين استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله على المدينة(٢).

وروى غيره عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، من برأ من ولايتك فقد برأ من ولايتي، ومن برأ من ولايتي فقد برأ من ولاية الله، يا عليّ طاعتك طاعتي وطاعتي طاعة الله» الخبر - كما مرّ في محلّه - إلى أن قال صلى الله عليه وآله: «وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾(٣) فهو عليّ بن أبي طالب»(٤).

أقول: ومن شواهد ما ذُكر ورود أخبار صريحة بذلك من طريق أهل البيت عليهم السلام، كما سيأتي خبره في الفصل الحادي عشر، حتّى ورد عندهم كون المراد هُم عليهم السلام أيضاً في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾(٥).

وكذا ما مرّ في الفصول السابقة من الأخبار المرويّة من طرق(٦)

(١ و ٣) سورة النساء ٤ : ٥٩.

(٢) إحقاق الحقّ ٣ : ٤٢٥، الأربعين للشيرازي : ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٤) تفسير فرات الكوفي : ١٠٩/١١٠.

(٥) سورة النساء ٤ : ٨٣.

(٦) في «م» : «طريق».

العامّة ، الدالّة على كون عليٍّ عليه السلام وليّ الأمر ، ووليّ الأُمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأنّه أمير المؤمنين ، وأمثال ذلك ، فافهم .

واعلم أيضاً أنّه قد مرّ بيان هذه الآية ، لاسيّما في المقالة الحادية عشرة من هذا المقصد الأوّل ، وسيأتي أيضاً في الفصل الآتي في أواخر المقالة الثالثة من المقصد الثاني على وجه مبسوط ؛ بحيث من تأمّل فيما ذكرناه فيهما ، بل ولو في الأخيرة وحدها أيضاً حصل له العلم بدلالة الآية على إمامة الأئمّة الاثني عشر وكونهم هُم المراد بـ﴿أُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾ دون غيرهم ولو بدون ملاحظة ورود الأخبار ، فتأمّل ولا تغفل ، والله الهادي .

الثانية والعشرون : قول الله عزّ وجلّ في سورة الأحزاب : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ وأوّل الآية هكذا : ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ (١) .

وقد ورد مثله في سورة الأنفال أيضاً هكذا : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) .

وقبله في هذه السورة آيات مناسبة سنذكرها .

اعلم أنّ أخبار أئمّة أهل البيت عليهم السلام ـ كما رواها عنهم أصحابهم ـ مشحونة بأنّ المراد بـ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ عليّ والحسن والحسين والأئمّة التسعة من ذرّيّة الحسين عليهم السلام (٣) .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٦ .

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٧٥ .

(٣) انظر : تفسير العيّاشي ٢ : ١٠٧٦٧/٢١١ ، تفسير فرات الكوفي : ١٩٤/١٥٥ ، الكافي ١ : ١/٢٢٦ ، و٢/٢٢٨ ، و٧/٢٣١ ، علل الشرائع : ٢/٢٠٦ و٤ و٦ ، تفسير البرهان للبحراني ٢ : ٤٣٩٠/٧٢٢ .

وظاهر الآية أيضاً معهم لاسيّما الأولى كما هو ظاهر وسيظهر.

وقد وردت أخبار من طُرق العامّة أيضاً دالّة على ذلك؛ بحيث إذا تأمّلها الإنسان صادقاً قطع بلزوم كونهم أئمّة.

فممّا روي في ذلك ما رواه ابن مردويه في كتابه حيث قال عند ذكر الآية الأولى: قيل: إنّ ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّه كان مؤمناً مهاجراً ذا رحم[1].

وما ذكره صاحب كتاب المناقب عن زيد بن عليّ قال في هذه الآية: ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان مهاجراً ذا رحم[2].

وفي كتاب النصوص بإسنادٍ له عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: «لمّا أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾[3] سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله عن تأويلها، فقال: والله ما عنى بها غيركم، وأنتم أُولوا الأرحام، فإذا مِتُّ فأبوك عليّ أولى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به، فإذا مضى الحسن فأنت أولى به»[4] الخبر، وهو مشتمل على ذكر بقيّة الأئمّة أيضاً، وسيأتي في محلّه.

وعن عطاء، عن الحسين عليه السلام، قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ أنت يا عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ بعدك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم وبعده الحسين» وساق

---

(١) عنه الأربلي في كشف الغمّة ١: ٣٢٢، بحار الأنوار ٣٦: ١٨٩/١٩٠، نقلاً عن كشف الغمّة.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٩٢.

(٣) سورة الأنفال ٨: ٧٥.

(٤) كفاية الأثر: ١٧٥.

الحديث إلى آخر الأئمّة[١] ، كما سيأتي هو وأمثاله أيضاً ، بل مرّ سابقاً أيضاً كثير من الشواهد لهذا .

وفي المناقب وغيره عن ابن عبّاس أنّه لمّا ذكر المهاجرين والأنصار ، وأنّ آخر الهجرة كانت إلى المدينة وأوّلها إلى شعب أبي طالب ، قال : نزل فيهم : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٢] ثمّ قال : فذكر الله عزّوجلّ المؤمنين ، ثمّ المهاجرين ، ثمّ المجاهدين ، وفَضّل عليهم كلّهم عليّاً عليه السلام ، فقال : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ الآية ، فإنّ عليّاً عليه السلام سبقهم بالإيمان ، ثمّ بالهجرة إلى الشعب ، ثمّ بالجهاد ، ثمّ سبقهم بعد هذه الثلاث الرتب بكونه من ذوي الأرحام[٣] .

وفي تفسير جابر الجعفي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : «أثبت الله تعالى بهذه الآية ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ لأنّ عليّاً عليه السلام كان أولى برسول الله من غيره ؛ لأنّه كان أخاه في الدنيا والآخرة ، وحاز ميراثه وسلاحه ومتاعه وبغلته وجميع ما ترك ، وورث كتابه من بعده ، قال سبحانه : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٤] وهو القرآن ، وكلّه نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان عليٌّ عليه السلام يعلّم الناس ما في القرآن من

---

(١) كفاية الأثر : ١٧٧ .

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٧٤ و٧٥ .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٦٩ .

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٣٢ .

بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يعلّمه أحد ، وكان يُسأل ولا يسأل أحداً عن شيءٍ من دين الله ، وإنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ، ولم يكن للمشايخ في الذي هو صفوة الصفوة نصيب ، ثمّ إنّه هاشميٌّ من هاشميّين ولم يكن في زمانه هكذا غيره وغير أخويه وغير ابنيه ، أبوه أبو طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم ، وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، حتّى أنّ أُمّه فاطمة تتّصل برسول الله صلى الله عليه وآله من طرف الأُمّهات إلى معد بن عدنان بثلاث وعشرين قرابة ولا أحد غيرها كذلك ، وقد كان أيضاً أبو طالب وعبدالله أخوين من الأب والأُمّ جميعاً ، ولم يكن العبّاس ولا غيره كذلك ، والنبيّ صلى الله عليه وآله كان بمنزلة الأب بالنسبة إليه من جهتين سوى جهة كونه أباً للأُمّة ، إحداهما : كونه ختنه وهو بمنزلة الولد ، وثانيهما : إنّه ربّاه من صغره ـ كما مرّ سابقاً ـ حتّى أنّ فاطمة أُمّه قالت : كنت مريضة فكان محمّد صلى الله عليه وآله يأخذ عليّاً عليه السلام فيضع لسانه في فيه فيرضع بإذن الله(١) .

أقول : هذا كلّه ، مع كونهما مخلوقين من نور واحد كما مرّ مراراً .

وقال السيّد التستري رحمه الله : إنّ هذه الآية نصٌّ في إمامة عليٍّ عليه السلام ؛ لدلالتها على أنّ الأولى بالنبيّ صلى الله عليه وآله من أُولي أرحامه من كان مستجمعاً للأُمور الثلاثة ، وقد أجمع أهل الإسلام على انحصار الإمام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله في عليٍّ والعبّاس وأبي بكر ، والعبّاس وإن كان مؤمناً ومن أُولي الأرحام لكن لم يكن مهاجراً ، بل كان طليقاً ، وأبو بكر على تقدير صحّة إيمانه وهجرته لم يكن من أُولي الأرحام ، فتعيّن أن يكون الأولى بالإمامة

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١٩٣ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٨ : ٣١٧ ـ ٢٥/٣١٨ .

والخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ؛ لاستجماعه الأُمور الثلاثة[١] . انتهى .

وستأتي في آية ذوي القربى وأمثالها شواهد لهذا ، وكفى مع ما مرّ من الآيات المناسبة لهذه الآية والروايات السابقة دلالةً على المقصود وإن لم يتعرّض لذكر هذه الآية كثير من أهل الخلاف ؛ لصراحتها في خلاف ما هُم عليه ، فافهم ، والله الهادي .

الثالثة والعشرون : قول الله عزّ وجلّ : ﴿**قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[٢] .

روى البخاري في صحيحه ، والثعلبي في تفسيره ، وابن حنبل في مسنده ، والطبراني ، وابن أبي حاتم ، والحاكم في مستدركه ، كلٌّ بإسنادٍ له عن ابن عبّاس أنّه قال : لمّا نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال : «عليٌّ وفاطمة وابناهما»[٣] .

وقد ذكر ابن حجر في صواعقه ما سوى رواية البخاري والثعلبيّ ، ثمّ قال : وفي سنده شيعيٌّ غالٍ في التشيّع لكنّه صدوق ، ثمّ قال : وروى أبو الشيخ وغيره عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال : «لا يحفظ مودّتنا إلّا كلّ مؤمن» ثمّ قرأ عليه السلام الآية .

ثمّ قال ابن حجر أيضاً : وأخرج البزّار والطبراني عن الحسن بن

---

(١) إحقاق الحقّ ٣ : ٤٢٠ .

(٢) سورة الشورىٰ ٤٢ : ٢٣ ـ ٢٥ .

(٣) صحيح البخاري ٦ : ١٦٢ ، تفسير الثعلبي ٨ : ٣١٠ ، مسند أحمد ١ : ٢٠٢٥/٣٧٩ ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ١١٤١/٦٦٩ ، المعجم الكبير للطبراني ٣ : ٢٦٤١/٣٩ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠ : ١٨٤٧٣/٣٢٧٦ ، المستدرك للحاكم ٢ : ٤٤٤ .

عليّ عليه‌السلام من طُرقٍ بعضها حسان : أنّه خطب خطبةً من جملتها : «من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد» ثمّ تلى : ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(١) الآية ، ثمّ قال : «أنا ابن البشير النذير ـ إلى أن قال ـ : وأنا من أهل البيت الّذين افترض الله عزّ وجلّ مودّتهم ، فقال فيما أُنزل على محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾(٢) واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت»(٣) .

أقول : ستأتي في المطلب الآتي روايات في تفسير الحسنة في الآية الثانية وأمثالها بما ذكره هاهنا ، ثمّ اتّصال الثانية بالآية الأُولى من شواهد كون المراد بالأُولى أيضاً هذا المعنى ، فافهم .

ثمّ قال ابن حجر أيضاً : إنّ الثعلبيّ والبغوي نقلا عن ابن عبّاس أيضاً : أنّه لمّا نزلت هذه الآية ، قال قوم في نفوسهم : ما يريد إلّا أن يحثّنا على قرابته من بعده ، فأخبر جبرئيل النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّهم اتّهموه ، فنزل(٤) : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾(٥) الآية ، فقال القوم : يا رسول الله ، إنّك صادق ، فنزل : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾(٦)(٧) .

---

(١) سورة يوسف ١٢ : ٣٨ .

(٢) سورة الشورىٰ ٤٢ : ٢٣ .

(٣) الصواعق المحرقة : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ، وانظر : المعجم الأوسط للطبراني ٢ : ٤٠١ ـ ٤٠٢/٢١٧٦ .

(٤) في «م» : «فأنزل» .

(٥) سورة الشورى ٤٢ : ٢٤ .

(٦) سورة الشورىٰ ٤٢ : ٢٥ .

(٧) تفسير الثعلبي ٨ : ٣١٥ ، معالم التنزيل ٥ : ٨٣ ، الصواعق المحرقة : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

ثمّ ذكر ابن حجر ما رواه البخاري أيضاً وكذا مسلم في صحيحيهما، وكذا ابن رزين في الجمع بين الصّحاح الستّة، عن ابن عبّاس أنّه سئل عن هذه الآية، فقال سعيد بن جبير: هم قربى آل محمّدعليهم‌السلام، فقال ابن عبّاس له ما حاصله: إنّك عجلت في التفسير، إنّه لم يكن بطن في قريش إلّا كان له صلى‌الله‌عليه‌وآله فيهم قرابة(١)، فلمّا إنّهم أبوا أن يبايعوه وخالفوه وقاطعوه، وكانت قريش تصل الأرحام في الجاهليّة فسألهم النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في الآية إنّكم إذا أبيتم أن تبايعوني وتحفظوني فيما جئت به، فاحفظوني لقرابتي فيكم.

ثمّ ذكر ابن حجر ميل عِكرمة وبعضٍ آخَر إلى هذا المعنى بادّعاء كونها مكيّة.

ثمّ قال: إنّ هذا كلّه لا ينافي ما مرّ من تخصيص القربى وتبيين أنّ حفظهم آكد من حفظ بقيّة تلك الأفراد.

قال: ويستفاد من الاقتصار عليهم طلب مودّته وحفظه بالأولى؛ لأنّه إذا طلب حفظهم لأجله فحفظه هو أولى وأحرى.

قال: ولذا لم ينسب ابنُ عبّاس ابنَ جبير إلى الخطأ بل إلى العجلة.

ثمّ تكلّم ابن حجر في بيان هذا بما لا حاجة إلى ذكره، إلى أن قال: وقيل: الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾(٢).

ثمّ قال: وردّه البغوي(٣) بأنّ مودّته ومودّة أقاربه والتقرّب إلى الله

---

(١) صحيح البخاري ٦: ١٦٢، ولم نعثر عليه في صحيح مسلم، ونقله عنهما ابن طاووس في الطرائف ١: ١٦٠/١٦٨ ـ ١٦٩ باختصار.

(٢) سورة سبأ ٣٤: ٤٧.

(٣) انظر: معالم التنزيل ٥: ٨١.

بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أي الباقية على ممرّ الأبد ، فلم يجز ادّعاء نسخ ما يدلّ على ذلك .

ثمّ قال : وبالغ الثعلبي[١] في الردّ عليهم والتوبيخ لهم في قولهم بالنسخ[٢] .

ثمّ ذكر بعض الروايات الدالّة على ما يوافق التفسير الذي نقله أوّلاً عن ابن عبّاس من كون المراد الجماعة المخصوصين[٣] .

وقد ذكرناها في ضمن الأخبار التي نقلناها في الفصول السابقة .

هذا ، مع قيام قرائن موضّحة لعدم الاعتماد على ما روى عنه أخيراً ، منها : ذكر لفظة الأجر وبقيّة الآيات المتّصلة بالآية على ما رواه البغوي عن ابن عبّاس أيضاً ، بل سائر ما رووه عنه وعن غيره في خصوص هذه الآية ، حتّى أنّ ابن جبير هو الراوي في بعضها عن ابن عبّاس[٤] ، مع أنّ السورة مكيّة لا تستلزم كون جميع آياتها كذلك ، وهو واضح ، وقد مرّ مراراً على أنّ ابن حجر احتمل نزولها مرّتين[٥] .

وممّا يدلّ على نزولها بالمدينة وعدم كون المعنى الأخير مراداً ما نقله جماعة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام : أنّ الأنصار أتوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقالوا :

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٨ : ٣١٣ .

(٢) في هامش «س» و«ل» : يقال لأعداء الله : أين الدلالة على النسخ ؟ بل معناها : محبّة أهل بيتي سبب نجاتكم من النار وإلّا أهل بيتي لا يحتاجون إلىٰ محبّتكم ، كما لا يحتاج ربّي إلى عبادتكم . وفي «س» زيادة : تأمّل ، م ق .

(٣) الصواعق المحرقة : ٢٥٩ ـ ٢٦١ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ٥١٦/٣٩٠ ـ ٥٢٠ ، المعجم الكبير للطبراني ٢ : ٢٦٤١/٣٠٩ .

(٥) الصواعق المحرقة : ٢٦٠ .

إنّه يأتيك الضيف وعليك المصارف ولنا أرض بالمدينة ، فنزلت الآية[١].

وروى نحوه ابن حجر أيضاً[٢] ، فافهم .

وبالجملة ، الظاهر أنّ هذا المعنى الأخير من تحريفات المنحرفين عن عليّ والعترة الطاهرة عليهم السلام ، كما مرّ مثله غير مرّة ، ونسبته إلى ابن عبّاس إمّا من موضوعات زمن معاوية وبني أُميّة ، أو لتقيّة منه لذلك ، كما يشعر به قوله لابن جبير : عجلت ، ألا ترى أنّه لم يروه غير البخاري ومسلم المتعصّبين التاركين لعامّة فضائل العترة ، بل الناقلين لخلاف ذلك ، كما مرّ ويأتي كثيراً ، وكذا لم يمل إلى قبوله غير عكرمة وأمثاله من المنحرفين عن عليّ عليه السلام ، حتّى أنّه ارتكب بعض منهم ادّعاء النسخ[٣] ؛ لكي يدفع به فضل العترة ، ولكنّ الله يُحقّ الحقّ ؛ بحيث ردّ عليهم أصحابهم حتّى جماعة من المتعصّبين منهم ، وقد سمعت كلام ابن حجر في الردّ عليهم ، ونعم ما قال من قال : ويل لمن كفّره نمرود[٤].

وقال في الكشّاف : والقربى مصدر ، كالزلفى والبشرى ، بمعنى القرابة ، والمراد في أهل القربى . قال : وروي أنّها لمّا نزلت قيل : يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال : «عليّ وفاطمة وابناهما»[٥] . انتهى .

بل ذكر البيضاوي أيضاً هذه الرواية[٦] مع كمال تعصّبه .

---

(١) انظر : تفسير القمّي ٢ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، تفسير فرات الكوفي : ٣٩٢/٥٢٤ و٥٢٥ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٣٥ ، مجمع البيان ٥ : ٢٩ .

(٢) فتح الباري ٨ : ٤٥٨ .

(٣) تفسير الثعلبي ٨ : ٣١٣ .

(٤) مثل يضرب .

(٥) تفسير الكشّاف ٥ : ٤٠٤ .

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي ٢ : ٣٥٧ .

وفي تفسيري الثعلبي والسدّي، وكتاب الطبراني عن أبي الديلم قال: لمّا جيء بعليّ بن الحسين عليهما السلام أسيراً فأُقيم على درج دمشق، فقام رجل من أهل الشام، وقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام[١]: «أقرأت القرآن؟» قال: نعم، قال: «قرأت: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢]» قال: لأنتم هُم؟ قال: «نعم»[٣].

وقال البغوي في معالم التنزيل: اختلفوا في قرابته، فقيل: هُم عليٌّ وفاطمة وابناهما الذين نزلت فيهم آية التطهير[٤].

أقول: من لاحظ الأخبار المتقدّمة في الفصول السابقة، وما ورد في بعض الآيات الماضية والآتية لم يبق له شكٌّ في لزوم القول بما تضمّنته هذه الأخبار من كون المراد هاهنا أيضاً هؤلاء الجماعة دون غير ذلك، بأن يكون المراد محبّة خاصّة مختصّة بهم كما بيّنّاه مفصّلاً لاسيّما في الآية الرابعة، والرابعة عشرة، أعني قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٥] وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾[٦] فليرجع إليهما من أراد تبيان دلالة هذه الآية على ما ذكرناه بل على إمامتهم وعصمتهم؛ لوضوح ما بيّنّا فيهما أيضاً من أنّ تخصيصهم بمثل تلك المحبّة ـ التي هي مثل سائر أركان

---

(١) في «م»: زيادة: «يا هذا».

(٢) سورة الشورىٰ ٤٢: ٢٣.

(٣) تفسير الثعلبي ٨: ٣١١، تفسير الطبري ٢٥: ١٦ نقلاً عن السدّي، ولم نعثر عليه فيما لدينا من كتب الطبراني، ونقله عنه ابن حجر في الصواعق المحرقة: ٢٥٩.

(٤) معالم التنزيل ٥: ٨٠.

(٥) سورة الصافّات ٣٧: ٢٤.

(٦) سورة مريم ١٩: ٩٦.

الدين ؛ بحيث صرّح الله تعالى بأنّه يقع السؤال عنها ، وأنّها من نعمه الجزيلة التي أعطاهم ـ أدلّ دليل على عدم صدور شيء مبغوض إلى الله منهم ، وكونهم قابلين لمقام الرسول صلى الله عليه وآله ، بل لزوم كونهم كذلك ، حتّى أنّه لو حُملت الآية أيضاً على العموم ، وقيل بأنّ ذكر هؤلاء لمزيد الاعتناء بشأنهم وكونهم أفضل وأجلّ ؛ لبعض الخصوصيّات التي فيهم كما مرّ ويأتي من مزيد كمالاتهم نسباً وحسباً ، علماً وعملاً بحيث فاقوا باستجماع ذلك جميع من سواهم ، لكانت دلالتها أيضاً على ما ذكرناه ظاهرة ، لا سيّما بعد ملاحظة سائر الآيات والأخبار التي مضت وتأتي ، فتأمّل تفهم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم .

الرابعة والعشرون : قول الله عزّوجلّ : ﴿**وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾(١) .

وقوله سبحانه : ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ**﴾ وكذا الآيات التي بعده في سورة إبراهيم إلى : ﴿**يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ**﴾(٢) .

روى ابن المغازلي في مناقبه ، وكذا روى غيره أيضاً ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام» ، فقلت : يا رسول الله ، كيف صرت دعوة أبيك إبراهيم ؟ قال : «أوحى الله إليه : ﴿**إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾ فاستخفّ إبراهيم عليه السلام الفرح ، قال : يا ربّ ومن ذرّيتي أئمّة مثلي ، فأوحى الله إليه : أن يا إبراهيم إنّي لا أُعطيك عهداً لا أفي

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٢) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٥ ـ ٤١ .

لك به ، قال : يا ربّ وما العهد الذي لا تفي لي به ؟ قال : لا أُعطيك لظالم من ذرّيّتك عهداً ، قال إبراهيم عندها : وَاجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام ، ربِّ إنّهنّ أظللن كثيراً من الناس ، فمن تبعني فإنّه منّي ، ومن عصاني فإنّك غفور رحيم» ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «فانتهت الدّعوة إلَيَّ وإلى عليّ لم يسجد أحدنا لصنمٍ قطّ ، فاتّخذني نبيّاً واتّخذ عليّاً وصيّاً»(١) .

وقد روى بعضهم عن ابن عبّاس أنّه قال في هذه الآية : الظالم من أشرك بالله ، وذبح للأصنام ، ولم يبق أحد من قريش والعرب من قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا وقد أشرك بالله ، وعبد الأصنام ، وذبح لها ما خلا عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ، فإنّه من قبل أن يجري عليه القلم أسلم ، فلا يكون إمام أشرك بالله ؛ لأنّ الله تعالى قال : ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾(٢)(٣) .

وفي صحيح البخاري وغيره عنه أيضاً أنّه قال : لمّا نزل قوله تعالى : ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُـلْمٍ**﴾(٤) شقّ ذلك على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وقالوا : أيّنا لا يَظلم نفسه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «ليس كما تظنّون ، إنّما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿**يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ ٱلشِّـرْكَ لَظُـلْمٌ عَظِيمٌ**﴾(٥)»(٦) .

قال بعض علمائهم : إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أجابه الله بقوله : ﴿**لَا يَنَالُ**

---

(١) المناقب لابن المغازلي : ٣٢٢/٢٧٦ ، الأمالي للطوسي : ٨١١/٣٧٨ ، شواهد التنزيل ١ : ٤٣٥/٣١٥ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٢٩٨/٢٢٢ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ١٠٢/١٤١ .

(٤) سورة الأنعام ٦ : ٨٢ .

(٥) سورة لقمان ٣١ : ١٣ .

(٦) صحيح البخاري ٦ : ١٤٣ ـ ١٤٤ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٦٧/٢٦٢ ، السنن الكبرىٰ للنسائي ٦ : ١١٣٩٠/٤٢٧ ، وفيها بتفاوتٍ يسير .

عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال : **﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾** ـ إلى قوله ـ: **﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾**(١) فجعل المستحقّ لهذه الدعوة من بنيه الذي تبعه ، وهو الذي لم يعبد صنماً ، دون من عبده وإن كان من ولده أيضاً ؛ لأنّ الله سبحانه لمّا منعه الدعوة إلّا مع التقييد وهو ترك عبادة الأصنام ، سأل ذلك لبنيه الذين يستحقّون هذه المنزلة ، كحكاية نوح وابنه وقوله سبحانه : **﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾**(٢)(٣) الآية . انتهى .

وفي روايات أهل البيت عليهم السلام : أنّ الكلمات التي ابتلى وامتحن إبراهيمَ ربُّه بها هي الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه(٤) .

وسيأتي في المطلب الآتي من طُرق المخالفين أيضاً أنّها هي التوسّل والتمسّك بأصحاب الكساء عليهم السلام وقبول ولايتهم ، ولهذا ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام أنّ المراد بـ **﴿أَتَمَّهُنَّ﴾**(٥) أنّه آمن بكلّهم جميعاً إلى القائم المهديّ(٦) شوقاً وعزماً ، ولأجل ذلك بشّره الله بمنصب الإمامة ، أي : الرئاسة العامّة التي هي أعظم من النبوّة التي لم تكن معها تلك الرئاسة ، ولهذا قال الإمام عليه السلام : «فمن عِظم ذلك في عين إبراهيم عليه السلام سأل ربّه أن يشرّف بعض ذرّيّته بذلك أيضاً ، فأجابه الله عزّوجلّ : **﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾**(٧)» يعني : إنّ الإمامة لا تصل منّي ومن جانبي إلى أحد

---

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٥ و٣٦ .

(٢) سورة هود ١١ : ٤٦ .

(٣) العمدة لابن البطريق : ١٧٤ ، ذيل الرقم ٢٦٩ .

(٤) الخصال : ٨٤/٣٠٤ ، معاني الأخبار : ١/١٢٦ ، كمال الدين : ٣٥٨ ـ ٥٧/٣٥٩ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٦) راجع الهامش (٤) .

(٧) انظر : الكافي ١ : ٤/١٣٤ (باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام) ، والاختصاص : ٢٣ .

الموصوفين بالظلم.

وقال الإمام عليه السلام: «فمن عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً»[١].

وفي روايةٍ قال: «لا يكون السفيه إمامَ التقيّ»[٢].

وقال عليه السلام: «إنّ هذه الآية أبطلت إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة»[٣].

وقد بيّنّا بعض الكلام في هذه الآية ودلالتها على إمامة أئمّتنا دون غيرهم في الحديث الخامس من أحاديث فاتحة هذا الكتاب، وفي آخر المقالة الخامسة من هذا المقصد الذي نحن فيه، وكذا سنذكر بعض الكلام في المقالة الثالثة من المقصد الثاني، إلّا أنّا هاهنا نشبع الكلام في توضيح هذا المرام بحيث تتّضح دلالتها على الإمامة والعصمة بأيّ وجهٍ كان.

فنقول: اعلم أوّلاً: أنّ أصل الظلم ـ كما صرّح به جمع ـ هو وضع الشيء في غير موضعه[٤]. والظالم عرفاً ولغةً: هو الخاطئ والمتعدّي حدّه[٥].

وبالجملة، كلّ من ظلم نفسه أو غيره أيضاً يقال له: ظالم. وشرعاً هو الذي يتعدّى حدّ الله تعالى، ويخالفه فيما لا رخصة له منه فيه؛ إذ لا شكّ حينئذٍ أنّه خاطئ ومتعدٍّ حدّه، واضع للشيء في غير موضعه، ظالم

---

(١) الكافي ١: ١/١٣٣ (باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام)، الاختصاص: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) الكافي ١: ٢/١٣٣ (باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام)، الاختصاص: ٢٢.

(٣) الكافي ١: ١/١٥٤ (باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته)، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١/٢١٦.

(٤) الصحاح ٥: ١٩٧٧، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٢٣، القاموس المحيط ٤: ١٠٦، لسان العرب ١٢: ٣٧٣، مادّة ـ ظلم ـ.

(٥) انظر: مجمع البحرين ٦: ١٠٩.

بذلك نفسَه ، كما قال الله عزّوجلّ : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[١] وفي موضع آخر : ﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[٢] وقال سبحانه : ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٣] وأمثالها كثيرة ، وعلى هذا فأقلّ مراتب الظلم حقيقةً تعاطي الصغائر المحرّمة ، ثمّ أظلم منه من يتعاطى الكبائر أيضاً ، فإنّهما الظالمان على أنفسهما والمضرّان إيّاها بذلك الخطأ الموجب للعقاب وإن كان قد يشملهما العفو من الله تعالى تفضّلاً منه على مقتضى وعده ، كما سنبيّنه أيضاً .

وكفى في هذا قوله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾[٤] ؛ ضرورة كونه شاهد صدق على صدق الظالم على صاحب الصغيرة أيضاً ، وأنّ الاستغفار والعفو لا ينافي تحقّق الظلم وصدق الظالم عليه ، بل يدلّ على ذلك ، كما هو ظاهر .

ويشهد له قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٥] .

وعن عليٍّ عليه السلام أنّه قال : «إنّ الظلم ثلاثة : ظلم لا يُغفر وهو الشرك ، وظلم لا يُترك وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً ، وظلم يُغفر وهو ظلم العبد نفسه»[٦] بفعل بعض المناهي والزلّات ، حتّى أنّه قد ورد إطلاقه أحياناً على

---

(١) سورة الطلاق ٦٥ : ١ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٢٩ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٣١ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ١٣٥ .

(٥) سورة النساء ٤ : ١١٠ .

(٦) نهج البلاغة : ٢٥٥ ، قطعة من الخطبة ١٧٦ .

فعل بعض ما يكون الأولى تركه شرعاً ولو بالنسبة إلى بعض الأشخاص كالأنبياء مثلاً، إلّا أنّه على التجوّز ؛ لصراحة الأولويّة في وجود الرخصة المستلزمة للجواز ونفي التحريم ، فليس حقيقةً من وضع الشيء في غير موضعه لاسيّما الموجب للعقاب ، ولعلّه لأجل هذا لم يذكر الله هذا الإطلاق في كتابه إلّا حكاية عن لسان بعض من صدر عنه ذلك الفعل في مقام الاعتذار والتذلّل ، كما هو من آداب خشوع المعتذرين ، وقد مرّ سابقاً بيان تجوّز لفظة العصيان حينئذٍ أيضاً ، فتأمّل .

ثمّ اعلم أنّ أظلم منهما من أضرّ عباد الله أيضاً ، قال عزّوجلّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(١) ، وقال : ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾(٢) وأمثالهما كثيرة ، وهكذا إلى أن ينتهي إلى الكفر والشرك وأذيّة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، ومن أذيّته أذيّتهما .

قال الله سبحانه : ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(٣) وقال : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٤) وقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾(٥) وقال : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٦) وأمثال ذلك ، وهي أيضاً كثيرة .

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أنّ هذه الآية تدلّ على لزوم كون عليّ عليه السلام

(١) سورة المائدة ٥ : ٤٥ .

(٢) سورة الشورى ٤٢ : ٤٢ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٥٤ .

(٤) سورة لقمان ٣١ : ١٣ .

(٥) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥٧ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٥٧ .

إماماً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأنّه أهل لهذه الإمامة دون من تقدّم عليه ، وهكذا حال حصرها بالنسبة إلى سائر أئمّتنا عليهم السلام بأيّ معنى يمكن أن يحمل عليه لفظة الظالم فيها ؛ لأنّ الشقوق المحتملة هاهنا عقلاً ثلاثة ، وكلّ واحدٍ يدلّ على هذا .

فأحدها : أن يكون المراد بالظالم فيها الموصوف بالكفر والشرك الذي هو أعظم مراتب الظلم ، كما هو مفاد ظاهر الأخبار التي ذكرناها ، وحينئذٍ نقول : إنّ الحقّ أنّ بعد التأمّل الصادق في الآية لا يبقى شكٌّ في دلالتها على ما هو مفاد تلك الأخبار من أنّ منصب الإمامة لا يناله من طرف الله إلّا من لم يعبد صنماً أصلاً دون من عبده ولو وقتاً مّا ، وذلك لأنّه لا شكّ في ظهور كون كلمة ﴿من﴾ في قول إبراهيم : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [1] تبعيضيّة ، كما صرّح به جمع من المفسّرين [2] أيضاً .

فحينئذٍ نقول : إنّ سؤال الخليل الإمامة إمّا أنّه كان لبعض ذرّيّته المسلمين العادلين تمام مدّة عمرهم ، أو لذرّيّته الظالمين في تمام عمرهم ، أو لذرّيّته المسلمين في بعض أيّام عمرهم الظالمين في البعض الآخَر .

وعلى الثالث إمّا أن يكون مقصوده عليه السلام إيصال ذلك إليهم حال الإسلام وعدالتهم ، أو الأعمّ من ذلك .

فعلى الأوّل يلزم عدم مطابقة الجواب للسؤال ؛ ضرورة أنّه لم يشمل سؤاله حينئذٍ الظالمين حتّى يحتاج إلى الاستثناء .

وعلى الثاني يلزم طلب الخليل ذلك المنصب الجليل للظالم حال

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٢) تفسير الكشّاف ١ : ٣١٨ ، تفسير القرطبي ٩ : ٣٧١ ، تفسير غرائب القرآن ١ : ٣٨٧ ، تفسير الثعالبي ٣ : ٣٨٧ .

ظلمه، وهذا ممّا لا يصدر عن أدنى عاقل، بل ولا عن سفيه جاهل فضلاً عنه عليه السلام، كيف لا وهو الذي لم يرض لهؤلاء ارتزاقهم في الدنيا حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ الآية[1].

وعلى الثالث والرابع يلزم المطلوب، وهو أنّ الإمامة لا ينالها من كان كافراً ظالماً في الجملة وفي بعض أيّام عمره، فتدبّر جدّاً حتّى تعلم أنّه إن فرض أيضاً عدم خطور شيءٍ من الشقوق المذكورة ببال الخليل عند هذا السؤال الجليل كأن يكون مراده أصل سؤال تشريف بعض ذرّيّته بما شرّفه به كَلِمَن أراده الله، وعلمه أهلاً لذلك، وجب حينئذٍ أيضاً أن يحمل الاستثناء على أنّه لإخراج ما ذكرناه؛ ضرورة عدم خروج شخص عن أحد هذه الأحوال، ومن البيّن عدم إمكان تعلّق الاستثناء بصاحب الحالة الأُولى؛ ضرورة أنّ المفروض ـ وهو كون الظلم بمعى الشرك والكفر ـ منفيّ عنه رأساً، وكذا معلوم ممّا بيّنّاه عدم تعلّقه بصاحب الحالة الثانية أيضاً؛ ضرورة براءة ساحة شأن خليل الرحمن عن احتمال الرضا بوصول ذلك المنصب إلى مثل هذا الشخص، فضلاً عن احتمال شمول السؤال له حتّى يحتاج إلى الاستثناء، لا سيّما بذلك التصريح الصريح، فبقي ما هو المطلوب لاسيّما بعد شهادة الأخبار المذكورة بذلك أيضاً، بحيث ظهر أنّه لأجل ذلك دعا إبراهيم بما دعا في الآية الأُخرى، بل يؤيّده أصل تصريح الله بهذا الاستثناء؛ ضرورة لزوم ذكره حينئذٍ؛ إذ لولاه لأمكن توهّم كون مثل هذا الشخص قابلاً، كما قد صدر مثله من القوشجي في شرحه التجريد حيث لم يتفطّن بما بيّنّاه، فقال: نهاية[2] ما تدلّ عليه الآية: أنّ الظالم في حال

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٦.

(٢) في «ل» : «غاية».

الظلم[١] لا ينال عهد الإمامة ، فلا يلزم من ظلم الثلاثة وكفرهم قبل الخلافة أن لا ينالوها حال إسلامهم وعدم اتّصافهم بالظلم[٢] . انتهى .

وقد عرفت ما فيه ، مع أنّه يرد على فهمه أيضاً أنّ أكثر المحقّقين على عدم لزوم بقاء مبدأ الاشتقاق في صدق لفظ المشتقّ حقيقةً ، كما هو مذكور في محلّه[٣] ، فلا يصار إلى التقييد بحال الظلم إلّا بدليلٍ ، وليس هاهنا كذلك ، كما سيظهر أيضاً .

ومن العجائب أنّ بعض القاصرين منع ما ذكرناه في الشقّ الأوّل من لزوم عدم مطابقة الجواب للسؤال ؛ حيث قال : إنّ الله تعالى لمّا عدل عن جواب سؤال إبراهيم عليه السلام إلى الإخبار بعدم نيل الظالم لعهد الإمامة فكأنّه أجاب دعاءه مع زيادةٍ[٤] ، ولم يدرك أنّه لم يعهد في فصيح الكلام فضلاً عن كلام الملك العلّام أن يسكت رأساً عن جواب ما ذكر في السؤال ، ويُقال في مقام الجواب ما لم يُسأل عنه أصلاً ، بل لم يحتج إليه مطلقاً ، كما أوضحناه آنفاً ، اللّهمّ إلّا إذا كان ذلك السؤال ممّا لا يستحقّ الجواب ، ومن البيّن أنّ ما نحن فيه ليس كذلك ، على أنّ مثل هذا التوجيه يجري في كلّ مقام يعترض فيه بأنّ الجواب ليس بمطابقٍ للسؤال ، فلو صحّ لزم أن لا يكون إيراد هذا القسم من الاعتراض متوجّهاً في شيءٍ من المواضع

---

(١) في «م» : «ظلمه» .

(٢) شرح تجريد العقائد للقوشجي : ٣٧٠ ـ ٣٧١ بتفاوت لفظاً ، ونقله عنه نصّاً التستري في الصوارم المهرقة : ٥٤ .

(٣) تهذيب الوصول : ٦٨ ، مبادئ الوصول : ٦٧ ، نهاية الوصول ١ : ١٩٤ ، المحصول للرازي ١ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، البحر المحيط ٢ : ٩١ .

(٤) انظر : إحقاق الحقّ ٢ : ٣٩٨ ، وفي هامشه : أنّ المراد من بعض القاصرين هو المولى شمس الدين الهروي الحنفي نزيل مكّة .

أصلاً، فضلاً عن أن يكون وارداً أو متوجّهاً، فتوجّه.

لا يقال: إنّ هاهنا احتمالاً آخر، وهو أن يكون إبراهيم قد زعم في بعضٍ من ذرّيّته الاتّصاف بالإسلام والعدالة، فطلب لهم الإمامة، وقد كان زعمه هذا في جميع أفراد ذلك البعض، أو في بعضها مخالفاً لما في نفس الأمر؛ ولهذا أجابه الله تعالى بأنّ عهد الإمامة ممّا لا يناله الظالمون، تنبيهاً على بطلان زعمه لإسلام هؤلاء كلّاً أو بعضاً، وظاهرٌ أنّه حينئذٍ لا يلزم سؤال إبراهيم ما لا يليق بشأنه، ولا عدم مطابقة الجواب للسؤال، فلا يثبت مطلوبكم.

لأنّا نقول: غير خفيٍّ على كلّ ذي نظر صائب أنّ مآل هذا أيضاً إلى ما ذكرناه بعينه، غير أنّ في هذا التقرير بعض تمويه وتغيير في التعبير يوهم بادئ الرأي كونه شيئاً آخَر.

وتوضيحه مجملاً: أنّ أُولئك البعض الذين فُرض أنّ إبراهيم عليه السلام زعم فيهم الزعم المذكور فطلب لهم الإمامة إمّا كانوا من المعلومين عنده أم لا، ولا شكّ أنّ الثاني من جملة ما ذكرناه.

وعلى الأوّل إمّا كانوا معلومين عنده بالأوصاف، أو بأشخاصهم وأعيانهم، فإن كان الأوّل فإمّا أنّ تلك الصفات هي الصفات الدالّة على تديّنهم بالحقّ، ومعرفته بها من طريق العلم كإخبار الله تعالى ونحوه، وظاهرٌ حينئذٍ أنّه ممّا لا يتطرّق إليه التوهّم لاسيّما من مثل خليل الرحمن، أم لا، وقد بيّنّا أنّ مقتضى شأن نبوّته وإخلاصه والطريقة المعلومة منه أنّه عليه السلام لم يكن يطلب لأحدٍ مثل ذلك المنصب إلّا بشرط التديّن، كما ينادي به ما مرّ من قوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾[1].

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٦.

وإن كان الثاني فلا شكّ أوّلاً أنّ ذلك إنّما يتصوّر إذا كانوا موجودين في زمانه، وليس الأمر كذلك؛ ضرورة أنّ الموجود منهم في زمانه إنّما كان إسماعيل وإسحاق، وحالهما في العصمة معلوم فضلاً عن أصل الإيمان، حتّى أنّه لو فُرض وجود غيرهما أيضاً ـ كما قال بعض ـ لم يكن إلّا مؤمناً، بل كاملاً في ذلك، كما صرّح به من قال بوجوده[1]، ولم يرد أصلاً كفرَ أحدٍ من ذرّيّته الموجودين في زمانه، بل القرآن صريح أيضاً في إيمانهم.

وثانياً: أنّ هذا أيضاً ممّا بيّنّا مقتضى شأن إبراهيم عليه السلام فيه، حتّى أنّ من لاحظ أحواله المذكورة في القرآن عرف قطعاً أنّه لم يكن بحيث يميل إلى أحدٍ إلّا بشرط الإيمان فضلاً عن طلب الإمامة له، فتأمّل صادقاً حتّى تعلم تحكّم دعوى غير ذلك، والله الموفّق.

ثمّ إنّ الثاني من الشقوق الثلاثة: أن يكون المراد بالظالم في الآية من صدر عنه المحرّم ولو بتعاطي شيءٍ من الصغائر؛ لما أوضحناه من أنّ ذلك أوّل مراتب مصداق الظلم حقيقةً، وأقلّه وأدناه شرعاً وعرفاً ولغةً، فيكون معنى الآية حينئذٍ أنّ عهد الإمامة منّي لا ينال ظالماً ولو لنفسه[2] بفعل الصغيرة، فهو إنّما ينال من ذرّيّتك من لا يصدر منه محرّم أصلاً، لا صغيرة ولا كبيرة، بحيث لم يصدر منه، ولم يصدق عليه خاطئ ولا ظالم أبداً، دون من لم يكن كذلك، فإذاً لا يكون إماماً من عند الله إلّا من عصمه الله من ارتكاب المعصية طول عمره فضلاً عمّن عبد الأصنام وجاهر في مخالفة الملك العلّام، ولهذا قال الإمام عليه السلام ـ كما مرّ[3] آنفاً ـ: «إنّ هذه الآية أبطلت

---

(١) انظر: تفسير غريب القرآن للنيسابوري ١ : ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٢) في «س» و«م»: «على نفسه».

(٣) في ص ٢٥٠.

إمامة كلّ ظالمٍ إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة».

ولا ينافي إرادة هذا المعنى ما تضمّنته الأخبار التي ذكرناها؛ لاحتمال أن يكون المراد فيها الاستدلال بارتكاب الكفر على عدم عصمتهم، وبيان أنّ ذلك من أوضح علائم عدم العصمة وإن احتيج في تشخيص كونه معصوماً من سائر المعاصي أيضاً بعلائم أُخَر التي أوضحها وأتمّها بل أصلها أن يكون وارداً من الله تعالى في حقّه ما يدلّ صريحاً على كونه قابلاً للإمامة، لاسيّما ما يدلّ على تعيينه من الله خصوصاً ما يكون نصّاً في ذلك؛ ضرورة أنّ العبد لا يعرفه حقّ المعرفة إلّا ربّه، كما مرّ بيانه سابقاً ويأتي في مبحث بطلان كون الإمامة باختيار الخلق مفصّلاً أيضاً.

ويشهد لهذا ما هو مسلّم عند الكلّ من أنّ جميع الأنبياء والأوصياء كانوا معيّنين من الله تعالى، وقد مرّ ويأتي بيان وجود جميع ذلك في حقّ عليٍّ عليه السلام، وكذا في ذرّيّته الأئمّة الذين ذكرناهم، بل تبيّن الانحصار فيهم، مع أنّه يكفي عدم ادّعاء أحدٍ العصمة في غيرهم؛ لأنّه حينئذٍ إذا تبيّن لزوم العصمة في الإمامة فلا محالة يلزم أن يقال بأنّها فيهم؛ ضرورة أن ليس في هذه العرضة إلّا هُم[1].

فعلى هذا، هذه الآية دليل أيضاً ـ كما ذكرنا في محلّه ـ على ما بيّنّاه سابقاً من لزوم كون المعلّم معصوماً عن الخطأ والزلل حتّى يمكن الوثوق بقوله، والاعتماد على حكمه ومتابعته في فعله، وأن لا فرق في ذلك بين كونه[2] نبيّاً أو إماماً، بل سياق الآية صريح في ذلك؛ حيث إنّ الله تعالى صرّح بذلك في عهد الإمامة التي منّ عليه بها بعد النبوّة مشيراً إلى كونها

---

(١) في «م»: «غيرهم» بدل «إلّا هُم».

(٢) في «م»: «أن يكون» بدل «كونه».

أجلّ وأعظم لكي لا يتوهّم متوهّم[١] بأنّها ليست مثل النبوّة في لزوم العصمة ، كما توهّمه بعض القاصرين من المفسّرين ، فحمل العهد في الآية على عهد النبوّة[٢] ، ولم يدرك ما ينادي به سياق الآية فضلاً عن سائر الأدلّة ، ولهذا صرّح أكثرهم بكون المراد عهد الإمامة[٣] ، فتأمّل .

وأمّا الشقّ الثالث من الشقوق الثلاثة : فهو أن يكون المراد بالظالم في الآية خصوص من يتعاطى الكبائر دون صاحب الصغيرة ، أو من يظلم غيره ، كحكّام الجور وأمثالهم ممّن لم يحكم بما أنزل الله وإن كانوا ممّن لم يشرك أبداً ؛ لما بيّنّا من كون هذين واسطة بين الأدنى والأقصى .

ولا يخفى أوّلاً أنّ هذا المعنى أيضاً ممّا يخصّ الإمامة بعليّ عليه السلام ؛ لما هو ظاهر من صدور الكبائر حتّى الفرار في الحروب عن غيره ، بل الحكم بخلاف ما أنزل الله أيضاً ، كما سيأتي في مقالات المقصد الثاني .

ثمّ مع هذا لا يخفى ثانياً أنّ حمل الآية على هذا يوجب ارتكاب التخصيص ، لاسيمّا المخالف لظاهر الآية وعموم اللفظ من غير موجبٍ لذلك .

ولا يمكن أن يقال : إنّ الموجب لذلك محو الصغائر بترك الكبائر ، كما يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ

---

(١) كلمة «متوهّم» لم ترد في «م» .

(٢) التبيان للشيخ الطوسي ١ : ٤٨٨ ، تفسير الطبري ١ : ٤١٨ ، تفسير ابن أبي حاتم ١ : ٢٢٣ ، النكت والعيون ١ : ١٨٥ ، الوسيط ١ : ٢٠٣ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ١٣٦ ، معالم التنزيل ١ : ١٥٠ ، زاد المسير ١ : ١٤١ .

(٣) تفسير العيّاشي ١ : ١٩٤/١٥٤ ، التبيان للشيخ الطوسي ١ : ٤٨٨ ، مجمع البيان ١ : ٢٠٢ ، تفسير الطبري ١ : ٤١٨ ، النكت والعيون ١ : ١٨٥ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ١٣٦ ، معالم التنزيل ١ : ١٥٠ ، تفسير الكاشف ١ : ٣١٨ ، زاد المسير ١ : ١٤٠ ، التفسير الكبير للرازي ٤ : ٤٥ ، تفسير غرائب القرآن ١ : ٣٨٨ .

سَيِّئَاتِكُمْ﴾[١].

لأنّا نقول: أوّل ما في هذا أنّ صدق الظالم على صاحب الصغيرة لا ينافي العفو والمحو كما بيّنّاه أوّلاً، ويؤيّده هذه الآية أيضاً، فبمحض العفو لا يمكن الحكم بخروج المعفوّ عنه عن مصداق الظالم، أي: من صدر عنه الظلم، نعم هو ظالم معفوّ عنه، كما أنّه قبل العفو ظالم غير معفوٍّ عنه، وأمّا البريء الذي لم يصدر منه شيء بعدُ فإنّما هو الذي ليس من مصداق الظالم في شيءٍ، وقد يطلق عليه المعصوم، كما يطلق على المعفوّ عنه المرحوم، وعلى غيرهما المحروم.

وكفى فيما ذكرناه شيوع إطلاق الكاذب والنمّام والشرير وأمثالها حقيقةً على مَنْ حاله تعاطي تلك الأفعال، وصدوره عنه مراراً وإن تاب بعد كلّ مرّةٍ؛ إذ ظاهر أنّ المفروض فيما نحن فيه مثل هذا كما هو شأن غير المعصوم وإن أمكن القول بدخول من فعل مرّةً أيضاً؛ بناءً على ما ظهر من الأخبار التي مرّت في مَنْ عبد صنماً وقتاً مّا وإن تاب بعده وأسلم، فافهم.

ثمّ إنّ ثاني ما فيه: أنّ المسلّم المعلوم إنّما هو إفادة المحو والتكفير في إسقاط العقاب ونحو ذلك، وأمّا تأثير ذلك في قابليّة الإمامة التي هي الرئاسة العامّة في الدين والدنيا وتالي النبوّة إن لم نقل بكونها أعلى منها فغير مسلّم، والفرق بينهما ظاهر كما تبيّن ممّا ذكرناه سابقاً في أحوال المعلّم من الله، ولا أقلّ من لزوم مزيّة الإمام على رعيّته بأمثال الخيريّة وقلّة المخالفة ونحو ذلك، كيف لا، وهو المتبادر من هذا المنصب كما هو واضح.

ثمّ إنّ ثالث ما فيه: أنّ الكبائر أيضاً تمحى وتكفّر بالاستغفار حتّى

---

(١) سورة النساء ٤: ٣١.

الشرك ، بل ما سواه يكفّر بفعل بعض الخيرات أيضاً ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1] حتّى أنّها قد تمحى بمحض العفو من الله أيضاً ، وعلى هذا فالتزام ارتكاب التخصيص هناك لا هاهنا تحكّم ظاهر ، وإن ارتكب التخصيص هاهنا أيضاً بالجائر والفاسق الذي لا يرجع ولا يتوب ولا يأتي بخير أصلاً ، فهو مع كونه خلاف ما ظهر من الأخبار التي مرّت في مَنْ عبد صنماً وقتاً مّا وإن تاب فيما بعد ساقط رأساً .

أمّا أوّلاً : فلما ذكرناه آنفاً من عدم الخروج بالعفو عن مصداق الظالم .

وأمّا ثانياً : فلما ذكرناه آنفاً أيضاً من إفادة المحو والتكفير في سقوط العقاب ونحوه لا في قابليّة الإمامة .

وأمّا ثالثاً : فلما ذكرناه سابقاً من ظهور براءة ساحة شأن خليل الرحمن عن احتمال الرضا بوصول ذلك المنصب إلى مثل هذا الشخص فضلاً عن احتمال شمول سؤاله له حتّى يحتاج إلى مثل ذلك الاستثناء .

ومن هذا يندفع أيضاً ما ربّما يقال من احتمال كون التخصيص لتبادر فهم حُكّام الجور من لفظة الظالمين في هذا المقام ، فافهم حتّى تعلم أيضاً أنّ الله تعالى شأنه لو أراد إخراج غير العدل خاصّة لقال : الفاسقين ، بدل الظالمين ، وإنّ الآية على ما حقّقناه آنفاً نصّ في لزوم العصمة في الإمامة المستلزمة لكون الإمام منصوصاً من الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وفي عدم قابليّة من تقدّم على عليّ عليه السلام لها أصلاً ، والله الهادي .

الخامسة والعشرون : قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2] ، وورد في قراءة أهل البيت عليهم السلام ، وعبدالله بن مسعود بعد

---

(١) سورة هود ١١ : ١١٤ .

(٢) سورة الشعراء ٢٦ : ٢١٤ .

﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قوله تعالى: «ورهطك منهم المخلصين»[١] أيضاً، وهو الذي يظهر من بعض الأخبار الآتية، فلا تغفل.

روى الثعلبي في تفسيره عند تفسير هذه الآية بإسنادٍ له معنعناً عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: لمّا نزلت هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبدالمطّلب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسنّة ويشرب العُسّ[٢]، فأمر عليّاً برِجل شاة، فأدمها ثمّ قال: «ادنوا باسم الله»، فدنا القوم عشرةً عشرةً، فأكلوا حتى صدروا، ثمّ دعا بقعب لبن فجرع منه جرعة ثمّ قال لهم: «اشربوا باسم الله» فشربوا حتّى رووا، فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل، فسكت النبيّ صلى الله عليه وآله يومئذٍ ولم يتكلّم.

ثمّ دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثمّ أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا بني عبدالمطّلب إنّي أنا النذير إليكم من الله عزّ وجلّ والبشير لما لم يجئ به أحد، جئتكم بالدنيا والآخرة فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ومن يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليّي ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟» فسكت القوم، فأعاد ذلك ثلاثاً، كلّ ذلك يسكت القوم، ويقول عليٌّ عليه السلام: «أنا» فقال: «أنت» فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أُمِّر عليك[٣].

وقد روى البغوي في تفسيره أيضاً بإسنادٍ له عن عبدالله بن عبّاس، عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «لمّا نزلت هذ الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٤٠٧/٣٠٢، تفسير القمّي ٢: ١٢٤، تحف العقول: ٤٢٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١/٢٣١، الأمالي للصدوق: ٨٤٣/٦١٧، مجمع البيان ٤: ٢٠٦، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٥.

(٢) العُسّ: القدح العظيم. الصحاح ٣: ٩٤٩، مادّة ـ عسس ـ.

(٣) تفسير الثعلبي ٧: ١٨٢.

﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١] على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاني ، فقال : يا عليّ إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً وعلمت أنّي متى ما أُبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُّ حتّى جاءني جبرئيل فقال : يا محمّد ، إنّك إن لم تفعل يعذّبك ربّك ، فاصنع لنا صاعاً من طعامٍ واجعل عليه رِجْل شاة ، واملأ لنا عسّاً من لبن ، ثمّ اجمع بني عبدالمطّلب حتّى أُكلّمهم وأبلّغهم ما أُمرتُ به ، ففعلتُ ما أمرني به ثمّ دعوتهم وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة ، والعبّاس ، وأبو لهب ، فلمّا اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعتُ لهم ، فجئتُ به ، فلمّا وضعتُه تناول رسول الله صلى الله عليه وآله بَضْعةً من اللحم ، فشقّها بأسنانه ثمّ ألقاها في نواحي الصحفة ، ثمّ قال : كلوا باسم الله ، فأكلوا حتّى ما لهم إلى شيءٍ حاجة ، وأيمُ الله الذي نفس عليٍّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم ، ثمّ قال : اسقِ القوم يا عليّ ، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا منه حتّى رووا جميعاً ، وأيمُ الله الذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلّمهم بدره أبو لهب ، فقال : لهدّ[٢] ما سحركم صاحبكم ! فتفرّق القوم ، ولم يكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال من الغد : يا عليّ ، إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعتَ من القول ، فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم ، فعُد لنا اليوم إلى مثل ما صنعتَ بالأمس ، ثمّ اجمعهم لي ، ففعلت ثمّ جمعتهم ، ثمّ

---

(١) سورة الشعراء ٢٦ : ٢١٤ .

(٢) قال الجزري : لهدّ ، كلمة يتعجّب بها ، يقال : لهدّ الرجل ، أي : ما أجلده ، ويقال : إنّه لهدّ الرجل ، أي : لنعم الرجل ، وذلك إذا أُثني عليه ، واللام للتأكيد . النهاية ـ لابن الأثير الجزري ـ ٥ : ٢٥٠ ، مادّة ـ هدد ـ .

دعاني بالطعام، فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيءٍ حاجة، ثمّ قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العُسّ، فشربوا منه جميعاً حتّى رووا، ثمّ تكلّم النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا بني عبد المطّلب إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، فقلت وأنا أحدثهم سنّاً: يا نبيّ الله، أنا وزيرك عليه، قال فأخذ برقبتي ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»(١).

وقد ذكر مثل هذا الخبر الطبري أيضاً في تاريخه على ما نقله عنه ابن أبي الحديد وغيره، عن ابن عبّاس عن عليّ عليه السلام، وذكر الحكاية بعينها إلى قوله: فتكلّم النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ ذكر هكذا، فقال: «يا بني عبدالمطّلب إنّي والله ما أعلم أنّ شابّاً في العرب جاء قومَه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة» إلى آخر الخبر، إلّا أنّ فيه بعد قوله: «أنا وزيرك عليه» فأعاد صلى الله عليه وآله القول عليهم، فأمسكوا وأعدتُ ما قلتُ، فأخذ برقبتي(٢)، الخبر.

وروى مثل هذا، بل بعينه ابن الأثير أيضاً في كامل التاريخ(٣).

وفي تاريخ الطبري أيضاً على نقل ابن أبي الحديد: إنّ رجلاً قال

---

(١) معالم التنزيل ٤: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣١٩ ـ ٣٢١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ٦٢ ـ ٦٣.

لعليٍّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بـمَ ورثتَ ابنَ عمّك دون عمّك ؟ فقال عليٌّ عليه السلام : «هاؤم !» ثلاث مرّات حتّى اشرأب الناس ، ونشروا آذانهم ، ثمّ قال : «جمع النبيّ صلى الله عليه وآله بني عبدالمطّلب بمكّة وهم رهط ، كلّهم يأكل الجَذَعة ويشرب الفَرْقَ[1] ، فصنع لهم مُدّاً من طعام حتّى أكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يمسّ ، ثمّ دعا بغُمر[2] فشربوا ورووا وبقي الشراب كأنّه لم يشرب ، ثمّ قال : يا بني عبدالمطّلب إنّي بعثت إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة ، فأيّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي ؟ فلم يقم إليه أحد ، فقمتُ إليه وكنت من أصغر القوم ، فقال : اجلس ، ثمّ قال ذلك ثلاث مرّات كلّ ذلك أقوم إليه ، فيقول لي : اجلس ، حتّى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي ، فبذلك ورثتُ ابن عمّي دون عمّي»[3] .

وقد رواه بعينه محمّد بن العبّاس بن مروان في كتاب التفسير بإسنادين له ، وبسندٍ ثالث فيه : الطبري ، كلّهم عن أبي عوانة ، عن عثمان ابن سعيد بن المغيرة ، عن أبي صادق[4] ، عن ربيعة بن ناجد[5] قال : إنّ

---

(١) في «م» : «العُسّ» .

(٢) الغُمَرُ : القدح الصغير . انظر : الصحاح ٢ : ٧٧٢ ـ غمر ـ .

(٣) تاريخ الطبري ٢ : ٣٢١ ، نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢١٢ .

(٤) هو أبو صادق الأزديّ الكوفيّ ، قيل : إنّ اسمه أسلم بن يزيد ، (ومسلم بن يزيد) ، وقيل : عبدالله بن ناجد ـ ناجذ ـ أخو ربيعة بن ناجد ، روى عن : ربيعة بن ناجد ، وعبدالرحمن بن يزيد وغيرهما ، وروىٰ عنه : عثمان بن المغيرة الثقفي وآخرون .
انظر : تاريخ بغداد ١٤ : ٧٦٩١/٣٦٣ ، وتهذيب الكمال ٣٣ : ٧٤٣٣/٤١٢ ، والجرح والتعديل ٨ : ٨٧٥/١٩٩ .

(٥) هو ربيعة بن ناجد الأزديّ ، ويقال : الأسديّ أيضاً الكوفيّ ، روىٰ عن : عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وعبادة بن الصامت ، وعبدالله بن مسعود ، وروىٰ عنه : أبو صادق الأزديّ ، يقال : إنّه أخوه .

رجلاً قال لعليٍّ عليه السلام(١)، وذكر الخبر.

وروى ابن حنبل في الفضائل: عن أسود بن عامر، عن شريك، عن الأعمش، عن المنهال، عن عبّاد بن عبدالله الأسدي، عن عليٍّ عليه السلام، أنّه قال: «لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٢) جمع النبيّ صلى الله عليه وآله أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، ثمّ قال لهم: من يضمن عنّي دَيْني ومواعيدي، ويكون معي في الجنّة، ويكون خليفتي؟ فقلت: أنا، فقال: أنت»(٣).

وفي روايةٍ أُخرى عن شريك مثله، وزاد في آخره: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليٌّ يقضي دَيْني وينجز مواعيدي»(٤).

وروى جمع منهم: الحسن بن عليّ بن عفّان معنعناً عن أبي رافع: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع ولد عبدالمطّلب في الشعب وهم يومئذٍ ولده لصلبه وأولادهم أربعون رجلاً، فصنع لهم رِجل شاة وثرد لهم ثريدة فصبّ عليها ذلك المرق واللحم، ثمّ قدّمها إليهم فأكلوا منه حتّى شبعوا، ثمّ سقاهم عُسّاً واحداً فشربوا كلّهم من ذلك العُسّ حتّى رووا، ثمّ قال أبو لهب: والله إنّ منّا نفراً يأكل أحدهم الجفرة وما يصلحها وما يكاد يشبعه ويشرب الفرق من النبيذ فما يرويه، وإنّ ابن أبي كبشة دعانا على رِجل شاة وعُسّ من

انظر: تهذيب الكمال ٩: ١٨٨٨/١٤٥، والكاشف ١: ١٥٧٠/٢٣٩، وميزان الاعتدال ٢: ٢٧٥٨/٤٥، وتهذيب التهذيب ٣: ٤٩٨/٢٢٨.

(١) نقله عنه ابن طاووس في سعد السعود: ٢١٠ ـ ٢٦/٢١١، وأورده أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ٢: ١٢٢٠/٧١٢.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ٢١٤.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١١٩٦/٧٠٠، مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٨٥/١٧٨ بتفاوت في ذيل الحديث.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٥٠ ـ ١١٠٨/٦٥١.

شراب فشبعنا وروينا ، إنّ هذا لهو السحر المبين .

قال أبو رافع : ثمّ دعاهم النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال لهم : «إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ورهطي المخلصين ، وإنّكم عشيرتي الأقربين ورهطي المخلصين ، وإنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا جعل له أخاً من أهله ووارثاً ووصيّاً ووزيراً فأيّكم يقوم فيبايعني على أنّه أخي ووزيري ووارثي دون أهلي ووصيّي وخليفتي في أهلي ، ويكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي؟» .

فأمسك القوم ، فقال صلى الله عليه وآله : «والله ليقومنّ قائمكم أو ليكوننّ في غيركم ثمّ لتندمنّ» ، فقام عليٌّ عليه السلام وهُم ينظرون إليه كلّهم ، فبايعه وأجابه إلى ما دعا إليه ، فقال : «اُدن منّي» فدنا منه ، فقال : «افتح فاك» فمجّ في فيه من ريقه ، وتفل بين كتفيه وبين ثدييه ، فقال أبو لهب : لبئس ما حبوت به ابن عمّك ، أجابك فملأت فاه ووجهه بالريق ، قال : فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «بل ملأته علماً وحلماً وفهماً»(١) .

أقول : قال الجزري : الجَفْر من أولاد المعز : ما بلغ أربعة أشهر ، وفصل عن اُمّه وأخذ في الرعي ، والأنثى جفرة(٢) .

وقال : كان المشركون ينسبون النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أبي كبشة ، وهو رجل من خُزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان ، شبّهوه به . وقيل : إنّه كان جدّ النبيّ صلى الله عليه وآله من قِبَل اُمّه ، فأرادوا أنّه نزع في الشبه إليه(٣) .

---

(١) تفسير فرات الكوفي : ٣٠٣/٤٠٨ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٣٩٣/١٩ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٢٤٩/٤٣ ، وانظر نحوه : تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٩ ـ ٥٠ في ضمن حديثين .

(٢) النهاية لابن الأثير ١ : ٢٧٧ ، مادّة ـ جفر ـ .

(٣) النهاية لابن الأثير ٤ : ١٤٤ ، مادّة ـ كبش ـ .

وروى محمّد بن العبّاس أيضاً في تفسيره بإسنادٍ له عن الحسن البصري، عن رجلٍ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، قال الحسن: إنّ قوماً خاضوا في عليٍّ عليه السلام بعد الذي كان من وقعة الجمل، قال الرجل الذي سمع الحسن منه الحديث: ويلكم ما تريدون من أوّل مَنْ سبق إلى الإيمان بالله، والإقرار بما جاء من عند الله؟ لقد كنتُ عاشر عشرة من ولد عبدالمطّلب إذ أتى عليّ بن أبي طالب فقال: «أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وآله غداً إلى الغداء في منزل أبي طالب»، فتغامزنا، فلمّا ولّى قلنا: أترى محمّداً صلى الله عليه وآله ليشبعنا اليوم، وما منّا يومئذٍ من العشرة رجلاً إلّا وهو يأكل الجَذعة السمينة ويشرب الفَرق من اللبن، فغدوا عليه في منزل أبي طالب عليه السلام، وإذا نحن برسول الله صلى الله عليه وآله، فحيّيناه بتحيّة الجاهليّة وحيّانا هو بتحيّة الإسلام، فأوّل ما أنكرنا منه ذلك، ثمّ أمر بجفنة من خبز ولحم فقُدّمت إلينا ووضع يده اليمنى على ذروتها وقال: «بسم الله، كلوا على اسم الله» فتغيّرنا لذلك، ثمّ تمسّكنا لحاجتنا إلى الطعام، وذلك أنّنا جوّعنا أنفسنا للميعاد بالأمس، فأكلنا حتّى انتهينا والجفنة كما هي؛ ثمّ دفع إلينا عُسّاً من لبنٍ، فكان عليٌّ عليه السلام يخدمنا، فشربنا كلّنا حتّى روينا والعُسّ على حاله، ثمّ قال: «يا بني عبدالمطّلب إنّي نذير لكم من الله عزّ وجلّ، إنّي أتيتكم بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا وتفلحوا وتنجحوا، إنّ هذه مائدة أمرني الله فصنعتها لكم كما صنع عيسى بن مريم لقومه، فمن كفر بعد ذلك منكم فإنّ الله يعذّبه عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين، فاتّقوا الله واسمعوا وأطيعوا ما أقول لكم، واعلموا يا بني عبدالمطّلب أنّ الله لم يبعث رسولاً إلّا جعل له أخاً ووزيراً ووصيّاً ووارثاً من أهله، وقد جعل لي كلّ ما جعل للأنبياء قبلي، وأنّ الله قد أرسلني إلى الناس كافّة، وأنزل عليّ: وأنذر

عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين ، فأمرني أن أدعوكم ، وأنصح لكم ، وأعرض عليكم ، لئلا يكون لكم الحجّة فيما بعد ، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي ، فأيّكم يسبق إليها على أن يؤاخيني في الله جلّ وعزّ ، ومع ذلك يكون لي يداً على جميع من خالفني ، فأتّخذه وصيّاً ووليّاً ووزيراً يؤدّي عنّي ويبلّغ رسالتي ويقضي ديني من بعدي وعداتي مع أشياء اشترطها» فسكتوا ، فأعادها ثلاث مرّات ، كلّها يسكتون ويثب فيها عليٌّ ، فلمّا سمعها أبو لهب قال : تبّاً لك يا محمّد ولما جئتنا به ، ألهذا دعوتنا ؟ وهمّ أن يقوم مولّياً .

فقال صلّى الله عليه وآله : «أما والله لتقومنّ أو يكون في غيركم» قال : وكان يحرّضهم صلّى الله عليه وآله لئلا يكون لأحد منهم فيما بعد حجّة .

قال : فوثب عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : «يا رسول الله أنا لها» .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : «يا أبا الحسن أنت لها ، قُضي القضاء وجفّ القلم ، يا عليّ اصطفاك الله بأوّلها وجعلك وليّ آخرها»(١) .

أقول : قد ذكرنا خبراً أيضاً في مبحث مناقب أبي طالب عليه السلام ، وهذه نبذ ممّا روي في هذه الآية .

وقد روى نحو رواية الطبري محمّد بن إسحاق في كتابه ، والخركوشي في تفسيره ، عن أبي مالك عن ابن عبّاس ، وعن ابن جبير أيضاً(٢) . بل يظهر من بعضهم أنّ الطبري روى عن ابن جبير أيضاً(٣) .

---

(١) عنه في سعد السعود ٢١١ ـ ٢٧/٢١٤ .

(٢) السيرة النبويّة لابن إسحاق : ١٤٥ ـ ١٤٦ ، وعنهما ابن شهرآشوب في مناقبه ٢ : ٣١ ـ ٣٢ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٢٣٩ .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٣٢ ، وانظر تاريخ الطبري ٢ : ٣١٩ .

وروى نحو رواية الطبري الأخيرة التي نقلناها من تفسير محمّد بن العباس أيضاً أحمد بن حنبل في المسند ، وفي كتاب الفضائل للصحابة بإسناده عن ربيعة بن ناجد[١].

وكذا رواها محمّد بن مؤمن أبو بكر الشيرازي في تفسيره عن تفسير مقاتل عن الضحّاك عن ابن عبّاس[٢].

ثمّ إنّه ذكر صاحب المناقب ما يدلّ على أنّ الحارث بن نوفل بن عبدالمطّلب أيضاً روى هذه الحكاية[٣].

وبناءً على هذا لعلّ المراد بالرجل الذي مرّ[٤] أنّ الحسن روى عنه هو هذا ؛ لدلالة الخبر على أنّ ذلك الرجل كان من ولد عبدالمطّلب ، فتأمّل في جميع ما ذكرناه حتّى يتبيّن لك كثرة رُواة هذه الحكاية ، وكونها صريحة في النصّ على ما مرّ في الفصول السابقة من وزارة عليّ عليه السلام ، وخلافته ووصايته وسائر ما يدلّ على إمامته ، وكذا في كونه مختصّاً [من] بين الأمّة في هذه البيعة لا شريك له فيها أحد من الأمّة ، وهذه البيعة هي المشهورة بين الناس ببيعة العشيرة ، وقد ذكرنا سابقاً أيضاً حكاية هذه البيعة واختصاص عليّ عليه السلام بها في الفصل الخامس .

ومن العجايب أنّ أكثر المتعصّبين من المفسّرين لم يتوجّهوا إلى ذكر سبب نزول هذه الآية على ما هو الحقّ ؛ لكونه مستلزماً لنقل هذه الحكاية ، وهي ممّا تضرّ وتنافي ما أسّسوا عليه أساس خلافة من قدّموه على

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ : ١١٣٧٥/٢٥٧ ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ١٢٢٠/٧١٢ .

(٢) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٢ : ٣٢ ، وابن جبر في نهج الإيمان : ٢٣٩ .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٣٣ .

(٤) في ص ٢٦٨ .

عليّ عليه السلام ، كما مرّ غير مرّة أنّ هذا شأنهم في أكثر الآيات والروايات الدالّة على إمامة عليّ عليه السلام ، ومن تتبّع ما مرّ ويأتي في هذا الكتاب لم يبق له شكٌّ في صحّة ما ذكرناه من حال هؤلاء ، ولا يخفى أنّ مثل هذا خيانة صريحة .

وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة مؤيّداتٍ لهذا حتّى نقل عن شيخه أبي جعفر الإسكافي تصريحه بصحّة ما نقل في هذه الآية وصراحته فيما ذكرناه حتّى قال في آخره : فلمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله الخذلان من عشيرته الذين دعاهم وأنذرهم وضمن لمن يؤازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ، ووصيَّه بعد موته ، وخليفتَه من بعده ورأى من عليّ عليه السلام النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، وعاين منهم الإباء ومنه الإجابة ، قال لهم صريحاً : «هذا أخي ووصييّ ، وخليفتي من بعدي» ؛ ولهذا لمّا قاموا قالوا لأبي طالب وهم يسخرون ويضحكون : أطع ابنَك فقد أمّره عليك[١] . انتهى كلامه .

وهو وسائر ما ذكرناه من كلامهم صريح في أنّهم لم يفهموا من كلام النبيّ صلى الله عليه وآله غير الإمامة والإمارة ، وأنّها هي معنى الوزارة والخلافة والمراد بالوصاية ، فافهم .

ولتكن هذه آخر الآيات التي ذكرناها في هذا المطلب .

وقد ذكرنا أوّلاً أنّ قوله تعالى : ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٢] لم نذكره هاهنا ، بل اكتفينا ببيانه في حكاية الغدير مع بعض الآيات المتعلّقة به ، وسنذكر بقيّة الآيات التي اطّلعنا على تفسيرها بما ينفع في الإمامة من طُرق القوم ورواياتهم ، في المطلب الآتي سرداً وإن كان فيها أيضاً ما يكون

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٤٤ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٦٧ .

في الدلالة بل النصّ على الإمامة والعصمة مثل هذه الآيات ، ومع هذا قد ذكرنا فيما سبق حتّى في فاتحة كتابنا هذا ، ونذكر أيضاً فيما يأتي حتّى في الختام بعضاً من هذه الآيات ، وما سيأتي في المطلب الآتي ، بل غيرها أيضاً ولو على غير سبيل التفصيل الذي بيّنّاه هاهنا ، اعتماداً على هذا البيان لاقتضاء المقام ، أو إتمام المرام بذكر ذلك البعض وعلى ذلك البيان ، فافهم .

واعلم أيضاً أنّ حكاية إرسال آيات سورة براءة مع عليٍّ عليه السلام وعزل أبي بكر عن ذلك ؛ حيث كانت دلالتها على فضل عليٍّ عليه السلام من جهة الإرسال معه لا من دلالة معناها ، لم نذكرها في هذا الفصل ، وقد ذكرناها سابقاً ، فتذكّر ، وعلى الله الهداية ، وهو وليّ التوفيق .

المطلب السادس : في بيان سائر الآيات التي ذكرها المخالفون ولو بعض منهم في شأن هؤلاء الأجلّة وفضائلهم ، لاسيّما عليّ عليه السلام ، حيث إنّه كان الأصل والموجود في ذلك الزمان بحيث لا يبقى شكٌّ لغير المعاند عند ملاحظتها ، لا سيّما بعضها مع بعضٍ في لزوم حصر الإمامة فيهم ، واختصاصهم بها ، وتأهّلهم لها دون غيرهم ، ولا أقلّ من كونها حجّة على التاركين لمتابعتهم ، والجاحدين لما ورد فيهم عليهم السلام ، وما جعلهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله أهلاً له ، غفلةً عن حقيقة الحال ، وتغافلاً عن ملاحظة حقّ المقال ، بل في كثيرٍ منها ما يمكن أن يستدلّ به استقلالاً على الإمامة ، وكذا العصمة ولو بنوع من التوجيه حتّى أنّ دلالة بعضٍ منها في حدّ الظهور ، كما سنشير إلى بعض ذلك .

وها نحن نذكر الأخبار الواردة في هذا الباب سرداً من غير ملاحظة

الترتيب والتناسب ، ونَقلِ بعضها تِلوَ بعض مناسب له ؛ حيث لم يكن ذلك ميسوراً وإن لم نتسامح في الملاحظة رأساً ، ولا نبالي أيضاً بذكر ما أمكن فهمه من بعضها بقرينة دلالة ما سبق صريحاً من قبيل الآيات التي تدلّ على تفسير المؤمن والإيمان والدين وأمثال ذلك ممّا سيأتي بعليٍّ عليه‌السلام وولايته ؛ لأجل ما قد مرّ سابقاً ممّا دلّ على كمال إيمانه ، وتمام فضله وصلاحه ، بل قد مرّ ما يدلّ على كونه عليه‌السلام هو رأس المؤمنين ـ الوارد في القرآن ـ وأميرهم وشريفهم في الآية الثالثة من آيات المطلب السابق .

فمن الآيات : قول الله عزّ وجلّ : ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ**﴾ (١) .

فقد روى ابن مردويه بعدّة طُرق ، وكذا روى العِزّ الحنبليّ : أنّ المراد بالمؤمن عليٌّ عليه‌السلام ، وبالفاسق الوليد بن عقبة بن أبي معيط (٢) أخو عثمان لأُمّه .

وروى نزولها فيهما أيضاً الثعلبي ، والواحدي ، وقتادة ، والشيرازي ، والخطيب في تاريخه ، والكلبي ، وابن حنبل ، والقشيري ، ومجاهد ، والبيضاوي ، والزمخشري ، والحافظ أبو نُعيم ، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ، وغيرهم . ورواية أكثرهم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، ومنهم من روى عن أبي صالح ، ومن روى عن عكرمة وغيرهما عن ابن عبّاس ، ومنهم من رواه عن الباقر عليه‌السلام أيضاً بأدنى تفاوت في العبارة ، قال : شجر بين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام والوليد بن عقبة كلام ـ وفي رواية :

---

(١) سورة السجدة ٣٢ : ١٨ .

(٢) نقله عنهما الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٣ و٣١٥ ، وعن ابن مردويه الحلّي في كشف اليقين : ٣٥٩ ، والسيوطي في الدرّ المنثور ٦ : ٥٥٣ .

يوم بدر ـ فقال له الوليد : اسكت فإنّك صبيّ وأنا أبسط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأملأ منك حشواً في الكتيبة ، فقال له عليٌّ عليه‌السلام : «اسكت فإنّما أنت فاسق» ، فنزلت الآية تصديقاً لعليٍّ عليه‌السلام (١) .

ورواه أيضاً جماعة عن أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام مفصّلاً ومجملاً ، كما أشرنا إلى بعض ذلك (٢) .

قال في الكشّاف : وعن الحسن بن عليّ عليهما‌السلام أنّه قال للوليد : «كيف تشتم عليّاً وقد سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات ، وسمّاك فاسقاً ؟» (٣) .

وعن الباقر عليه‌السلام في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٤) قال : «نزلت في عليٍّ عليه‌السلام ؛ لأنّه أوّل من سمع ، والميّت الوليد بن عقبة» (٥) .

ومنها : قوله سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ (٦) إلى آخر السورة ، فإنّه قال في الكشّاف : قيل : جاء عليٌّ عليه‌السلام

---

(١) تفسير الثعلبي ٧ : ٣٣٣ ، أسباب النزول للواحدي : ٦٨٧/٣٦٣ ، الوسيط للواحدي ٣ : ٤٥٤ نقله عن الشيرازي ، وقتادة ، والقشيري ، ونقل عن الباقر عليه‌السلام وعن أكثر المذكورين ، ابن شهرآشوب في مناقبه ٢ : ١٥ ـ ١٦ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٧٢٩١/٣٢١ في ترجمة نوح بن خلف ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ١٠٤٣/٦١٠ ، أنوار التنزيل ٢ : ٢٣٦ ، تفسير الكشّاف ٥ : ٣٧ ، الاستيعاب ٤ : ١٥٥٤ ، كتاب جمل من أنساب الأشراف ٢ : ٣٨٠ ـ ٣٨١ ، شواهد التنزيل ١ : ٤٤٥ ـ ٦١٠/٤٤٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٦٣ : ٢٣٥ ، تفسير القمّي ٢ : ١٧٠ ، تفسير فرات الكوفي : ٤٤٦/٣٢٨ ، وفي المصادر هكذا : عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس .

(٢) آنفاً .

(٣) تفسير الكشّاف ٥ : ٣٧ .

(٤) سورة الأنعام ٦ : ٣٦ .

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١٥ .

(٦) سورة المطفّفين ٨٣ : ٢٩ .

في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثمّ رجعوا إلى أصحابهم ، فنزلت الآية قبل أن يصل عليٌّ عليه‌السلام إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله [١] . انتهى .

وروى محمّد بن العباس بن مروان بإسنادٍ له عن الصادق عليه‌السلام قال : «إنّ الآية نزلت في عليٍّ عليه‌السلام وفي الذين استهزؤا به من بني أُميّة ، وذلك أنّه [عليه‌السلام] مرّ على قوم من بني أُميّة والمنافقين فسخروا منه» [٢] .

ورواه أيضاً عن عباية بن ربعيّ عن عليٍّ عليه‌السلام [٣] .

وفي رواية الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس قال في الآية : إنّ المراد هو الحارث بن قيس وأُناس معه ، كانوا إذا مرّ بهم عليٌّ عليه‌السلام قالوا : انظروا إلى هذا الذي اصطفاه محمّد ، واختاره من بين أهل بيته ، فكانوا يسخرون ويضحكون ، فإذا كان يوم القيامة فتح بين الجنّة والنار باب ، فعليٌّ عليه‌السلام يومئذٍ على الأرائك متّكئ ويقول لهم : «هلمّوا» فإذا جاؤا يسدّ بينهم الباب ، فهو كذلك يسخر منهم ويضحك ، وهو قوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [٤][٥] .

---

(١) تفسير الكشّاف ٦ : ٣٣٩ .

(٢) نقله عنه شرف الدين في تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١٦/٧٨١ ، والبحراني في تفسير البرهان ٥ : ١١٤٧٨/٦١١ ، وانظر : شواهد التنزيل ٢ : ٣٢٧ ـ ١٠٨٤/٣٢٨ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٠/٣٣٩ نقلاً عن الكنز .

(٣) عنه في تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١٣/٧٨٠ ، وتفسير البرهان للبحراني ٥ : ١١٤٧٥/٦١٠ ، وبحار الأنوار ٣٦ : ٧/٦٦ نقلاً عن الكنز .

(٤) سورة المطفّفين ٨٣ : ٣٤ ـ ٣٦ .

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١٤/٧٨٠ ، تفسير البرهان للبحراني ٥ : ١١٤٧٦/٦١٠ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٩/٣٣٩ نقلاً عن الكنز .

وقد روى مثله محمّد بن العبّاس أيضاً بإسنادٍ له عن مجاهد[١].

وروى الثعلبيّ في تفسيره عن ابن عبّاس: أنّ عبدالله بن أُبيّ وأصحابه تملّقوا مع عليٍّ عليه السلام في الكلام، فقال عليٌّ عليه السلام: «يا عبدالله اتّق الله ولا تنافق، فإنّ المنافق شرّ خلق الله» فقال: مهلاً يا أبا الحسن، والله إنّ إيماننا كإيمانكم، ثمّ تفرّقوا، فقال عبدالله: كيف رأيتم ما فعلتُ، فأثنوا عليه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ الآية[٢][٣].

وفي تفسير مقاتل وغيره عن محمّد بن الحنفيّة أنّه قال في حديثٍ له طويل، خلاصته أنّه قال في الآية: إنّ المنافقين يعني: عبدالله وأصحابه، قالوا: إنّا نحن مستهزؤن بعليٍّ وأصحابه في كلامنا له، فقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٤] يعني: يجازيهم في الآخرة جزاء استهزائهم بعليٍّ عليه السلام[٥].

وقال ابن عبّاس في حديثه: وذلك الاستهزاء من الله أنّه إذا كان يوم القيامة أمر الله الخلق بالجواز على الصراط، فيجوز المؤمنون ويسقط المنافقون في جهنّم، فيقول الله: يا مالك استهزئ بهم، فيفتح مالك باباً في جهنّم إلى الجنّة ويناديهم هاهنا هاهنا فاصعدوا من جهنّم إلى الجنّة، فيسبح المنافقون في نار جهنّم سبعين خريفاً حتّى إذا بلغوا إلى ذلك الباب، وهمّوا بالخروج أغلقه دونهم وفتح لهم باباً إلى الجنّة في موضعٍ آخر، فيناديهم:

---

(١) نقله عنه شرف الدين في تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١٥/٧٨١، والبحراني في تفسير البرهان ٥ : ١١٤٧٧/٦١١، بحار الأنوار ٣٦ : ٨/٦٦.

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٤.

(٣) تفسير الثعلبي ١ : ١٥٥.

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٥.

(٥) نقله ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١١٤ عن تفسيري مقاتل والهذيل، وعن المناقب في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٤٠.

اخرجوا من هذا الباب ، فيسبحون مثل الأوّل حتّى إذا وصلوا إليه أغلقه دونهم ويفتح في موضعٍ آخر ، وهكذا أبد الآبدين[١] .

وقد روى عن ابن عبّاس جمع ، منهم : العِزّ الحنبليّ ، وابن مردويه : أنّ قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾[٢] الآية ، نزلت في عليٍّ عليه السلام وأصحابه[٣] .

وفي رواية ابن مردويه : أنّ ابن عبّاس قال : أوّل من يكسى من حلل الجنّة إبراهيم لخلّته من الله عزّ وجلّ ، ثمّ محمّد صلى الله عليه وآله لأنّه صفوة الله ، ثمّ عليٌّ عليه السلام يزفّ بينهما إلى الجنان ، ثمّ قرأ ابن عبّاس الآية ، وقال : عليٌّ وأصحابه[٤] .

وستأتي آيات من هذا القبيل عن قريب .

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه الحسكاني وغيره عن أبي الطفيل ، عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى : ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[٥] الآية : «أنا ذلك الرجل السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله»[٦] .

وقد رواه جماعة عن الباقر والصادق عليهما السلام[٧] أيضاً .

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١٤ .

(٢) سورة التحريم ٦٦ : ٨ .

(٣) نقله الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٤ .

(٤) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٦ ، والحلّي في كشف اليقين : ٣٧٠ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ٢٩ .

(٦) شواهد التنزيل ٢ : ٨٠٧/١١٩ ، وفيه : عن محمّد بن الحنفيّة عن عليٍّ عليه السلام ، تفسير فرات الكوفي : ٤٩٧/٣٦٥ بتفاوت يسير ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٢٥ ، وفيه : عن الحاكم الحسكاني عن أبي الطفيل .

(٧) الكافي ٨ : ٢٨٣/٢٢٤ ، شواهد التنزيل ٢ : ٨٠٨/١١٩ ، مجمع البيان ٤ : ٤٩٧ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٢٥ ، وفيها : عن الباقر عليه السلام .

وما رواه سفيان بن عيينة، عن الزُّهري، عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[١] قال: نزل في عليٍّ عليه السلام، كان أوّل من أخلص وجهه لله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: مؤمن مطيع، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قول: لا إله إلّا الله، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[٢] والله ما قُتِل عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلّا عليها[٣]. انتهى.

وفي روايةٍ: المراد بالعروة الوثقى ولاية عليٍّ عليه السلام[٤].

وظاهرٌ أنّ كلّ واحدٍ منهما ملازم للآخَر، كما أنّه كذلك أيضاً ما ورد من تفسير العروة الوثقى بعليٍّ عليه السلام وحبّه، ونحو ذلك روى جماعة عن النبيّ صلى الله عليه وآله كما مرّ سابقاً أنّه قال: «من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بحبّ عليّ بن أبي طالب»[٥].

ثمّ منها: ما روي في كتاب المناقب وغيره، عن شريك وأبي حصن وجابر الأنصاري، وعن عليّ بن الحسين والباقر والصادق عليهم السلام أنّهم قالوا في قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[٦]: «أي: في ولاية عليٍّ عليه السلام»[٧].

(١ و ٢) سورة لقمان ٣١: ٢٢.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٣، نهج الإيمان: ٥٤٥ ـ ٥٤٦، شواهد التنزيل ١: ٦٠٩/٤٤٤ بتفاوت.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٣، نهج الإيمان: ٥٤٦.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢١٦/٥٨، معاني الأخبار: ٣٦٨ ـ ١/٣٦٩، وفيه بتفاوت، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٩٣، نهج الإيمان: ٥٤٥، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٨٦/٩٥.

(٦) سورة البقرة ٢: ٢٠٨.

(٧) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١١٦، وفيه: ... عن أبي حفص، تفسير فرات الكوفي: ٣٦/٦٦، تفسير العيّاشي ١: ٣٩٨/٢١٣.

ولا تخفى دلالته على إمامته أيضاً ؛ لأنّ السلم هو التسليم ، فإذا عبّر عن الولاية بالتسليم فإنّما المراد من معناه الإطاعة له ، وهو معنى كونه إماماً ، فافهم .

ومنها : قول الله عزّوجلّ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[١] ، فقد روى نزوله في النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام ؛ حيث زوّجه فاطمة عليها السلام جماعةٌ عديدة ، منهم : الثعلبيّ في تفسيره بإسنادٍ له عن ابن سيرين ، ومنهم : عكرمة ، وأبو مالك ، وغيرهما عن ابن عباس[٢] ، ورواه ابن مردويه[٣] أيضاً .

ولنذكر مضمون خبرٍ من هذه الأخبار ، قال ابن عبّاس رحمه الله : خلق الله آدم وخلق نطفة من الماء بيضاء مكنونة فجعلها في صلب آدم ، ثمّ نقلها من صلبه إلى صلب شيث ، وهكذا إلى إبراهيم عليه السلام ، ثمّ أودعها صلب إسماعيل ، ثمّ أباً فأباً وأُمّا فأمّاً توارثتها كرام الأصلاب ومطهّرات الأرحام حتّى صارت إلى عبدالمطّلب ، ففرّقها نصفين فألقى نصفها إلى صلب عبدالله فولد محمّداً صلى الله عليه وآله ، ونصفها إلى صلب أبي طالب رضي الله عنه فولد عليّاً عليه السلام ، ثمّ ألف الله النكاح بينهما فزوّج عليّاً بفاطمة[٤] ، فذلك هو معنى الآية .

وفي روايةٍ أنّه قال : فعليٌّ من محمّد ومحمّد من عليٍّ ، والحسن

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ : ٥٤ .

(٢) تفسير الثعلبي ٧ : ١٤٢ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٣٧٦ ـ ١٣/٣٧٧ و١٤ ، شواهد التنزيل ١ : ٥٧٣/٤١٤ .

(٣) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٢٢ .

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١٤/٣٧٧ .

والحسين وفاطمة نسب، وعليٌّ الصهر[١].

وفي رواية ابن سيرين: فعليٌّ ابن عمّ النبيّ وزوج ابنته، فكان نسباً وصهراً[٢].

ومنها: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾[٣].

وقوله تعالى حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأَخِرِينَ﴾[٤].

وقوله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٥]، وأمثال هذه الآيات.

قد روى جماعة، منهم: محمّد بن العبّاس بن مروان بإسنادٍ له عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «اسم عليٍّ عليه السلام مذكور في مواضع من القرآن، منها: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾[٦] يعني: عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٧].

قال محمّد بن العبّاس: معنى قوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ أي: جعلنا لهم

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٣٩٤/٢٩٢.
(٢) راجع: الهامش (٢) من ص ٢٧٩.
(٣) سورة مريم ١٩: ٥٠.
(٤) سورة الشعراء ٢٦: ٨٤.
(٥) سورة يونس ١٠: ٢.
(٦) سورة مريم ١٩: ٥٠.
(٧) تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٠/٣٠٤، تفسير البرهان للبحراني ٣: ٦٨٩٣/٧١٧، وانظر: تفسير القمّي ٢: ٥١، وكمال الدين: ٧/١٣٨، ومعاني الأخبار: ١٢٨ - ١٢٩، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٩، وتأويل الآيات الظاهرة ١: ٨/٣٠٤ و٩، وتفسير البرهان للبحراني ٣: ٦٨٨٨/٧١٧ و٦٨٨٩ و٦٨٩٢ و٦٨٩٤.

ولداً ذا لسان صدق ، أي قول صدق ، وكلّ ذي قول صدق فهو صادق ، والصادق معصوم ، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1] ، انتهى .

وروى ابن مردويه بإسنادٍ له عن الصادق عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى : ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأَخِرِينَ﴾[2] : «هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام عُرضت ولايته على إبراهيم عليه السلام فقال : اللّهمّ اجعله من ذرّيّتي ، ففعل الله ذلك»[3] .

أقول : قد ذكر النيسابوري وغيره في تفسير هذه الآية ـ بعد ما ذكروا المشهورَ بين المفسّرين من أنّ المراد الذكر الجميل ـ ما يوافق هذه الرواية ؛ حيث قالوا : وقيل : سأل إبراهيم عليه السلام ربّه أن يجعل من ذرّيّته في آخر الزمان داعياً إلى ملّته ، ففعل ، وهو محمّد صلى الله عليه وآله[4] ، هذا كلامهم .

ووجه الموافقة أنّه لا يخفى أنّ المراد ـ إذا كان كليهما ـ إرادة لكون النبوّة والإمامة معاً في مَنْ يكون من نسله ولكونهما بمنزلة نفس واحدة ، صحّ مضمون التفسير بعليٍّ عليه السلام أيضاً .

هذا ، مع أنّه لا استبعاد في هذا التفسير أيضاً على المشهور ؛ لكون جعل عليٍّ عليه السلام من نسله سبباً لشرفه وذكره بالجميل ، كما هو ظاهر ، فافهم حتّى تعلم أنّه بناءً على الرواية المذكورة تكون الآية الأُولى تفسيراً لهذه

---

(١) نقله عنه شرف الدين في تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٣٠٥/١٠ .

(٢) سورة الشعراء ٢٦ : ٨٤ .

(٣) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٢٠ ، والحلّي في كشف اليقين : ٣٧٨ ، ونهج الحقّ : ١٩٩ .

(٤) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٥ : ٢٧٥ ، التفسير الكبير للرازي ٢٤ : ١٤٩ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٥٨ نقلاً عن النيسابوري .

الآية من حيث ورودها إجابةً لما في هذه الآية من السؤال مع اشتمالها على بيان اسم عليٍّ عليه السلام.

ثمّ لا يخفى دلالتها على العصمة، بل الإمامة أيضاً بنحو ما مرّ في المطلب السابق عند ذكر ما هو بمعناها ويؤيّدها، بل يؤيّد كلٌّ للآخر، أعني قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (١) وأمثاله، هذا.

وقد روى ابن مردويه عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ (٢) الآية، نزلت في عليٍّ عليه السلام» (٣).

وله احتمالان:

أحدهما: كون المراد بـ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ عليّاً عليه السلام.

وثانيهما: أنّ المراد أنّ لعليٍّ عليه السلام من حيث كمال إيمانه قدمَ صدق، أي: منزلة عظيمة رفيعة ثابتة عند ربّه، إلّا أنّ الأوّل أولىٰ وأنسب بالنسبة إلى الآيتين المتقدّمتين.

ويؤيّده أيضاً ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال في هذه الآية: «إنّه الولاية» (٤).

---

(١) سورة التوبة ٩: ١١٩.

(٢) سورة يونس ١٠: ٢.

(٣) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣٢٢، والحلّي في كشف اليقين: ٣٩٤.

(٤) الكافي ١: ٥٠/٣٤٩ (باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية)، تفسير العيّاشي ٢: ١٩٣٩/٢٧٤، بشارة المصطفىٰ: ١٧/٤٠٠، تأويل الآيات الظاهرة ١: ١/٢١٣، بحار الأنوار ٢٤: ٢/٤٠، و٣٦: ٥/٥٨.

وفي روايةٍ أُخرى عنه عليه السلام أنّه قال : «هو رسول الله صلى الله عليه وآله»(١) .

وعن أبي سعيد الخدري أنّ ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ هو شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله(٢) .

وقد علمت آنفاً عدم تنافي هذه التعبيرات ، فلا تغفل .

ثمّ إنّ من الآيات ما روى قوم كثير من المخالف والمؤالف نزولَها في عليٍّ عليه السلام بحيث صار كالمتّفق عليه ، أعني قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلاً لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾(٣) .

فممّن رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس(٤) .

ورواه محمّد بن السائب أيضاً عن أبي صالح عن ابن عبّاس(٥) .

ورواه شريك أيضاً بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن عليٍّ عليه السلام(٦) .

وممّن رواه أيضاً الحافظ أبو نُعيم ، عن ربيعة بن ناجد ، عن عليٍّ عليه السلام(٧) .

---

(١) تفسير القمّي ١ : ٣٠٩ ، تفسير العيّاشي ٢ : ١٩٤٠/٢٧٤ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٧/٥٩ .
(٢) التبيان للطوسي ٥ : ٣٣٣ ، مجمع البيان ٣ : ٨٩ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢ : ٨٧ ، الدرّ المنثور ٤ : ٣٤٢ .
(٣) سورة الزخرف ٤٣ : ٥٧ ـ ٦٠ .
(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٣٩/٥٦٧ .
(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤٠/٥٦٨ .
(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤١/٥٦٨ .
(٧) عنه في خصائص الوحي المبين : ١٢٩/١٨٣ .

وممّن رواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده، فإنّه رواه عن عشرة طُرق، منها: بعدّة طُرق عن ربيعة عن عليّ عليه السلام [١]، ومنها: كذلك أيضاً عن زاذان عن عليّ عليه السلام [٢]، ومنها: عن الشعبي عن علقمة [٣]، ومنها: عن غيرهم [٤].

وممّن رواه أيضاً ابن المغازلي في مناقبه عن عدّة طُرق، منها: عن ربيعة وزاذان عن عليّ عليه السلام [٥].

وممّن رواه الأعمش بإسنادٍ له معتبر عندهم، عن سلمان الفارسي [٦].

ورواه أيضاً ابن مردويه عن عليّ عليه السلام [٧].

وأمّا ما روي عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في ذلك، بل وعن غيرهم من الذرّيّة الطاهرة كلٌّ عن آبائه عن عليّ عليه السلام فكثير جدّاً.

ثمّ إنّه لمّا كان في ألفاظ ما روي اختلاف بحسب النقل إجمالاً وتفصيلاً واختصاراً وإطناباً ونحو ذلك، اكتفينا بنقل ذلك على وجهٍ يشتمل التفصيل مع الإشارة إلى بعض الاختلافات والزيادات التي في بعض

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٣٧٩/٢٥٨ و١٣٨٠، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١٠٨٧/٦٣٩.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١٠٢٥/٦٠٠، وانظر: شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ٨٧٠/١٦٦، والعمدة لابن البطريق: ٣٢٥/٢١١.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٩٧٤/٥٧٥، وانظر: العمدة لابن البطريق: ٣٢٢/٢١٠.

(٤) انظر: فضائل الصحابة ٢: ٩٥١/٥٦٥ و٩٥٢، و١١٤٧/٦٧٢.

(٥) مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي: ٧١ ـ ١٠٤/٧٢ عن ربيعة.

(٦) ورد ذلك في تفسير القمّي ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٧) عنه في المناقب للخوارزمي: ٣٢٤ ـ ٣٣٣/٣٢٥، وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: ٣٨٧، وكشف الغمّة ١: ٣٢١.

الروايات .

وأكثر لفظ الحديث من كلام عليٍّ عليه السلام ، قال : «دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال»[١] .

وفي روايةٍ : «جئتُ إليه ، فقال»[٢] .

وفي رواية غيره : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعثه إلى شعب فأعظم فيه العناء فلمّا أن جاءه قال له[٣] .

وفي رواية ابن عبّاس : أنّ قوماً جاؤا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا : يا محمّد ، إنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى فأحي لنا الموتى ، فقال لهم : «مَنْ تريدون ؟» قالوا : فلان بن فلان ، وإنّه قريب العهد بالموت ، فدعا عليّاً عليه السلام فأصغى إليه بشيءٍ لا نعرفه ، ثمّ قال له : «انطلق معهم إلى قبره وادعه باسمه واسم أبيه» ، فمضى معهم حتّى وقف على القبر فناداه ، فقام الميّت فسألوه ، ثمّ اضطجع في لحده ، فانصرفوا وهُم يقولون : إنّ هذا من أعاجيب بني عبدالمطّلب وأتى عليٌّ عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، فنزلت الآية[٤] .

وفي روايةٍ أُخرى عنه ، وكذا في رواية سلمان : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان جالساً مع أصحابه إذ قال : «يدخل عليكم الساعة نظير عيسى بن مريم في أُمّتي» فدخل عليٌّ عليه السلام[٥] .

---

(١) الأمالي للطوسي : ٤٦٢/٢٥٦ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٦٣ ـ ٨٦٦/١٦٤ . نهج الإيمان : ٤٨٨ ، مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٣٨٠/٢٥٨ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٤٠٣ ـ ٥٣٩/٤٠٤ ، شواهد التنزيل ٢ : ٨٦٠/١٦٠ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٤٠٥ ـ ٥٤٣/٤٠٦ ، وفيه : «الفناء» بدل «العناء» ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٨/٣٢١ .

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤٠/٥٦٨ ، تفسير البرهان للبحراني ٤ : ٩٦٥٣/٨٧٧ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٣/٣١٤ نقلاً عن الكنز .

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٣٩/٥٦٧ ، تفسير القمّي ٢ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

وعلى أيّ تقديرٍ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «يا عليّ ، إنّ فيك شبهاً ـ وفي روايةٍ: مثلاً ـ من عيسىٰ بن مريم ، أبغضه اليهود حتّىٰ بهتوه وبهتوا أُمّه فهلكوا وكفروا ، وأحبّه النصارىٰ حتّىٰ جعلوه إلهاً فهلكوا وكفروا ، واقتصد فيه قوم فنجوا ، ولولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارىٰ في عيسىٰ ابن مريم لقلتُ فيك قولاً لا تمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة» ، ثمّ قال : «يا عليّ ، يهلك فيك رجلان : محبٌّ مُطْرٍ ، ومُبغضٌ مُفترٍ» ، فغضب عدّة من قريش والمنافقون وتشاوروا فيما بينهم ـ وفي روايةٍ : وضحكوا ، وفي روايةٍ : وضجّوا ـ وقالوا : لم يرض محمّد إلّا أن يجعل ابن عمّه مثلاً لبني إسرائيل(١) .

وفي روايةٍ : إلّا أن يجعل عليّاً شبيه عيسىٰ بن مريم(٢) .

وفي روايةٍ : قالوا : ما وجد محمّد لابن عمّه مثلاً إلّا عيسىٰ بن مريم ، يوشك أن يجعله نبيّاً من بعده ، والله إنّ آلهتنا التي كنّا نعبدها في الجاهليّة خير منه(٣) .

وفي روايةٍ : إنّهم قالوا : لعبادة اللّات والعزّىٰ خير من هذا ، فأنزل الله عزّوجلّ الآية(٤) .

وقوله تعالىٰ : ﴿يَصِدُّونَ﴾ أي : يضجّون ، كما هو صريح في روايات مفسِّرة للآية ، منها : رواية ربيعة(٥) ، حتّىٰ أنّ في روايةٍ : أنّ «يضجّون» هي

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥٦٨ ـ ٤٢/٥٦٩ ، تفسير فرات الكوفي : ٤٠٤ ـ ٥٤٠/٤٠٦ و٥٤٢ و٥٤٣ ، تفسير البرهان للبحراني ٤ : ٩٦٥٥/٨٧٨ ، و٩٦٥٧/٨٧٩ .

(٢) انظر : تفسير القمّي ٢ : ٢٨٦ ، وشواهد التنزيل ٢ : ٨٦٠/١٦٠ .

(٣) نهج الإيمان : ٤٨٧ .

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٣٩/٥٦٧ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٢/٣١٤ .

(٥) تفسير فرات الكوفي : ٥٤٠/٤٠٤ ، و٥٤٢/٤٠٥ .

قراءة أُبيّ بن كعب[١] ، بل في رواية سلمان صريح أنّه قال : أنزل الله تعالىٰ : «إذا قومك منه يضجّون» فحرّفوها بـ﴿يَصِدُّونَ﴾ ، وكذا فيها صريح أنّه قال : كان في الآية : «إن عليٌّ إلّا عبد أنعمنا عليه» الآية ، فمحي اسمه عن هذا الموضع ، وفيها أيضاً أنه قال صلى الله عليه وآله : «ثمّ إنّ الله تعالىٰ ذكر بعد هذه الآية خطر أمير المؤمنين عليه السلام فقال : ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٢]» قال : «يعني : أمير المؤمنين عليه السلام»[٣] .

ولا يخفىٰ أنّه بناءً علىٰ هذا التفسير يكون الضمير في قوله : ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ راجعاً إلىٰ عليٍّ عليه السلام إشارةً إلىٰ أنّ رجعته عليه السلام من أشراط الساعة ، وأنّه دابّة الأرض ، كما هو صريح أخبار عديدة ، منها ما سيأتي غير بعيدٍ من رواية جابر : أنّ الآية هكذا : «وإنّ عليّاً لعلم للساعة»[٤] .

ثمّ إنّ في روايةٍ عن الصادق عليه السلام : «أنّ الصدود في العربيّة : الضحك»[٥] ، إلّا أنّ هذا المعنىٰ للصدود ليس بموجودٍ في كتب اللغة المتداولة ، ولعلّه عليه السلام عبّر عن الضجيج الصادر عن الفرح بلازمه .

وقد مرّ[٦] في خبرٍ : أنّهم ضحكوا أيضاً .

ثمّ إنّ في بعض رواية ربيعة : أنّ عليّاً عليه السلام بعد أن ذكر عن النبيّ صلى الله عليه وآله ما مرّ قال : «ألا إنّه يهلك فيّ إثنان : محبّ مفرط يفرط بما ليس فيّ ، ومبغض مفرّط يحمله شنآني علىٰ أن يبهتني ، ألا إنّي لست بنبيّ ولا يوحى

---

(١) تفسير فرات الكوفي : ٥٤٠/٤٠٤ ، و٥٤٢/٤٠٥ .

(٢) سورة الزخرف ٤٣ : ٦١ .

(٣) تفسير القمّي ٢ : ٢٨٦ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ٣١٩ ـ ١٦/٣٢٠ .

(٤) الأمالي للطوسي : ٧٦٠/٣٦٣ .

(٥) انظر : معاني الأخبار : ١/٢٢٠ (باب معنى الصدود) .

(٦) في ص ٢٨٦ .

إلَيَّ ، ولكنّي أعمل بكتاب الله وسُنّة نبيّه ما استطعتُ ، فما أمرتكم من طاعة الله فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتم أو كرهتم»[١] .

وفي بعض روايات أهل البيت عليهم السلام وغيرهم : أنّ حكاية الحارث بن عمرو الفهري المشهورة التي ذكرناها سابقاً في حكاية الغدير من حسده على عليٍّ عليه السلام وغضبه على الله ورسوله صلى الله عليه وآله حتّىٰ قال : اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء[٢] ، كانت عند نزول هذه الآية ، والله أعلم .

هذا خلاصة الخبر المفصّل في حكاية نزول هذه الآية .

وأمّا الأخبار عن عليٍّ عليه السلام وغيره في نزول هذه الآية فيه عليه السلام علىٰ سبيل الإجمال ، وأنّه يهلك فيه اثنان : محبّ مفرط ومبغض مفرّط ، فكثيرة جدّاً ، كما مرّ بعضها في الفصول السابقة .

وأكثر ما رواه المخالفون فإنّما هو علىٰ سبيل الإجمال ، حتّىٰ أنّ أبا نعيم وغيره رووا عن ربيعة أنّه قال : سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول : «فِيّ اُنزلت هذه الآية»[٣] ولم يذكروا التفصيل .

وكذا رووا أنّه قال عليه السلام : «يهلك فِيّ رجلان : محبّ مفرط ، ومبغض مفرّط»[٤] ونحو ذلك من غير ذكر البقيّة .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٣٨٠/٢٥٨ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٢٣ .

(٢) الكافي ٨ : ١٨/٥٧ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٣٨١ ـ ٣٨٢ .

(٣) نقله عن أبي نعيم ، ابن البطريق في خصائص الوحي المبين : ١٢٩/١٨٣ ، تفسير فرات الكوفي : ٥٣٨/٤٠٣ ، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢ : ٨٥٩/١٥٩ .

(٤) ورد هذا الحديث في كتب أهل السنّة بألفاظ مختلفة ، انظر : المصنّف لابن أبي شيبة ١٢ : ٨٤ ، كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٩٨٧/٤٦٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٠١ و٣٠٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ١٠٥ ، و٥ : ٥ ، كنز العمّال ١١ : ٣١٦٤٤/٣٢٦ .

نعم ، نقل بعض منهم ، كابن المغازلي ، والأعمش ، وابن حنبل وأمثالهم بعض التفصيل في الحكاية المذكورة[١] .

وعلى أيّ تقدير دلالة ما ذُكر على كمال جلال شأنه بل صريح إمامته ، لا سيّما إذا لوحظ الخبر مفصّلاً ممّا هو غير خفيّ على الناقد البصير .

ويؤيّد ما ذُكر ملاحظة آخر الآية ؛ حيث قال سبحانه : ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[٢] ، فإنّ فيه إشارة إلى الاستخلاف لعليّ عليه السلام ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿مِنكُم﴾ والله يعلم ، إلّا أنّ الذي أعمى الله بصيرته ، وطبع على قلبه ، فإنّما هو في شقاق ، ألا ترى أنّ جمعاً من المفسّرين ذكروا في الآية احتمالات بعيدة ولم يتوجّهوا إلى نقل هذا الذي ذُكر ؛ لكونه مرويّاً في كتبهم من طُرق عديدة أوثق من المحتملات الغير المستندة إلى خبرٍ أصلاً ، مع أنّ ما ذكرناه أشدّ انطباقاً على مجموع الآية ممّا ذكروه ، ألا ترى إلى جمعٍ آخَر كصاحب الصواعق مثلاً ، كيف موّه في كتابه ؛ حيث قال في موضعٍ منه : لا تتوهّم الشيعة والرافضة أنّهم محبّو أهل البيت ؛ لأنّهم أفرطوا في محبّتهم حتّى جرّهم ذلك إلى تكفير الصحابة وتضليل الأُمّة ، وقد قال عليّ عليه السلام : «يهلك فِيَّ محبّ مفرط يقرظني[٣] بما ليس فِيَّ» وهؤلاء الضالّون الحمقاء أفرطوا فيه ، وفي أهل بيته ، فكانت محبّتهم عاراً عليهم وبواراً .

ثمّ قال : وأمّا أعداؤه فهُم الخوارج ونحوهم من أهل الشام ، لا معاوية

---

(١) المناقب لابن المغازلي : ١٠٤/٧١ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٩٦ وفيه عن الأعمش ، مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٣٧٩/٢٥٨ و١٣٨٠ ، مسند أبي يعلى ١ : ٢٧٤/٤٠٦ ، ذخائر العقبى : ١٦٧ .

(٢) سورة الزخرف ٤٣ : ٦٠ .

(٣) في «م» و«ن» : «يفرطني» بدل «يقرظني» .

ونحوه من الصحابة ؛ لأنّهم متأوّلون ، فلهم أجر وله هو وشيعته أجران .

ثمّ ذكر : أنّ المراد بالشيعة هم أهل السنّة ؛ لأنّهم أحبّوه حيث أمرهم الله ورسوله دون غيرهم ؛ حيث إنّ محبّتهم خارجة عن قانون الشرع ، فهي في الحقيقة العداوة الكبرىٰ ، فهُم أعداؤه حقيقةً[١] .

وله كلام كثير في هذا المقام قد ذكرناه مفصّلاً مع بيان سخافته فيما مرّ في المطلب الأخير من الفصل الرابع ، وسنذكره وكذا كلام غيره مع بيان كذب الكلّ وسخافته في مقالات المقصد الثاني ، لاسيّما الحادية عشرة منه ، فليطالع هناك مَنْ أراد تحقيق الحال علىٰ نهج الاستدلال .

ونقول هاهنا مجملاً أيضاً : إنّ هذا الرجل موّه وتمحّل في بيان المراد بالمحبّ المفرط ، والمبغض المفرّط ؛ لأنّ الذي هو المصرّح به فيما ذكرناه هاهنا وفيما سبق من الأخبار المبسوطة أنّ المحبّ المفرط هو الذي قال بألوهيّته عليه‌السلام وبما يفيد هذا المفاد ممّا مرّ مفصّلاً في الفصل الخامس من الباب الرابع من المقدّمة .

وكفىٰ في توضيح هذا : أنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله إذا قال لعليّ عليه‌السلام أوّلاً : «إنّ لك شبهاً بعيسىٰ» ثمّ ذكر في بيان ذلك : «إنّ عيسىٰ أحبّته النصارىٰ حتّىٰ أفرطوا فيها ، فقالوا بألوهيّته» ، ثمّ قال صلى‌الله‌عليه‌وآله متّصلاً بذلك : «ولولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارىٰ في عيسىٰ لقلت كذا»[٢] (فحينئذٍ هل يُفهم منه)[٣] غير أنّ الخوف من القول بألُوهيّته وما يرجع إليها ، وأنّ له شبهاً بعيسى عليه‌السلام في القول بذلك فيه ؟

---

(١) الصواعق المحرقة : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٢) تقدّم تخريجه في ص ٢٨٦ ، الهامش (١) .

(٣) بدل ما بين القوسين في «ل» : «فهل يُفهم منه حينئذٍ» .

ثمّ إنّه إذا اُلحق بهذا قوله صلى الله عليه وآله : «يهلك فيك رجلان : محبّ مُطْرٍ أو مفرط ، ومبغض مفترٍ أو مفرّط» فلا شكّ في أنّه لا يُفهم من هذا غير أنّ المراد به ما تبيّن ممّا ذكره قبله متّصلاً به مشروحاً من كون الإفراط هو القول بالاُلوهيّة ونحوها ممّا لم يجعله الله له ، كالنبوّة مثلاً ، كما يشعر به أيضاً قول عليّ عليه السلام في حديثه : «ألا إنّي لست بنبيّ ولا يوحىٰ إلَيّ» ، وهذا أيضاً هو معنىٰ قوله عليه السلام في هذا الحديث وغيره : «محبّ مفرط يفرط بما ليس فِيّ» لا ما توهّمه هذا الرجل وموّه فيه من كون المراد القول بإمامته التي ادّعاها هو عليه السلام كراراً ومراراً علىٰ رؤوس الأشهاد من كلام الله ورسوله مقروناً بالبراهين الباهرة التي مرّت وتأتي ، مع ما ينادي بدعواه اختصاص الإمامة [به] بعد النبيّ صلى الله عليه وآله صريحاً نحو ادّعاء عيسىٰ عليه السلام النبوّة بعد موسىٰ عليه السلام كذلك ، وحيث إنّه معلوم واضح أنّ مراد النبيّ صلى الله عليه وآله بأهل الاقتصاد في حديثه المذكور أصحاب القول بنبوّة عيسىٰ عليه السلام ، فكذلك لابُدّ أن يكون أهل الاقتصاد في عليّ عليه السلام مَنْ صدّقه في دعواه الإمامة والخلافة ، كما سيأتي مفصّلاً لاسيّما في الفصل الأخير وبعض مقالات المقصد الثاني ، وكذلك لا يبقىٰ شكّ أيضاً في أنّ المراد بالمبغض المفرّط والمفتري مَن احتذىٰ فيه عليه السلام حذو اليهود في المنازعة مع عيسىٰ عليه السلام ، ومجادلته ، وإظهار بغضه وعداوته ، وارتكاب الافتراء عليه ، وتكذيبه في دعواه النبوّة التي جعلها الله له كما صدر مثله عن جمع من الاُمّة بالنسبة إلىٰ عليّ عليه السلام .

نعم ، اُولئك كذّبوا عيسىٰ عليه السلام في دعوىٰ النبوّة ، وهؤلاء كذّبوا عليّاً عليه السلام في دعوى الإمامة التي جعلها الله له .

وكذلك كان من جملة فرية اليهود علىٰ عيسىٰ عليه السلام الطعن علىٰ اُمّه بالفسوق ، وهؤلاء كان من فريتهم علىٰ عليّ عليه السلام الطعن علىٰ أبيه بالكفر

والشرك، كما مرّ بيانه أيضاً.

وبالجملة، خلاصة التطبيق بناءً علىٰ ما يُفهم من عبارات الروايات وما تحقّق صدوره من الناس هكذا: كما أنّ عيسىٰ عليه‌السلام كان نبيّاً بعد موسىٰ عليه‌السلام بأمر الله ونصّه وتعيينه بالأدلّة والحجج، وكلّ مَنْ قال بهذا ولم يزد في ذلك بحيث يرفعه إلىٰ حدّ الربوبيّة والأُلوهيّة بأيّ نحو كان، وكذا لم ينقصه عن هذه المرتبة بإنكار بعض ما ورد من الله في شأنه، وما أعطاه الله تعالىٰ من التفضيل علىٰ غيره ونحو ذلك لاسيّما مع إظهار العداوة والتكذيب، كان من أهل الاقتصاد والنجاة ـ كما مرّ في الباب الرابع من المقدّمة: أنّ هؤلاء كانوا هُم الفرقة الناجية من فِرَق أُمّة عيسىٰ عليه‌السلام ـ وكذا كلّ مَنْ رفعه عن النبوّة إلىٰ مرتبة الأُلوهيّة أو الاتّحاد معه سبحانه، أو الولديّة له تعالىٰ، وأمثال ذلك كان مفرطاً هالكاً، كما مرّت الإشارة إلىٰ بعض تلك الفِرَق أيضاً في الباب المذكور، وكذا كلّ مَنْ أنكر عليه ما ادّعاه من كونه نبيّاً بأمر الله وتعيينه مرسلاً من الله بالنصّ عليه في كتبه لاسيّما التوراة وبإخبار أنبيائه كان مبغضاً له ومفرّطاً في حقّه، هالكاً من هذه الجهة، لاسيّما الذين أظهروا من اليهود عداوته، وتكذيبه في دعوى النبوّة إلىٰ أن قصدوا قتله، بل قتلوه بزعمهم حين شُبّه لهم، ـ كما مرّ بعض أحوالهم أيضاً ـ فكذلك إنّ عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام كان وصيّاً وإماماً، وأفضل الخلق ومطاعهم بعد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بأمر الله(١) ورسوله، ونصّ منهما، وتعيين بالأدلّة الواضحة من الكتاب والسنّة وغيرهما علىٰ وفق دعواه ودعوىٰ ثقات معه بنحو ما مرّ، ويأتي بيان جميع ذلك مفصّلاً واضحاً، وكذا كلّ مَنْ قال بكونه كذا من غير زيادة شيءٍ يرفعه إلىٰ دعوى أُلوهيّته أو

(١) في «م»: «بأمرٍ من الله».

نحو ذلك ـ كما مرّ بيانه سابقاً ـ وكذا من غير تنقيصٍ له عن هذه المرتبة فهو من أهل الاقتصاد في حقّه ومن الفرقة الناجية ، وكذا كلّ مَنْ رفعه إلىٰ حدّ الربوبيّة ، أو قال فيه بالنبوّة أو نحو ذلك ممّا لم يثبت ادّعاؤه لنفسه ذلك ، فهو غالٍ ومن أهل الإفراط وإن أحبّه غاية المحبّة ، وكذا كلّ مَنْ نقصه عن هذه المرتبة ولو بتفضيل غيره من الصحابة عليه لاسيّما مَنْ نازعه ، بل عاداه صريحاً ، ونصب له الحرب والطعن جهاراً ، فهو من أهل الإفراط والفرية عليه ، بل هو مبغض عدوّ وإن ادّعىٰ خلافه .

فعلىٰ هذا عدّ هذا الرجل من أهل الإفراط : كلّ مَنْ قال في عليٍّ والأئمّة المعلومين من ذرّيّته عليهم السلام ما ادّعاه عليٌّ (عليه السلام وهُم)(١) لأنفسهم بالأدلّة والبراهين من الوصاية والإمامة(٢) والتفضيل على الخلق ، وفرض الطاعة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله من الله ورسوله صلى الله عليه وآله ـ كما ظهر ويظهر سابقاً ولاحقاً ـ عين العصبيّة ، ومحض الدعوىٰ بالاشتهاء ومتابعة الأهواء ؛ ضرورة أنّ مَنْ له مثل هذا الكلام فعليه أن يُبطل أوّلاً دلالة جميع الآيات والروايات وغيرها التي استدلّ الشيعة وأئمّتهم بها على مدّعاهم على نهج ما استدلّوا به من توضيح دلالة عباراتها ومتونها بقرائنها وشهودها بعد تبيان ورودها حتّى عند الخصم ، وإبطال معارضها ولو بالجمع بينهما ونحو ذلك ، ثمّ يوضّح ثانياً ما يدلّ على صحّة مدّعاه وتماميّة ما استدلّ به عليه على هذا النهج أيضاً ، وليت شعري أيّ شيءٍ من ذلك صدر منه غير أنّه يذكر الشيء ويفسّره على ما يشتهيه ويهواه وإن كان صريحاً في خلافه أو باطلاً محضاً في مقابل المعارضات الراجحة ، بل الدلائل القاطعة الواضحة ، ثمّ يقول

---

(١) بدل ما بين القوسين في «ل» : «وذرّيّته المعلومين عليهم السلام» .

(٢) في «م» زيادة : «والخلافة» .

تحكّماً: اقبلوا منّي ما فسّرته علىٰ هواي.

ولقد كفى ما ذكرناه هاهنا سوى ما بيّنّاه في هذا الكتاب من بطلان ما تمسّك به هو ومشايخه، حيث أوضحنا دلالة عبارة الحديث فضلاً عن سائر القرائن على كون المراد بأهل الإفراط والتفريط ما ذكرناه، فلا محالة أنّ الأوسط هو من قال بإمامته التي ادّعاها، وقد أوضحنا أيضاً صحّة نقل دعواه عليه السلام حتّىٰ من كلام الخصم في موضعه.

وهذا الرجل يقول(١) ما مرجعه إلى أنّا لمّا اطّلعنا على أنّ جماعةً من الصحابة اتّفقوا بحسب رأيهم أن يبايعوا أبا بكر وغيره وإن لم يرد نصٌّ من الله ورسوله في ذلك، ولا يتمسّكوا بعليٍّ عليه السلام ولا يتّبعوه ولا يقبلوا دعواه في ذلك وإن ورد من الله ورسوله ما يدلّ بل ينصّ عليه، ورأينا أكثر الناس على موافقتهم فاخترنا نحن ذلك أيضاً؛ ولهذا نحكم ببطلان ما سوى ذلك رأساً من غير ملاحظة أدلّتهم ولو كان قائله عليّ بن أبي طالب، ولا نبالي بما يدلّ على بطلان ما اخترناه ولو كان كالشمس في الظهور، بل ولو كان نصّاً من الله ورسوله، حتّى أنّا نرجّح التمسّك بالآية المتشابهة في الدلالة مهما أمكن فيها ولو بمحض الاحتمال ادّعاء شمولها لما اخترناه على الآية المحكمة التي لم تكن كذلك، لا سيّما إذا كانت صريحة في خلاف ذلك.

نعم، إن طعن أحد في هذا الأمر على مَن ارتكبه من الصحابة ولو بتخطئتهم أو بتركهم الأولىٰ لكان بمنزلة الكافر عندنا، فلأجل محض هذا الرأي حكم بأنّ أهل الإفراط هُم الطائفة الذين تمسّكوا بالثقلين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وقالوا بخلافة عليٍّ عليه السلام، وتقديمه على غيره، ولم يخالفوه في دعواه، ولم يعبأوا في ذلك بالرأي المذكور لاسيّما في مقابل الكتاب والسنّة

(١) في «ل»: «واستمع إلى هذا الرجل حين يقول».

وإن استلزم الطعن على مَن ارتكبه ولو كان من الصحابة ؛ لما هو واضح بحسب الكتاب والسنّة بإقرار الخصم أيضاً من عدم حسن حال جميعهم، ولا صحّة جميع ما صدر منهم، وجعل أهل الاقتصاد كلّ مَنْ هو على مذهبه المذكور، لاسيّما إذا كان منسوباً إلى أحدٍ من المتقدّمين على عليٍّ عليه‌السلام وإن عادىٰ عليّاً عليه‌السلام وكذّبه، بل وإن سبّه وحاربه، وكفى في هذا ما ذكره صريحاً من إخراج معاوية من أهل التفريط، ومعلوم أنّه ليس من أهل الإفراط، فبقي أن يكون هو عنده من أهل الاقتصاد.

وأمّا عائشة وأصحابها فممّا لا شكّ فيه عنده، فتأمّل تفهم بقيّة خبطاته التي منها تمويهه في قوله: حتّى جرّهم ذلك إلى تكفير الصحابة وتضليل الأُمّة ؛ لأنّ مراده إن كان تكفير كلّ الصحابة وتضليل جميع الفِرَق من الأُمّة فواضح كذبه ؛ ضرورة أنّ كلّ فرقةٍ تعتقد عدم ضلالة نفسها ومَنْ وافقها، وهكذا الحال في الصحابة.

وكفى اعتقاد الشيعة بخصوص جماعة كثيرة من الصحابة الذين لم يخالفوا عليّاً عليه‌السلام بعد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله، كما سيأتي في المقصد الثاني.

وإن كان مراده تكفير قوم دون قوم ولو كانوا أكثر، فواضح عدم كون هذا طعناً على الشيعة ؛ لاتّفاق جميع الأُمّة على ثبوت قول النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله: «ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة»[١] الخبر، وقد مرّ في المقدّمة مفصّلاً، وكذا ثبوت إخبار النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بأخذ جماعة من أصحابه يوم القيامة

---

(١) انظر على سبيل المثال: الخصال للصدوق: ١١/٥٨٥، كفاية الأثر: ١٥٥، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٨٩، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٨١٩٤/٦٣٦، سنن ابن ماجة ٢: ٣٩٩١/١٣٢١ و٣٩٩٢، سنن أبي داوُد ٤: ٤٥٩٦/١٩٧، سنن الترمذي ٥: ٢٦٤٠/٢٥.

إلى النار، حتّى ورد أنّ ذلك لأجل ارتدادهم بعد مفارقة النبيّ صلى الله عليه وآله، كما ستأتي الأخبار في المقصد الآتي.

وكفى في هذا حجّةً عليهم قتل أبي بكر مالك بن نويرة رحمه الله وأصحابه[١]، واتّفاق المخالف والمؤالف على ضلالة الخوارج وكفرهم. وكذا غيرهم من قبيل بسر بن أرطاة وأمثاله[٢]، فلا يرد الاعتراض حينئذٍ على مَنْ طعن على قوم تبيّن عنده أنّهم فرّطوا في حقّ عليّ عليه السلام بهذا الحديث وأمثاله، ولو بذكر بعضهم بالخصوص، لا سيّما إذا تبيّن أنّه كان أساس الفساد.

ومن العجائب أنّ هذا الرجل لم يرض أن يجعل من أهل التفريط معاوية وأصحابه الذين صدر منهم قطعاً ما هو صريح في دخول الصادر منه ذلك في أهل التفريط بنصّ الحديث، مع ما هو ثابت معلوم من أذيّات[٣] معاوية، وحربه وسبّه عليّاً عليه السلام وشيعته، مع حسن حال عليّ عليه السلام عند كافّة الأُمّة، وسوء حال مَنْ يعاديه حتّى أنّه قال بدخول الخوارج في ذلك صريحاً ولم يبال بما يرد عليه من عدم فرقٍ بين هذين الاثنين[٤] ما سوى كون معاوية من أنساب عثمان وأصحاب عمر، وكان يبذل مال الله على مَنْ كان من أعوانه ولو لساناً حتّى رسخ في قلوب الأكثر حبّه، وشرعوا في توجيهات أعماله، بل ربّما يرد عليه: أنّ الخوارج كان فيهم أيضاً من

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٠، الاستيعاب ٣: ١٣٦٢/٢٣٠٣، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ٣٥٧.

(٢) الاستيعاب ١: ١٥٧/١٧٤، الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٣.

(٣) في «ل»: «أفعال» بدل «أذيّات».

(٤) في «ل»: «الفريقين» بدل «الاثنين».

الصحابة ، بل مَنْ كان أفقه وأزهد وأقرأ وأعبد من معاوية وأصحابه ، وتوجيه التأويل أيضاً مشترك ، وكذا ورود أحاديث النبيّ ﷺ في ذمّهما كما مرّ ويأتي ، فلا أقلّ من جعلهما من صنفٍ واحد ، ومع هذا كلّه يتحكّم بالطعن والتكفير إن سمع من أحدٍ كلاماً بالنسبة إلى أحدٍ ممّن تقدّم على عليٍّ عليه السلام وإن لم يكونوا مثل عليٍّ عليه السلام في ثبوت حسن الحال وكثرة المدائح وغير ذلك ، كأنّ هذا الحديث لم يرد في عليٍّ عليه السلام ، بل إنّما ورد فيهم .

وهكذا حال قوله في كون الشيعة الذين هُم من أهل الاقتصاد : إنّهم هُم أهل السنّة ؛ لأنّ مراده بأهل السنّة ـ كما مرّ مفصّلاً في محلّه ـ إن كان هو مَن اتّبع الصحابة في ترجيح رأيهم في الخلافة علىٰ مختار الله ورسوله ﷺ وأمرهما ؛ حيث قدّموا علىٰ عليٍّ عليه السلام غيره ، بل أهانوه وأذلّوه بحيث سلّطوا عليه معاوية وأمثاله ، فلا شكّ أنّ هذا من قبيل ترجمة الليل بصفات النهار ، والنهار بصفات الليل ، وإن كان مراده سنّة الله ورسوله ﷺ فمصداقه على الحقّ هُم الذين طعن عليهم ، بل جعلهم أعداءه جهلاً أو تجاهلاً ، كما هو ظاهر .

وقد مرّ تفصيل بعض هذا الكلام وأمثاله في مقدّمة باب نقل المذاهب وغيرها ، ويأتي أيضاً فيما بعد ، لاسيّما في المقالة الحادية عشرة ، فلا تغفل ، والله الهادي .

ثمّ إنّ من الآيات آية النجوى التي لم يعمل بها ـ باتّفاق العامّة والخاصّة ـ ما سوى عليٍّ عليه السلام ، بل فيها الطعن علىٰ عامّة مَنْ سواه ، كما سيظهر .

وهي هذه : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ

﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، إلى قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[(١)].

فقد أجمع المفسّرون على ما رواه جُلّ المحدّثين بأسانيد كثيرة من انحصار العامل بهذه الآية في عليٍّ عليه السلام؛ بحيث يمكن أن يقال بأنّه من المتواترات المسلّمة.

فقد ذكر محمّد بن العبّاس بن مروان في تفسيره سبعين حديثاً من طريق الخاصّة والعامّة، يتضمّن أنّ المناجي للرسول صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام، دون[(٢)] الناس أجمعين[(٣)].

وقد ذكر غيره أيضاً روايات عديدة ونحن هاهنا (نكتفي بذكر)[(٤)] بعض ما انتخبناه منها؛ لصراحتها مع الاختصار على حقيقة الحال والحكاية؛ إذ لا حاجة إلى الإطالة؛ لفقدان المنكِر.

أورد الثعلبي والواحدي وغيرهما من علماء التفسير: أنّ الأغنياء أكثروا مناجاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وغلبوا الفقراء على المجالس عنده، حتّى كره النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك، واستطال جلوسهم وكثرت مناجاتهم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ﴾ الآية، فأُمروا بالصدقة أمام المناجاة، فأمّا أهل العسرة فلم يجدوا، وأمّا الأغنياء فبخلوا، وخفّ ذلك على النبيّ صلى الله عليه وآله، وخفّ ذلك الزحام، وغلب على حبّهم للنبيّ[(٥)] صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة المجادلة ٥٨: ١٢ و١٣.

(٢) في «م» زيادة: «غيره من».

(٣) عنه في تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٦٧٤، وتفسير البرهان للبحراني ٥: ١٠٥٨٢/٣٢٦، وبحار الأنوار ٣٥: ٣٨١.

(٤) بدل ما بين القوسين في «ن»: «نذكر».

(٥) في «م»: «النبيّ».

والرغبة في مناجاته حبّ الحطام ، فنزلت الآية التي بعدها ، راشقةً لهم بسهام الملام ، ناسخةً بحكمها ؛ حيث أحجم مَنْ كان دأبه الإقدام إلّا عليّ عليه السلام[1].

ثمّ ذكروا ما سيأتي من فعله عليه السلام في ضمن الأخبار ، حتّى نقلوا عن ابن عمر أنّه قال : ثلاث كُنّ لعليّ عليه السلام لو أنّ لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إلَيَّ من حُمر النعم : تزويجه بفاطمة ، وإعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى[2].

فمن الأخبار ما رواه رزين العبدري في الجمع بين الصحاح الستّة ، وابن المغازلي في مناقبه ، والثعلبي في تفسيره ، والحافظ أبو نُعيم ، وغيرهم ، عن مجاهد ، قال : قال عليّ عليه السلام : «إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، وهي آية النجوى ، إنّه كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم ، فجعلت أُقدّم بين يدي كلّ نجوة أُناجيها النبيّ صلى الله عليه وآله درهماً ، حتّى فنيت»[3].

---

(١) تفسير الثعلبي ٩ : ٢٦١ ، أسباب النزول للواحدي : ٧٩٦/٤٣٢ ، المحرّر الوجيز ١٥ : ٤٥٢ ، زاد المسير ٨ : ١٩٥ ، التفسير الكبير للرازي ٢٩ : ٢٧١ ، تفسير غرائب القرآن ٦ : ٢٧٥ ، الدرّ المنثور ٨ : ٨٤ .

(٢) الطرائف ١ : ٣٣/٥٧ ، تفسير الثعلبي ٩ : ٢٦٢ ، فضائل الطالبيّين : ١٨٨ ، الكشّاف للزمخشري ٦ : ٦٨ ، المناقب للخوارزمي : ٢٦٣/٢٧٧ ، خصائص الوحي المبين : ١١٣/١٦٤ ، مطالب السؤول : ١٢٧ ، تفسير القرطبي ١٧ : ٣٠٢ ، تفسير غرائب القرآن ٦ : ٢٧٦ .

(٣) المناقب لابن المغازلي : ٣٧٣/٣٢٦ ، تفسير الثعلبي ٩ : ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، الوسيط للواحدي ٤ : ٢٦٦ ، أسباب النزول للواحدي : ٧٩٧/٤٣٢ ، الطرائف ١ : ٣٣/٥٧ ، شواهد التنزيل ٢ : ٢٣١ ـ ٩٥١/٢٣٢ و٩٥٢ ، و٩٥٧/٢٣٦ ، و٢٣٧ ـ ٩٦٠/٢٣٨ و٩٦١ .

وفي روايةٍ: فشقّ ذلك على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال المنافقون: ما باله ما يبخس لابن عمّه، قال: فنسخت بقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١)(٢).

وفي روايةٍ: «فكنتُ أوّل مَنْ عمل بهذه الآية، وآخر مَنْ عمل بها، فلم يعمل بها أحد قبلي ولا بعدي»(٣).

وفي روايةٍ أُخرى أنّه عليه السلام قال أيضاً: «وبي خفّف الله عن هذه الأمّة أمر هذه الآية»(٤).

وقد روى مثلَ هذا المضمون عنه عليه السلام أيضاً ابنُ مردويه بأربع طُرق، منها: عن مجاهد عنه عليه السلام، ومنها: عن سالم بن أبي الجعد عنه عليه السلام(٥) أيضاً.

ورواه السدّي أيضاً عن عبد خير عنه عليه السلام(٦).

وقد روى أبو نُعيم والثعلبي أيضاً، وكذا الترمذي في جامعه نحو هذا عن علقمة الأنماري يرفعه إلى عليٍّ عليه السلام هكذا: «بي خفّف الله عن هذه الأمّة؛ لأنّ الله امتحن الصحابة بهذه الآية، فتقاعسوا(٧) عن مناجاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان قد احتجب في منزله من مناجاة كلّ أحدٍ إلّا مَنْ تصدّق بصدقة، وكان معي دينار فتصدّقتُ به فكنتُ أنا سبب التوبة من الله على

---

(١) سورة المجادلة ٥٨ : ١٣.

(٢) شواهد التنزيل ٢ : ٢٣٥ ـ ٩٥٦/٢٣٦، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥/٦٧٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥/٦٧٣، شواهد التنزيل ٢ : ٢٣٥ ـ ٩٥٦/٢٣٦.

(٤) الطرائف ١ : ٣٣/٥٧، العمدة لابن البطريق : ٢٨٣/١٨٥، و٢٨٧/١٨٦، خصائص الوحي المبين : ١١٢/١٦٤، و١١٦/١٦٥، نهج الإيمان : ٦٠٣.

(٥) كما في الطرائف ١ : ٣٦/٥٨.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥/٦٧٣.

(٧) تقاعس : تأخّر. لسان العرب ٦ : ١٧٧، مادّة ـ قعس ـ.

المسلمين حين عملتُ بالآية ، ولو لم يعمل بها أحد لنزل العذاب؛ لامتناع الكلّ من العمل بها»[١] .

وفي رواية الخوارزمي وغيره عن عامر بن واثلة وغيره ـ كما يأتي تماماً في الختام ـ: أنّ علياًعليه‌السلام قال ـ يوم الشورى في خلافة عثمان محتجّاً على الحاضرين من الصحابة ـ: «أُنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله عشر مرّات قدّم بين يدي نجواه صدقة غيري؟» قالوا : اللّهمّ لا[٢] .

ومن الأخبار ما رواه السدّي ، عن أبي مالك ، عن ابن عبّاس . والحافظ أبو نُعيم ، والكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ، قال في هذه الآية : إنّ الله تعالى حرّم كلام رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في الخلاء ـ وفي روايةٍ : لأنّه شقّ ذلك عليه من إكثار الناس بذلك ـ ففرض على مَنْ أراد أن يكلّمه سرّاً أن يتصدّق بشيءٍ ـ وفي روايةٍ : بدرهم قبل كلامه ـ ثمّ يكلّمه بما يريد ، فكفّ الناس عن كلام النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله سرّاً ، وبخلوا أن يتصدّقوا ، فتصدّق عليٌّ عليه‌السلام بدينارٍ كان له ، فباعه بعشرة دراهم في عشر كلمات سألهنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره ، وبخل أهل الميسرة أن يفعلوا ذلك ، وتكلّم المنافقون ، ثمّ ذكر ابن عبّاس خلاصة معنى الآية إلى آخرها[٣] .

وفي الجمع بين الصحاح الستّة قال أبو عبدالله البخاري : قوله تعالى :

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٧/٦٧٥ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٨٥ ـ ٨٦ ، وفي تفسير الثعلبي ٩ : ٢٦٢ ، وسنن الترمذي ٥ : ٤٠٦ ـ ٣٣٠٠/٤٠٧ صدر الحديث .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٣١٤/٣١٣ ، الأمالي للطوسي : ٥٤٥ ـ ١١٦٨/٥٤٦ ، المناقب لابن المغازلي : ١٥٥/١١٢ .

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٦٧٣ ـ ٦/٦٧٤ ، خصائص الوحي المبين: ١٠٩/١٦٣، إعلام الورى ١ : ٣٧١ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٠/٣٨٢ .

﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[١] نسختها آية ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[٢] قال عليٌّ عليه السلام: «ما عمل بهذه الآية غيري، وبي خفّف الله عن هذه الأمّة أمر هذه الآية»[٣].

إذا عرفت هذا، فاعلم أيضاً أنّ البيضاوي عند تفسير هذه الآية قال: وفي هذا الأمر تعظيم الرسول، وانتفاع الفقراء، والنهي عن الإفراط في السؤال، والميز بين المؤمن المخلص والمنافق، ومحبّ الآخرة ومحبّ الدنيا.

ثمّ قال: واختلف في أنّه للندب أو للوجوب، لكنّه منسوخ بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ وهو وإن اتّصل به تلاوةً لكن لم يتّصل به نزولاً.

قال: وعن عليٍّ عليه السلام: «إنّ في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدّقتُ بدرهم».

ثمّ قال: وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره، فلعلّه لم يتّفق للأغنياء مناجاة في مدّة بقائه؛ إذ روي أنّه لم يبق إلّا عشراً، وقيل: إلّا ساعة[٤]. انتهى.

وقد اعتذر القاضي عبدالجبّار أيضاً: بتجويز عدم اتّساع الوقت لذلك[٥].

وقال الرازي: سلّمنا أنّ الوقت قد وسع إلّا أنّ الإقدام على هذا العمل ممّا يضيّق قلب الفقير الذي لا يجد شيئاً وينفّر الرجل الغنيّ، فلم يكن في

---

(١) سورة المجادلة ٥٨ : ١٢.

(٢) سورة المجادلة ٥٨ : ١٣.

(٣) عنه ابن طاووس في الطرائف ١ : ٣٤/٥٨، بحار الأنوار ٣٥ : ٥/٣٧٩.

(٤) أنوار التنزيل ٣ : ٣٨٣، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٨٣.

(٥) عنه الرازي في تفسيره ٢٩ : ٢٧٢، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٨٤.

تركه معرّة[١]؛ لأنّ الذي يكون سبب الأُلفة أولى ممّا يكون سبباً للوحشة ، قال : وأيضاً إنّ الصدقة عند المناجاة واجبة ، وأمّا المناجاة فليست بواجبة ولا مندوبة ، بل الأولى ترك المناجاة كما بيّنّا من أنّها لو كانت سبباً لسآمة النبيّ صلى الله عليه وآله[٢] .

أقول : لا يخفى أوّلاً : إنّ في هذه الآية تنويهاً عظيماً بذكر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وإثباتاً لكونها منقبة له خاصّة؛ لأنّ الله سبحانه لم يجعل لهذه الصدقة حدّاً مقدّراً حتّى يقال : إنّ ذلك كان ممّا يتأتّى من الموسر دون الفقير المعسر ، بل إنّما جعل ذلك بحسب الإمكان على الموسع قدره وعلى المقتر قدره؛ بحيث لو أراد أكثر أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه العمل بذلك لقدروا عليه ، ولم يكن ذلك متعذّراً عليهم؛ إذ قد كان يتحقّق مصداق الصدقة حتّى بشقّ تمرة ، فقد كان لكلّ مؤمن طريق إلى العمل بهذه الآية لا سيّما من كان له أدنى يُسر ، فَتَرْكُ الكلّ غير عليٍّ عليه السلام وحده ، لاستعمال هذه الآية دليل على أنّ الله تعالى جعلها منقبةً له خاصّة يتميّز بها عن غيره ، كما يدلّ عليه تمدّحه هو بها وبفعلها ، وبأنّ غيره لم يفعلها ، كما مرّ صريحاً في كلامه عليه السلام .

ويزيده بياناً وإيضاحاً أنّ النسخ لهذا الحكم إنّما حصل عقيب فعل عليٍّ عليه السلام ؛ إذ هو مُشعر بأنّ الحكمة في نزولها إظهار اختصاصه بهذه المنقبة .

هذا كلّه ، مع دلالتها على غاية حبّه للرسول صلى الله عليه وآله ، وزهده في الدنيا ، وإيثاره الآخرة عليها ، ومسارعته في الخيرات والطاعات وأمثال ذلك ممّا

---

(١) في «م» و«ن» : «مضرّة» .

(٢) التفسير الكبير للرازي ٢٩ : ٢٧٢ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٨٤ .

ينادي بكونه أفضل من غيره ، وأحقّ بالإمامة ، وهذا بحمد الله واضح .

ثمّ لا يخفى ثانياً : إنّ فيها أيضاً ما ينادي بنقصٍ عظيم ، بل جرم جسيم ، وعار وبوار لمن سواه لا سيّما أكابر الصحابة ؛ لتقصيرهم ـ كما بيّنّا آنفاً ـ في هذا الأمر الحقير الذي كان يتأتّى بأقلّ من درهم ، بحيث اختاروا مفارقة الرسول ﷺ ، وتركوا صحبته الشريفة لذلك ، بل إنّ تقصيرهم في مثل هذا يدلّ على تقصيرهم في الطاعات الجليلة ، والأُمور العظيمة بطريق أولى ، فكم [فرق] ما بين مَنْ يبذل نفسه لرسول الله ﷺ لتحصيل رضاه ـ كما فعل عليٌّ عليه السلام ليلة المبيت وغيرها ، بل في الحروب كلّها ـ وبين مَنْ يبخل بدرهم لإدراك سعادة نجواه؟ بل ربّما يقال : إنّ ترك إنفاقهم يدلّ على نفاقهم ، كما اعترف به البيضاوي في أوّل كلامه الذي نقلناه آنفاً[1] .

هذا ، مع ما في الآية من صريح معاتبة الله تعالى التاركين لذلك بقوله : ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ﴾ ، وقوله : ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[2] الآية ، ومع ما في الأخبار الّتي ذكرناها ، بل في كلام الثعلبي والواحدي وغيرهما[3] أيضاً من التصريح بالعيب والذمّ والبُخل وصدور التقصير من غير عليٍّ عليه السلام في ذلك .

وهذا أيضاً أمر واضح على كلّ مَنْ نظر بعين الإنصاف وترك الاعتساف ، إلّا أنّه لا يخفى ثالثاً : إنّ التعصّب والعناد كثيراً مّا يوجب التكلّم بما هو ظاهر الفساد ، ألا ترى إلى ما اعتذر به القاضي أخيراً لتوجيه تقصير المقصّرين لئلّا يلزم الاعتراض أو النقص لا سيّما على مَنْ قدّموه على

---

(١) في ص ٣٠٢ .

(٢) سورة المجادلة ٥٨ : ١٣ .

(٣) انظر : ص ٢٩٨ .

عليٍّ عليه السلام ، بل فضّلوه عليه أيضاً من إظهار احتمال كون الأمر للندب أوّلاً ، ومعلوم أنّه مع كونه غير حاسمٍ لمادّة الاعتراض ممّا ينادي بخلافه قوله تعالى : ﴿وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ ومن توجيه عدم اتّفاق ذلك لغير عليٍّ عليه السلام ، مع عدم خفاء بعده من سياق الآية وصريح الأخبار ، ومخالفته لما يدّعون من بذلهم الأموال الجزيلة في سبيل الله كيف يصبر أو لا يقدر مثل من يبذل تلك الأموال الجزيلة على إنفاق درهم أو بعض درهم ، بل شقّ تمرة لا سيّما في مدّة عشرة أيّام كما ذكره أكثر مفسّريهم كالزمخشري وابن المرتضى[(١)] وغيرهما[(٢)] .

وأعجب من هذا توجيه عبدالجبّار بما مرّ من تجويز عدم اتّساع الوقت لذلك ، فإنّه مع استحالته في نفسه عند الأكثر كما صرّحوا به في مبحث النسخ[(٣)] ، يدفعه ذكر التوبة والتوبيخ الصريح كلّ واحدٍ في صدور التقصير ، وتنافيه أكثر[(٤)] الروايات الواردة في بيان هذه الآية ؛ لصراحة أكثرها على أنّ عليّاً عليه السلام ناجاه عشر مرّات قبل النسخ[(٥)] ، مع قطع النظر عن رواية عشرة أيّام .

---

(١) كذا في النسخ ، والظاهر أنّه تصحيف البيضاوي .

(٢) انظر : تفسير الكشّاف ٦ : ٦٨ ، والتفسير الكبير للرازي ٢٩ : ٢٧١ ، وتفسير القرطبي ١٧ : ٣٠٣ ، وتفسير غرائب القرآن ٦ : ٢٧٥ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٣ : ٣٨٤ ، وعنهم المجلسي في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٨٤ .

(٣) انظر : أُصول الفقه للجصّاص ٢ : ٢٣١ ، والمعتمد ١ : ٤٠٧ ، وشرح اللّمع ١ : ٤٨٥ ، والتبصرة للشيرازي : ٢٦٠ ، والبرهان للجويني ٢ : ١٤٣٢/٨٤٩ .

(٤) في «م» زيادة: «الأخبار و» .

(٥) تفسير فرات الكوفي : ٦١٤/٤٦٩ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٨٥ ، نهج الإيمان : ٦٠٤ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥/٦٧٣ ، شواهد التنزيل ٢ : ٩٥٦/٢٣٥ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٣٨٤ .

وأفحش من كلام كليهما ما مرّ[١] من خبط الرازي الناصبيّ؛ إذ لا أظنّ عاقلاً يفهم من كلامه هذا سوى الحميّة الجاهليّة، إذ قد عميت عينه أوّلاً عن صريح قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾، وقوله: ﴿فَإِن لَمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عمّا عاتب الله تعالى التاركين لذلك بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ الآية، وقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[٢].

وثانياً: عن افتخار عليٍّ عليه السلام بذلك لا سيّما في مواضع عديدة؛ إذ على ما زعمه هذا الرجل كان اللّازم على عليٍّ عليه السلام الاعتذار، لا الافتخار.

وثالثاً: عن سائر ما تنادي به الأخبار لا سيّما ما مرّ[٣] من تمنّي عبدالله ابن عمر.

ورابعاً: عن أنّه وإن فرض أنّ الإقدام على هذا العمل ممّا يضيّق قلب فقيرٍ لا يقدر على الإنفاق، فهو ممّا يوسّع قلب فقيرٍ آخر يصل إليه هذا المال ويسرّه.

وخامساً: عن أنّ الأُنس برسول ربّه يجبر وحشة ذلك الغنيّ المطبوع على قلبه.

ثمّ إنّه لم يتفطّن من شدّة عناده بأنّ دعواه أولويّة الترك ـ كما ذكره صريحاً ـ بل كون عدم الترك مفسداً ـ كما أشار إليه ضمناً ـ اعتراض على الله في بعث هذا الحكم والخطاب حتّى مع الترغيب إليه كما ظهر، بل ربّما تفطّن ولم يبال بنسبة الخطأ إلى ربّ الأرباب بعد أن أسقط بزعمه عن صنمه اللّوم والعتاب، إنّ هذا لشيء عجاب.

---

(١) في ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٢) سورة المجادلة ٥٨: ١٢ و١٣.

(٣) في ص ٢٩٩.

وكأنّه لوضوح كمال تعصّبه في هذا الباب تعرّض النيسابوري أيضاً للجواب ؛ حيث قال : هذا الكلام لا يخلو من تعصّب ، ومن أين يلزمنا أن نثبت مفضوليّة عليٍّ عليه السلام في كلّ خصلةٍ ؟ ولِمَ لا يجوز أن تحصل له فضيلة لم توجد لغيره من أكابر الصحابة؟ ثمّ ذكر رواية ابن عمر وتمنّيه ثبوت هذه الفضيلة له ، ثمّ قال : وهل يُجوّز منصف كون مناجاة النبيّ صلى الله عليه وآله منقصة ؟ على أنّه لم يرد في الآية النهي عن المناجاة ، وإنّما ورد تقديم الصدقة على المناجاة ، فمن عمل بالآية حصلت له الفضيلة من جهتين : من جهة سدّ خلّة بعض الفقراء ، ومن جهة محبّة نجوى الرسول صلى الله عليه وآله ؛ لما فيها من القرب منه وحلّ المسائل الغامضة ، وإظهار أنّ نجواه أحبّ إلى المناجي من المال(١) . انتهى .

فتأمّل حتّى تعلم أنّ عادة هؤلاء القوم أنّهم لا يبالون في ترويج ما يريدون التكلّم بأيّ نوعٍ كان ولو بكلام ظاهر العصبيّة ، لا سيّما فيما يدلّ على فضيلة كاملة لعليٍّ عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام ، أو على منقصة لأحدٍ من أعدائه لا سيّما مَنْ تقدّم عليه ، وقد أشار النيسابوري في كلامه هذا إلى ما يرشد إلى ما ذكرناه ، فافهم ، والله الهادي .

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه الحافظ أبو نُعيم بإسناده عن أبي داوُد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾**(٢) أتدري مَنْ هُم يا بن سُليم ؟» قلت : مَنْ هُم يا رسول الله ؟ قال : «نحن أهل البيت

---

(١) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٦ : ٢٧٦ .

(٢) سورة الرعد ١٣ : ٢٨ .

وشيعتنا»(١).

وما رواه الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾(٢) قال: ﴿ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٣).

وعنه أيضاً، عن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾(٤): أي: مَنْ ترك ولاية عليّ عليه السلام أعماه الله وأصمّه عن الهدى(٥).

وقد روي مثلهما عن الباقر عليه السلام أيضاً، إلّا أنّ فيه أنّه قال: «أي مَنْ أعرض عن عليّ عليه السلام»(٦).

وقد مرّ غير مرّة أنّه لا منافاة بين التفسير بعليّ عليه السلام والتفسير بولايته عليه السلام ونحو ذلك.

وفي كتاب المناقب نقلاً من كتاب ابن رميح(٧)، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ

---

(١) عنه في خصائص الوحي المبين: ١٤١/١٩٥، بتفاوت يسير، والمجلسي في بحار الأنوار ٢٣: ١٨٤ نقلاً عن المستدرك لابن البطريق، و٣٥: ٢٩/٤٠٥ في ذيل الحديث، وفيهما: «يابن أمّ سُليم».

(٢) سورة الجنّ ٧٢: ١٧.

(٣) تفسير فرات الكوفي ٦٦٩/٥١٢، تفسير القمّي ٢: ٣٩٠، شواهد التنزيل ٢: ١٠٣٥/٢٩٠.

(٤) سورة طه ٢٠: ١٢٤.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ٣٥٦/٢٦٠، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١١٧، شواهد التنزيل ١: ٥٢٥/٣٧٩.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٦/٧٢٩.

(٧) لعلّه أحمد بن رميح المروزي، له إثبات الوصيّة لأمير المؤمنين عليه السلام، في كتاب ذكر قائم آل محمّد عليه السلام. انظر: معالم العلماء: ١١٧/٢٤.

﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾[١] قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ، يعني : أنّ الضمير راجع إليه ، وقال في قوله تعالى : **﴿ذِكْراً * رَسُولاً﴾**[٢] : ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله ذكرٌ من الله ، وعليٌّ عليه السلام ذكرٌ من محمّد صلى الله عليه وآله ، كما قال : **﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَومِك﴾**[٣][٤].

وسيأتي غير بعيدٍ خبر في بيان **﴿إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ﴾** بنحو ما في هذا الخبر.

أقول : لا يخفى أنّ هذا من شواهد ما رواه الإماميّة بأسانيدهم المستفيضة عندهم عن الأئمّة عليهم السلام من أنّ المراد بأهل الذكر في قوله تعالى : **﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[٥] آل محمّد عليهم السلام[٦]، حتّى في حديثٍ : «الذكر محمّد ونحن أهله»[٧].

وقد روى الثعلبي أيضاً في تفسيره موافقاً لهم حيث قال : قال جابر الجعفي : لمّا نزلت آية **﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[٨] قال عليٌّ عليه السلام : «نحن أهل الذكر»[٩].

---

(١) سورة ص٣٨ : ٨٦ و٨٧.

(٢) سورة الطلاق ٦٥ : ١٠ و١١.

(٣) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٤.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١٧ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ١٩/٤٠٣.

(٥) سورة النحل ١٦ : ٤٣ ، سورة الأنبياء ٢١ : ٧.

(٦) بصائر الدرجات : ١٥/٦١ و١٨ و١٩ (باب في أئمة آل محمّد عليهم السلام أنّهم أهل الذكر)، وانظر الكافي ١ : ٤/١٦٤ (باب أنّ أهل الذكر...)، تفسير فرات الكوفي : ٣١٦/٢٣٥.

(٧) بصائر الدرجات : ١١/٦٠ (باب في أئمّة آل محمّد عليهم السلام ...) ، الكافي ١ : ٢/١٦٤ (باب أنّ أهل الذكر . . .) ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١/٢٣٩ ، بحار الأنوار ٢٣ : ٢٥/١٧٩ نقلاً عن بصائر الدرجات.

(٨) سورة النحل ١٦ : ٤٣ ، سورة الأنبياء ٢١ : ٧.

(٩) تفسير الثعلبي ٦ : ٢٧٠.

بل رواه الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازي أيضاً صريحاً عن ابن عبّاس أنّه قال في هذه الآية: «أهل الذكر» هُم أهل البيت: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أهل العلم والبيان، هُم أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة[١].

وقد رواه أيضاً من طريقٍ آخَر عن سفيان الثوري، عن السدّي، عن الحارث الهمداني بأتمّ من هذه الألفاظ[٢].

وعلى هذا يكون الأمر بالسؤال بمنزلة النصّ على إمامته، لا سيّما مع التقييد بكونه أهل الذكر، ولا أقلّ من كون المراد بالذكر القرآن، كما هو مفاد ما مرّ من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٣] حتّى لو فرض صحّة كون المراد بالذكر التوراة كما قيل[٤] أيضاً، فعلمه أيضاً كان عنده، على أنّ الشهرستاني ذكر في تفسيره مفاتيح الأسرار عن الصادق عليه السلام: أنّ رجلاً قال له: إنّ من عندنا يقولون في قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ الآية: إنّ الذكر التوراة، وأهله علماء اليهود، فقال [عليه السلام]: «والله إذاً يدعوننا إلى دينهم، بل والله نحن الذكر»[٥].

وقد رواه غيره أيضاً حتّى أصحابنا[٦].

وعلى هذا كلّه فظاهر إنّ جعله مرجع الأمّة في سؤالاتهم صريح في

---

(١) عنه في الطرائف ١: ١٣١/١٣٧، وتفسير البرهان للبحراني ٣: ٤٢٨ - ٦٠٥١/٤٢٩ بتفاوت، والتستري في إحقاق الحقّ ١٤: ٣٧٥.

(٢) كما في الطرائف ١: ١٣٧، ذيل ح١٣١.

(٣) سورة الرعد ١٣: ٤٣.

(٤) تفسير الطبري ١٤: ٧٥، التفسير الكبير للرازي ٢٠: ٣٦.

(٥) مفاتيح الأسرار: ١٩٩، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ١٧٢.

(٦) الكافي ١: ٧/١٦٥ (باب أنّ أهل الذكر . . .)، تفسير البرهان للبحراني ٣: ٦٠٣٣/٤٢٤.

لزوم الاتّباع ، فتأمّل ولا تغفل عن احتمال كون المراد في الخبر الأوّل أيضاً تفسير ذكر الله بمحمّد صلى الله عليه وآله وعليّ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ، وتفسير المؤمنين المطمئنّين به بشيعتهم .

وبالجملة ، دلالة هذه الآيات كلّها كالنصّ على إمامته ، بل إمامة ذرّيّته الأعلمين عليهم السلام ، فافهم .

ثمّ إنّه منها : ما رواه الواحدي في كتاب الوسيط ، وكذا في أسباب النزول عن عطاء أنّه قال في قوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ﴾[١] الآية : نزلت في عليٍّ وحمزة عليهما السلام ، ثمّ قال : والمراد في قوله تعالىٰ : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾[٢] أبو جهل وولده[٣] .

ومثله قال البيضاوي وغيره ، إلّا أنّهم قالوا : ونزلت تتمّة الآية في أبي لهب وولده[٤] .

وما رواه مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ : أبو جهل ، ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ أمير المؤمنين ، ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ﴾ أبو جهل ، ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ أمير المؤمنين ، ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ﴾ يعني : ظلّ عليٍّ عليه السلام في الجنّة ، ﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ يعني : جهنّم ، قال : ثمّ جمعهم جميعاً فقال : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ﴾ عليّ عليه السلام ، وحمزة ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة ،

(١و٢) سورة الزمر ٣٩ : ٢٢ .

(٣) الوسيط ٣ : ٥٧٧ ، أسباب النزول للواحدي : ٧٢٥/٣٨٣ وفيه : «أبو لهب» بدل «أبو جهل» .

(٤) أنوار التنزيل ٣ : ١٨٦ ـ ١٨٧ ، المحرّر الوجيز ١٤ : ٧٦ ، تفسير القرطبي ١٥ : ٢٤٨ .

وخديجة عليهم السلام ، ﴿وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ (١) كفّار مكّة (٢) .

والأخبار من أئمّة أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب كثيرة لا سيّما في تفسير النور بعليّ عليه السلام والأئمّة عليهم السلام ، وبولايتهم ، وبالإمام ، والهادي (٣) ، ونحو ذلك ، حتّى ورد «نحن نور لمن تبعنا ، ونور لمن اقتدى بنا» (٤) الخبر .

وورد أنّهم عليهم السلام قالوا في قوله تعالى : ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ (٥) : الميّت هو الذي لا يعرف الإمام ، وفي قوله : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً﴾ (٦) أي : إماماً يأتمّ به ، قال الباقر عليه السلام : «يعني عليّ بن أبي طالب» (٧) .

وورد في قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ (٨) أي : يريدون أن يطفئوا ولاية عليّ وأهل بيته الأئمّة عليهم السلام (٩) .

وأمثال ذلك في رواياتهم لا تحصى .

منها : ما رواه جمع عن الباقر عليه السلام أنّه قال : «نزل جبرئيل على

---

(١) سورة فاطر ٣٥ : ١٩ ـ ٢٢ .

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩٨ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥/٤٨٠ ، تفسير البرهان للبحراني ٤ : ٥٤٤ ، شواهد التنزيل للحسكاني ٢ : ٧٨١/١٠١ .

(٣) الكافي ١ : ١/١٥٠ ـ ٦ (باب أنّ الأئمّة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ) و٩١/٣٥٨ (باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية) ، تفسير القمّي ٢ : ١٠٥ و١٠٦ ، بحار الأنوار ٢٣ : ٣٠٨ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ٣٨٤/٢٨٣ ، وانظر : تفسير القمّي ٢ : ١٠٤ .

(٥و٦) سورة الأنعام ٦ : ١٢٢ .

(٧) تفسير العيّاشي ٢ : ١٤٨٥/١١٧ ، وعنه في تفسير البرهان للبحراني ٢ : ٣٦٤٩/٤٧٦ .

(٨) سورة الصفّ ٦١ : ٨ .

(٩) الكافي ١ : ٩١/٣٥٨ (باب فيه نكتّ ونتفّ من التنزيل في الولاية) ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٩٨ .

النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِن رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾[١] في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، والبرهان رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢] .

وسيأتي تفسير آية النور وغيرها ولو تقريباً من طُرق العامّة .

ومرّت رواية أيضاً في أوائل هذا المطلب من طُرقهم .

ومنها : ما رواه ابن مردويه وغيره عن الباقر عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى : ﴿وَشَاقُّوا ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾[٣] : «أي : في أمر عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٤] .

أقول : يحتمل كون المراد تفسير الهدى ، أو بيان المشاقّة ، أو كليهما ، وهو الأوسط ، ودلالته واضحة على أيّ تقدير .

وفي رواية ثابت البناني عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[٥] قال : إلى ولاية عليٍّ عليه السلام[٦] .

وقد روى ابن حجر في صواعقه أوّلاً عن الباقر عليه السلام في هذه الآية مثل ما نقله ثابت عن ابن عبّاس ، إلّا أنّ فيه أنّه عليه السلام قال : «إلى ولاية أهل بيته عليهم السلام» .

ثمّ روى تأييداً لذلك من كتاب الديلمي أنّه روى مرفوعاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «إنّما سمّيت ابنتي فاطمة؛ لأنّ الله تعالى فطمها ومحبّيها

---

(١) سورة النساء ٤ : ١٧٤ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ١٢٠/١١٦ ، تفسير العيّاشي ١ : ١١٥٣/٤٥٧ .

(٣) سورة محمّد ٤٧ : ٣٢ .

(٤) عنه الأربلي في كشف الغُمّة ١ : ٣١٧ ، كشف اليقين للحلّي : ٣٧٣ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٠ .

(٥) سورة طه ٢٠ : ٨٢ .

(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٠٣ .

من النار»(١). انتهى كلامه.

وقد روى الحافظ أبو نُعيم أيضاً بإسناده عن عون بن أبي جحيفة(٢)، عن أبيه، عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال في هذه الآية: «أي إلى ولايتنا»(٣).

وفي رواية أبي بكر الشيرازي في تفسيره، عن مقاتل، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال: يعني: القرآن، أي: لا شكّ أنّه نزل من الله، ﴿هُدًى﴾ قال: يعني: تبياناً ونذيراً، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤) قال: يعني: عليّ بن أبي طالب عليه السلام [الذي] لم يشرك بالله طرفة عين، وأخلص لله العبادة، يُبعث إلى الجنّة بغير حساب هو وشيعته(٥).

وقد ورد في روايةٍ عن الباقر عليه السلام مثله(٦).

وفي أُخرى: تفسير الكتاب بعليٍّ عليه السلام، وأنّه هدًى للمتّقين: الذين هم شيعته(٧).

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٣٥، وانظر: فردوس الأخبار ١: ١٣٩٥/٤٢٦.

(٢) اسم أبيه وهب بن عبدالله السُّوائي الكوفي، روى عون عن أبيه، وعبدالرحمٰن ابن سُمَيْر، وغيرهما، وروى عنه: إدريس بن يزيد الأودي، وآخرون.

مات قبل سنة ١٢٠ هـ، وقيل: سنة ١١٦.

طبقات خليفة: ١١٦٥/٢٦٩، تهذيب الكمال ٢٢: ٤٥٤٩/٤٤٧، سير أعلام النبلاء ٥: ٣٨/١٠٥، تهذيب التهذيب ٨: ٣٠٧/١٥١.

(٣) عنه ابن بطريق في خصائص الوحي المبين: ٢٦/٩٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢.

(٥) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣: ١٠٠، وأورده الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٠٦/٦٧، وما بين المعقوفين أثبتناه منهما.

(٦) لم نعثر عليه.

(٧) تفسير العيّاشي ١: ١٠٥/١٠٨، تفسير القمّي ١: ٣٠، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٢: ٣٥٠، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١ ـ ١/٣٢.

وقد مرّ سابقاً أخبار في كونه إمام المتّقين ، وهي من شواهد هـذا ، وتعدّد معاني الآيات واضحة والكلّ مناسب؛ إذ لا شكّ أنّه الهادي ، والمهتدي ، والمتّقي ، وإمام كلّ تقيّ وهاديه ، وولايته الهداية والتقوى ، وهكذا سائر ما ورد فيه عليه السلام .

ففي رواية ابن بشرويه[1] بإسناده عن ابن عبّاس في قوله تعالى : **﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾**[2] قال : نزلت في عليّ عليه السلام[3] .

وقد مرّ سابقاً ، ويأتي أيضاً ما يشتمل على كون عليٍّ وشيعته هُم الفائزون .

وفي تفسير الكشّاف وغيره ، ككتاب شرح حجج أهل السنّة من الألكاني : أنّ الحجّاج قال للحسن البصري : ما رأيك في أبي تراب؟ قال : إنّ الله جعله من المهتدين ، قال : هات برهاناً لما تقول ، قال : إنّ الله تعالى يقول في كتابه : **﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾** الآية ، إلى قوله تعالى : **﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾**[4] وكان عليٌّ عليه السلام أوّل من هدى الله مع النبيّ صلى الله عليه وآله[5] .

أقول : وقد روى البرسي في مشارق الأنوار ، وكذا غيره أيضاً عن

---

(١) هو محمّد بن بشرويه كما ورد ذلك في تفسير فرات الكوفي .

(٢) سورة النور ٢٤ : ٥٢ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٣٩٠/٢٨٨ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ١٢/٤٠١ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٤٣ .

(٥) تفسير الكشّاف ١ : ٣٤١ بتفاوت ، ونقله عنهما نصّاً ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٠٠ ـ ١٠١ .

ابن عبّاس: أنّ حمزة لمّا قُتل يوم أُحد وعرف عليّ عليه السلام بقتله قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون»، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[(١)](٢).

وقد مرّ بعض الأخبار في آيات المطلب السابق لا سيّما آية: ﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)] حيث إنّ فيها ذكر كون عليّ عليه السلام أتقىٰ، وآية: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[(٤)] المشتملة على هدايته، ويأتي بعضها أيضاً، فتأمّل، والله الهادي.

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه جمع منهم: السيوطي في تفسيره، وابن عساكر في كتابه، عن ابن عبّاس، ومنهم الكلبي، والسدّي على ما روى عنهما الخطيب في تاريخ بغداد عن أبي صالح، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[(٥)] الآية، قال: ﴿فَضْلُ اللهِ﴾ النبيّ صلى الله عليه وآله و﴿رحمته﴾ عليّ بن أبي طالب عليه السلام[(٦)].

وقد روي هذا التفسير أيضاً عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في هذه الآية،

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٥٦ و١٥٧.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٢٦ فصل ١٥٥، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ١٩١، وانظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٦٧/٨٢.

(٣) سورة التحريم ٦٦: ٤.

(٤) سورة الرعد ١٣: ٧.

(٥) سورة يونس ١٠: ٥٨.

(٦) الدرّ المنثور ٤: ٣٦٨، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٦٢، تاريخ بغداد ٥: ١٥ في ضمن ترجمة أحمد بن محمّد، المعروف بابن عقدة، وفيه: عن الكلبي، وعنهما في المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١١٩، نقلاً عن تاريخ بغداد، وانظر: المسترشد للطبري: ٢٧٥/٦٠٦.

وغيرها ، كقوله سبحانه : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾[(١)] [(٢)] الآية، حتّى أنّ ابن مردويه أيضاً روى هذا التفسير في هذه الثانية عن الباقر عليه السلام[(٣)].

وفي كتاب المناقب روى هذا التفسير في هذه الثانية أيضاً عن ابن عبّاس ، ثمّ قال: وقيل : ﴿فَضْلُ اللهِ﴾ عليّ عليه السلام ﴿ورحمته﴾ فاطمة عليها السلام[(٤)].

وفي روايةٍ عن الباقر عليه السلام أنّه قال في الآية الأُولى : «إنّ المراد بالفضل الإقرار بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وبالرحمة الائتمام بعليّ عليه السلام»[(٥)].

قال : «قوله : ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ أي : شيعتنا ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي : هو خير ممّا يجمع أعداؤنا هؤلاء في دنياهم من الذهب والفضّة»[(٦)].

وفي رواية أبي الجارود : أنّ الباقر عليه السلام قال في قوله تعالىٰ : ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[(٧)] : «إنّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[(٨)] حتّى أنّ في روايةٍ في هذه الآية : أنّ ابن مسعود كان يقرأ ما بعدها هكذا : فإن تولّوا أعداءه وأتباعهم فإنّي أخاف عليهم عذاب يوم عظيم[(٩)].

وقد روى أبو الفتوح الرازي في روض الجنان ، عن المرزباني ،

---

(١) سورة النساء ٤ : ٨٣ ، سورة النور ٢٤ : ١٠ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٢٣١/١٧٩ ، تفسير القمّي ١ : ١٤٥ ، تفسير العيّاشي ١ : ١٠٥٢/٤٢٣ و١٠٥٣ ، مجمع البيان ٣ : ١١٧ ، تفسير البرهان للبحراني ٣ : ٤٩١٩/٣٦ .

(٣) بحار الأنوار ٣٥ : ٣/٤٢٣ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١٩ .

(٥) تفسير العيّاشي ٢ : ١٩٦٤/٢٧٩ .

(٦) تفسير العيّاشي ٢ : ١٩٦٣/٢٧٩ .

(٧) سورة هود ١١ : ٣ .

(٨و٩) تفسير القمّي ١ : ٣٢١ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١١٩ .

والكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[١] أنّها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عليّ عليه السلام[٢].

وفي روايةٍ عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «الفضل في النبيّ صلى الله عليه وآله النبوّة، وفي عليّ عليه السلام الإمامة»[٣].

ويشهد له ما رواه السري والثقفي في كتابيهما: أنّ عمر بن الخطّاب قال يوماً: إنّ النبوّة والإمامة لا تجتمع في بيت واحد، فقال بريدة الأسلمي: قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[٤] فقد جمع لهم ذلك[٥].

أقول: هذا الكلام هو الذي جرى بين بريدة وبين الّذين تصدّوا للخلافة في أيّام وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، كما سيأتي مفصّلاً، ومرّ أيضاً.

وقد نقل جماعةٌ هذا الكلام عن عمر وإن لم يذكروا الجواب، وظاهر أنّه هو الجواب وإن لم يذكره الأكثر، ولعلّ...[٦] بريدة بهذه الآية غيّر التعبير، فكان فيما بعد يقول: إنّهما لا تجتمعان في بني هاشم.

ثمّ لا يخفى أنّه أيضاً في الحقيقة لا يدفع هذا الجواب، فافهم.

---

(١) سورة النساء ٤ : ٥٤.

(٢) روض الجنان ٥ : ٣٩٧، وعنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ٢٤٦.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٢٤٦، مجمع البيان ٢ : ٦١ بتفاوت يسير، تفسير البرهان للبحراني ٢ : ٢٤٥٢/٩٩.

(٤) سورة النساء ٤ : ٥٤.

(٥) نقله عنهما ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ٦٦، وكذا في نهج الإيمان : ٤٦٤، والصراط المستقيم ٢ : ٥٤، والأربعين للشيرازي : ٩٠.

(٦) مكان النقاط بياض في النسخ الخطيّة.

وقد روى ابن المغازلي ـ كما صرّح به ابن حجر أيضاً ـ عن الباقر عليه السلام أنّه قال في هذه الآية : «نحن الناس ، والله»(١) .

ومنها أيضاً : ما رواه الحافظ أبو نُعيم مرفوعاً عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾(٢) : «يعني الأمن والصحّة وولاية عليّ عليه السلام»(٣) .

وفي تفسير وكيع : قال ابن عبّاس في قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَأَوَىٰ﴾(٤) : أي : وجدك يتيماً عند أبي طالب رضي الله عنه ، فآوى إلى أبي طالب رضي الله عنه يحفظك ويربّيك ، وقال في قوله تعالىٰ : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾(٥) : أي : بمال خديجة ، وقال في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٦) : أي : أظهر القرآن وحدِّثهم بما أنعم الله عليك ، وفيه : وقال الحسن ـ وكأنّه أراد البصري ـ في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ : أي : يامحمّد ، حدِّث العباد بمنن أبي طالب عليك ، وحدِّثهم بفضائل عليّ عليه السلام في كتاب الله؛ لكي يعتقدوا ولايته(٧) .

وفي كتاب المناقب عن مجاهد أنّه قال في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً﴾(٨) : كفرت بنو أُميّة بمحمّد وأهل

---

(١) المناقب لابن المغازلي : ٣١٤/٢٦٧ ، ولم ترد فيه كلمة «والله» ، الصواعق المحرقة : ٢٣٣ .

(٢) سورة التكاثر ١٠٢ : ٨ .

(٣) عنه ابن البطريق في خصائص الوحي المبين : ١١٧/١٦٥ ، ولم يرد فيه «الأمن والصحّة» .

(٤) سورة الضحى ٩٣ : ٦ .

(٥) سورة الضحى ٩٣ : ٨ .

(٦) سورة الضحى ٩٣ : ١١ .

(٧) عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ١٢٠ .

(٨) سورة إبراهيم ١٤ : ٢٨ .

بيته عليهم السلام (١).

وفي روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام أنّ المراد بنعمة الله والنعيم في آيات من القرآن ولاية عليٍّ عليه السلام (٢).

أقول: ولا يخفى على كلّ منصفٍ أنّ كون عليٍّ عليه السلام رحمةً من الله على جميع الأمّة لا سيّما مع كونه عديلاً للنبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك، وفي إيتاء الفضل الذي يحسدهما عليه الناس، والسؤال عن ولايته في القيامة، وعدّها نعمة عظيمة ونحو ذلك ممّا ظهر من هذه الآيات، دلائل على إمامته، فافهم.

ثمّ إنّ من الآيات أيضاً ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والثعلبي في تفسيره، والعِزّ المحدّث الحنبلي، كلٌّ بإسناده عن أبي ذرّ أنّه كان يقسم قَسَماً أنّ قوله تعالى: ﴿**هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ**﴾ (٣) نزلت في عليٍّ وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب الّذين بارزوا يوم بدر عُتبة وشيبة والوليد بن عُتبة من أكابر المشركين وقتلوهم (٤).

وفي روايةٍ: فقتل عليٌّ عليه السلام الوليدَ، وأعان حمزة وعبيدة في قتل عُتبة وشيبة (٥).

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٢٠.

(٢) انظر: الكافي ١ : ٣/١٦٩ (باب أنّ النعمة الّتي ذكرها الله عزّوجلّ في كتابه الأئمّة عليهم السلام)، و: ٧٧/٣٥٤ (باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣ : ١٢٠، الصراط المستقيم ١ : ٢٦١، تفسير البرهان للبحراني ٣ : ٦١٠٧/٤٤٢ ـ ٦١١٠.

(٣) سورة الحجّ ٢٢ : ١٩.

(٤) صحيح البخاري ٥ : ٩٦، صحيح مسلم ٤ : ٣٠٣٣/٢٣٢٣، تفسير الثعلبي ٧ : ١٣، ونقله الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٣ عن العزّ الحنبلي.

(٥) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ١٣١، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣ : ١٤٣.

وقد روي مثل هذا عن عطاء أيضاً[١].

وفي روايةٍ أُخرىٰ في صحيح البُخاري بإسناده عن قيس بن عُبَّاد، عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «أنا أوّل مَنْ يجثو بين يدي الرحمان للخصومة يوم القيامة»، قال قيس: وقد نزلت: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ﴾[٢] الآية فيه وفي حمزة وعُبيدة، لمّا بروزا يومَ بدرٍ إلى عتبة وشيبة والوليد[٣].

وقد ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام: أنّ عمدة تأويل الآية في مخاصمة عليٍّ عليه السلام مع مَنْ نازعه في الخلافة[٤]، ولهذا قال: «أنا أوّل مَنْ يجثو للخصومة» وسيأتي بعضٌ منها لا سيّما في المقالة الثامنة من المقصد الثاني.

ومنها: ما رواه الحافظ أبو نُعيم بإسنادٍ له عن حذيفة، ورواه السمعاني في فضائله بإسنادٍ له عن جابر، ورواه ابن المغازلي بإسنادٍ له عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن جابر أيضاً، ورواه السدّي عن أبي مالك عن ابن عبّاس، ورواه عن ابن عبّاس أيضاً ابن مردويه، ورواه غيرهم عن أبي سعيد الخدري وغيره أيضاً، كلّهم قالوا في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[٥]: أي: منتقمون بعليّ بن أبي طالب عليه السلام[٦].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٤٢.
(٢) سورة الحجّ ٢٢ : ١٩.
(٣) صحيح البخاري ٥ : ٩٥.
(٤) الكافي ١ : ٥١/٣٤٩ (باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣ : ٢٧٤، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٤/٣٣٤.
(٥) سورة الزخرف ٤٣ : ٤١.
(٦) نقله عن أبي نعيم وعن فضائل السمعاني العلّامة المجلسي في بحار الأنوار ٣٦ : ﻟﻪ

وأكثرهم نقلوا هكذا مفصّلاً، واللّفظ لجابر قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح خطيباً فقال: «أيّها الناس لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، ولئن فعلتم ذلك لتعرفنّني في كتيبة أضربكم بالسيف»، ثمّ التفت صلى الله عليه وآله عن يمينه، فقال الناس: لقّنه جبرئيل شيئاً، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «هذا جبرئيل يقول: أو عليٌّ» فنزلت الآية[1].

وقد مرّ أصل مضمون الخبر سابقاً في أبواب المقدّمة وغيرها، وربّما يأتي أيضاً.

وفي رواية الرضا عليه السلام: «أنّ جابراً قال: إنّي لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع بمنى إذ قال: «لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم» ثمّ التفت صلى الله عليه وآله إلى خلفه فقال: «أو عليٌّ أو عليٌّ» ثلاث مرّات، فرأينا أنّ جبرئيل عليه السلام غمزه فأنزل الله على أثر ذلك **﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾**[2] بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، **﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾**[3]، ثمّ نزلت: **﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾**[4]، ثمّ نزلت:

٤/٢٣ و٥، المناقب لابن المغازلي: ٣٢١/٢٧٤، وانظر: ٣٦٦/٣٢، تفسير فرات الكوفي: ٥٣٧/٤٠٢، شواهد التنزيل ٢: ١٥٢ ـ ٨٥٢/١٥٣ ـ ٨٥٤ عن السدّي، كشف الغمّة ١: ٣٢٣، الدرّ المنثور ٧: ٣٨٠ عن ابن مردويه، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٢٥٣، الطرائف ١: ٢١٧/٢١٦، غاية المرام للبحراني ٤: ١٤٠ و١٤١.

(١) المناقب لابن المغازلي: ٢٧٤ ـ ٣٢١/٢٧٥، شواهد التنزيل ٢: ٨٥١/١٥٢.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٤١.

(٣) سورة الزخرف ٤٣: ٤٢.

(٤) سورة «المؤمنون» ٢٣: ٩٣ و٩٤.

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ - فى عليٍّ - إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١) ، وإنّ عليّاً لعلم للساعة **﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾**(٢) عن عليٍّ عليه السلام(٣) .

أقول : الظاهر أنّ تصريح جابر باسم عليٍّ عليه السلام في هذه المواضع لإظهار أنّه كان هو أصل سبب نزول الآية ، كما ورد مثله في كثيرٍ من الآيات التي فسّرها أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فافهم .

ومنها : ما رواه جماعة ، منهم : الكلبي والضحّاك ، عن ابن عبّاس : أنّه قال في قوله تعالى : **﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾**(٤) : أنّها نزلت في عليٍّ عليه السلام وحمزة وعبيدة وسهل بن حُنيف وأبي دجانة(٥) .

وفي رواية : والمقداد بن الأسود(٦) .

قال ابن عبّاس : كان عليٌّ عليه السلام إذا صفّ في القتال كأنّه بنيان مرصوص ، فمدحه الله بالآية ، وما قتل المشركين كقتله أحد(٧) .

وما رواه ابن مردويه ، والحافظ أبو نُعيم ، وسفيان الثوري ، وغيرهم ،

---

(١) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٣ .

(٢) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٤ .

(٣) شواهد التنزيل ٢ : ٨٥١/١٥٢ ، المناقب لابن المغازلي : ٢٧٤ ـ ٣٢١/٢٧٥ ، العمدة لابن بطريق : ٦٨٢/٣٥٣ ، و٩٣٦/٤٤٨ ، بتفاوت يسير .

(٤) سورة الصفّ ٦١ : ٤ .

(٥) تفسير فرات الكوفي : ٦٢٦/٤٨١ ، وفيه : عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس ، وكذا في تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١/٦٨٥ ، شواهد التنزيل ٢ : ٩٧٥/٢٥١ ، و٩٧٧/٢٥٢ .

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٢/٦٨٥ ، شواهد التنزيل ٢ : ٩٧٥/٢٥١ .

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٣/٦٨٦ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٩/٢٥ .

كلٌّ بإسنادٍ له عن عبدالله بن مسعود أنّه كان يقرأ ﴿وَكَفَى اللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ بعليٍّ وكانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ (١) (٢).

وفي رواية الحمّاني (٣)، ويحيى بن معين: أنّ أبا زياد بن مطر قال: هكذا رأيتها في مصحفه بعد ما سمعت منه قراءتها (٤).

وفي كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام باسنادٍ له عن الشعبي، قال: انصرف عليٌّ عليه السلام من وقعة أُحد وبه ثمانون جراحة، فدخل عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وهو على نطع، فلمّا رآه بكى وقال: «إنّ رجلاً يصيبه هذا في سبيل الله لحقٌّ على الله أن يفعل به ويفعل»، فقال عليٌّ عليه السلام مجيباً له وبكى: «وأمّا أنت يا رسول الله، الحمد لله الذي لم يرني ولّيت عنك ولا فررتُ، ولكنّي كيف حرّمت الشهادة»، فقال له: «إنّها من ورائك إن شاء الله»، ثمّ قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ أبا سفيان قد أرسل يوعدنا ويقول: ما بيننا وبينكم حمراء الأسد»، فقال عليٌّ عليه السلام: «بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله،

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٥.

(٢) نقله عن ابن مردويه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٧، والحلّي في كشف اليقين: ٣٧٦، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١٠/٤٥٠ عن سفيان الثوري، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٦ : ١٢/٢٥ نقله عن أبي نُعيم.

(٣) هو يحيى بن عبدالحميد الحمّاني، روى خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بالشقشقيّة، له كتاب في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، كان يقول: مات معاوية على غير ملّة الإسلام. حدّث عن أبيه، وشريك، وآخرين، وروى عنه: خلق كثير، مات سنة ٢٢٨ هـ.

انظر: رجال الكشّي ٣٩٠ ذيل الرقم ٥٨٨، ورجال النجاشي: ١٢٠٦/٤٤٦، ومستدركات علم رجال الحديث للنمازي ٨ : ١٦١٧٨/٢١٤، وتهذيب الكمال ٣١ : ٦٨٦٨/٤١٩ وسير أعلام النبلاء ١٠ : ١٧٠/٥٢٦.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١١/٤٥٠، وفيه: يحيى بن معلّى، وعنه بحار الأنوار ٣٦ : ١١/٢٥.

لا أرجع عنهم ولو حُملتُ على أيدي الرجال» فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ﴾ (١) (٢) .

وأمثال هذه الأخبار كثيرة قد مرّ بعضٌ منها سيّما في فصل أحواله عليه السلام وشجاعته ، ويأتي بعضٌ أيضاً ، ودلالتها صريحاً على محبّة الله له واضحة ، فلِمَ لا يكون مع هذه الأفعال والأحوال مطاعاً عزيزاً عند الصحابة والناس إن كانوا أخياراً ، مع أنّهم قد جدّوا في خلاف ذلك حتّى سلّطوا أولاد أبي سفيان المذكور عليه وعلى أولاده ، بحيث قتلوهم ولعنوهم ، ومعلوم على كلّ ذي نظر صائب أنّ أصل ذلك حكاية السقيفة كما سيأتي في محلّه ، حتّى لو قيل بأنّ الله ورسول الله صلى الله عليه وآله رضيا بترجيح غيره عليه حتّى المنهزمين في الحروب لاسيّما يوم أُحد ، لزم أن يقول : بأنّهما رضيا بالظلم ، تعالى الله ورسوله عن ذلك علوّاً كبيراً .

وسيأتي بيان هذا أيضاً مفصّلاً في الفصل الآتي فلا تغفل .

ثمّ من جملة هذه الآيات ، بل المقويّة لها ؛ لما فيها من الدلالة : ما ذكره الثعلبي في تفسيره ، فإنّه قال في قوله تعالى : ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) : إنّها نزلت في

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٤٦ .

(٢) سعد السعود : ٢٢٥/٣٣ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٢٦ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٥٤ .

عليٌّ عليه السلام [١].

وقد نقل غيره من المفسّرين أيضاً مثل قوله [٢]، بل صرّح بعضهم بأنّ المراد بالقوم هو وأصحابه حين قاتله مَنْ قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين، وقال: إنّه مرويّ عن عمّار وحُذيفة وابن عبّاس كما صرّح به الطبرسيّ أيضاً في تفسيره، وهو المرويّ عن الباقرين عليهما السلام [٣] باتّفاق الشيعة، بل قد روى بعض أصحاب عليٍّ عنه عليه السلام أنّه قال يوم البصرة: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم» ثمّ تلا هذه الآية [٤].

ولا يخفى أنّها حينئذٍ تدلّ أيضاً على ارتداد هؤلاء الطوائف، بل غيرهم أيضاً كما سيأتي مفصّلاً لا سيّما في المقالة السادسة من المقصد الثاني، ثمّ مع قطع النظر عن الورود قد اشتملت هذه الآية على صفات مجتمعة كلّها في عليٍّ عليه السلام باتّفاق المخالف والمؤالف، بل نقل أكثرهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية [٥]، كما مرّ سابقاً من حكاية الطير، وحكاية إعطائه الراية يوم خيبر، وسائر ما مرّ صريحاً في كونه محبوباً عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وكونهما محبوبين عنده، وكذا ما مرّ ويأتي من الأخبار والحكايات المشتملة على ما هو معلوم وجوده فيه عليه السلام من رأفته على المؤمنين، كما هو واضح على كلّ أحد.

---

(١) لم نعثر عليه في تفسيره، ونقله عنه ابن البطريق في العمدة: ٤٧٠/٢٨٨، والحلّي في نهج الحقّ: ١٨٦.

(٢) التفسير الكبير للرازي ١٢: ٢٠، وانظر: تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٢: ٦٠٤.

(٣) مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٤) الشافي في الإمامة ٤: ٤٣، مجمع البيان ٢: ٢٠٨، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٧٤، بحار الأنوار ٣٢: ٢٨٣ نقلاً عن الأخير.

(٥) انظر: مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

وكفى فيه ما مرّ ويأتي من إيثارهم على نفسه مراراً ، حتّى أنّ بعض أصحابه صرّح لمعاوية بأنّه كان فينا كأحدنا[١] وصدّقه معاوية[٢] ، ومن غلظته على الكفّار ، وعدم ارتكابه أبداً الفرار ، وكمال شدّته في نصرة الدين وتشييد الملّة وجهاد المشركين وغيرهم من أعداء الدين .

وكفى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في وصفه يوم خيبر : «إنّه كرّار غير فرّار»[٣] ، وما ذكره جمع من أنّ المشركين كان يتعاهد بعضهم بعضاً إذا رأوا عليّاً عليه السلام في الحرب ، سوى سائر الأخبار بل الآيات ، حتّى أنّ منها : ما مرّ آنفاً من قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٤] الآية ، وقوله تعالى : ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾[٥] الآية ، وقوله : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾[٦] الآية ، وغيرها ، حتّى أنّ الثعلبي روى في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٧] أنّها نزلت في يوم أُحد لمّا قتل عليٌّ عليه السلام صاحب لواء قريش ، وأنزل الله النصرة ، حتّى أنّه روى عن الزبير بن العوّام أنّه قال : فرأيت هنداً وصواحبها

---

(١) في «ن» و«س» : «كأحد منّا» .

(٢) شرح الأخبار ٢ : ٣٩١ ـ ٧٤٣/٣٩٢ ، الأمالي للصدوق : ٩٩٠/٧٢٤ ، كنز الفوائد ٢ : ١٦٠ ، ذخائر العقبى : ١٧٨ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٨ ، الصواعق المحرقة : ٢٠٣ .

(٣) العمدة لابن بطريق : ٢٣٥/١٥٣ ، الطرائف ١ : ٥٣/٨٠ و٥٤ ، مجمع البيان ٢ : ٢٠٨ ، المناقب للخوارزمي : ٢٠٣/١٧٠ ، الأربعين للرازي : ٣٠٦ و٣١٨ ، وغيرها من المصادر .

(٤) سورة الصفّ ٦١ : ٤ .

(٥) سورة الزخرف ٤٣ : ٤١ .

(٦) سورة آل عمران ٣ : ١٤٦ .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ١٤٣ .

هاربات مصعدات في الجبل، باديات حزامهنّ، فكانوا يتمنّون الموت من قبل أن يلقوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام [١]، فتأمّل حتّى تعلم دلالة هذه الآية على كمال رفعة شأن عليّ عليه السلام وعلوّ مكانه، بحيث وصفه الله تعالىٰ أوّلاً: بكونه محبّاً ومحبوباً له، وثانياً: بكونه مجاهداً في سبيله على الحزم واليقين، بحيث لا يبالي بلوم اللائمين، وثالثاً: بكونه رحيماً على المؤمنين، شديداً على الكافرين، ثمّ عقّب الله جميع ذلك بقوله سبحانه: ﴿**ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ**﴾ [٢] إلى آخر الآية، تعظيماً لشأن تلك الصفات وتفخيماً لها.

ثمّ تدبّر هل مثل هذا يستحقّ الخلافة والإمامة وتعليم الأُمّة، أم غيره؟ لا سيّما مَنْ فرّ كراراً ومراراً، حتّى أنّ تصريح الله بكونه محبّاً ومحبوباً له لا يخلو من الدلالة علىٰ عصمته أيضاً، بناءً على ظهور كون صدور الذنب مبغوضاً عند الله في نفسه وإن أزالته التوبة.

فافهم بل اعلم أيضاً أنّ العصبيّة ونصب عليّ عليه السلام دعيا الفخر الرازي في هذا المقام إلى ارتكاب خرافات وجهالات [٣] لا يبوح بها خارجيٌّ ولا أمّي، ولقد فضح فيها نفسه وإمامه، أعرضنا عن الإطالة بذكرها هاهنا لكمال وضوح سخافتها مع إشارتنا إلى بعضها وتوضيح بطلانها فيما سبق ويأتي، والله الهادي.

ثمّ إنّ من الآيات بل من المؤيّدات لما مرّ آنفاً: ما روى قوم من المفسّرين نزوله في عليّ عليه السلام، ورواه أيضاً جماعة من المحدّثين عن جمعٍ

---

(١) تفسير الثعلبي ٣: ١٧٥، وعنه ابن البطريق في العمدة: ٦٧٨/٣٥٢.

(٢) سورة المائدة ٥: ٥٤.

(٣) التفسير الكبير للرازي ١٢: ٢٠ ـ ٢٤.

من الصحابة والتابعين مجملاً ومفصّلاً ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ﴾[1] الآية ، فإنّ ممّن نقل نزولها في عليٍّ عليه السلام ـ عند مبيته على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة خروجه من مكّة إلى الغار عند عزم[2] المشركين على قتله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ، كما مرّت قصّته غير مرّة في مواضع لا سيّما في الفصل الرابع من هذا المقصد ـ الثعلبي ، والرازي ، والنيسابوري ، والعِزّ الحنبلي ، والسدّي ، والثقفي ، والفلكي ، والكلبي ، والشيباني ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، وأبو نُعيم في حليته ، وابن الأثير في كتاب الانصاف ، وابن مردويه في مناقبه ، والغزالي في الإحياء وفي كيمياء السعادة ، وأبو السعادات في فضائل العشرة ، وغيرهم .

وأكثر هؤلاء القوم ممّن رواه عن ابن عبّاس ، وهؤلاء الذين رووا عن ابن عبّاس فيهم مَنْ روى ـ كالكلبي وغيره ـ عن أبي صالح عنه ، وفيهم مَنْ روى ـ كأبي نُعيم وغيره ـ بإسنادٍ له عن عبدالله بن معبد عن أبيه عنه ، وفيهم مَنْ روى ـ كأحمد وغيره ـ بإسناده عن عمرو بن ميمون عنه ، وفيهم مَنْ روى ـ كالفلكي وغيره ـ عن أبي مالك عنه .

والباقون من القوم منهم مَنْ ذكر أصل النزول من غير إسنادٍ إلى أحدٍ ؛ اعتماداً على ثبوت الصحّة ، ومنهم ـ كالشيباني وغيره ـ مَنْ رواه عن الحسن البصري ، عن أنس ، ومَنْ رواه عن أبي زيد الأنصاري ، عن أبي عمرو بن العلاء ، ومَنْ رواه عن أبي اليقظان ، ومَنْ رواه عن أبي رافع ، ومَنْ رواه عن

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٠٧ .

(٢) في «ل» : «تآمر» بدل «عزم» .

هند بن أبي هالة[١]، وهكذا عن غيرهم[٢].

وأمّا أخبار جماعة كثيرة من أصحاب الأئمّة المعصومين عنهم عليهم السلام فممّا لا يُحصى.

وأصل حكاية المبيت مشهورة، كما قد مرّت أيضاً، لكن نذكر هاهنا أيضاً خلاصة من الأخبار المفصّلة المضبوطة عند الأكثر، وعامّة ألفاظها ممّا رواه الثعلبي عن ابن عبّاس، قالوا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أراد الهجرة خلّف عليّ بن أبي طالب عليه السلام لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه صلى الله عليه وآله، فقال له: «ياعليّ إتّشح ببردي الحضرمي الأخضر، ونَم على فراشي فإنّه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى» ففعل ذلك، وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وهرب هو مع أبي بكر إلى الغار[٣].

وفي رواية ابن حنبل: إنّه لبس ثوب النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ نام مكانه، وكان المشركون يتوهّمون أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل عليّ يُرمىٰ بالحجارة كما يُرمى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يتضوّر قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح،

---

(١) هند بن أبي هالة التميمي، ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله، أُمّه خديجة بنت خويلد. توفّي سنة ستّ وثلاثين للهجرة، وقيل: استشهد يوم الجمل مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: عاش بعد ذلك.

انظر: الوافي بالوفيات ٢٧: ٣٨٩/٢٣٢، تهذيب التهذيب ١١: ١١١/٦٣، تقريب التهذيب ٢: ١١٥/٣٢٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٢: ٧٦ ـ ٧٧، كشف الغمّة للأربلي ١: ٣١٠ و٣٢٣، تفسير الثعلبي ٢: ١٢٦، إحياء العلوم ٣: ٢٥٨، أُسد الغابة ٣: ٦٠٠ في ضمن ترجمة الإمام عليّ عليه السلام، رقم ٣٧٨٣، التفسير الكبير للرازي ٥: ٢٢٣ ـ ٢٢٤، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ١: ٥٧٧.

(٣) تفسير الثعلبي ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦، وانظر: أُسد الغابة ٣: ٦٠٠.

ثمّ كشف رأسه ، فجاء المشركون فوجدوا عليّاً عليه السلام ولم يجدوا النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقالوا له : لمّا كان صاحبك كنّا نرميه بالحجارة فلا يتضوّر وقد استنكرنا ذلك (١) .

وفي رواية الثعلبيّ وابن الأثير وغيرهما عن ابن عبّاس ، وكذا في رواية أبي رافع ، وهند ، والباقرين عليهما السلام أنّهم قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ الله تعالى أوحى إلى جبرئيل وميكائيل : إنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخَر فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ وكلاهما كرها الموت ، فأوحى الله إليهما ألا كُنتما مثل عليّ بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّد فنام على فراشه ، يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ، اهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوّه ، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ، فقال جبرئيل : بخٍ بخٍ من مثلك يابن أبي طالب ، يباهي الله بك الملائكة ، فأنزل الله تعالى على رسوله وهو متوجّه إلى المدينة الآية في شأن عليٍّ» (٢) .

أقول : وإذا عرفت هذا ، فاعلم أنّه قد مرّ مفصّلاً في نقل أحوال أبي طالب عليه السلام أنّه أيضاً أمر عليّاً عليه السلام في الشعب أنّه ينام في موضع النبيّ صلى الله عليه وآله في ليالٍ عديدة (٣) .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٣٠٥٢/٥٤٤ ، وأورده الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٩٧ ـ ١٣٤/٩٩ .

(٢) تفسير الثعلبي ٢ : ١٢٦ ، تفسير العيّاشي ١ : ٣٩٦/٢١٢ و٣٩٧ ، الأمالي للطوسي : ١٠٣١/٤٦٣ ، أُسد الغابة ٣ : ٣٧٨٣/٦٠٠ ، شواهد التنزيل ١ : ٩٦ ـ ١٢٣/٩٧ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٧٧ .

(٣) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ج٢) : ٥٨ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٢٨٤ ، إيمان أبي طالب لفخار بن معد الموسوي : ٣١١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٦٤ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٤٥ ـ ٤٦ نقلاً عن الشيخ المفيد .

فعلى هذا قد صدر منه هذا مراراً وإن كان الأخير أعظم وأشدّ وتمام الأمر، ولهذا نزلت الآية في ذلك الوقت، ولا يخفىٰ على أحدٍ أنّ هذا خلّة حميدة، وفضيلة جزيلة لا يساويها فضل، وقد مدح الله تعالى ذبيحه إسماعيل بتسليمه للقتل بيد حبيبه حتّى قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ (١)، وهذا عليٌّ عليه السلام قد استسلم للقتل تحت مائة سيف من سيوف الأعادي.

هذا، مع أنّ حكاية إسماعيل كانت كما قال الشيخ المفيد أيضاً في مقام يقوى بحسب الظاهر والعادات عدم تحقّقه؛ لعدم وقوع مثله سابقاً، لا في نبيّ ولا في غيره، فكان يحتمل احتمالاً ظاهراً أنّ هذا المقال لأبيه أو من أبيه كان لأجل الامتحان في الطاعة دون تحقيق العزم على إيقاع الفعل، ومعلومٌ أنّه حينئذٍ يزول كثير من الخوف، وترجى السلامة عنده، بخلاف حكاية عليٍّ عليه السلام، فإنّه بالعكس؛ حيث كان ذلك منه مع مشركي قريش الذين كانوا أغلظ الناس وأشدّهم وأقساهم قلباً على النبيّ صلى الله عليه وآله وأتباعه، لاسيّما في ذلك الوقت الذي كانوا مجدّين وفي شدّة العزم على القتل الذي اتّفقت عليه جميع آرائهم، بل أجمعوا على انحصار تدبيرهم في ذلك، حتّى أنّ احتمال رجائه النجاة بكون دعواهم (٢) مع النبيّ صلى الله عليه وآله فقط لم يكن في ذلك الحال راجحاً بل ولا قريباً؛ ضرورة ظهور احتمال كبسهم عليه (٣) فجأةً من غير تفتيشٍ وتأنٍ وتدبّرٍ، بناءً على زعمهم أنّه هو النبيّ صلى الله عليه وآله، مع أنّ غالب الظنّ من العادة الجارية كان حصول شدّة الغيظ منهم عليه بعد

---

(١) سورة الصافّات ٣٧ : ١٠٦.

(٢) في «ل» : «خصومتهم» بدل «دعواهم».

(٣) في «ل» : «إيّاه عليه السلام» بدل «عليه».

اطّلاعهم على فعله من جهة فوات غرضهم بتدبيره ، بحيث ظلّت حيلتهم وخابت آمالهم ، ومعلومٌ أنّ مثل هذا يدعو إلى أن يعاملوه أضعاف معاملة النبيّ ﷺ للحنق والغضب الطارئ حينئذٍ ، بل ربّما كان احتمال (ترك إضرارهم)[١] النبيّ ﷺ لو ظفروا به من غير صدور هذا التدبير أظهر وأقرب من ترك إضرار عليّ عليه السلام حينئذٍ ، بناءً على ما قد يحصل عادة من اللين والعطوفة والرقّة الناشئة من الظفر ، لاسيّما على الرحم ، ومن شدّة الغيظ والحنق عند فواته فضلاً عن مثل هذه الصورة[٢] ، بل ربّما يقال : هذا المبيت منه عليه السلام أشدّ من وقوفه في الحروب ؛ ضرورة أنّ المحارب يجوّز النجاة لنفسه والدفع عنها في حال الحرب ، فحالته مترجّحة بين الخوف والرجاء ، بخلاف هذه الحالة التي تعقد الضمائر فيها بالعطب والهلاك .

وأمّا احتمال حصول الأمن له من إخبار النبيّ ﷺ إيّاه بأنّه يسلم منهم ـ كما مرّ[٣] في الرواية ـ فغير قادح أيضاً في المقصود ، فإنّه إنّما كان بعد قبوله المبيت وعزمه على (إفداء نفسه)[٤] حتّى ورد في بعض الأخبار لمّا سمع خبر النجاة من النبيّ ﷺ بكى وقال : «إنّي فرحت لأمرك بما أمرتني به رجاء أن أفديك بروحي فالآن آيستني من مقصودي»[٥] .

فهذا الإخبار إنّما هو من قبيل إتيان جبرئيل بالفداء لإسماعيل بعد ظهور صدق عزمه على التسليم ، لكن لمّا ظهر ذلك من عليّ عليه السلام في بدء

---

(١) بدل ما بين القوسين في «ل» : «تركهم إضرار» .

(٢) انظر : الفصول المختارة : ٥٩ ـ ٦٤ بتصرّف ، وبحار الأنوار ٣٦ : ٤٧ ـ ٥٠ نقلاً عن المفيد .

(٣) في ص ٣٣٠ .

(٤) بدل ما بين القوسين في «ل» : «المفاداة بنفسه» .

(٥) لم نعثر عليه في مظانّه .

الأمر بشّره النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً[١] بالنجاة في ذلك الوقت ، ومع هذا ظاهر عبارة الرواية لاسيّما عند ملاحظة التقييد بالمشيئة يشعر بأنّ هذا الإخبار لم يكن على سبيل القطع ، حتّى أنّه لو فرض كونه قطعيّاً أيضاً لا يدفع الفضل الذي هو المقصود؛ ضرورة أنّه لو كان أحد غيره عليه السلام مثله في قبول هـذا الأمـر وقابليّته ولو مع تلك البشارة لكلّفه به ، فالتخصيص صريح في الاختصاص بأيّ وجهٍ كان ، بل إنّ لنا أن نقول : هذه الحكاية من عليٍّ عليه السلام كانت أعظم من حكاية إسماعيل عليه السلام أيضاً؛ ضرورة أنّ إسماعيل عليه السلام لم يمكّن نفسه من القتل عوضاً عن غيره ، بخلاف عليٍّ عليه السلام ، كما هو واضح .

وكفى في جميع ما ذكرناه قول جبرئيل : من مثلك ياعليّ ، فإنّه يدلّ على انتفاء مثل له في العالم حتّى الملائكة فضلاً عن الصحابة الذين كان فيهم من الذموم ما قد مرّ ويأتي .

وكفى في ذلك انهزامهم في الحروب ، لا سيّما بعد العهود ، كما هو معلوم على المتتبّع ، وبخلهم عن درهم من المال كما مرّ في آية النجوى ، مع أنّه تعالى جعل عمدة الكمال والفضل والجلالة والاختصاص بـمحبّته ووجوب دخول جنّته وأمثال ذلك ، كلّها في بذل النفس والمال ، كما هـو صريح آيات كثيرة ، حتّى أنّه قد اتّفق نزول أكثرها في عليٍّ عليه السلام .

منها : ما مرّ سابقاً وآنفاً ، كـقوله تـعالى : **﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا﴾**[٢] الآية ، وغيرها .

ومنها : ما سيأتي ، وكفىٰ قوله تعالىٰ : **﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ**

---

(١) في «ل» : «نصّاً» بدل «أيضاً» .

(٢) سورة الصف ٦١ : ٤ .

ٱللَّهِ﴾[١] الآية ، مع أنّ هذه الآية أيضاً ممّا نقل أصحابنا عن الأئمة عليهم السلام نزولها في عليّ عليه السلام[٢].

وعلى هذا فدلالة ما نحن فيه من الآية على أفضليّة عليّ عليه السلام ، بل إمامته أيضاً واضحة ، بل على عصمته أيضاً؛ ضرورة أنّ الذي يشري نفسه ابتغاء مرضات الله لا يخالفه أصلاً ، فافهم ، ولا تغفل عن دلالة ما ذكرناه ـ بعد تذكّر ما تقدّم في المقدّمة من أنّه يكون في هذه الأمّة كلّ ما كان في الأمم السابقة ـ على كون هذه القضيّة في هذه الأُمّة كقضيّة إسماعيل عليه السلام ، وكون عليّ عليه السلام كإسماعيل ، والنبيّ كإبراهيم عليهما السلام ، وهذا أيضاً من قرائن إمامته .

ثمّ إنّ هاهنا أشياء لا بأس إن نبّهنا على نبذٍ منها وإن كان لبعضٍ منها محلٌّ آخَر .

فاعلم أوّلاً : أنّ العصبيّة دعت بعضَ المخالفين إلى التمحّلات في الآية[٣] لدفع هذه الفضيلة عن عليّ عليه السلام ، مع وجود ما ذكرناه من شيوع ورود الآية فيما أوضحناه ، وكثرة رُواته إلى هذا الحدّ الذي بيّنّاه .

فمنهم : عِكرمة حيث قال : إنّها نزلت في أبي ذرّ ، وصُهيب بن سنان ؛ لأنّ أهل أبي ذرّ أخذوا أبا ذرّ فانفلت منهم فقدم على النبيّ صلى الله عليه وآله ، فلمّا رجع مهاجراً (أعرضوا عنه فانفلت)[٤] حتّى نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأمّا صُهيب فإنّه أخذه المشركون من أهله فافتدى منهم بماله ، ثمّ خرج

---

(١) سورة التوبة ٩ : ١١١ .

(٢) انظر : تفسير القمّي ١ : ٣٠٦ ، ومجمع البيان ٥ : ٧٦ ، وعنهما في تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٢١٠ ـ ٢٠/٢١١ .

(٣) في سورة البقرة ٢: ٢٠٧.

(٤) ما بين القوسين كذا في النسخ ، وفي المصادر : «عرضوا له فانفلت أيضاً» .

مهاجراً[١].

ومنهم: سعيد بن المسيّب، فإنّه لم يذكر النزول في أبي ذرّ أيضاً، بل اقتصر على حكاية صهيب[٢].

ولا يخفى أنّه مع قطع النظر عن عدم اعتبار كلام هذين الرجلين في هذا المقام ـ حيث كون عِكرمة معدوداً عند الأكثر من الخوارج[٣]، وسعيد ابن المسيّب ممّن لم يصلّ على زين العابدين عليه السلام[٤]، ونقل بعضٌ: انحرافه عن أهل البيت عليهم السلام[٥] ـ لا يجوز لذي دينٍ وإنصافٍ الاعتماد على مثل كلامهما في مقابل تلك الروايات المتظافرة التي أشرنا إليها مع ثبوت صدور ذلك الفعل عن عليّ عليه السلام، على أنّ الأنسب بمقام المدح بيع النفس وبذلها في طلب رضا الله تعالى، كما نقلوا في عليٍّ عليه السلام، لا اشتراؤها واستنقاذها واستخلاصها، كما نُقل عن أبي ذرّ وصُهيب، فإنّ ذلك يفعله كلّ أحدٍ.

هذا، مع أنّ عطاء المال فديةً ليس بيعاً للنفس، بل اشتراء لها، فلا يناسب معنى هذه الآية؛ لأنّ المفسّرين كلّهم فسّروا الشراء بمعنى البيع[٦]، كما هو كذلك في أكثر المواضع لا سيّما في القرآن، بل إنّه لم يرد

---

(١) التبيان ٢ : ١٨٣، مجمع البيان ١ : ٣٠١، جامع البيان للطبري ٢ : ١٨٦، زاد المسير ١ : ٢٢٣، الدرّ المنثور ١ : ٥٧٦.

(٢) أسباب النزول للواحدي : ١٢٢/٦٧، غرائب القرآن للنيسابوري ١ : ٥٧٧.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٦ : ٤٤٣/٤٦٩، الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٣٧، تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٧٨، ذيل الرقم ٤٠٠٩، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢١، ذيل الرقم ٩، ميزان الاعتدال ٣ : ٩٦، ذيل الرقم ٥٧١٦، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٣٧، ذيل الرقم ٤٧٦.

(٤) رجال الكشّي : ١٨٥/٢٠٠، تنقيح المقال ٢ : ٤٨٧٠/٣٠.

(٥) انظر : تنقيح المقال ٢ : ٤٨٧٠/٣٠.

(٦) انظر : التفسير الكبير للرازي ٥ : ٢٢٤.

فيه إلّا بهذا المعنى ، كقوله تعالى : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾(٢) ، وقوله عزّوجلّ : ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِالأَخِرَةِ﴾(٣) .

نعم ، وردت بمعنى الاشتراء لفظة الاشتراء ، كما مرّ آنفاً في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤) الآية ، وغيرها .

ومن العجائب أنّ العصبيّة أثّرت في هذين الرجلين هاهنا بحيث لم يذكرا النزول في عليٍّ عليه السلام بوجهٍ ولو على سبيل الاحتمال؛ إذ لا أقلّ كانا يذكران الورود فيه وفي غيره ، كما فعله الرازي والنيسابوري(٥) .

مع أنّ الحقّ اللازم على كلّ مَنْ له أدنى إنصاف عدم الالتفات إلى هاتين الروايتين في مقابل ما ذكرناه وبيّنّاه ، كما فعله الأكثر سوى الزمخشري والبيضاوي ، فإنّهما أيضاً لم يذكرا كسعيد بن المسيّب سوى نزولها في صُهيب(٦) .

وأعجب من هذا تعصّب مَنْ لم يتوجّه لا إلى دلالة الآية ، ولا إلى ما ورد في سبب نزولها كثرةً ودلالةً ، ولا إلى الكمال والفضل الذي كان في فعل عليٍّ عليه السلام هذا ، ولا إلى سائر أفعاله ومنافعه ، ولا إلى شدّة حبّ الرسول له عياناً ، بل لم ينظر إلى شيء ممّا كان في عليٍّ عليه السلام ، فقال : إنّ رسول

---

(١) سورة يوسف ١٢ : ٢٠ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٠٢ .

(٣) سورة النساء ٤ : ٧٤ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ١١١ .

(٥) التفسير الكبير ٥ : ٢٢٣ ، تفسير غرائب القرآن ١ : ٥٧٧ .

(٦) تفسير الكشّاف ١ : ٤١٧ ، أنوار التنزيل ١ : ٢٠٧/١٨١ .

الله ﷺ كان يعلم لزوم وجود أبي بكر وكثرة نفعه في الإسلام وأهله دون عليٍّ عليه السلام، فلهذا أخذ ذاك معه إلى الغار، وأمر هذا بالمنام على فراشه؛ حيث لم يبال بقتله دونه، حتّى أنّ الرجل لم يعدّ هذا من الفضل في شيء، وليت شعري أيّ شيءٍ دعاه إلى ما قال، وأعماه عمّا صدر من عليٍّ عليه السلام من الأعمال وما كان فيه من الخصال سوى خباثة الولادة التي أخبر النبيّ ﷺ بها في أعداء عليٍّ عليه السلام[(١)] حتّى أنّه لم يتخيّل أنّه أيّ شيءٍ جوابه إن سأله أحد عن شيءٍ واحد من الأشياء المختصّة بأبي بكر، التي أوجبت بزعمه ترجيح وجوده على وجود عليٍّ عليه السلام غير حكاية السقيفة التي هي أصل سبب خراب الدين والدنيا، كما سيأتي بيان تفصيل جميع ذلك في المقصد الثاني، والخاتمة إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّ أفحش وأفضح من هذه الأقوال كلّها ما ذكرناه سابقاً من تصريح جمعٍ من القوم بأنّ سمرة بن جُندب الصحابي المحدّث المشهور عندهم أخذ من معاوية ثلاثمائة ألف درهم، فروى بالكوفة نزول هذه الآية في قاتل عليٍّ عليه السلام، والآية المذكورة في القرآن قبلها ومصداقها معاوية وأمثاله عياناً في عليٍّ عليه السلام[(٢)]، فافهم.

ثمّ اعلم ثانياً: أنّ الشيخ المفيد رحمه الله ذكر في كتاب الفصول[(٣)] أنّ من جملة ما يحتجّ به على أهل الخلاف من حكاية المبيت أنّهم قالوا: إنّ عليّاً عليه السلام آمن برسول الله ﷺ وهو ابن خمس سنين، أو سبع سنين، أو

---

(١) انظر: شرح الأخبار للقاضي النعمان ١: ١٢٤/١٦٦، الثاقب في المناقب: ١٢١/١٢٣ و١٢٢، و١٢٣/١٢٤.

(٢) بناء المقالة الفاطميّة: ٢٧٠، الأربعين للشيرازي: ٢٨٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٣، وفيها: أربعمائة ألف.

(٣) الفصول المختارة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ج٢): ٦٠.

تسع سنين ليبطلوا بذلك فضيلة سبق إيمانه ، وقالوا : إنّه وقع منه على سبيل التلقين دون المعرفة واليقين ، إنّه لو كانت سنّه عند دعوة الرسول على ما ذكروا له ، لم يكن أمره يلتبس عند مبيته على الفراش فيشتبه برسول الله ﷺ ، بحيث يتوهّم كلّ القوم أنّه هو ، ويترصّدونه إلى وقت السحر ، أو الصبح وكشفه هو رأسه؛ لأنّ جسم الطفل ولو كان في أوائل بلوغه لا يلتبس بجسم الرجل الكامل ، لا سيّما بحيث يفوت على جميع أُولئك الجماعة كلّهم سيّما مع وجود القافة فيهم وكمال سعيهم في الترصّد ، بحيث استنكروا تضوّره عند رمي الأحجار .

ثمّ أوضح من هذا ما مرّ من أنّه بات في مكان النبيّ ﷺ في الشعب أيضاً[1] ؛ ضرورة كون ذلك قبل هذا بسنين .

هذا خلاصة كلامه .

وسيأتي بل مرّ أيضاً بيان صحّة سبق إيمانه ، وكونه على نهج المعرفة واليقين من وجوه عديدة لا يضرّها صغر السنّ أيضاً ، بل ينفع في حقّه ، وإنّما ذكر الشيخ هذا في هذا المقام ، لكونه من الشواهد والقرائن ، فتأمّل .

ثمّ إنّ من الآيات بل من المؤيّدات أيضاً لما مرّ آنفاً من الآيات : قول الله عزّ وجلّ : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَايَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَايَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2] ، فإنّه قد روى نزولها في عليّ عليه السلام ، والعبّاس وثالثٍ معهما جماعة كثيرة من العامّة سوى الخاصّة ، فمنهم : النسائي في صحيحه ، وصاحب الجمع بين الصحاح الستّة عن محمّد بن

---

(١) مرّ تخريجه في ص ٣٣١ ، الهامش (٣) .

(٢) سورة التوبة ٩ : ١٩ .

كعب القُرظي، ومنهم: الثعلبي والبغوي في تفسيريهما، عن محمّد المذكور، وعن الحسن البصري، والشعبي، ومنهم: السيوطي عنه أيضاً، وعن الحسن، والشعبي، وابن عبّاس، وأنس، ومنهم: ابن مردويه عن ابن عبّاس، والشعبي، ومنهم: عبدالرزّاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، كلّهم عن الشعبي، ورواه عبدالرزّاق عن الحسن أيضاً، ورواه ابن جرير عن القُرظي أيضاً، ومنهم: الحافظ أبو نُعيم في فضائل الصحابة، وابن عساكر عن أنس، ورواه أبو نُعيم أيضاً بإسنادٍ آخَر عن مجاهد، وباسنادٍ ثالثٍ عن الضحاك، عن ابن عبّاس، ومنهم: الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن ابن بريدة، عن أبيه، ومنهم: العزّ الحنبلي، والسدّي، وابن المغازلي، وابن الأثير في جامع الأُصول، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وغيرهم، قالوا جميعاً بنزول الآية في عليٍّ عليه السلام لمّا افتخر عليه العبّاس ورجل آخَر، وسنذكر اسمه[1]، إلّا أنّ

---

(١) نقله عن النسائي، وعن الجمع بين الصحاح الستّة ابن بطريق في العمدة: ٢٩٥/١٩٤، وخصائص الوحي المبين: ٩٨/١٥٠، وابن طاووس في الطرائف ١: ٤٤/٦٩، وابن جبر في نهج الإيمان: ٥٩٩، والحلّي في نهج الحقّ: ١٨٢، والبياضي في الصراط المستقيم ١: ٢٣٣، الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٥: ٢٠، معالم التنزيل للبغوي ٣: ٢٠، الدرّ المنثور ٤: ١٤٥ ـ ١٤٦، تفسير عبدالرزّاق ٢: ١٠٦١/١٣٨ و١٠٦٢، المصنّف لابن أبي شيبة ١٢: ١٢١٧٣/٨١، تفسير الطبري ١٠: ٦٨، تفسير القرآن العظيم لابن ابي حاتم ٦: ١٠٠٦٥/١٧٦٨، فضائل الخلفاء الأربعة: ٧٢/٨١ عن أنس، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٥٧، شواهد التنزيل ١: ٣٣٨/٢٥٠، كشف الغمّة ١: ٣١٢، المناقب لابن المغازلي: ٣٦٧/٣٢١، جامع الأُصول ٨: ٦٦٣ ـ ٦٥١٤/٦٦٤، تفسير الكشّاف ٣: ٢٤، ربيع الأبرار ٣: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، التفسير الكبير للرازي ١٦: ١١، وانظر: أنوار التنزيل ٢: ٤٢ ـ ٤٤، زاد المسير ٣: ٤١٠، تفسير القرآن للسمعاني ٢: ٢٩٤، تفسير غرائب القرآن ٣: ٤٤٤.

بعضهم ذكر هذا مجملاً ومن غير إسنادٍ إلى راوٍ أيضاً ، وبعضهم ذكر بعض بيانٍ ولو من غير إسنادٍ ، وبعضهم ذكره مفصّلاً مسنداً إلى بعض مَنْ ذكرناهم وإن كان في نقله مفصّلاً أيضاً نوع اختلافٍ ولو بتفاوت يسير في التعبير وتنقيص بعضٍ في الكلام اكتفينا بنقل رواية مفصّلة ممّا روي مسنداً عن ابن عبّاس ؛ لكونه ابن أحد المفتخرين ، ولموافقتها في كثير من الألفاظ لما روي عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن الحارث الهمداني ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، بل ولأكثر سائر الروايات ، ولكونها أبسط ، ومع هذا نشير إلى بعض الاختلاف أيضاً :

قال ابن عبّاس : افتخر العبّاس بن عبدالمطّلب وشيبة بن عبدالدار ـ وفي رواية القرظي : طلحة بن شيبة[1] ، وفي رواية الحسن : عثمان بن شيبة[2] ، وفي رواية عليّ بن محمّد الزهري عن جعفر عن أبيه عليهما السلام ، عثمان بن طلحة[3] ، وفي رواية السدّي : عثمان بن طلحة وهو شيبة[4] ، والأوّل هو الذي ورد في سائر الروايات حتّى عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام[5] ، ويؤيّده ما في بعض روايات ابن عبّاس ، فإنّ فيها أبا طلحة بن عثمان من بني عبدالدار[6] ، إذ لا يبعد ، بل الظاهر كون أبي طلحة كنية شيبة ، فيوافق

---

(١) تفسير الطبري ١٠ : ٦٨ ، الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٥ : ٢٠ .

(٢) تفسير الطبري ١٠ : ٦٨ ، تفسير عبدالرزّاق ٢ : ١٠٦١/١٣٨ ، شواهد التنزيل ١ : ٣٣٤/٢٤٧ . وفيها : «... وعثمان وشيبة» .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٢١٦/١٦٨ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ٢١٢/١٦٦ ، وفيه : عثمان بن طلحة وبنو شيبة .

(٥) تفسير العيّاشي ٢ : ١٨٠٢/٢٢٦ ، تفسير القمّي ١ : ٢٨٤ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١٠/٢٠١ .

(٦) تفسير فرات الكوفي : ٢٠٦/١٦٤ .

روايته الأُولى ؛ لشيوع النسبة إلى الجدّ ، وإنّما الاشتباه في بعض العبارات المذكورة عن غيره ـ فقال شيبة : في أيدينا مفاتيح الكعبة نفتحها إذا شئنا ، ونغلقها إذا شئنا ـ وفي روايةٍ : ولو أشاء بتّ فيه[1] ـ فنحن خير الناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقال العبّاس : في أيدينا سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام فنحن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ مرّ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام ، فأرادا أن يفتخرا عليه ، فقالا : يا أبا الحسن نخبرك بخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخبراه بما قالا ، فقال عليٌّ عليه السلام : «ألا أدلّكما على مَنْ هو خير منكما؟» قالا له : ومَنْ هو؟ قال : «الذي صرف رقبتكما حتّى أدخلكما في الإسلام قهراً» قالا : ومن هو؟ قال : «أنا»[2] .

ومثله رواية الحارث وبريدة ، إلّا أنّ في رواية بُريدة : قال عليٌّ عليه السلام لهما : «أُوتيت على صغري ما لم تؤتيا» فقالا : وما أُوتيت يا عليّ؟ قال : «ضربت خراطيمكما حتّى آمنتما بالله ورسوله»[3] .

وفي رواية أنس نحو ذلك ، إلّا أنّ عليّاً عليه السلام قال : «أنا أوّل مَنْ آمن وهاجر وجاهد»[4] .

وفي رواية القُرظي نقل مجمل المفاخرة وأنّه عليه السلام قال : «ما أدري ما

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٨/٢٠٠ ، تفسير الطبري ١٠ : ٦٨ ، الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٥ : ٢٠ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٢٠٩/١٦٥ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٢١٣/١٦٧ و٢١٤ عن الحارث ، مجمع البيان ٣ : ١٥ ، شواهد التنزيل ١ : ٣٣٨/٢٥٠ عن بريدة .

(٤) شواهد التنزيل ١ : ٣٣٧/٢٤٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ، فضائل الخلفاء الأربعة : ٨١ ـ ٧٢/٨٢ .

تقولان ، لقد صلّيت إلى القبلة قبل النّاس ، وأنا صاحب الجهاد»(١) .

ومثله في رواية الباقر عليه السلام(٢) .

ثمّ إنّ في رواية ابن عبّاس وبُريدة والحارث الهمداني : فقام العبّاس مغضباً يجرّ ذيله حتّى أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره بمقالة عليٍّ عليه السلام ، ثمّ في رواية ابن عبّاس والحارث : فلم يردّ النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً ، فهبط جبرئيل عليه السلام وقال : يا محمّد ، إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول : اتل عليهم : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إلى آخر الآيات كلّها ، فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله العبّاس وقرأ عليه الآية وقال : «يا عمّ قم فاخرج ، هذا الرحمان يخاصمك في عليّ بن أبي طالب» .

وفي رواية بُريدة : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دعا عليّاً عليه السلام وقال له : «ما حملك على ما استقبلت به عمّك؟» فقال : «يا رسول الله ، صدمته بالحقّ فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض» فنزل جبرئيل وقال ، إلى آخر الخبر ، وفي آخره أيضاً : إنّ العبّاس قال : إنّا قد رضينا ، ثلاث مرّات(٣) .

وفي روايةٍ عن الباقر عليه السلام أنّه قال : «نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ - إلى - وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثمّ وصف عليّاً عليه السلام فقال : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾ ثمّ وصف ما لعليٍّ عليه السلام عنده ، فقال : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ

---

(١) مجمع البيان ٣ : ١٤ ، الطرائف ١ : ٤٤/٦٩ ، نهج الإيمان : ٥٩٩ ، تفسير الطبري ١٠ : ٦٨ ، فضائل الطالبيّين : ٨٢ ، زاد المسير ٣ : ٤١٠ ، الدرّ المنثور ٤ : ١٤٦ .

(٢) انظر : تفسير القمّي ١ : ٢٨٤ ، وتأويل الآيات الظاهرة ١ : ٨/٢٠٠ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٢٠٩/١٦٥ عن ابن عبّاس ، و٢١٣/١٦٧ عن الحارث ، مجمع البيان ٣ : ١٥ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٩/٢٠ ، شواهد التنزيل ١ : ٣٣٨/٢٥٠ عن بريدة .

مِنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[(١) (٢)].

ويظهر من روايةٍ أُخرى عنه عليه السلام : أنّ حمزة وجعفر كانا شريكين مع عليٍّ عليه السلام في ذلك[(٣)].

وفي رواية ابن مردويه عن الشعبي أنّه قال : كان بين عليٍّ عليه السلام والعبّاس منازعةٌ ، فقال العبّاس لعليٍّ عليه السلام : أنا عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأنت ابن عمّه وإليّ سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام ، فأنزل الله الآية[(٤)].

وبالجملة (نزول ما ذكر)[(٥)] في عليٍّ عليه السلام مجمع عليه ، ودلالته على أنّ مناط الفضل والفخر الإيمان والجهاد الذي لا ريب في تفوّق عليٍّ عليه السلام في كليهما على جميع الصحابة لا سيّما بعد ملاحظة ما تقدّم خصوصاً في الفصول السابقة ، بل ما سيأتي أيضاً ، واضحة ، فتأمّل ، والله الهادي .

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه جماعة كثيرة عن ابن عبّاس ، منهم : الكلبي عن أبي صالح عنه ، ومنهم : الثعلبي والسيوطي في تفسيريهما ، وعبد الرزّاق ، والحافظ أبو نُعيم ، وابن المغازلي ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن حُميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر ، والطبراني عن مجاهد ، عنه ، ومنهم : ابن مردويه ، والعزّ الحنبلي ، والزمخشري ، والواقدي ، وابن حجر ، وابن أبي الحديد ، وجماعة من

---

(١) سورة التوبة ٩ : ١٩ ـ ٢٢ .

(٢) تفسير القمّي ١ : ٢٨٤ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٣٥ .

(٣) تفسير العيّاشي ٢ : ١٨٠٢/٢٢٦ ، تفسير القمّي ١ : ٢٨٤ ، الكافي ٨ : ٢٤٥/٢٠٣ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١٠/٢٠١ .

(٤) نقله عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٤ : ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٥) بدل ما بين القوسين في «م» : «نزولها» .

المفسّرين عنه ، قال : إنّ قوله عزّ وجلّ : ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١) الآية ، نزلت في عليّ عليه السلام ، لم يملك إلّا أربعة دراهم ، فتصدّق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً ، وبدرهم علانية ، فنزلت الآية (٢) .

وفي رواية الكلبي ذكر الدنانير بدل الدراهم (٣) .

ومثل هذا الخبر بعينه مرويّ عن الباقر والصادق عليهما السلام (٤) .

وفي روايةٍ عن عطاء بن السائب قال : قال عبد الرحمن السلمي : إنّي لأحفظ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أربع مناقب ما يمنعني أن أذكرها إلّا الحسد ، فقيل له : اذكرها ، قال : فقرأ ذات يوم قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٧٤ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٧٠ ـ ٤٢/٧١ ، شواهد التنزيل ١ : ١٥٥/١٠٩ ، الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٢ : ٢٧٩ ، الدرّ المنثور ٢ : ١٠٠ ـ ١٠١ ، تفسير عبد الرزّاق ١ : ٣٤٤/٣٧١ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٦٣ عن ابن أبي شيبة ، المناقب لابن المغازلي : ٣٢٥/٢٨٠ ، تفسير القرآن لابن المنذر ١ : ٢٢/٤٨ ، تفسير الطبري ٥ : ٣٣ (نشر دار عالم الكتب) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢ : ٢٨٨٢/٥٤٣ و٢٨٨٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٥٨ ، المعجم الكبير للطبراني ١١ : ١١١٦٤/٩٧ ، ونقله عن مردويه ابن كثير في تفسيره ١ : ٧٠٨ ، ونقله عن العزّ الحنبلي الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٠ ، تفسير الكشّاف ١ : ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ، الصواعق المحرقة : ٢٠٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٢ ، وانظر : تفسير السمرقندي ١ : ٢٣٤ ، وتفسير مقاتل بن سليمان ١ : ٢٢٥ ، وتفسير القرآن للسمعاني ١ : ٢٧٨ ، ومعالم التنزيل ١ : ٣٩٦ ، والنكت والعيون ١ : ٣٤٧ ، والوسيط للواحدي ١ : ٣٩١ و٣٩٢ ، وزاد المسير ١ : ٣٣٠ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٤٣/٧١ ، شواهد التنزيل ١ : ١٦٣/١١٥ .

(٤) تفسير مجمع البيان ١ : ٣٨٨ ، وعنه في تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٩٨ ، ذيل الرقم ٨٩ .

﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الآية، ثمّ قال: إنّها لعليّ عليه السلام[١]، وذكر مثل ما قال ابن عبّاس بعينه.

أقول: ولعلّ مراده حسد الناس، حيث كان في زمن بني أُميّة، إشعاراً بأنّ ترك ذكر أكثر مناقبه لأجل الحسد والخوف.

وممّا يؤيّد هذا النزول وفضل التصدّق في هذه الحالة عندهم أيضاً: ما رواه بعضهم عن أبي هريرة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يسوى[٢] درهم مائة ألف درهم» قالوا: وكيف ذلك يارسول الله؟ قال: «رجل له درهمان فأخذ الأجود منهما وتصدّق به، ورجل له مال كثير فأخرج من عرضه مائة ألف وتصدّق بها»[٣].

والأخبار المشتملة على دلالة نزول أمثال هذه الآية في عليّ عليه السلام كثيرة، سوىٰ سورة هل أتى وآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾[٤] وآية النّجوى[٥] وأمثالها ممّا مرّ ويأتي من المختصّات به، وقد مرّ أكثر تلك الأخبار في فصول فضائله عليه السلام.

ومنها: ما رواه محمّد بن العبّاس بن مروان بإسناده عن عاصم بن كُليب[٦] عن أبيه، عن أبي هُريرة، قال: إنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٤٥/٧٢، مناقب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للكوفي ١: ١٨٦، وفيهما: عن أبي عبد الرحمن السلمي بتفاوتٍ.

(٢) في المصادر: «سبق» بدل «يسوى».

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٢: ٢٣٠٦/٣٢ و٢٣٠٧، المستدرك للحاكم ١: ٤١٦، الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٢: ٢٧٩، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٥: ٣٣٣٦/١٤٤، كنز العمّال ٦: ١٦٠٥٩/٣٦٠.

(٤) سورة المائدة ٥: ٥٥.

(٥) سورة المجادلة ٥٨: ١٢.

(٦) هو عاصم بن كُليب بن شهاب بن الجَرمي الكوفي، روى عن أبيه، وسَلَمة بن ←

فشكى إليه الجوع ، فبعث النبيّ ﷺ إلى بيوت أزواجه ، فقلن : ما عندنا إلّا الماء ، فقال ﷺ : «من لهذا الرجل الليلة؟» فقال عليّ عليه السلام : «أنا يا رسول الله» ، فأتى فاطمة عليها السلام فأعلمها ، فقالت : «ما عندنا إلّا قوت الصبيّة ، ولكنّا نؤثر به ضيفنا» . فقال عليه السلام : «نوّمي الصبيّة وأطفئي السراج» فلمّا أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فنزل قوله تعالى : ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (١) (٢) .

وقد روي نزولها في عليّ عليه السلام من طريق أهل البيت عليهم السلام أيضاً إلّا أنّ في بعضها أنّه كان عند عليّ عليه السلام دينار يريد أن يشتري به لأهله طعاماً ، فرآى عمّار بن ياسر واقفاً متحيّراً فسأله عن حاله فذكر له الحاجة وشدّة الجوع ، فأعطاه الدينار ولم يشتر لنفسه وأهله شيئاً ، فنزلت الآية (٣) .

وفي روايةٍ عن الباقر عليه السلام : «إنّ النبيّ ﷺ كان جالساً ذات يوم مع أصحابه ، فجاء عليّ عليه السلام وعليه ثوب منخرق عن بعض جسده ، فجلس قريباً من النبيّ ﷺ فنظر إليه ساعة ، ثمّ قرأ هذه الآية ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ** ـ إلى ـ **فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ ثمّ قال ﷺ : يا عليّ أما إنّك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية وسيّدهم وإمامهم ، ثمّ قال له : أين حلّتك الّتي

↩ نُباتة ، وآخرين ، وروى عنه : أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد، وخلق كثير .
مات في أوّل خلافة أبي جعفر ، وقيل : مات سنة ١٣٧ هـ .
انظر : الطبقات لابن سعد ٦ : ٣٤١، الثقات لابن حبّان ٧ : ٢٥٦، تهذيب التهذيب ٥ : ٨٩/٤٩، تهذيب الكمال ١٣ : ٣٠٢٤/٥٣٧ .

(١) سورة الحشر ٥٩ : ٩ .

(٢) الأمالي للطوسي : ٣٠٩/١٨٥ ، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٢ : ٨٧ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤/٦٧٨ ، شواهد التنزيل ٢ : ٩٧٠/٢٤٦ .

(٣) انظر : تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٥/٦٧٩ وفيه : «مقداد بن الأسود» بدل «عمّار بن ياسر» .

كسوتكها يا عليّ ؟ قال : إنّ بعض أصحابك أتاني يشكو عراه فرحمته وآثرته بها على نفسي ، فقال ﷺ : إنّ جبرئيل قد أتاني وأخبرني»[١] إلى آخر الخبر .

وقد مرّ أيضاً أخبار من هذا القبيل كثيراً في فصول فضائله عليه السلام .

وفي روايةٍ عن الباقر عليه السلام : «إنّ قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾[٢] الآية نزلت في عليٍّ عليه السلام»[٣] .

ولا ينافي هذا كلّه ما ذكره بعض المفسّرين من ورود بعضها في غيره ، كآية الإيثار في الأنصار[٤] ، ونحو ذلك؛ لأنّا لا ننكر الشمول للغير فيما يحتمله ، بل لا ننكر عموم الورود في بعضها أيضاً ، لكن مع القول بأنّه رأسهم ، وعمدة مقتضى النزول ، كما يظهر من بعض أخبار آية الإيثار ، وممّا مرّ في كونه رأس ما ورد من المؤمنين في القرآن وأمثال ذلك .

نعم ، ننكر على المفسّرين تغيير كثيرٍ ممّا ورد فيه عليه السلام إلى غيره؛ بحيث لم يتعرّضوا لذكر الورود فيه أصلاً حتّى مع وجود رواياتهم ، بل ولا للإشعار بشموله له ولا دخوله فيه .

فتدبّر ولا تغفل عمّا في هذه الآيات من الدلالة على كمال فضله عليه السلام في السخاء أيضاً ، الذي هو من أشرف مكارم الأخلاق؛ وبحيث إنّ الله سبحانه قَبِل ذلك منه بأحسن القبول .

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٧/٦٨٠ ، وعنه في تفسير البرهان للبحراني ٥ : ١٠٦٣٠/٣٤٢ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٤/٦٠ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٦٥ .

(٣) تفسير العيّاشي ١ : ٥٨٩/٢٧٢ ، شواهد التنزيل ١ : ١٤٤/١٠٤ .

(٤) مجمع البيان ٥ : ٢٦٠ ، أسباب النزول للواحدي : ٨٠٩/٤٣٩ ، الدرّ المنثور ٨ : ١٠٧ .

ومعلومٌ أنّ استجماع هذه الصفات مع سائر الكمالات فيه أدلّ دليلٍ على لزوم كونه معلّماً إماماً مقدّماً على من لم يكن فيه عُشْر من معشارها ، وإلّا لورد فيه أيضاً ، بل كان يجب الورود لدفع شُبَه المنكرين له كما في عليٍّ عليه السلام ، ولا أقلّ من آية مسلّمة الورود ولو بنقلٍ ثابتٍ بلا معارض ولو عند أتباعه ، فافهم ، والله الهادي .

ثمّ إنّ من الآيات ما اشتمل على كلمات الله ، وكلمة التقوى والمتّقين ، ومن يثاب يوم القيامة وأمثال ذلك ممّا ورد فيها أنّ المراد عليٌّ وذرّيته الأئمّة عليهم السلام أو ولايتهم أو شيعتهم ، وكذا ما يدلّ على بعض أحوال أعدائهم ، وقد سبق أكثر الأخبار التي هي من هذا القبيل ، وما يفيد مثل هذا المفاد سيّما في فصول ذكر أخبار(١) فضائلهم وفضائل شيعتهم ، ولزوم موالاتهم ، ولا بأس إن ذكرنا نبذاً من ذلك هاهنا أيضاً لتكون كالمفسّر لفهم البواقي ، لا سيّما التي مضت .

روى الحافظ أبو نُعيم في حلية الأولياء عن أبي برزة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ الله [تعالى] عهد إلَيَّ في عليٍّ عهداً ، فقلت : يا ربّ ، بيّنه لي ، فقال : إنّ عليّاً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين»(٢) الخبر .

وهو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(٣) الآية ، كما ورد صريحاً في رواية الباقر عليه السلام مفسّراً ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾

---

(١) في «م» : «الأخبار في» .
(٢) حلية الأولياء ١ : ٦٦ ـ ٦٧ .
(٣) سورة الفتح ٤٨ : ٢٦ .

بولاية عليّ عليه السلام[١].

وقد مرّ في الفصول السابقة لا سيّما في حكاية الغدير أخبار مشتملة على تفسير هذه الآية بما ذُكر، فلا تغفل.

وروى ابن المغازلي، والسيوطي، وابن النجّار، عن ابن عبّاس، قال: سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّاها آدم عن ربّه فتاب عليه، قال صلى الله عليه وآله: «سأله بحقّ محمّد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا ما تُبتَ عليَّ، فتاب عليه»[٢].

وروى نحوه الديلمي وغيره أيضاً[٣].

وقد سبق[٤] أخبار في كونهم عليهم السلام كلمات الله وأمثالها[٥].

وروى بعضهم عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[٦] أنّه قال: بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٧].

أقول: يحتمل كون مراده بيان القول الثابت أو الإيمان، فافهم.

وقد روى عنه أيضاً أنّه قال في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٨/٥٩٥ عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ٨٩/٦٣، الدرّ المنثور ١: ١٤٧ عن ابن النجّار.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣: ٤٤٠٩/١٥١، الدرّ المنثور ١: ١٤٧.

(٤) في «ل» زيادة: «ذكر».

(٥) مختصر البصائر: ١٠٢/١٣٢، وانظر بحار الأنوار ٢٥: ٣٨/٢٢، و٣٨/١٦٩، وتفسير العيّاشي ٢: ١٧٠٤/١٨٦.

(٦) سورة إبراهيم ١٤: ٢٧.

(٧) تفسير فرات الكوفي: ٢٢٠ ـ ٢٩٥/٢٢١، تفسير الحبري: ٤٢/٢٨٨، بشارة المصطفى: ٧/٣٧١، شواهد التنزيل ١: ٤٣٤/٣١٤.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾[١] : الكتاب القرآن ، والحكمة ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢] .

وقد مرّ في الآية الخامسة عشر من المطلب السابق ما يناسبه ، فتذكّر .

وروى ابن مردويه وابن أبي شيبة وغيرهما عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : «يا عليّ ، من أحبّك وتولّاك أسكنه الله معنا في الجنّة» ثمّ تلا النبيّ صلى الله عليه وآله : **﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾**[٣][٤] .

وقد سبق خبر آخر أطول من هذا .

وروى بعضهم عن ابن عبّاس في قوله تعالى : **﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾**[٥] أنّه قال : المؤذّن ذلك اليوم من الله ورسوله كان عليّ بن أبي طالب[٦] ، وقد مرّ هذا سابقاً في حكاية نزول سورة براءة في الفصل الرابع .

وروى ابن مردويه في قوله تعالى : **﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾**[٧] الآية ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : «المؤذّن هو عليّ عليه السلام»[٨] .

---

(١) سورة الجمعة ٦٢ : ٢ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٦٢٩/٤٨٣ ، شواهد التنزيل ٢ : ٩٧٨/٢٥٣ .

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٥٤ و٥٥ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ٥٩٨/٤٥٦ ، كشف الغمّة ١ : ٣٠٥ ، كشف اليقين للحلّي : ٣٨٥ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١/٦٢٩ ، فضائل الطالبيّين : ١٨٤ ، المناقب للخوارزمي : ٢٥٩/٢٧٦ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٣ .

(٦) تفسير فرات الكوفي : ١٩٥/١٥٨ ، تفسير الحبري : ٣٠/٢٦٩ .

(٧) سورة الأعراف ٧ : ٤٤ .

(٨) تفسير فرات الكوفي : ١٧٣/١٤٢ ، كشف الغمّة ١ : ٣٢١ ، كشف اليقين : ٣٨٤ .

وفي قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[١] عن ابن سيرين أنّه قال: ﴿طُوبَىٰ﴾ شجرة في الجنّة أصلها في حجرة عليّ عليه السلام، وليس في الجنّة حجرة إلّا وفيها غُصنٌ من أغصانها[٢].

وقد روى الأوّلَ أيضاً صاحبُ كتاب فضائل عليّ عليه السلام عن جابر، وعن ابن عبّاس[٣].

وكذا في الكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾[٤] عن جابر: أنّ المنادي هو عليٌّ عليه السلام[٥].

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾[٦]: «أنّ الداعي هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٧].

ولا يخفى تأييدهما للأوّل.

وروى الأخيرَ الثعلبيُّ في تفسيره، وابن المغازلي أيضاً عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه: «دار عليٍّ عليه السلام» بدل الحجرة، وكذا فيه: «وفي دار كلّ مؤمن منها غُصن»[٨].

وقد سبق أيضاً أمثالها.

---

(١) سورة الرعد ١٣: ٢٩.

(٢) تفسير العيّاشي ٢: ٢٢٢٧/٣٩١، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٢٧٠، كشف الغمّة ١: ٣٢٣، كشف اليقين: ٣٩٨، المناقب لابن المغازلي: ٣١٥/٢٦٨.

(٣) انظر: فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن شاذان: ٨٥.

(٤) سورة ق ٥٠: ٤١.

(٥) انظر: الفضائل لشاذان بن جبرائيل: ٣٨٧ ـ ١٦٤/٣٨٨.

(٦) سورة طه ٢٠: ١٠٨.

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٣/٣١٦.

(٨) الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٥: ٢٩٠، ولم نعثر عليه في المناقب لابن المغازلي.

وروى الحاكم الحسكاني وغيره بأسانيد عن شريك عن الأعمش في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(١) الآية أنه قال : نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فإنّ المكذّبين لفضله لمّا رأوا ما لعليّ بن أبي طالب عليه السلام عند الله من الزلفىٰ ومكانه من النبيّ صلى الله عليه وآله سيئت وجوههم(٢) .

وقد رواه بعينه جماعة عن الباقر عليه السلام مع زيادة تفسير آخر الآية ، أي قوله تعالى : ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾(٣) بأنّه عليه السلام قال : «أي : تتسمّون بأمير المؤمنين فإنّه لم يتسمّ بهذا أحد غير عليّ عليه السلام إلى يوم الناس هذا إلّا مفتر كذّاب»(٤) .

ودلالتها أيضاً على إمامته واختصاصه بإمارة المؤمنين ظاهرة كما مرّ في أخبار كثيرة .

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وروى غيره عن عبدالله بن أبي أوفى ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «يا عليّ ، أنت معي في قصري في الجنّة مع فاطمة ، وأنت رفيقي» ثمّ تلا قوله تعالى : «﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾(٥) المتحابّين في الله ينظر بعضهم إلى بعض» وفي

(١) سورة الملك ٦٧ : ٢٧ .

(٢) شواهد التنزيل ٢ : ٢٦٤ ـ ٩٩٧/٢٦٥ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٧٠٤ ـ ٥/٧٠٥ و٦ .

(٣) سورة الملك ٦٧ : ٢٧ .

(٤) الكافي ٨ : ٣٤/٢٨٨ ، اليقين لابن طاووس : ١١٠/٣٠٣ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٧/٧٠٥ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١٤/٦٨ ، و٣٧ : ٤٩/٣١٨ ، وفي بعضها : «البأس» بدل «الناس» .

(٥) سورة الحجر ١٥ : ٤٧ .

رواية أبي هُريرة: «الحسن والحسين وجعفر وعقيل» بعد «فاطمة» وأنت معي وشيعتك في الجنّة»، ثمّ قرأ الآية، وقال: «لا ينظر أحد في قفا صاحبه»(١).

وفي مسند أحمد بن حنبل: أنّ هذه الآية نزلت في عليٍّ عليه السلام(٢).

وفي كتاب المناقب عن زاذان وأبي داوُد السبيعي عن أبي عبدالله الجدلي، قال: قال عليٌّ عليه السلام في قوله تعالىٰ: «﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُم مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ**﴾(٣) يا أبا عبدالله الحسنة، حُبّنا، والسيّئة بغضنا»(٤).

ورواه ابن مردويه أيضاً(٥).

وروى مثله أيضاً الثعلبي في تفسيره عنه عليه السلام هكذا: «ألا أُنبّئك بالحسنة التي مَنْ جاء بها دخل الجنة والسيّئة التي مَنْ جاء بها أكبّه الله في النار ولم يقبل معها عملاً» قلت: بلى، قال: «الحسنة حبّنا والسيّئة بغضنا»(٦).

وكذا روى الثعلبي عن ابن عبّاس أنّه قال في قوله تعالى: ﴿**وَمَن**

---

(١) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣٢٥، والحلّي في كشف اليقين: ٤٠٧، وفي تفسير فرات الكوفي: ٢٢٦ ـ ٣٠٤/٢٢٧ بتفاوت يسير.

(٢) انظر: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ١٠١٨/٥٩٧، و١٠٨٥/٦٣٩، خصائص الوحي المبين: ١٩٦/٢٤٣، منهاج الكرامة: ١٧٢.

(٣) سورة النمل ٢٧: ٨٩ و٩٠.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢١ في تفسير الاية ١٦٠ من سورة الأنعام (٦).

(٥) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣٢٤.

(٦) الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٧: ٢٣٠، وعنه في المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢١.

يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾[١] أي : المودّة لعليّ عليه‌السلام[٢] .

وروى ابن مردويه عن مجاهد أنّه قال في قوله تعالىٰ : **﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَـٰقِيهِ﴾**[٣] الآية أنّها نزلت في عليّ وحمزة[٤] .

ورواه العزّ الحنبلي أيضاً ، وقال : هو عليّ عليه‌السلام[٥] .

وفي روايات أهل البيت عليهم‌السلام : «إنّ الله وعده أن ينتقم له من أعدائه في الدنيا بولده المهديّ عليه‌السلام ، ووعده الجنّة له ولأوليائه في الآخرة»[٦] .

وروى محمّد بن العبّاس بن مروان في تفسيره عن إبراهيم بن محمّد النيسابوري يرفعه إلى ربيع بن قريع[٧] قال : كنّا عند عبدالله بن عمر ، فقال له رجل من بني تميم يقال له : حسان بن واصبة[٨] : يا أبا عبدالرحمن ، لقد رأيت رجلين ذكرا عليّاً وعثمان فنالا منهما ، فقال ابن عمر : إن كانا لعناهما فلعنهما الله تعالى ، ثمّ قال : ويلكم يا أهل العراق كيف تسبّون رجلاً هذا منزله من منزل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ؟ وأشار إلى بيت عليّ عليه‌السلام ، ثمّ قال : فوربّ

---

(١) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٢) عنه في المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٢١ ، وفي الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٨ : ٣١٤ : «المودّة لآل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله» .

(٣) سورة القصص ٢٨ : ٦١ .

(٤) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٢٥ .

(٥) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٣ .

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١٨/٤٢٢ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ١٥٠ ـ ١٥١ ، ذيل ح ١٢٩ .

(٧) هو ربيع بن قريع أحد بني غطفان ، كنيته أبو الجارود ، من أهل الكوفة ، روى عن ابن عمر ، وروى عنه الثوري وشعبة .

انظر : التاريخ الكبير ٣ : ٩١٩/٢٧٠ ، الجرح والتعديل ٣ : ٢٠٩٤/٤٦٧ ، الثقات لابن حبّان ٤ : ٢٢٥ .

(٨) انظر : تنقيح المقال ١٨ : ٤٨٧١/٢٦٩ .

هذه الحرمة إنّه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى، ما لها من مردّ، يعني بذلك علياً عليه السلام(١).

وفي رواية النعمان بن بشير أنّه قال: قرأ عليٌّ عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٢) فقال: «أنا منهم» الخبر، وهو أيضاً في تفسير محمّد بن العبّاس(٣).

وروى ابن مردويه أيضاً عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾(٤): «نحن أصحاب الأعراف مَنْ عرفناه بسيماه أدخلناه الجنّة»(٥).

وفي رواية أبي الطفيل على ما في المناقب عن أبي ذرّ رحمه الله قال: سمعتُ فاطمة عليها السلام تقول: «سألتُ أبي صلى الله عليه وآله عن قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ الآية، فقال: هم الأئمّة بعدي عليٌّ وسبطاي وتسعة من صُلب الحسين، هم رجال الأعراف لا يدخل الجنّة إلّا مَنْ يعرفهم ويعرفونه، ولا يدخل النار إلّا مَنْ أنكرهم وينكرونه»(٦) الخبر.

ودلالته بل ودلالة سابقه أيضاً غير خفيّةٍ على كلّ ذي نظرٍ، وقد وردت بمضمونها أخبار من أهل البيت عليهم السلام(٧).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٩ ـ ١٥/٣٣٠، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ١٢٧، ذيل ح ٦٩.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ١٠١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٤/٣٢٩، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٦٩/١٢٧.

(٤) سورة الأعراف ٧: ٤٦.

(٥) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣٢٤.

(٦) كفاية الأثر: ١٩٤ ـ ١٩٥، وعنه في بحار الأنوار ٣٦: ٢٢٠/٣٥١.

(٧) الكافي ١: ٩/١٤١ (باب معرفة الإمام والردّ إليه)، تأويل الآيات الظاهرة ١: ١١/١٧٥.

وروى ابن مردويه أيضاً عن الباقر عليه السلام أنه قال في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [١]: أي: إلى ولاية عليٍّ عليه السلام» [٢].

وقد ذكر عليّ بن يوسف في كتاب نهج الإيمان: أنّ محمّد بن عليّ ابن سراج ذكر في كتابه في معنى هذه الآية حديثاً بإسناده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يابن مسعود، إنّه قد نزلت في عليٍّ آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [٣] وأنا مستودعكها مسمٍّ لك خاصّة الظلمة، فكن لما أقول لله واعياً وعنّي له مؤدّياً، مَنْ ظلم عليّاً مجلسي هذا كمن جحد نبوّتي ونبوّة مَنْ كان قبلي»، فقال بعض مَنْ حضر عند ابن مسعود: يا أبا عبدالرحمٰن أسمعتَ هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، فقال له: فكيف وقد كنت للظالمين ظهيراً؟ قال: لا جرم حلّت بي عقوبة عملي؛ لأنّي لم أستأذن مولاي كما استأذنه جُندب وعمّار وسلمان، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه [٤].

وقد مرّ مثله من طريقٍ آخَر في المطلب الرابع من الفصل السابق.

وروى ابن مردويه أيضاً بإسناده عن ابن عبّاس قال: إنّ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ [٥] الآية

---

(١) سورة الأنفال ٨ : ٢٤.

(٢) نقله عنه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٢١، وكذا في تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١/١٩١.

(٣) سورة الأنفال ٨ : ٢٥.

(٤) نهج الإيمان : ٢١٧، وعنه في تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٦/١٩٣.

(٥) سورة الرعد ١٣ : ١٩.

إنّها نزلت في عليٍّ عليه السلام ، والأعمى هو عدوّه ، وأُولوا الألباب شيعته(١) .

وقد سبقت أخبار من قبيل ما ذكرناه حتّى في الفصول السابقة ، وتأتي أيضاً ، فلا تغفل .

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه في كتاب الفضائل بإسنادٍ له عن المقداد بن الأسود الكندي قال : كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله ، وهو متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول : «اللّهم اعضدني واشدد أزري واشرح صدري وارفع ذكري» فنزل جبرئيل عليه السلام بسورة «ألم نشرح» ، وقال : اقرأ يامحمّد ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾(٢) بعليٍّ صهرك ، قال : فقرأها النبيّ صلى الله عليه وآله وأثبتها ابن مسعود في مصحفه ، فأسقطها عثمان(٣) .

وقد مرّت في أحاديث المنزلة أخبار في قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «ربّ اشرح لي صدري» إلى أن قال أيضاً : «واجعل لي وزيراً من أهلي عليّ بن أبي طالب أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري» ، وكلّها مناسب لنزول السورة ، حتّى أنّ في رواية أبي نُعيم ، عن ابن عبّاس أنّه قال : لمّا دعا النبيّ صلى الله عليه وآله بهذا سمعتُ منادياً ينادي يا أحمد ، قد أُوتيت سؤلك(٤) .

وأمّا روايات أهل البيت عليهم السلام في نزول السورة كما ذكر عند هذا الدعاء بنحو ما ذُكر أخيراً فكثيرة حتّى أنّه في رواياتٍ أنّ المراد ﴿**أَلَمْ**

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٨/٢٣١ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ١٢٤ .

(٢) سورة الشرح ٩٤ : ١ ـ ٤ .

(٣) الفضائل لشاذان بن جبرائيل : ١٨٤/٤٣١ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٦٣/١١٦ .

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٣/٣١٠ ، تفسير البرهان للبحراني ٣ : ٧٠٠٨/٧٦٢ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٦٧/١٢٦ نقلاً عن تأويل الآيات ، وانظر : تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٥٢ ، الدرّ المنثور ٥ : ٥٦٦ .

نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ بعليٍّ فجعلناه وصيّك وناصرك يذلّ أعداءك، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ﴾ بعليٍّ ﴿وِزْرَكَ﴾ أي: الحرب ﴿ٱلَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ بقتله مقاتلة الكفّار ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ﴾ بذلك ﴿ذِكْرَكَ﴾ تُذكر إذا ذُكرت أنا، وهو قول الناس: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وقد كنتَ في العسر فأتاك اليسر بتلك الفتوحات التي جرت على يد عليٍّ، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من حجّة الوداع ـ وفي روايةٍ: من نبوّتك، وفي أُخرى: من إكمال الشريعة ـ ﴿فَانصَبْ﴾ عليّاً للولاية ـ وفي روايةٍ: إماماً ـ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ في ذلك[1].

ويؤيّد هذا ما روي أنّها نزلت في حجّة الوداع[2].

والأظهر أنّ في قراءة أهل البيت عليهم السلام كان ﴿فَانصَبْ﴾ بكسر الصاد[3] من النصب بالسكون بمعنى الرفع.

وقد نسب الزمخشريّ هذه القراءة إلى الروافض، وعدّها من بِدَعهم[4]، وأبدى فيها نصبه وعصبيّته.

ويمكن أن تكون قراءتهم أيضاً بالفتح، ويكون المراد الجدّ والاهتمام وتحمّل المشاقّ في نصب الوصيّ، ويكون ما ذكروه بياناً لحاصل المعنى، فتأمّل تفهم، والله الهادي.

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه في كتاب المناقب بإسنادٍ له عن ابن عبّاس

---

(١) تفسير القمّي ٢ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٣١، بحار الأنوار ٣٦ : ١٣٣ و١٣٤ و٨٧/١٣٥ و٨٩ و٩٠ و٩١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤/٨١٢، بحار الأنوار ٣٦ : ٩١/١٣٥.

(٣) شرح الأخبار للقاضي نعمان ١ : ٢٧٠/٢٤٥، بحار الأنوار ٣٦ : ١٣٥.

(٤) تفسير الكشّاف ٦ : ٣٩٨.

في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[(١)] الآية، أنّه قال: أهدى رجل إلى النبيّ ﷺ ناقتين سمينتين، فقال للصحابة: «هل فيكم أحد يصلّي ركعتين ولم يهتمّ فيهما بشيءٍ من أُمور الدنيا ولا يحدّث قلبه بفكر الدنيا فأهدي إليه إحدى هاتين الناقتين» فقالها مرّة ومرّتين وثلاثاً، فلم يُجبه أحد من أصحابه، فقام عليٌّ عليه السلام، فقال: «أنا يارسول الله، أُصلّي ركعتين أُكبّر التكبيرة الأُولى إلى أن أُسلّم منهما لا أُحدّث نفسي بشيءٍ من أُمور الدنيا» فقال: «صلّ يا عليّ صلّى الله عليك» قال: فكبّر عليٌّ عليه السلام ودخل في الصلاة فلمّا سلّم من الركعتين هبط جبرئيل على النبيّ ﷺ، فقال: يا محمّد إنّ الله يقرؤك السلام ويقول لك: أعطه إحدى الناقتين، فقال رسول الله ﷺ: «أنا شارطته أن يصلّي ركعتين لا يحدّث فيهما نفسه بشيءٍ من أُمور الدنيا [أن أُعطيه إحدى الناقتين][(٢)] وإنّه جلس في التشهّد فتفكّر أيّهما يأخذ، فقال جبرئيل: يا محمّد، إنّ الله يقرؤك السلام ويقول لك: إنّه تفكّر أنّ أيّهما أسمن[(٣)] فيأخذها وينحرها في سبيل الله فيتصدّق بها لوجه الله تعالى، فكان تفكّره لله تعالى لا لنفسه ولا للدنيا، فبكى النبيّ ﷺ وأعطاه كلتيهما، فنحرهما فتصدّق بهما، فأنزل الله فيه هذه الآية، يعني به أمير المؤمنين عليه السلام أنّه خاطب نفسه في صلاته لله تعالى لم يتفكّر فيهما بشيءٍ من أُمور الدنيا[(٤)].

---

(١) سورة ق ٥٠ : ٣٧.

(٢) ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

(٣) في «س» و«ل»: «أسمنهما».

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٢٧، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٨/٦١٢، تفسير ←

ثمّ من الآيات ما رواه جماعة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام بأسانيد عديدة، ورواه أيضاً المرزباني، والنطنزي، والحافظ أبو نُعيم عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، قالوا: إنّ قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾[١] نزل في رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام خاصّة، فإنّهما أوّل مَنْ صلّى وركع[٢].

ولا يخفى ما في الأمر من الركوع معهما وفي كون عليّ عليه السلام أقدم الكلّ من الدلالة على رئاستهما على غيرهما وهو معنى الإمامة، والله الهادي.

وقد مرّ في الفصل الخامس أخبار في سبق إسلام عليّ عليه السلام، حتّى أنّ في كتاب شرح الأخبار وغيره عن أبي أيّوب الأنصاري، قال: سمعتُ النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «لقد صلّت الملائكة علَيَّ وعلى عليّ بن أبي طالب سبع سنين؛ وذلك أنّه لم يؤمن بي أحد قبله، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣] لمن في الأرض»[٤].

ك البرهان للبحراني ٥ : ١٠٠٩٤/١٤٩ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١٤٢/١٦١ نقلاً عن تأويل الآيات .

(١) سورة البقرة ٢ : ٤٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٢ : ١٩ ، خصائص الوحي المبين : ٨٤/٢٣٤ ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٢٩/٥٣ ، بحار الأنوار ٣٨ : ١/٢٠١ ، المناقب للخوارزمي : ٢٧٤/٢٨ ، وانظر : شواهد التنزيل ١ : ١٢٤/٨٥ .

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٧ .

(٤) نقله ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ٢ : ٢٢ عن شرح الأخبار لابن فياض ، وورد الحديث من دون الآية في : مناقب أمير المؤمنين للكوفي ١ : ١٩٨/٢٨٣ ، و٢٠٣/٢٨٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٩ ، أُسد الغابة ٣ : ٣٧٨٣/٥٩١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٣٠ ، العثمانيّة : ٢٩٢ .

وفي رواية زياد بن المنذر عن محمّد بن عليّ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد مكثت الملائكة سبع سنين تستغفر لرسول الله صلى الله عليه وآله ولي، وفينا نزلت: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ (١)» (٢).

أقول: المراد نفي وجود غيرهما من الرجال، وإلّا فلا كلام في إيمان خديجة عليها السلام معهما أيضاً، فافهم.

ثمّ إنّ منها: ما رواه عبدالرزّاق، عن معمر، عن قتادة، عن عطاء، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (٣) قال: زينة الأرض الرجال، وزينة الرجال عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٤).

أقول: ويحتمل أن يكون المراد على هذا إنّا جعلنا عليّاً أحسن زينة الأرض؛ لنعلم مَنْ يطيعه ممّن يعصيه، فتدبّر.

ثمّ إنّ منها: قوله عزّوجلّ وعلا: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ (٥) يعني إنّك يا محمّد يمكن أن تعرف ما في ضمير المنافقين من الكفر والنفاق في فحوى كلامهم.

وقد صرّح جماعة من المفسّرين، وروى ابن جرير، وابن عقدة، وابن مردويه، عن جابر وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما أنّهم قالوا كلّهم:

---

(١) سورة غافر ٤٠: ٧ و٨.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) سورة الكهف ١٨: ٧.

(٤) عنه في المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٢٣.

(٥) سورة محمّد ٤٧: ٣٠.

إنّ المراد بـ ﴿لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ بغض عليّ بن أبي طالب(١).

قال الخدري : ﴿لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ بغضهم علياً(٢).

وفي روايةٍ أنّه قال : أي ببغضهم علياً(٣)، حتّى رووا عن أنس أنّه قال : فما خفي منافق على أحدٍ في عهد النبيّ ﷺ بعد هذه الآية(٤).

وعن حذيفة أنّه قال : كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم عليّ بن أبي طالب(٥).

وعن عبادة بن الصامت أنّه قال : كنّا نختبر أولادنا بحبّ عليٍّ ، فإذا رأينا أحداً منهم لا يحبّه علمنا أنّه لغير رشدةٍ(٦).

وقد مرّ سابقاً كثير من هذه الأخبار ، ومعلومٌ أنّ مَنْ كان حبّه من أركان الإيمان وعلاماته لا يكون إلّا نبيّاً أو إماماً.

هذا ، مع ما في اختصاصه بمثل هذا الحال من بين سائر الأمّة وكلّ الصحابة من الدلالة الواضحة لاسيّما مع استجماعه سائر الفضائل ، فافهم حتّى تعلم أنّ مثل هذا الكلام جارٍ في كثيرٍ ممّا سبق ويأتي من سائر

---

(١) مجمع البيان ٥ : ١٠٦ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٢٣٧ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٩٤ ، تفسير البرهان للبحراني ٥ : ٩٨٦٧/٧٠ ، و٩٨٦٩/٧١ ، تفسير الأصفى ٢ : ١١٧٧ ، وعن ابن مردويه السيوطي في الدرّ المنثور ٧ : ٥٠٤ .

(٢) كفاية الطالب : ٢٣٥ .

(٣) فضائل الطالبيّين : ١٧٧ ، خصائص الوحي المبين : ١٤٣ ، نهج الحقّ للحلّي : ١٨١ ، كشف الغمّة ١ : ٣٢٠ ـ ٣٢١ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٧٨ ـ ٨٨٣/١٧٩ ـ ٨٨٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٨٥ .

(٤) مجمع البيان ٥ : ١٠٦ ، الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٩ : ٣٧ ، معالم التنزيل ٥ : ١٦٢ ، تفسير الكشّاف ٥ : ٥٢٧ ، تفسير القرطبي ١٦ : ٢٥٢ .

(٥) فضائل الطالبيّين : ١٣ .

(٦) مجمع البيان ٥ : ١٠٦ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٢٤٠ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١٧٨ ، ذيل ح ١٧١ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٨٧ .

فضائله ، والله الهادي .

ثمّ إنّ منها : ما رواه ابن مردويه ، والحافظ أبو نُعيم ، عن جابر بن عبدالله أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول : «الناس من شجر شتّى وأنا وأنت يا عليّ من شجرة واحدة» ثمّ قرأ النبيّ ﷺ قوله تعالى : ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَٰحِدٍ﴾ الآية[(١)] [(٢)] .

وقد سبق مثله كثيراً في فصول أخبار الفضائل ، فتذكّر .

ثمّ إنّ منها : ما رواه السيوطي ، وابن جرير ، وابن مردويه ، عن أبي رافع أنّه قال في قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾[(٣)] الآية : إنّ النبيّ ﷺ وجّه عليّاً عليه السلام في نفر معه في طلب أبي سُفيان ، فلقيهم أعرابيّ من خزاعة فقال : إنّ القوم قد جمعوا لكم ، فقال عليّ عليه السلام : «حسبنا الله ونعم الوكيل» فنزلت الآية[(٤)] .

ثمّ إنّ منها : ما رواه ابن مردويه ، والبغوي في تفسيره عن مقاتل أنّه قال : إنّ قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[(٥)] الآية نزلت في عليّ بن

---

(١) سورة الرعد ١٣ : ٤ .

(٢) نقله عن ابن مردويه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٦ ، والحلّي في كشف اليقين : ٣٦٩ ، والسيوطي في الدرّ المنثور ٤ : ٦٠٥ ، ونقله عن أبي نُعيم ابن البطريق في خصائص الوحي المبين : ١٩٢/٢٤٢ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٧٣ و١٧٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ : ٤٤٠ ، الدرّ المنثور ٢ : ٣٨٩ ، لباب النقول في أسباب النزول : ٥٠ .

(٥) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥٨ .

أبي طالب عليه السلام، وذلك إنّ نفراً من المنافقين كانوا يؤذونه ويشتمونه(١). وفي روايةٍ: ويُسمعونه(٢). وفي أُخرى: ويكذبون عليه(٣).

وقد صرّح بنقل نزولها فيما ذكرناه الزمخشريُّ، والبيضاوي، وغيرهما(٤).

أقول: لا يخفى صراحة هذا في دخول كلّ مَنْ آذاه وحاربه في الآية، لا سيّما معاوية وأصحابه وأتباعه الذين سبّوه على المنابر. وسيأتي في المقصد الآتي شكاياته عن عامّة هؤلاء القوم حتّى عن جميع مَنْ تقدّم عليه وإن لم يُظهروا العداوة، فلا تغفل.

ثمّ إنّ منها: ما رواه البغوي في تفسيره، عن كعب بن عُجرة قال: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيماً﴾(٥) قلنا: يارسول الله، قد علمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلّي عليك؟ قال: «قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللّهمّ بارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركتَ على إبراهيم

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧، معالم التنزيل ٤ : ٤٨٧، وعن ابن مردويه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٢٢، والحلّي في كشف اليقين : ٣٩١.

(٢) الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٨ : ٦٣، أسباب النزول للواحدي : ٧١٧/٣٧٧، تفسير الكشّاف ٥ : ٩٧.

(٣) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان ٣ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧، تفسير القرطبي ١٤ : ٢٤٠.

(٤) تفسير الكشّاف ٥ : ٩٧، أنوار التنزيل للبيضاوي ٣ : ٨/٩٥، تفسير القرطبي ١٤ : ٢٤٠، تفسير القرآن للسمعاني ٤ : ٣٠٦، الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٨ : ٦٣، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٥ : ٤٧٥.

(٥) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥٦.

وعلىٰ آل إبراهيم إنّك حميد مجيد»[١].

وقد رواه الثعلبيّ أيضاً في تفسيره عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن الصلاة عليه، فقال، إلى آخر الخبر[٢].

وكذا رواه مسلم في صحيحه بإسناده إلى كعب بن عُجرة[٣].

وروى نحوه الحُميدي في الجمع بين الصحيحين من أفراد البخاري عن أبي سعيد الخدري، ومن أفراد مسلم عن عُقبة بن عمرو الأنصاري[٤].

وليس في بعض هذه الروايات ـ كرواية الخدري مثلاً ـ كلمة «على» في «آل محمّد» كما هو المرويّ عن جميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

ثمّ[٥] إنّه قد روىٰ هذا الحديثَ البخاريُّ أيضاً في صحيحه بإسنادٍ له صحيح عندهم عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عُجرة فقال: ألا أُهدي لك هديّةً سمعتُها من النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: لمّا نزل[٦]، إلى آخر الخبر تماماً، وصحّحه ابن حجر أيضاً[٧].

والأخبار من أئمّة أهل البيت عليهم السلام المصرّحة بهذا، بل بأنّ الآل أيضاً إنّما هو عليٌّ وذرّيّته الأئمّة مستفيضة.

ولا يخفى أنّ هذا من الشواهد الواضحة على كون الإمامة في آل محمّد صلوات الله عليهم، دون غيرهم، بل على كونهم معصومين أيضاً

---

(١) معالم التنزيل ٤: ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

(٢) الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٨: ٦١.

(٣) صحيح مسلم ١: ٤٠٥/٣٠٥ و٤٠٦.

(٤) الجمع بين الصحيحين ٢: ١٧٨٣/٤٥٨، و١: ٧٩٦/٤٩٥.

(٥) في «ل» زيادة: «اعلم أيضاً».

(٦) صحيح البخاري ٤: ١٧٨.

(٧) الصواعق المحرقة: ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

كالنبيّ صلى الله عليه وآله ؛ ضرورة أنّ تكليف الله العباد بذكر خصوص هؤلاء مع نبيّه دون غيرهم من الصحابة والعشيرة في مثل هذا الأمر الذي أوجبه ، بحيث قرّره في الصلاة التي يبطلها الكلام الخارج عنها لا يخلو من حكمة جليلة ، وضرورة داعية إلى ذلك ، وليس إلّا إظهار مشاركتهم معه في أُمور الدين من ترويجه وتكميله الذي تضمّنه ما مرّ من حديث الثقلين وغيره ممّا يدلّ على كمال علمهم وصلاحهم ، ومدخليّتهم في رواج الدين وإعانة الدين والنبيّ صلى الله عليه وآله ، وأمره بالكون معهم ، وأمثال ذلك ممّا ينادي بوجود اتّحاد خاصّ بينه وبينهم ، بحيث لم يوجد في غيرهم ، كما ينادي به بطلان الصلاة بذكر غيرهم ولو إجمالاً كلفظة الصحابة ونحوها ، وظاهرٌ أنّ هذه المشاركة هي معنى الإمامة ومقتضاه ، فتأمّل حتّى تعلم بطلان احتمال كون السبب محض المشاركة النسبيّة؛ ضرورة أنّها وحدها ليست بهذه المنزلة سيّما الذكر في الصلاة لا سيّما مع قوله تعالى : ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ**﴾[1] وأمثاله .

ولبعض المحقّقين[2] هاهنا كلام أنيق خلاصته : أنّ كلمة «آل» بمعنى : رجع ، فمن كان مرجعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله من كلّ وجهٍ نسباً وحسباً ، علماً وعملاً ، قولاً وفعلاً ، خَلقاً وخُلقاً ، فهو من آله حقيقةً ، دون غيره ممّن يرجع إليه من جهةٍ دون أُخرى .

وكفى في هذا حكاية ابن نوح .

وكذا تعلم بطلان ما ذكره بعض النواصب ـ المحرّفين للحقّ كما مرّ

---

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣ .

(٢) لم نتحقّقه .

سابقاً ـ من كون المراد بـ : «الآل» جميع الأمّة[١] ؛ لما ذكرناه آنفاً ، ولما مرّ في آية التطهير وغيرها من الأخبار الدالّة على كون المراد خصوص أصحاب الكساء .

منها : ما رويناه عن مسند أحمد ، عن أمّ سَلَمة أنّها لمّا نقلت حكاية آية التطهير ، قالت : فألقى النبيّ ﷺ عليهم كساءً فدكيّاً ، ثمّ وضع يده عليهم ، وقال : «اللّهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلاتك وبركاتك على محمّد وآل محمّد إنّك حميد مجيد»[٢] .

هذا كلّه ، مع أنّه يستلزم عدم فساد الصلاة على هذا بسائر ما يفيد هذا المفاد ، وذلك خلاف المجمع عليه ، وقد بيّنّا سابقاً سائر ما يدلّ على بطلان هذا ، وجواب ما نقله بعضهم لدفع هذه الفضيلة عن عليّ وذرّيّته عليهم السلام ، فلاوجه لإعادته هاهنا .

ثمّ إنّ من الآيات ، بل المؤكّدة أيضاً لما تقدّم آنفاً : قوله تعالى : ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾[٣] فإنّ الثعلبيّ ، والبغوي ، بل غيرهما أيضاً صرّحوا بأنّ آل ياسين بالمدّ وكسر اللام مقطوعة قراءة نافع[٤] ،

(١) نقله الفخر الرازي في تفسيره ٢٧ : ١٦٦ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٧ : ٢٦٢٠٦/٤٥٥ .

(٣) سورة الصافّات ٣٧ : ١٣٠ .

(٤) هو نافع بن عبدالرحمن بن أبي نُعيم اللّيثي مولاهم المدني ، الإمام أبو رُوَيم المقرئ المدني أحد الأعلام ، مولى جَعونَة بن شعوب اللّيثي ، حليف حمزة بن عبدالمطّلب ، وقيل : حليف أخيه العبّاس ، وقيل : يكنّى أبا الحسن ، وقيل : أبا عبدالرحمن ، وقيل : أبا محمّد وأبا عبدالله ، وقيل : أبا نعيم ، وأشهرها أبو رُوَيْم . قرأ على طائفة من التابعين ، أصله من اصبهان ، وكان أسود اللون صبيح الوجه حسن الخلق فيه دعابة .

وابن عامر[١] ، بل يعقوب[٢] أيضاً ، ثمّ قالوا : فمن قرأ كذلك أراد آل محمّد عليهم السلام[٣] .

وروى الكلبي ، بل جماعة من المفسّرين ـ كما صرّح به ابن حجر أيضاً في الصواعق ـ عن ابن عبّاس أنّه قال : إنّ المراد بذلك سلام على آل محمّد[٤] .

↩ مات سنة سبع وستّين ومائة ، وقيل غير ذلك ، وكان من أبناء التسعين .

انظر : تهذيب الكمال ٢٩ : ٦٣٦٤/٢٨١ ، طبقات القرّاء ١ : ٤٥/١٠٤ ، غاية النهاية في طبقات القرّاء ٢ : ٣٧١٨/٣٣٠ .

(١) هو أبو عمران عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليَحصبي الدمشقي ، إمام الشاميّين في القراءة . وقيل في كنيته : أبو عامر ، وقيل : أبو نُعَيم ، وقيل : أبو عَليم ، وقيل : أبو محمّد وقيل : أبو موسى ، وقيل : أبو معبد ، وقيل : أبو عثمان .

قال ابن عامر : قُبِض رسول الله ولي سنتان وانتقلت إلى دمشق . توفّي في المحرّم سنة ثماني عشرة ومائة .

ذكر أبو عليّ الأهوازي في «كتاب الاتّضاح» : له ستّة وأربعين نفساً أخذوا عن ابن عامر القراءة . وقد أخذ القراءة عن أبي الدرداء وعن المغيرة بن أبي شهاب ، وهناك أقوال أُخَر .

ولي قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني .

انظر : تهذيب الكمال ١٥ :٣٣٥٤/١٤٣ ، طبقات القرّاء ١ : ٣٤/٥٩ ، غاية النهاية في طبقات القرّاء ١ : ١٧٩٠/٤٢٣ .

(٢) التذكرة ٢: ٦٣٨، التلخيص في القراءات الثمان: ٣٨٤ .

(٣) الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٨ : ١٦٩ ، معالم التنزيل ٤ : ٥٨٠ ، ولم ترد فيه قراءة يعقوب ، التفسير الكبير للرازي ٢٦ : ١٦٢ .

(٤) مجمع البيان ٤ : ٤٥٧ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ١٧/٥٠٠ ، شواهد التنزيل ٢ : ٧٩١/١٠٩ ، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ : ١٨٢٥٣/٣٢٢٥ ، المعجم الكبير للطبراني ١١ : ١١٠٦٤/٦٧ ، الوسيط للواحدي ٢ : ٥٣٢ ، الصواعق المحرقة : ٢٢٨ ، الدرّ المنثور ٧ : ١٢٠ .

واستشهد جمع على هذا بأنّ ﴿يَاسِينَ﴾ اسم محمّد صلى الله عليه وآله[1]، وهو المراد هاهنا حتّى ذكر الثعلبي في أوائل سورة يس عن السيّد الحِميري أنّه قال في بعض أشعاره:

يا نفس لا تمحضي بالنصح مجتهداً على المودّة إلّا آل ياسينا[2]

وأمّا روايات أهل البيت عليهم السلام في كون «ياسين» من أسماء النبيّ صلى الله عليه وآله، أي: يا سيّد الأوّلين والآخرين، وإنّ هذه الكلمة هي آل ياسين بالمدّ، والمراد آل محمّد، متواترة[3]، حتّى أنّ الرضا عليه السلام ذكر في تأييد هذه القراءة وهذا المعنى: أنّ الله عزّوجلّ سمّى محمّداً بـ: «ياسين» في سورته بإجماع المسلمين، ولم يسلّم في هذه السورة إلّا على أُولي العزم، كنوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، ولم يسلّم على آل أحد منهم أيضاً، فلا يناسب هاهنا السلام على إلياس ولا على آله، بل إنّما أراد إظهار كمال جلالة شأن محمّد وآله عليهم السلام، فقال: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ إشعاراً بأنّهم مثل أُولي العزم في الفضل والقُرب[4]، هذا خلاصة ما يُفهم من كلامه عليه السلام.

وفي روايةٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ السبب في تعبير الله عزّوجلّ هكذا أنّه لو كان يقول صريحاً سلام على آل محمّد، لأخرجوه من القرآن

---

(١) مجمع البيان ٤ : ٤٥٧، تفسير القمّي ٢ : ٢٢٦، تفسير الأصفى ٢ : ١٠٥٦، بحار الأنوار ٩٢ : ٤٦، تفسير القرطبي ١٥ : ٤.

(٢) الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٨ : ١٢٠، وفيه: «جامدة» بدل «مجتهداً»، وانظر تفسير القرطبي ١٥ : ٤، وفيه: «جاهدة» بدل «مجتهداً».

(٣) الأمالي للصدوق: ٥٥٨ ـ ٧٤٣/٥٥٩ و٧٤٤، معاني الأخبار: ١٢٢ (باب معنى آل ياسين).

(٤) الأمالي للصدوق: ٦١٥ ـ ٨٤٣/٦٢٣، عيون أخبار الرضا ١ : ٢٢٨ ـ ١/٢٣٧، تحف العقول: ٤٣٣.

كما أخرجوا غيره[1] ، فتأمّل حتّى تعلم أنّ تخصيصهم بالسلام في هذا المقام شاهد صدقٍ على مشاركتهم مع الذين سلّم عليهم قبلهم في العصمة والرئاسة وعظم الشأن ، بل رُبّما يقال : تشريك هارون مع موسى عليه السلام في السلام مع عدم كونه من أُولي العزم للإشعار بأنّ السلام كما شمل هارون لكونه عضداً لموسى عليه السلام فكذا حال مَنْ هو بمنزلته من نبيّنا صلى الله عليه وآله ، ومن البيّن أنّ السلام على آل محمّد هو السلام عليه أيضاً على وجهٍ أبلغ ، فافهم ، والله الهادي .

ثمّ إنّ من الآيات أيضاً قوله تعالى : ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ـ إلى قوله ـ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[2] فإنّ ابن مردويه في كتابه ، والسيوطي والثعلبي في تفسيريهما رووا معنعناً عن أنس وبريدة أنّهما قالا : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية ، فقام رجل فقال : أيّ البيوت هذه يارسول الله؟ قال : «بيوت الأنبياء» فقال أبو بكر : يارسول الله هذا البيت منها ؟ يعني بيت عليٍّ وفاطمة ، قال : «نعم من أفاضلها»[3] .

وتأييدها لما مرّ واضح ، بل فيها الدلالة على الإمامة لا سيّما من جهة قوله : ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ فافهم .

ثمّ إنّ من الآيات أيضاً قوله عزّوجلّ : ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾[4] فإنّ جماعةً رووا منهم : القطّان ، فإنّه روى في كتابه بإسنادين عن سليمان بن مهران ، عن عباية بن رَبعي ، قال : قلت لعبدالله بن عبّاس : لِمَ

---

(١) الاحتجاج ١ : ٥٩٧ ، ضمن الحديث ١٣٧ ، تفسير الصافي ٤ : ٢٨٢ .
(٢) سورة النور ٢٤ : ٣٦ و٣٧ .
(٣) نقله عن ابن مردويه الإربلي في كشف الغمّة ١ : ٣١٩ ، والحلّي في كشف اليقين : ٣٧٧ ، الدرّ المنثور ٦ : ٢٠٣ ، الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٧ : ١٠٧ .
(٤) سورة الأنبياء ٧٨ : ٤٠ .

كنّى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أبا تراب، قال: إنّه صاحب الأرض، وحجّة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها، وإليه سكونها، ولقد سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «إنّه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدّ الله لشيعة عليٍّ من الثواب والزلفى والكرامة، قال: يا ليتني كنت تراباً» وفي رواية: «ترابيّاً»[١] أي: يا ليتني كنت من شيعة عليٍّ عليه السلام، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَالَيْتَنِى كُنتُ تُرَاباً﴾[٢].

أقول: قال شيخنا العلّامة في بحاره: يحتمل أن يكون ذكر الآية لبيان وجهٍ آخر لتسميته عليه السلام بأبي تُراب؛ لأنّ شيعته لكثرة تذلّلهم وانقيادهم لأوامره سمّوا تُراباً، كما في الآية، ولكونه [عليه السلام] صاحبهم وقائدهم ومالك أُمورهم سُمّي أبا تراب، ويحتمل أن يكون استشهاداً لتسمية عليٍّ عليه السلام بأبي تراب، أو لأنّه وصف به على جهة المدح لا على ما زعمه أعداؤه حيث كان يصفونه [عليه السلام] به استخفافاً، فالمراد في الآية: يا ليتني كنت أبا ترابيّاً، والأب يسقط في النسبة مطّرداً، وقد يحذف الياء كما يقال: تميم وقريش، لبنيهما، على أنّه يحتمل أن يكون في مصحف أهل البيت عليهم السلام الموافق للنزول: ترابيّاً، كما في بعض نسخ الرواية[٣]، انتهى، فافهم.

وقد ذكرناه سابقاً أيضاً في الفصل الخامس[٤] عند ذكر أحوال عليٍّ عليه السلام.

ثمّ إنّ من الآيات حكاية نزول سورة العاديات، فإنّه قد نقل قوم من

---

(١) بحار الأنوار ٣٥: ٥١، ذيل ح ٤.

(٢) علل الشرائع: ٣/١٥٦، معاني الأخبار: ١/١٢٠ (باب معنى أبي تراب)، بحار الأنوار ٣٥: ٤/٥١.

(٣) بحار الأنوار ٣٥: ٥١.

(٤) في «ن» زيادة: «عشر».

المفسّرين والمحدّثين ، بل اتّفقوا على نزولها في غزوة ذات السلاسل .

وخلاصة حكايتها : أنّ جماعة من العرب اجتمعوا على وادي النملة ليبيّتوا النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : «مَنْ لهؤلاء؟» فقام جماعة من أهل الصفّة وقالوا : نحن لهم فولّ علينا مَنْ شئتَ ، فأقرع بينهم ، فخرجت القرعةُ على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم ، فأمّر أبا بكر بأخذ اللواء والمضيّ معهم إلى بني سُلَيْم ، وهو ببطن الوادي ، فهزموه وقتلوا جمعاً من المسلمين ، وانهزم أبو بكر ، فعقد لُعمر وبعثه فهزموه أيضاً ، فساء النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك ، فقال عمرو بن العاص : ابعَثْني يا رسول الله ، فأنفذه فهزموه وقتلوا جماعةً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ، وبقي النبيّ صلى الله عليه وآله أيّاماً يدعو عليهم ، ثمّ طلب أمير المؤمنين عليه السلام وبعثه إليهم ودعا له وشيّعه إلى مسجد الأحزاب ، وأنفذ معه جماعة منهم : أبو بكر ، وعمر ، وعمرو بن العاص ، فسار الليل وكَمِنَ النهار حتّى استقبل الوادي من فمه ، فلم يشكّ عمرو بن العاص أنّه يأخذهم ، فقال لأبي بكر : هذه أرض سباع وذئاب وهي أشدّ علينا من بني سُلَيم والمصلحة أن نعلو الوادي ، وأراد إفساد الحال ، وقال له : قل ذلك لعليٍّ ، فقال له أبو بكر ذلك ، فلم يلتفت عليه السلام إليه ، ثمّ قال لعمر ، فقال له ، فلم يُجبه عليٌّ عليه السلام وكَبس على القوم الفجر فأخذهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ [1] إلى آخر السورة ، واستقبله النبيّ صلى الله عليه وآله ، فنزل عليٌّ عليه السلام ، وقال له النبيّ صلى الله عليه وآله : «لولا أن أُشفق أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في المسيح ، لقلت فيك مقالاً لا تمرّ بملأ منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك ، اركب فإنّ الله ورسوله

---

(١) سورة العاديات ١٠٠ : ١ .

عنك راضيان»(١).

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه جَرير وليث وغيرهما، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا أنزل الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(٢) فوالله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد [قومه] على الوفاء لولده شيث، فما وُفي له، وقد خرج نوح من الدنيا وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيّه سام، فما وفت اُمّته، ولقد خرج إبراهيم من الدنيا وعاهد قومه لوصيّه إسماعيل فما وفت اُمّته، ولقد خرج موسى من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيّه يوشع بن نون فما وفت اُمّته، ولقد رُفع عيسى إلى السماء وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيّه شمعون بن حمّون الصفا فما وفت اُمّته، وإنّي مفارقكم عن قريب، وخارج من بين أظهركم وقد عهدت إلى اُمّتي في عهد عليّ بن أبي طالب وإنّها لراكبة سُنَن مَنْ قبلها من الاُمم في مخالفة وصيّي وعصيانه، ألا وإنّي محمّد وعليكم عهدي في عليٍّ، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومَنْ أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً» ثمّ ساق الحديث في ذكر نصّ النبيّ ﷺ على عليّ عليه السلام، مثل قوله: «إنّ عليّاً إمامكم بعدي، وخليفتي عليكم ووصيّي ووزيري وأخي وناصري»(٣) إلى آخر الخبر، وقد مرّ بعضه.

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه ابن المغازلي في مناقبه بإسنادٍ له عن عليّ بن جعفر الصادق عليه السلام، قال: سألت أخي أبا الحسن موسى بن

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٦٢ ـ ١٦٥، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٦٦، كشف الغمّة ١: ٢٣٠ ـ ٢٣٢، كشف اليقين: ١٥١ ـ ١٥٢، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ١/٨٤٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٠.

(٣) معاني الأخبار: ١/٣٧٢، وفيه: «حَريز» بدل «جرير»، وعنه في بحار الأنوار ٣٨: ٨١/١٢٩، تفسير البرهان للبحراني ١: ٤٤٠/٢٠٠.

جعفر عليهما السلام عن قول الله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال : «المشكاة : فاطمة ، والمصباح : الحسن والحسين ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾» قال : «كانت فاطمة كوكباً درّيّاً بين نساء العالمين» ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَٰرَكَةٍ﴾ قال : «الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام» ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ : «لا يهوديّة ولا نصرانيّة» ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾» قال : «يكاد العلم أن ينطق منها» ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ قال : «إمام بعد إمام» ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ﴾[(١)]» قال : «يهدي الله لولايتنا مَن يشاء»[(٢)].

أقول : وقد مرّ غير بعيد ما يدلّ أيضاً على كون المراد بالنور الإمام حتّى في غير هذه الآية ، وسيأتي في الفصل الحادي عشر حديث عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[(٣)] : «أنّ المراد أنّ الله جعل الإمامة في عقب الحسين يخرج من صلبه تسعة من الأئمّة ومنهم المهدي عليه السلام»[(٤)] ، الخبر .

ثمّ إنّ من الآيات ما رواه أبو القاسم العلوي وابن مردويه معنعناً عن ابن عبّاس ، وعليّ بن محمّد بن مخلّد مُعنعناً عن أبي ذرّ ، وعليّ بن عتاب ، ومحمّد بن العبّاس بن مروان وغيرهما ، معنعناً عن الصادق والباقر عليهما السلام ، وعن الرضا عليه السلام ، قالوا في قوله تعالى : ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ : «البحرين أمير المؤمنين عليّ وفاطمة عليهما السلام» ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ :

---

(١) سورة النور ٢٤ : ٣٥ .

(٢) المناقب لابن المغازلي : ٣٦١/٣١٦ .

(٣) سورة الزخرف ٤٣ : ٢٨ .

(٤) كفاية الأثر : ٨٦ ـ ٨٧ ، المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٥٣ ، تفسير البرهان للبحراني ٤ : ٩٥٩٣/٨٥٦ .

«رسول الله صلى الله عليه وآله» ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾(١): «الحسن والحسين عليهما السلام»(٢).

وفي رواية أبي ذرّ رضي الله عنه: «فمن رأى مثل هؤلاء الأربعة؟ لا يحبّهم إلّا مؤمن ولا يبغضهم إلّا كافر»(٣) الخبر.

وقد رواه الثعلبيّ أيضاً في تفسيره بإسنادٍ له عن سفيان الثوري هكذا: أنّه قال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ﴾ فاطمة وعليّ عليهما السلام ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، ثمّ قال الثعلبيّ: وروي هذا القول أيضاً عن سعيد بن جبير وقال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ﴾ محمّد [صلى الله عليه وآله](٤).

ورواه ابن مردويه أيضاً عن أنس(٥).

ورواه الطبرسي عن سلمان أيضاً(٦).

وقد مرّ في الفصل الخامس في أواخر المقام الأوّل من المطلب الأوّل منه ما يدلّ على كون المراد بـ«الدُّسُر» في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾(٧) محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام،

---

(١) سورة الرحمن ٥٥: ١٩ و٢٠ و٢٢.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٤٥٩ ـ ٥٩٩/٤٦١ ـ ٦٠٢، كشف الغمّة ١: ٣٢٤، كشف اليقين: ٤٠٠، الدرّ المنثور ٧: ٦٩٧، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ١١/٦٣٥.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٤٦٠ ـ ٦٠٢/٤٦١، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ١٤/٦٣٦.

(٤) الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٩: ١٨٢.

(٥) الكشف والبيان ـ تفسير الثعلبي ـ ٩: ١٨٢، ونقله السيوطي في الدرّ المنثور ٧: ٦٩٧.

(٦) مجمع البيان ٥: ٢٠١، وعنه في تأويل الآيات الظاهرة ٢: ١٦/٦٣٧، بحار الأنوار ٢٤: ٤/٩٨ نقلاً عن تأويل الآيات.

(٧) سورة القمر ٥٤: ١٣.

ولولاهم ما سارت السفينة .

وفي كتاب الدرّ النظيم وغيره عن بعض التابعين قال : سمعتُ أنس ابن مالك يقول : أُنزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ الآية [١][٢] .

وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج في حديثٍ : أنّ المعلّى بن طريف قال : ما عندكم في قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [٣] ؟ فقال بشار [٤] : ﴿النَّحْلِ﴾ إنّما هو المعهود ، قال : هيهات هيهات يا أبا معاذ ﴿ٱلنَّحْلِ﴾ بنو هاشم [قوله] : ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [٥] يعني : العلم [٦] .

أقول : قد تقدّم في الفصل الثامن قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام : «إنّه

---

(١) سورة الزّمر ٣٩ : ٩ .

(٢) الدرّ النظيم : ٢٤٤ ، الأمالي للصدوق : ٤٣٨/٣٥٦ ، فضائل الطالبيّين : ١٦٣ ، روضة الواعظين : ١١٧ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١٤٢ ، بحار الأنوار ٤١ : ٣/١٣ نقلاً عن الأمالي .

(٣) سورة النحل ١٦ : ٦٨ .

(٤) هو بشار بن بُرد بن بهمن العُقيلي بالولاء ، يكنّى أبا معاذ ، ويلقّب بالمرعّث؛ لأنّه كان في أُذنه وهو صغير رِعَاث ، والرعاث : القرطة واحدتها رعثة وجمعها رِعاث ، ورَعاث الديك اللّحم المتدلّي تحت حنكه ، كان يفضّل النار ، وينتصر لابليس ، ويصوّب رأيه في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ، كان شاعراً قويّاً ، وبلغ شعره الفائق ثلاثة عشر ألف بيت ، وكان يقال له : «شاعر العصر» وكان فاقداً للبصر من حين الولادة ، اتُّهم بالزندقة ومات ضرباً . هلك سنة ١٦٨ هـ .

انظر : الأغاني ٣ : ١٣٥ ، وفيات الأعيان ١ : ١١٣/٢٧١ ، سير أعلام النبلاء ٧ : ٨/٢٤ ، الأعلام للزركلي ٢ : ٥٢ .

(٥) سورة النحل ١٦ : ٦٩ .

(٦) الأغاني ٣ : ١٥٨ .

يعسوب المؤمنين». واليعسوب: ذَكَرُ النحل وسيّدها، ويتبعه سائر النحل؛ ولهذا يقال له عليه السلام أيضاً: أمير النحل.

وإنكار بعض النواصب إطلاق هذا عليه عليه السلام محض الحميّة الجاهليّة؛ لورود روايات عديدة في ذلك عندنا وعندهم(١).

وفي كتاب المناقب: قيل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وجّه عسكراً إلى قلعة بني ثعل(٢)، فحاربهم أهل القلعة حتّى نفدت أسلحتهم، فأرسلوا إليهم كوار النحل، فعجز عسكر النبيّ صلى الله عليه وآله عنها، فجاء عليٌّ عليه السلام فذلّت النحل له، فلذلك سمّي «أمير النحل»(٣).

وروى الجِعابي في كتابه بإسنادٍ له عن الأعشى الثقفي، قال: قال عليٌّ عليه السلام: «هي لنا وفينا هذه الآية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾(٤)»(٥).

وروايات سائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية بمثل هذا

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ١: ٣١ ـ ٣٢، الأمالي للصدوق: ٤٨٩/٣٨٢، الأمالي للطوسي: ١٤٧ ـ ٢٤٢/١٤٨، و٧٣٥/٣٥٥، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٢: ٣٥١، اليقين لابن طاووس: ٢٢٠/٥١٧، المعجم الكبير للطبراني ٦: ٦١٨٤/٢٦٩، الاستيعاب ٤: ١٧٤٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٢ ـ ١٣، حياة الحيوان الكبرى ٢: ٤٤١.

(٢) ثعل: فخذ من معاوية بن الحارث بن عدي بن حارث بن مرة بن أدد من كهلات من القحطانية. انظر معجم قبائل العرب لعمر كحالة ١: ١٤٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٢: ٣٥٢.

(٤) سورة القصص ٢٨: ٥.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ٤١٩/٣١٣، الأمالي للصدوق: ٧٦٨/٥٦٦، تفسير البرهان للبحراني ٤: ٢٤٩ ـ ٨٠٨٩/٢٥٠، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٥٩٣/٤٣٢ و٥٩٤.

كثيرة[١]، حتّى قالوا: وإنّ المراد بقوله سبحانه: ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾[٢] الآية إنّما هو الأوّل والثاني وأتباعهما، وإنّ المراد بالآية قوّة الأئمّة عليهم‌السلام عند ظهور القائم عجّل الله فرجه[٣].

وفي كتاب المناقب عن صَبيح[٤] مولى الرضا عليه‌السلام، قال: سمعته يقول ويحدّث عن آبائه عليهم‌السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[٥]: «إنّ تأويله في صعود عليٍّ عليه‌السلام على ظهر النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لقلع الأصنام من البيت»[٦].

وروى السدّي عن قتادة عن عطاء عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾[٧] قال: إنّ أوّل من صلّى مع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام[٨]، وهو رئيس هذه الطائفة.

وفي تفسير القطّان عن وكيع عن سفيان عن السدّي عن أبي صالح

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٤٢٢/٣١٤، مجمع البيان ٤: ٢٣٩، وانظر: الكافي ١: ١/٢٤٣ (باب الإشارة والنصّ على أبي عبدالله .)، معاني الأخبار: ٧٩، الإرشاد للمفيد ٢: ١٨٠، كتاب الغيبة للطوسي: ١٤٣/١٨٤، تفسير البرهان للبحراني ٤: ٨٠٨٧/٢٤٩ و٨٠٨٨، و٨٠٩٢/٢٥١ و٨٠٩٦/٢٥٢، و٨٠٩٧/٢٥٣ و٨٠٩٨، و٨١٠١/٢٥٤، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٥٩٤/٤٣٢ و٥٩٥.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٦.

(٣) انظر: نهج البيان للشيباني ٤: ١٤٤ و١٤٥، تفسير البرهان للبحراني ٤: ٨١٠٠/٢٥٤.

(٤) لم نعثر على ترجمة له، ويحتمل أنّه الصبيح الديلمي، وهو من ثقات خدم المأمون يتولّى مولانا الرضا عليه‌السلام حقّ ولايته كما رواه الصدوق.

انظر: مستدركات علم الرجال للنمازي ٤: ٧٠٦٧/٢٥٤.

(٥) سورة مريم ١٩: ٥٧.

(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٥٤، بتفاوت يسير عن أبي المضا صبيح.

(٧) سورة المزّمّل ٧٣: ٢٠.

(٨) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٢: ٢٠.

عن ابن عبّاس، قال في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ يعني: محمّداً يدثّر بثيابه ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: فصلِّ وادع عليّاً إلى الصلاة معك ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [١] أي: ممّا تقول عبدة الأصنام [٢].

وفي كتاب المناقب وغيره عن الباقر عليه السلام أنّه قال في حديثٍ له: «إنّ بعض الصحابة قال: لقد افتتن رسول الله صلى الله عليه وآله في عليٍّ عليه السلام حتى لا يوازيه شيء، فنزل: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ - إلى قوله - ٱلْمَفْتُونُ﴾ [٣] [٤].

وتفصيل هذا ما رواه ابن حمدون وغيره، كلٌّ بإسناده معنعناً عن كعب بن عُجرة، قال: قال عبدالله بن مسعود: غدوتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قُبض فيه، فدخلت المسجد والناس أحفل ما كانوا كأنّ على رؤوسهم الطير إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى سلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله، فتغامز به بعض مَنْ كان عنده، فنظر إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال: «ألا تسألون عن أفضلكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: «أفضلكم عليّ بن أبي طالب، أقدمكم إسلاماً، وأوفركم إيماناً، وأكثركم علماً، وأرجحكم حلماً، وأشدّكم لله غضباً، وأشدّكم نكايةً في الجهاد» فقال له بعض مَنْ حضر: يارسول الله وإنّ عليّاً قد فضّلنا بالخير كلّه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أجل هو عبدالله وأخو رسول الله، فقد علّمته علمي واستودعته سرّي، وهو أميني على أُمّتي» فقال بعض مَنْ حضر: لقد افتتن رسول الله

(١) سورة المدّثّر ٧٤: ١ ـ ٣.
(٢) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقبه ٢: ٢٠.
(٣) سورة القلم ٦٨: ١ ـ ٦.
(٤) تفسير فرات الكوفي: ٦٥٢/٤٩٧، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٠.

في عليٍّ حتّى لا يوازيه شيء ، فأنزل الله الآية ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾[١][٢] .

وروى جمع منهم : عليّ بن أحمد النيسابوري في كتابه مُعنعناً عن ابن عبّاس ، قال : بينما النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام بمكّة أيّام الموسم إذ التفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليٍّ عليه السلام وقال : «هنيئاً لك ، وطوبى لك يا عليّ ، يا أبا الحسن ، إنّ الله تعالى قد أنزل علَيَّ آية محكمة غير متشابهة ، ذكرني وإيّاك فيها سواء ، فقال : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِيناً﴾[٣] بيوم عرفة ، ويوم الجمعة ، وهذا جبرئيل يخبرني عن الله عزّوجلّ أنّ الله يبعثك وشيعتك يوم القيامة ركباناً غير رجال على نجائب رحالها من النور فتناخ عند قبورهم ، فيقال لهم : اركبوا يا أولياء الله ، فيركبون صفّاً معتدلاً أنت أمامهم إلى الجنّة حتّى إذا صاروا إلى المحشر ثارت في وجوههم ريح يقال لها : المثيرة ، فتذري في وجوههم المسك الأذفر ، فينادون بصوت لهم نحن العلويّون ، فيقال لهم : إن كنتم العلويّين فأنتم الآمنون ولا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون»[٤] .

والأخبار في هذا الباب كثيرة جدّاً ، وقد ذكرنا من طُرق المخالفين ما فيه كفاية لمن كان من المسترشدين .

---

(١) سورة القلم ٦٨ : ٥ و٦ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٦٥١/٤٩٦ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٠٠٢/٢٦٧ و١٠٠٣ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١٤٤ ـ ١١٤/١٤٥ عن تفسير فرات الكوفي .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٣ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ١٢٦/١١٩ وفيه : ... حدّثني عليّ بن أحمد بن خلف الشيباني ... ، وعنه في بحار الأنوار ٣٦ : ٨٦/١٣٣ .

وأمّا أخبار الأئمّة عليهم السلام فكثرتها بحيث أشرنا إليها في أوّل الفصل .

ولنختم هذا الفصل بذكر اثني عشر حديثاً ممّا ورد عنهم عليهم السلام في التأويل بالولاية تيمّناً وتبرّكاً ، مَنْ أراد التفصيل فليرجع إلى تفسيرنا المسمّى بـ «مرآة الأنوار» .

قد روى العيّاشي وغيره ، كلٌّ بإسنادٍ له عن جابر الجعفي قال : سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن تفسير قوله تعالى : **﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً﴾**(١) قال : «لا تجهر بولاية عليٍّ ، فهو الصلاة ، ولا بما أكرمته به حتّى آمرك به ، وذلك قوله تعالى : **﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾** وأمّا قوله : **﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾** فإنّه يقول : ولا تكتم ذلك عليّاً ، يقول : أعلمه ما أكرمته به ، فأمّا قوله : **﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً﴾** يقول : تسألني أن آذن لك أن تجهر بأمر ولاية عليٍّ فأذن له بإظهار ذلك يوم غدير خمّ ، فهو قوله يومئذٍ : مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهم وال مَنْ والاه وعاد مَنْ عاداه»(٢) .

أقول : ولعلّ الوجه في هذا التعبير : أنّه لمّا كانت الصلاة كاملة في عليٍّ عليه السلام ، ولم يصدر كاملها إلّا منه ومن أمثاله ، فكأنّه صار عينها ، وكذا لشدّة اشتراط ولايته في قبولها ، بل وعدم صحّتها بدونها ، ولكونه الداعي إليها والمعلّم لها؛ ولهذا قد ورد في عدّة أحاديث عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّهم قالوا : نحن المراد بالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحجّ وأمثالها في بطن القرآن ، وعدوّنا الزنى والربا ولحم الخنزير وأمثالها ، بل ورد أنّ كلّ ما حرّمه

---

(١) سورة الإسراء ١٧ : ١١٠ .

(٢) تفسير العيّاشي ٣ : ٢٦٢٢/٨٥ ، تفسير البرهان للبحراني ٣ : ٦٥٩٥/٦٠١ ، بحار الأنوار ٣٦ : ٥٢/١٠٥ نقلاً عن تفسير العيّاشي .

الله في القرآن فهم أعداء الأئمّة عليهم السلام[(١)] ، فافهم .

وروى العيّاشي والكليني وغيرهما عن سالم الحنّاط[(٢)] قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أخبرني عن قول الله عزّوجلّ : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[(٣)] قال : «هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام»[(٤)] .

وعن عبدالرحمن بن كثير[(٥)] عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[(٦)] «أي : آمنوا بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من الولاية ولم يخلطوها بولاية[(٧)] فلان وفلان ، فهو الملبّس بالظلم»[(٨)] .

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٢/١٩ ، وعنه في بحار الأنوار ٢٤ : ١٤/٣٠٣ .

(٢) يكنّى أبا الفضل ، كوفيّ ، كان من أصحاب الصادق عليه السلام ، روى عنه : عاصم بن حُميد ، وإسحاق بن عمّارة .

انظر : رجال النجاشي : ٥٠٨/١٩٠ ، رجال الطوسي : ٢٩٠٠/٢١٩ و٢٩٠٣ .

(٣) سورة الشعراء ٢٦ : ١٩٣ ـ ١٩٥ .

(٤) الكافي ١ : ١/٣٤١ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية) ، بصائر الدرجات : ٥/٩٣ و٦ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٨٨ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤٠/٤٧٠ ، ولم نعثر عليه في تفسير العيّاشي .

(٥) لعلّه عبدالرحمن بن كثير الهاشمي ، مولىٰ عباس بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس ، له كتاب فضل سورة إنّا أنزلناه ، وغيره ، والظاهر اتّحاده مع عبدالرحمن بن كثير القرشي .

انظر : رجال النجاشي : ٦٢١/٢٣٤ ، ومنتهى المقال ٤ : ١١٤ ، وتنقيح المقال ٢ : ٦٤١٢/١٤٧ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ٨٢ .

(٧) في «م» زيادة : «غيره» .

(٨) تفسير العيّاشي ٢ : ١٤٤٤/١٠٥ ، وفيه : اللّبس بالظلم ، الكافي ١ : ٣/٣٤١ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية) ، الصراط المستقيم ١ : ٢٨٨ .

وعن رِبْعي بن عبدالله[١] عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهِمْ﴾[٢] قال: «يعني الولاية»[٣].

وعن أحمد بن محمّد رفعه في قوله تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[٤] قال: يعني أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ من الأئمة عليهم السلام[٥].

وعن مثنّى الحنّاط عن ابن عجلان[٦] عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٧] قال: «يعني ادخلوا في الوِلاية وتسليم أمر

---

(١) هو رِبعي بن عبدالله الجارود، يكنّى أبا نعيم، كان من أصحاب الصادق عليه السلام وصحب الفضيل بن يسار وأكثر الأخذ عنه، وكان خصّيصاً به، وله كتاب.
انظر: رجال النجاشي: ٤٤١/١٦٧، ورجال الطوسي: ٢٦٣٤/٢٠٥، ومنتهى المقال ٣: ١١٣٥/٢٢٩، وتنقيح المقال ١: ٣٩٩١/٤٢٣.

(٢) سورة المائدة ٥: ٦٦.

(٣) بصائر الدرجات: ٢/٩٦، الكافي ١: ٦/٣٤٢ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية)، تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٣/١٥٥، تفسير البرهان للبحراني ٢: ٣٢٠٩/٣٣٢.

(٤) سورة البلد ٩٠: ١ ـ ٣.

(٥) الكافي ١: ١١/٣٤٢ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية)، تفسير البرهان للبحراني ٥: ١١٦٢٥/٦٦١.

(٦) هو عبدالله بن عَجْلان الأحمر السكوني، عدّه الشيخ من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وقد وردت روايات في رجال الكشّي تدلّ على مدحه والثناء عليه.
انظر: تنقيح المقال ٢: ٦٩٥٤/١٩٧، ورجال الكشّي: ٣١٦ ـ ٤٤٣/٣١٧ ـ ٤٤٥، ورجال الطوسي: ١٤٧٥/١٣٩، و٣٧٨١/٢٦٤.

(٧) سورة البقرة ٢: ٢٠٨.

النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من بعده»[١].

وفي روايةٍ : والشيطان هو الثاني[٢].

وقد مرّ غير بعيد ما هو تفسير بعض هذه الآية.

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ﴾[٣] فقال : «إذا كان يوم القيامة دُعي بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين عليه السلام وبالأئمّة من ولده عليهم السلام فيُنصبون للناس فإذا رأتهم شيعتهم قالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ﴾ يعني : هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين والأئمّة من ولده عليهم السلام»[٤].

وعن محمّد بن سنان عن الرضا عليه السلام قال في قول الله عزّوجلّ : «﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يعني : بولاية عليٍّ عليه السلام ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[٥] يا محمّد ، من ولاية عليٍّ» ، ثمّ قال : «هكذا في الكتاب مخطوطة»[٦][٧].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم وغيره بسند صحيح عن عمارة بن سويد

---

(١) الكافي ١ : ٢٩/٣٤٥ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية) وفيه : قال : «في ولايتنا» ، تفسير العيّاشي ١ : ٣٩٨/٢١٣ ، تفسير البرهان للبحراني ١ : ١٠٨٥/٤٤٥ .

(٢) تفسير العيّاشي ١ : ٤٠٣/٢١٤ ، تفسير البرهان للبحراني ١ : ١٠٩٣/٤٤٧ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٤٣ .

(٤) الكافي ١ : ٣٣/٣٤٦ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية) ، تأويل الآيات الظاهرة ١ : ٦/١٧٤ ، تفسير البرهان للبحراني ٢ : ٣٨٨٦/٥٤٥ ، بحار الأنوار ٢٤ : ١٩/١٤٦ نقلاً عن الكافي .

(٥) سورة الشورى ٤٢ : ١٣ .

(٦) في متن «ن» و«ل» و«س» : «محفوظة» ، وفي الهامش : «مخطوطة» .

(٧) الكافي ١ : ٣٢/٣٤٦ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية) ، وانظر : المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ١٢٨ .

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١) إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج ذات يوم، فقال لعليٍّ: يا عليّ سألت الله الليلة أن يجعلك وزيري ففعل، وسألته أن يجعلك وصيّي ففعل، وسألته أن يجعلك خليفتي في أُمّتي ففعل، فقال رجل من أصحابه: والله لصاع من تمر في شنّ بال أحبّ إليَّ ممّا سأل محمّد صلى الله عليه وآله ربّه، ألا سأله ملكاً يعضده أو مالاً يستعين به على فاقته، فوالله ما دعا عليّاً قطّ إلى حقّ أو باطل إلّا أجابه (٢)، فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله الآية إلى قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعني: قولهم: إنّ الله لم يأمره بولاية عليٍّ عليه السلام وإنّما يقول: من عنده فيه، فقال الله [تعالى]: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ (٣) أي: بولاية عليٍّ عليه السلام من عند الله» (٤).

وعن محمّد بن مسلم بسند صحيح، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَامُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ (٥)، قال: «يقول الله: لأشربنا قلوبهم الإيمان و﴿ٱلطَّرِيقَةِ﴾ هي ولاية

---

(١) سورة هود ١١: ١٢.

(٢) في هامش «س» و«ل»: لعلّ مراده أنّ عليّاً إذا كان سامعاً له في كلّ شيء، فلا حاجة إلى الدعاء وورود وحي؛ لأنّه تحت إطاعته في كلّ ما يأمره، والله يعلم. منه رحمه الله.

(٣) سورة هود ١١: ١٣ و١٤.

(٤) تفسير القمّي ١: ٣٢٤.

(٥) سورة الجنّ ٧٢: ١٦.

أمير المؤمنين والأوصياء عليهم السلام»[١].

وعن محمّد بن مسلم أيضاً بسند صحيح، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾، فقال: «أي: استقاموا على الأئمّة واحداً بعد واحدٍ: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي: عند موتهم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢]»[٣].

وعن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْراً﴾[٤]، ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾[٥] قال: «نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله في أوّل الأمر وكفروا حين عُرضت عليهم الولاية، حيث قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، ثمّ آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ كفروا حيث مضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقرّوا بالبيعة ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْراً﴾ بأخذهم مَن بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء»[٦].

---

(١) الكافي ١ : ٣٩/٣٤٧ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية)، تفسير فرات الكوفي : ٦٦٨/٥١٢، المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٣٥٧، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٣/٧٢٨، تفسير البرهان للبحراني ٥ : ١١١٣٢/٥٠٨ .

(٢) سورة فصّلت ٤١ : ٣٠ .

(٣) الكافي ١ : ٤٠/٣٤٧ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية) بتفاوت يسير، ونحوه في تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٩/٥٣٧، وتفسير البرهان للبحراني ٤ : ٩٤٣٤/٧٨٨.

(٤) سورة النساء ٤ : ١٣٦ .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ٩٠ .

(٦) الكافي ١ : ٤٢/٣٤٨ (باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية)، تفسير

أقول : قد ذكرنا مراراً أنّ أمثال هذه الأخبار من طريق أهل البيت عليهم السلام ممّا لا تعدّ ولا تحصى حتّى أنّا لو فرضنا صحّة عُشْرٍ من معشارها كفانا ، بل ولو أغمضنا عن جميع تلك الأخبار فلا أقلّ من فرض صحّة عُشْرٍ من معشار ما ذكرناه عن المخالفين ، وذلك أيضاً كفانا ، مع أنّ كلّ ما ذكروه حجّة عليهم ، كما هو واضح ، فافهم وتأمّل ، والله الهادي .

---

(١) العيّاشي ١ : ١١٣٤/٤٥١ بتفاوت يسير فيه ، تفسير البرهان للبحراني ٢ : ٢٧٩٢/١٨٦ .

فهرس المحتويات

الفصل التاسع

في بيان الآيات التي يستدل بها علىٰ إمامة الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٥

المطلب الأول : آية الولاية : **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** ٧

بيان اتفاق العامّة والخاصّة علىٰ نزولها في شأن علي عليه السلام ٧

نقل ما ذكره أبو نعيم من حكاية أبي رافع ١٢

نقل ما ذكره النسائي من حكاية مجيء رهط اليهود إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ١٣

نقل ما ذكره الثعلبي في تفسيره عن أبي ذر رضي الله عنه ١٥

رسم مقدمة لبيان وجه الاستدلال بآية الولاية علىٰ إمامة علي عليه السلام ١٧

بيان المراد من الولي في الآية ١٨

ردّ لما قدّ يتشبث به أصحاب الشبه في مقابل الاستدلال بالآية ٢١

المطلب الثاني : آية التطهير : **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** ٢٤

المقام الأوّل : في بيان من نزلت آية التطهير في شأنه ٢٥

ذكر أقوال العامة في المراد من «أهل البيت» في آية التطهير وبيان الحق منها ٢٦

ذكر نبذاً من الأخبار عن طريق العامة في بيان المراد من الآية ٣١

المقام الثاني : المراد من التطهير في الآية ٤١

دلالة آية التطهير علىٰ عصمة أهل البيت عليهم السلام ٤٧

المطلب الثالث : آية المباهلة : **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾** ٤٩

ذكر نبذاً من الأخبار الدالة علىٰ نزولها في أهل البيت عليهم السلام خاصة ٥٣

دلالة آية المباهلة علىٰ أنّ الحسن والحسين عليهما السلام ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله ٥٧

ذكر قول ابن أبي علّان أنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا مكلّفين مع صغر سنهما ٥٨

بيان الإمام الرضا عليه السلام للمأمون فضيلة علي عليه السلام في الآية ٥٩

المطلب الرابع : آية **﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾**

ونزولها في أهل البيت عليهم السلام ٦٤

نقل من صرح من العامة بنزولها في أهل البيت عليهم السلام وبيان شأن النزول ٦٥

القول الأوّل في بيان شأن النزول ٦٦

القول الثاني في بيان شأن النزول ٧٣

بيان المصنّف لمورد الإختلاف ٧٦

ذكر قول الرازي والرد عليه ٧٧

كلام للمصنّف في بيان دلالة الآية ٨٩

المطلب الخامس : سائر الآيات الدالة علىٰ إمامة الأئمة عليهم السلام ٩٦

الآية الأولىٰ قوله تعالىٰ : **﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾** ٩٦

الآية الثانية قوله تعالىٰ : **﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾** ٩٩

الآية الثالثة قوله تعالىٰ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ**

خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ ١٠٣
ذكر ما يؤيد الأخبار الواردة في بيان سبب النزول ١٠٧
ما يدل على اختصاص الآية بعلي عليه السلام وشيعته ١٠٨
بيان للمراد من الآيات المشتملة على التوصيف بالإيمان والعمل الصالح ١٠٩
الآية الرابعة قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ١١٧
الآية الخامسة قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٠
اختصاص علي عليه السلام بالعصمة والإمامة وما يدل عليه أمور ١٢٣
الآية السادسة قوله تعالى : ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ١٢٦
بيان لبعض العلماء حول الآية الشريفة ١٣١
الآية السابعة قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ١٣٨
ذكر قول الرازي والرد عليه ١٤٤
بيان للمراد من الصدّيق في القرآن الكريم ١٤٦
الآية الثامنة قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾ ١٤٧
الآية التاسعة قوله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ .. ١٥٣
كلام للمصنّف حول الآية المباركة ١٦١
الآية العاشرة قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ١٦٢

ذكر القول بأنّ المراد من ﴿هَادٍ﴾ كلّ نبيّ مرسل إلى قومه ورده ١٦٩
الآية الحادية عشرة قوله تعالى : ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ .. ١٧٢
المراد من قول تعالى : بـ ﴿حَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ علي عليه السلام ١٧٨
كون الآية المباركة نصّ في أمرين ١٨٤
الآية الثانية عشرة قوله تعالى : ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ ١٨٧
الآية الثالثة عشرة قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾.......... ١٩٤
الآية الرابعة عشرة قوله تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.......... ١٩٧
الآية الخامسة عشرة قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.................... ٢٠٠
الآية السادسة عشرة قوله تعالى : ﴿واعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلاَتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾ ٢٠٨
الآية السابعة عشرة قوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ ٢١٧
الآية الثامنة عشرة قوله تعالى : ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ٢٢٢
الآية التاسعة عشرة قوله تعالى : ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.................. ٢٢٧
رفع الإجمال عن رواية الثعلبي بيان السبب في ذلك ٢٣٠
ذكر كلام النيسابوري في تفسيره والجواب عنه ٢٣١
الآية العشرون قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ٢٣٤

الآية الحادية والعشرون قوله تعالى : ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ٢٣٦
الآية الثانية والعشرون قوله تعالى : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ ٢٣٧
الآية الثالثة والعشرون قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ٢٤١
ذكر كلام لابن حجر في معنى القربى وبيان فساده ٢٤٣
الآية الرابعة والعشرون قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ .. ٢٤٧
المراد من الكلمات التي ابتلى الله عزّوجلّ إبراهيم عليه السلام بها ٢٤٩
كلام للمصنّف في بيان وجه دلالة الآية على إمامة أهل البيت عليهم السلام ٢٥٠
الآية الخامسة والعشرون قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ٢٦١
بيان لشأن نزول الآية المباركة ٢٦٢
المطلب السادس : في بيان سائر الآيات الدالة على إمامة أهل البيت عليهم السلام ٢٧٢
قوله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ ٢٧٣
قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ٢٧٤
قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ﴾ ٢٧٤
قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ ٢٧٧
قوله تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ٢٧٨

قوله تعالى : ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ ٢٧٨
قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ٢٧٩
قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ٢٨٠
قوله تعالى : ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ٢٨١
بيان عدم منافاة ما ذكره النيسابوري لوجه دلالة الآية ٢٨١
قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ ٢٨٢
ذكر الاحتمالات في قوله تعالى : ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ ٢٨٢
قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ ٢٨٣
ذكر حكاية نزول الآية المباركة ٢٨٥
ذكر كلام لابن حجر والرد عليه ٢٨٩
قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ ٢٩٧
كلام للمصنّف حول الآية المباركة ٣٠٢
قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ ٣٠٧
قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ٣٠٨
قوله تعالى : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ ٣٠٨

قوله تعالى : ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ ٣٠٨
قوله تعالى : ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ٣٠٩
قوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ﴾ ٣١١
قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ ٣١١
قوله تعالى : ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ ٣١٢
قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِن رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ ٣١٣
قوله تعالى : ﴿وَشَاقُّوا ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ ٣١٣
قوله تعالى : ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ ٣١٣
قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ ٣١٤
قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾ ٣١٥
قوله تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ ٣١٦
قوله تعالى : ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ٣١٧
قوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُلْكاً عَظِيماً﴾ ٣١٨
قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ٣١٩
قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ٣١٩
قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللهِ كُفْراً﴾ ٣١٩
قوله تعالى : ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ﴾ ٣٢٠

قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُنتَقِمُونَ﴾ ٣٢١
قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفاً كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَرْصُوصٌ﴾ ٣٢٣
قوله تعالى : ﴿وَكَفَى اللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وكانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ ٣٢٤
قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ﴾ ٣٢٥
قوله تعالى : ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .. ٣٢٥
قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ﴾ ٣٢٩
كلام للمصنّف في رد تمحلات بعض المخالفين ٣٣٥
قوله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لاَيَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لاَيَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٣٣٩
قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٣٤٥
قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ٣٤٦
قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ ٣٤٨
ذكر جملة من الآيات المشتملة على كلمة التقوىٰ والمتقين ولفظ الجلالة ٣٤٩
قوله تعالى : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ٣٤٩
قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ ٣٥٠
قوله تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ٣٥٠
قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ ٣٥١
قوله تعالى : ﴿وَأَذَانٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ ٣٥١
قوله تعالى : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ ٣٥١
قوله تعالى : ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ ٣٥٢
قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ ٣٥٢
قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ ٣٥٢
قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ٣٥٣
قوله تعالى : ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ ٣٥٣
قوله تعالى : ﴿إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ ٣٥٣
قوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُم مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ ٣٥٤
قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ ٣٥٥
قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ٣٥٦
قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَـٰهُمْ﴾ ٣٥٦
قوله تعالى : ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ٣٥٧
قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَاتُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ ٣٥٧
قوله تعالى : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ . ٣٥٧
قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِى أَنقَضَ

ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٣٥٨
قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ٣٦٠
قوله تعالى : ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾ ٣٦١
قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ ٣٦١
قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ . ٣٦٢
قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ٣٦٢
قوله تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ ٣٦٢
قوله تعالى : ﴿وَجَنَّـٰتٌ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَٰحِدٍ﴾ ٣٦٤
قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ ٣٦٤
قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ ٣٦٤
قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ دلالة على انحصار الإمامة في آل النبيّ ﷺ ٣٦٥
كلام لبعض المحققين في معنىٰ كلمة «الآل» ٣٦٧
قوله تعالى : ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ ٣٦٨
قوله تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ﴾ ٣٧١
قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ ٣٧١

قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَالَيْتَنِى كُنتُ تُرَاباً﴾ ٣٧٢
قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ ٣٧٤
قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ٣٧٥
قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ﴾ ٣٧٥
قوله تعالى : ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ ٣٧٥
قوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ ٣٧٦
قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَاءَ ٱللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ ٣٧٧
قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ ٣٧٧
قوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ وأنّ المراد بهم أهل البيت عليهم السلام ٣٧٨
قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ ٣٧٩
قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ ٣٧٩
قوله تعالى : ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ ٣٨٠
قوله تعالى : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٱلْمَفْتُونُ﴾ ٣٨٠
قوله تعالى : ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ ٣٨١
قوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِيناً﴾ ٣٨١
قوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ

* ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ٣٨٣
قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ ٣٨٣
قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهِمْ﴾ . ٣٨٤
قوله تعالى : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ٣٨٤
قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾... ٣٨٤
قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ﴾ ٣٨٥
قوله تعالى : ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ ٣٨٥
قوله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ٣٨٦
قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٣٨٦
قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ ٣٨٧
قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ ٣٨٧
الفهرس المحتويات ٣٨٩